

مكتبة ٦٢٧

# 1 القبحاء

في عالم بلغ الجمال فيه غايته،  
يعد ذو الجمال العادي قديحًا.

سكوت ويسترفيلد

القبحاء

مكتبة | 627

# مكتبة

t.me/t\_pdf

الطبعة الأولى ٢٠١١م

رقم إيداع ٢٠١٠/١٦٠٤٥

جميع الحقوق محفوظة للناشر كلمات عربية للترجمة والنشر  
(شركة ذات مسئولية محدودة)

كلمات عربية للترجمة والنشر

إن كلمات عربية للترجمة والنشر غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره

وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه

ص.ب. ٥٠، مدينة نصر ١١٧٦٨، القاهرة

جمهورية مصر العربية

تليفون: +٢٠٢ ٢٢٢٧٢٧٤٣١ فاكس: +٢٠٢ ٢٢٢٧٠٦٣٥١

البريد الإلكتروني: [kalimat@kalimat.org](mailto:kalimat@kalimat.org)

الموقع الإلكتروني: <http://www.kalimat.org>

ويسترفيلد، سكوت

القبحاء/ سكوت ويسترفيلد - القاهرة: كلمات عربية للترجمة والنشر، ٢٠١١.

٢٣٦ ص، ٢٣،٠ × ١٦،٠ سم

تدمك: ٩٧٨ ٩٧٧ ٦٢٦٣ ٥٩ ٨

١- القصص الإنجليزية

أ- العنوان

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية، ويشمل ذلك التصوير الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مضغوطة أو استخدام أية وسيلة نشر أخرى، بما في ذلك حفظ المعلومات واسترجاعها، دون إذن خطي من الناشر.

Arabic Language Copyright © 2011 Kalimat Arabia.

Original English Language edition Copyright © 2005 by Scott Westerfeld.

Published by arrangement with Simon Pulse, an imprint of Simon & Schuster Children's Publishing Division.

All rights reserved. No part of this book may be reproduced or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, including photocopying, recording or by any information storage and retrieval system, without permission in writing from the Publisher.

# القبحاء

في عالم بلغ الجمال فيه غايته،  
يعد ذو الجمال العادي قبيحًا

تأليف

سكوت ويسترفيلد

ترجمة

فايقة جرجس حنا

مكتبة | 627



كلمات عربية

## المحتويات

٩	الجزء الأول: من القبح إلى الجمال
١١	١- مدينة نيو برتي تاون
١٩	٢- أفضل صديقين إلى الأبد
٢٩	٣- شاي
٣٧	٤- محو الذكريات
٤٣	٥- مواجهة ما يحمله المستقبل
٤٩	٦- الوقوع في براثن الملل
٥٥	٧- منحدرات نهرية
٦٣	٨- مدينة الأطلال الصدئة
٦٩	٩- في انتظار ديفيد
٧٥	١٠- العراك
٨٣	١١- الخدعة الأخيرة
٩٣	١٢- عملية التجميل
٩٩	١٣- السلطات الخاصة
١٠٧	١٤- قبيحة إلى الأبد
١١٥	١٥- بيريس
١٢٣	١٦- التجسس
١٢٩	الجزء الثاني: منطقة الضباب
١٣١	١٧- الرحيل
١٣٧	١٨- وجبة الاسباجتي بولونيز

- ١٤٥ - ١٩- أفدح الأخطاء
- ١٥٣ - ٢٠- الجانب الذي تزدرينه
- ١٥٩ - ٢١- عاصفة نارية
- ١٦٣ - ٢٢- عيون جاحظة
- ١٧١ - ٢٣- أكاذيب
- ١٧٧ - ٢٤- عارضة أزياء
- ١٨٣ - ٢٥- إلى العمل
- ١٩١ - ٢٦- ديفيد
- ١٩٩ - ٢٧- العشيق
- ٢٠٧ - ٢٨- الارتياب
- ٢١٩ - ٢٩- الشجاعة
- ٢٢٧ - ٣٠- السر
- ٢٣٥ - ٣١- عقول جميلة
- ٢٤١ - ٣٢- حرق الجسور
- ٢٥٣ - الجزء الثالث: إلى النيران
- ٢٥٥ - ٣٣- الغزو
- ٢٦٣ - ٣٤- حظيرة الأرنب
- ٢٦٩ - ٣٥- في حال تحطمها
- ٢٧٧ - ٣٦- الهروب
- ٢٨٣ - ٣٧- تالي المدهشة
- ٢٨٩ - ٣٨- الأطلال
- ٢٩٥ - ٣٩- مادي وآز
- ٣٠١ - ٤٠- وباء البترول
- ٣٠٧ - ٤١- مناظر مألوفة
- ٣١٧ - ٤٢- شركاء في الجريمة
- ٣٢٥ - ٤٣- فوق الحافة
- ٣٣١ - ٤٤- بداخل مبنى السلطات الخاصة
- ٣٣٧ - ٤٥- الإنقاذ

٣٤٣	٤٦- الفرار
٣٥١	٤٧- وحيدة طوال الليل
٣٥٧	٤٨- قسم أبقرات
٣٦٥	٤٩- اعترافات
٣٦٩	٥٠- باتجاه مجرى النهر
٣٧٣	ابحث عن الجزء الثاني من هذه الثلاثية الرائعة بعنوان: الحسان





الجزء الأول

## من القبح إلى الجمال

«أليس من الجيد أن نجعل المجتمع يعج بأناس فائقي الجمال؟»

يانج يوان، في صحيفة نيويورك تايمز



## الفصل الأول

# مدينة نيوبرتي تاون

في أوائل فصل الصيف كسا اللون الأبيض السماء ليمائل لون قيء القطة. بالطبع اعتقدت تالي أنه لكي تصل إلى درجة اللون الوردي لهذا القيء عليك أن تطعم قطتك فقط بطعام القطط ذي نكهة السلمون فترة من الوقت. وفي السماء ماثلت السحب التي تسوقها الرياح في شكلها شكل السمك إلى حد ما، فأدت الرياح عالية الارتفاع إلى تموج شكلها لتشبه حراشف السمك. وبينما كان ضوء النهار في طريقه إلى التلاشي تجلت في السماء ثلمات زرقاء داكنة كساها الظلام، وكأن محيطاً عميقاً من المياه الباردة ملاً السماء.

في أي صيف آخر كان مغيب الشمس سيبدو جميلاً، لكن لم يعد هناك أي شيء جميل منذ أن صار بريس جميلاً. ليس بالهين أن تفقد صديقاً مقرباً إليك، حتى لو كان هذا مدته ثلاثة أشهر ويومين فحسب.

كانت تالي يانج بلود تترقب حلول الظلام.

كان باستطاعتها أن ترى مدينة نيوبرتي تاون عبر شرفتها المفتوحة، حيث الأضواء تنبعث بالفعل من أبراج الاحتفالات، وتحت أشعة الضوء المتوجة المنبعثة من المصابيح تجلت الدروب الواضحة الممتدة عبر الحدائق التي شاع فيها الابتهاج، وفي اتجاه السماء وردية اللون امتد عدد قليل من المظلات المشدودة بحبالها، التي أطلق ركابها ألعاباً نارية آمنة على المظلات الأخرى والمتزلجين الذين يبحرون بمظلاتهم. كانت أصوات الضحكات وأنغام الموسيقى تثب عبر المياه مثل الصخور التي تُلقي في المياه لتجد طريقها فيها بحركة دائرية مستقيمة، وفي ذلك كانت حواف هذه الصخور الحادة تشق طريقها بحدة تجاه أعصاب تالي وتثيرها.

لقد غلف الظلام كل ما وقع حول الضواحي التي يفصلها عن المدينة النهر الأسود بيضاوي الشكل. بحلول ذلك الوقت كان كل فرد قبيح قد خلد إلى النوم في فراشه.

نزعت تالي عنها خاتم الاتصال الذي تلبسه وقالت: «طابت ليلتك.»

أجابتها الغرفة: «أحلامًا سعيدة يا تالي.»

بعدها مضغت تالي حبة تنظيف الأسنان، ولكمت وسادتها، ثم دفعت بمدفأة محمولة قديمة تحت أغطية فراشها؛ لتبعث دفنًا يماثل ما قد يصدره إنسان نائم بحجم تالي.

خرجت تالي من النافذة ببطء لتجد طريقها إلى الخارج.

وبالخارج شعرت تالي على الفور أنها أفضل حالًا بعدما صار الليل حالك الظلام فوق رأسها. ربما تكون خطتها تلك خطة حمقاء، لكن أي شيء أفضل لها من قضاء ليلة أخرى مستيقظة في فراشها وهي ترثي حالها. وفي الدرب المألوف المؤدي إلى حافة النهر الذي كسته الأشجار، كان من السهل أن تتخيل بيريس وهو يتسلل في صمت خلفها كاتمًا ضحكاته، ويتأهب لقضاء ليلة يتلصص فيها على الحسان والحسناوات الجدد. سيقومان بذلك الأمر معًا. لقد اكتشفا معًا كيف يخدعان الأشخاص المسئولين عن الإشراف على المنازل عندما كانا في الثانية عشرة من عمرهما، وكانت الأشهر الثلاثة التي تفصل بين عمريهما لا تمثل أهمية.

هممت تالي وهي تتحسس بإصبعها الندب الصغير في راحة يدها اليمنى:

«سنبقى صديقين مقربين إلى الأبد.»

تلاأت المياه عبر الأشجار، وكان بإمكان تالي أن تسمع صوت ارتطام الأمواج؛ فأحنت رأسها مختبئة في عشب الخيزران. والصيف دومًا أفضل وقت لرحلات التجسس؛ لأن العشب يرتفع في ذلك الوقت، ولم يكن الطقس باردًا قط، ولم يكن على المرء أن يظل يقظًا أثناء اليوم المدرسي التالي.

بالطبع يستطيع بيريس الآن أن ينام حتى وقت متأخر من اليوم وقتما شاء،

فتلك إحدى مزايا أن يصير المرء جميلًا.

هناك عبر النهر امتد الجسر القديم على نحو هائل، الذي كان هيكله الحديدي الضخم حالك السواد كالسماء التي تعلوه. وكان هذا الجسر قد بُني منذ وقت طويل للغاية بحيث يستطيع أن يتحمل ثقله دون أي دعم من عوارض. فعندما انهارت سائر أبنية المدينة قبل مليون سنة من الآن، ظل الجسر راسخًا كعظم متحجر.

على خلاف الجسور الأخرى في مدينة نيو برتي تاون، لم يستطع هذا الجسر القديم التحدث، والأهم من ذلك أنه لم يستطع أن يبلغ عن الأشخاص المعتدين. ومع أنه كان جسراً صامتاً، فدائماً ما بدا لتالي أنه غاية في الحكمة ويتمتع بالفطنة التي تتمتع بها شجرة عتيقة.

ولأن عيني تالي اعتادت تماماً على الظلمة الآن، لم تستغرق سوى لحظات في العثور على خيط صنارة كان مربوطاً في الصخرة التي اعتادت ربطه بها. جذبت تالي الخيط بعنف وسمعت صوت تناثر قطرات المياه عن الحبل وهو ينبثق بسرعة من حيث كان مختبئاً بين دعامات الجسر. ظلت تسحبه حتى تحول حبل الصنارة غير المرئي إلى حبل مبتل به عقد. وكان الطرف الآخر من الحبل لا يزال مربوطاً بالهيكل الحديدي للجسر. سحبت تالي الحبل بإحكام وثبتته في الشجرة التي اعتادت أن تربطه بها.

كان عليها أن تحني رأسها مرة أخرى بين العشب؛ حيث مرت بها سفينة نهريّة، ولكن لم تقع أعين الأشخاص الذين كانوا يرقصون على سطحها على الحبل الممتد من الجسر إلى الشاطئ. لم يقوموا بذلك قط؛ فالحسان والحسناوات الجدد دائماً يستمتعون كثيراً بوقتهم بما لا يتيح لهم ملاحظة الأشياء الصغيرة التي تقع في غير أماكنها.

وعندما أخذت أضواء المقشدة النهريّة تتلاشى، اختبرت تالي قوة الحبل بالوقوف عليه بثقل جسمها كله. فذات مرة ارتخى الحبل الممتد من الشجرة، فتمايلت هي وبيريس إلى أسفل ثم إلى أعلى فوق منتصف النهر قبل أن يسقطا في المياه الباردة. ابتسمت تالي لتلك الذكرى التي لاحت لها، وهي تدرك أنه من الأفضل لها أن تكون في تلك الرحلة مبتلة للغاية في الطقس البارد بصحبة بيريس، من أن تكون جافة شاعرة بالدفء في هذه الليلة ولكنها وحيدة.

وبعد أن تعلقت تالي بالحبل وقد انقلب جسدها إلى أسفل، وقبضت بيديها وركبتيها بإحكام على العقد الممتدة بطول الحبل، جذبت نفسها إلى أعلى نحو الهيكل الأسود للجسر ثم انسلت عبر هيكله الحديدي وعبرت خلاله إلى نيو برتي تاون.

كانت تعلم أين يعيش بيريس من الرسالة الوحيدة التي كلف نفسه عناء إرسالها منذ أن صار جميلاً، ومع أن بيريس لم يخبرها بعنوانه كانت تالي تعلم طريقة فك

شفرة الأرقام التي تبدو عشوائية أسفل الرسالة، فهذه الأرقام تشير إلى قصر ما يسمى بقصر جاربو مانشون ويقع في الجزء كثير التلال من المدينة.

والوصول إلى هناك كان أمرًا صعبًا للغاية؛ ففي أثناء الرحلات التي قاما بها معًا إلى هناك، كانا دائمًا يتحركان بالقرب من ضفة النهر حيث كانت النباتات والحوائط السوداء لمدينة آجلي فيل تيسر عليهما الاختباء. لكن تالي تقصد الآن وسط الجزيرة، حيث الشوارع المضيئة التي تعج طوال الليل بالعربات ذات المنصات والأشخاص الغارقين في المتعة. وكان الحسان والحسنات الجدد مثل بريس يقطنون دائمًا الأماكن التي تبلغ فيها المتعة ذروتها.

كانت تالي تحفظ تفاصيل الخريطة عن ظهر قلب، لكن لو انعطفت انعطافًا خاطئًا ولو مرة واحدة، لهلكت. ودون خاتمة المستخدم في الاتصال، لا تستطيع العربات رؤيتها، وسوف تدهسها وكأنها لم تكن شيئًا. بالطبع، لم تكن تالي شيئًا هنا.

والأسوأ من ذلك أنها قبيحة. ومع ذلك تمت ألا ينظر بريس للأمر على هذا النحو وألا يراها بهذه الطريقة.

لم يكن لدى تالي أدنى فكرة عما سيلم بها إن قبض عليها. فالأمر هنا لا يضاهي معاقبتها عندما تنسى خاتم الاتصال أو تنصرف خلسة من الفصول الدراسية أو تخذع أسرتها وتعزف الموسيقى بصوت أعلى من المسموح به. فالجميع يتصرفون مثل هذه التصرفات، والجميع يُعاقبون عليها. ومع ذلك أبدت هي وبريس دومًا الحذر الشديد كي لا يجري القبض عليهما في رحلاتهما، فعبور النهر كان مسألة خطيرة.

ومع ذلك فات أوان القلق الآن. وما عساهم أن يفعلوا بها على أي حال؟ ففي غضون ثلاثة أشهر سوف تصير هي نفسها حسناء.

زحفت تالي بطول النهر حتى وصلت إلى إحدى الحدائق التي شاع فيها الابتهاج، وانسلت إلى الظل تحت صف من أشجار الصفصاف الباكية. واستطاعت تحت ظلة تلك الأشجار أن تشق طريقها عبر درب تضيئه السنة لهب صغيرة واهنة.

وعبر هذا الدرب كان هناك اثنان من الحسان، فتجمدت تالي في مكانها، لكنهما لم يكونا على دراية بما حولهما، إذ كان كل منهما يحدق في عيني الآخر بانشغال شديد حتى إنهما لم يشعرًا بها وهي تجلس في الظلام. راقبتهم تالي في صمت وهما يمران بها، وشعرت بذلك الشعور الدافئ الذي تشعر به دومًا عندما تنظر إلى وجه

جميل. وحتى عندما اعتادت هي وبيريس أن يتلصصا على الحسان والحسناوات من بين الظلال، ويقهقهها على كل ما يفعله ويتفوه به هؤلاء من تفاهات، لم يستطيعا أن يقاوما الرغبة في أن يحدقا فيهم. ثمة شيء ساحر في عيونهم الواسعة التي لا تشوبها شائبة، شيء يجعلك تنتبه لأي شيء يقولونه، وأن تحميهم من أي خطر، وأن تجعلهم سعداء. إنهم غاية في ... الحسن.

اختفى هذان الاثنان عند المنعطف التالي، وهزت تالي رأسها حتى تتخلص من الأفكار العاطفية التي هيمنت عليها، فهي لم تأت إلى هنا كي تحرق ببلاهة، فهي الآن دخيلة ومتسللة وقبيحة. لقد أتت أيضًا لمهمة محددة.

كانت الحديقة منبسطة داخل المدينة، تشق طريقها ملتوية كنهر أسود عبر أبراج الاحتفالات والمنازل المضيئة. وبعد بضع دقائق أخرى قضتها تالي في الزحف، تسلل الفزع إلى نفسها لرؤيتها اثنان من الحسان مختلفين بين الأشجار (فهذه حديقة المتعة على كل حال)، بيد أنهما لم يتمكنوا من رؤية وجهها في الظلام، لكنهما استهزأ بها فحسب حينما تمتمت بالاعتذار لهما، ثم انسلت بعيدًا. وهي أيضًا لم تتمكن من رؤية الكثير من ملامحهما، كل ما رآته هو أذرع وأقدام مثالية متشابكة فحسب.

أخيرًا وصلت تالي إلى نهاية الحديقة، وعلى بعد مبانٍ معدودة من هنا كان يقطن بيريس.

ومن وراء ستار من نباتات العنب المتدلية أهدقت تالي في المكان حولها. لقد وصلت إلى الحد الذي هداها إليه تخطيطها، والذي كان أبعد من أي مكان وصلت هي وبيريس إليه معًا. وما كان من طريقة تمكنها من الاختباء في الشوارع المزدحمة المضاءة إضاءة جيدة. وضعت تالي أصابعها على وجهها، وتحسست ما لها من أنف عريض وشفاه رفيعة وجبهة عالية للغاية وكتلة شعر مجعد متشابكة. فلو خطت خطوة واحدة خارج هذه الشجيرات الصغيرة فسيُفضح أمرها. بدا وجهها وكأنه يحترق عندما وقع عليه الضوء. ماذا تفعل هنا؟ كان ينبغي أن تعود إلى ظلام مدينة أجلي فيل، وتنتظر حتى يحين دورها.

ومع ذلك لا بد لها أن ترى بيريس وتتحدث إليه. لم تكن متيقنة تمامًا من السبب الكامن وراء ذلك بالضبط، فيما عدا أنها سئمت تخيل آلاف الحوارات التي تدور بينها وبين بيريس كل ليلة قبل أن تخذل إلى النوم. فقد أمضيا كل الأيام معًا منذ أن كانا صغارًا والآن ... اختفى. لعل ذهنها سيتوقف عن التحدث إلى بيريس

الخيالي إذا تمكنا من التحدث معًا دقائق معدودة فحسب. وثلاث دقائق ربما تكفي لأن تجعلها تصمد ثلاثة أشهر.

دارت تالي بعينها أسفل الشارع وأعلاه، بحثًا عن ساحات جانبية لتتسلل عبرها خلسة، أو مداخل مظلمة لتختبئ فيها. لقد شعرت وكأنها متسلق صخور يواجه منحدرًا صخريًا شاهقًا شديد الانحدار، ويبحث عن أي شقوق أو شيء يمسك به. بدأت حركة المرور تهدأ قليلًا، فانتظرت وهي تفرك الندب الصغير في راحة يدها اليمنى. وفي آخر الأمر تنهدت تالي وهمست: «سنبقى صديقين مقربين إلى الأبد.» ثم خطت خطوة للأمام تحت أشعة الضوء.

دوى صوت مرتفع عن يمينها، فوثبت للخلف عائدة إلى الظلام، وتعثرت بين نباتات العنب ونزلت بشدة على ركبتها في التربة الرخوة، متيقنة لبضع دقائق أنه قبض عليها.

ومع ذلك جاءت الضربات الإيقاعية المتنافرة منمنمة في صورة إيقاع موسيقي نابض. لقد كان هذا الصوت صادرًا عن طبلية إلكترونية تشق طريقها بخطى متناقلة في الشارع. وكانت الطبلية، التي يماثل عرضها عرض المنزل، تومض في ظل حركة العشرات من أذرعها الآلية التي كانت تفرع طبولًا بكل الأحجام. كانت تجر في أذيالها حشودًا متزايدة من المحتفلين الغارقين في المتعة الذين يتراقصون على قرع الطبول ويشربون الخمر ويلقون بزجاجاتهم الفارغة لترتطم وتتكسر في وجه هذه الآلة العملاقة الحصينة.

ابتسمت تالي؛ إذ كان هؤلاء الأشخاص يرتدون أقنعة. لقد كانت الآلة تلقي الأقنعة للخلف في محاولة لجذب المزيد من الأتباع إلى الاستعراض الارتجالي: كانت الأقنعة لوجوه شيطانية، ومهرجين مروعين، ووحوش خضر اللون، وكائنات فضائية رمادية اللون لها أعين بيضاوية كبيرة، وقطط وكلاب وبقر، ووجوه تبتسم ابتسامات عريضة أو لها أنوف ضخمة.

مر الموكب بتؤدة، ورجعت تالي بنفسها للخلف نحو النباتات الخضراء. وعبر القليل من المحتفلين بالقرب منها جدًا حتى إن الرائحة شديدة الحلاوة المنبعثة من زجاجاتهم ملأت أنفها. بعد دقيقة، وبعدما تحركت الآلة بجهد مسافة لا تتعدى نصف المبني التالي، قفزت تالي وخطفت قناعًا ملقى في الشارع. كان ملمس مادته البلاستيكية ناعمًا في يديها، ولا يزال دافئًا بعد صب شكله داخل الآلة منذ لحظات قليلة معدودة.



وقبل أن تضع القناع على وجهها، لاحظت أن له نفس لون غروب الشمس، لون قيء القطعة الوردية، وله أنف طويل وأذنان صغيرتان ورديتا اللون. وعندما استقر القناع على وجهها، ظل ثابتًا عليه بفضل مادة لاصقة ذكية. شقت تالي طريقها وسط الراقصين السكارى إلى الجانب الآخر من الموكب، وركضت عبر شارعٍ جانبي نحو جاربو مانشون مرتدية قناعًا لوجه خنزير.

مكتبة  
t.me/t\_pdf



## الفصل الثاني

# أفضل صديقين إلى الأبد

كان قصر جاريو مانشون قصرًا ضخماً ساطعاً صاخبًا.

اتخذ هذا القصر مكاناً له بين برجين من أبراج احتفالات، فكان أشبه بإبريق شاي قصير وعريض يتوسط كأسين رفيعين. وكان كل برج من هذين البرجين يرتكز على عمود واحد لا يتجاوز عرضه عرض المصعد. وشق هذان البرجان طريقهما إلى السماء وقد احتوى كل منهما على خمسة طوابق من الشرفات المستديرة التي تكدست بالحسان والحسناوات الجدد. تسلقت تالي التل باتجاه المباني الثلاثة، وهي تحاول أن ترى المشهد عبر ثقب العيينين بالقنّاع.

قفز شخص ما، أو ألقي به، من أحد البرجين، وكان يصرخ ويخفق بذراعيه، فشهقت تالي من شدة المنظر، وأرغمت نفسها على مشاهدته طوال طريقه إلى أسفل، حتى رفعت سترته المطاطية عن الأرض قبل أن يرتطم بها بثوان معدودة. وارتد ضاحكًا إلى أعلى وإلى أسفل في الهواء مرات قليلة في حزام أمان سترته، قبل أن يرسو بهدوء على الأرض على مسافة قريبة جدًا من تالي، حتى إنها كادت تسمع فواقه الشديد وهو يبدد قهقهته. لقد كان فزعًا مثل تالي.

ارتجفت تالي، على الرغم من أن القفز لم يكن أكثر خطورة من الوقوف أسفل هذه الأبراج التي تلوح في أفق السماء. فالسترات المطاطية كانت تستخدم الارتفاع كالعوارض التي تدعم البنايات الطويلة. أما لو توقفت كل الألعاب الجميلة عن العمل بطريقة ما، فإن كل شيء في مدينة نيو برتي تاون سينهار.

كان القصر مليئًا بالحسان والحسناوات الجدد، وهم أسوأ أنواع الحسان مثلما اعتاد بريس أن يقول دائمًا. كان يعيش كل مائة فرد منهم تقريبًا في عنبر نوم كبير،

شأنهم في ذلك شأن القبحاء. لكن هذا العنبر لم يكن له أي قواعد، باستثناء: تصرف بغباء، واستمتع، وأصدر جلبة.

وكانت هناك مجموعة من الفتيات اللاتي يرتدين زي الحفلات الراقصة على السطح، يصحن بأعلى أصواتهن، ويحافظن على توازنهن على حافة السطح، ويطلقن ألعابًا نارية آمنة على الأنااس بأسفل، فارتدت كرة نارية برتقالية اللون لتستقر بجوار تالي، وكانت باردة مثل ربح الخريف، وأزالت الظلمة من حولها.

صرخ أحدهم من أعلى: «انظروا! هناك خنزير بأسفل!» فضحكوا جميعًا، وأسرعت تالي خطاها نحو باب القصر المفتوح على مصراعيه، مندفعة للداخل متجاهلة نظرات الاندهاش التي رمقها بها اثنان من الحسان كانا في طريقيهما للخارج.

فما دار كان حفلًا واحدًا كبيرًا، حسبما كانوا يعدون دائمًا. كان الناس يرتدون أزهى الملابس، إذ تألقت النساء بأثوابهن وتألقت الرجال بالبذل السوداء ذات الذبول الطويلة. لذا بدا قناع الخنزير الكبير الذي ترتديه تالي للجميع مضحكًا للغاية. فكانوا يشيرون نحوها ويضحكون، لكن تالي واصلت سيرها دون أن تمنحهم الوقت ليفعلوا أي شيء آخر. وبالطبع، كان الجميع هنا يضحكون على الدوام، فعلى خلاف الحفل الذي يقيمه القبحاء، لم يكن هناك أي شجار أو حتى خلاف.

واندفعت من حجرة إلى أخرى، وهي تحاول أن تميز الوجوه دون أن تنشغل بهذه العيون الواسعة الجميلة، أو ترتبك بمشاعر عدم الانتماء لهؤلاء الأشخاص. كان شعور تالي بقبحها يزداد مع كل لحظة كانت تقضيها هناك، ولم تشكل الضحكات التي تلتقتها من كل من يقابلها عونًا كبيرًا في هذا، لكن هذا كان أفضل مما كانوا سيفعلونه لو أنهم رأوا وجهها الحقيقي.

وتساءلت تالي عما إذا كان بمقدورها أن تميز بيريس بين كل هؤلاء؛ فهي لم تره سوى مرة واحدة منذ العملية، لدى خروجه من المشفى قبل أن يزول تورم وجهه. ومع ذلك كانت تعرف وجهه جيدًا. فعلى الرغم مما اعتاد بيريس دائمًا أن يقوله، فالحسان والحسناوات بدوا مختلفين. ففي رحلاتهما الاستكشافية التي كانا يقومان بها، كانا يشاهدان بين الفينة والفينة حسناًا وحسناوات يبدون مألوفين لهما مثل قبحاء كانا يعرفانهم. كانوا أشبه بأخ أو أخت، أخ أو أخت أكبر سنًا، أكثر ثقة في النفس وأكثر حسناًا. وكانوا أشبه بالشخص الذي تظل غيورًا منه طوال حياتك لو كنت قد ولدت منذ مائة عام.

ولم يكن بيريس ليتغير كثيرًا.

- «هل رأيتم الخنوص؟»

- «ماذا؟»

- «هناك خنوص طليق!»

جاءت هذه الأصوات الضاحكة من الطابق السفلي، فتوقفت تالي لتنصت. كانت بمفردها تمامًا على السلم، وبدا من الواضح أن الحسان يؤثرون استخدام المصاعد. - «كيف جرؤت على أن تقدم إلى حفلنا متنكرة في قناع خنزير صغير! هذا حفل رسمي!»

- «لقد أخطأت الحفل..»

- «إنها وقحة لأن تبدو بهذا الشكل!»

ازدردت تالي ريقها؛ فلم يكن القناع أفضل كثيرًا من وجهها. فلم يعد لشكلها تأثير مضحك.

ارتقت تالي درج السلم تاركة الأصوات وراءها؛ فريما ينسون أمرها إذا واصلت سيرها. ولم يبق أمامها سوى طابقين من قصر جاربو مانشون لتصل بعدهما إلى السطح. فلا بد أن بيريس هنا في مكان ما.

إلا إذا كان بالخارج في المرج الخلفي، أو في منطاد، أو في برج من أبراج الاحتفالات، أو في إحدى حدائق المتعة مع إحداهن. نفضت تالي عن ذهنها تلك الصورة الأخيرة وركضت عبر الردهة، متجاهلة الدعابات نفسها التي دارت عن قناعها، مجازفة بالتحديق في غرفة تلو الأخرى.

لم تجد تالي سوى نظرات اندهاش، وأصابع تومئ إليها، ووجوه حسنة، لكن لم يقرع أحدهم أي جرس إنذار. ولم يكن بيريس في أي مكان.

- «انظروا، خنوص، خنوص! انظروا، ها هي هناك!»

اندفعت تالي بسرعة نحو الطابق العلوي، حتى إنها كانت ترتقي درجتين من السلم في المرة الواحدة. وكان لهاثها الشديد يبعث بحرارة شديدة بالجزء الداخلي للقناع، فأخذت جبهتها تتصبب عرقًا، ليؤثر ذلك على ثبات المادة اللاصقة للقناع. وفي تلك الأثناء، تتببعها مجموعة منهم، وكان أفرادها يقهقهون ويتعثر بعضهم فوق بعض على درج السلم.

لم يكن لدى تالي من الوقت ما يسمح لها بأن تبحث عن بيريس في هذا الطابق؛ فأحدثت في عجالة في كل أرجاء الردهة. لم يصعد أحد هنا على كل حال، وكانت جميع الأبواب موصدة. لعل قلة من الحسان قد خلدت إلى النوم بالفعل هنا.

وإذا صعدت إلى السطح بحثاً عن بيريس، فسيمسكون بها.

– «انظروا، خنوص، خنوص!»

لقد حان وقت الهروب؛ فاندفعت تالي بسرعة نحو المصعد، لتجد فرصة لاستراحة قليلة بداخله. وهنا أعطته الأمر بالنزول: «الدور الأرضي!»

في تلك الأثناء انتظرت تالي في المصعد وهي تحرق في الردهة بقلق، وتلهث في قناعها البلاستيكي الدافئ. كررت تالي أمر النزول: «الدور الأرضي!» «أغلق الباب!» لم يحدث شيء.

تهدت تالي، مغمضة عينيها؛ فدون خاتم الاتصال هي لا شيء، ولن يصغي إليها المصعد.

كانت تالي تعرف كيف تخدع المصعد، لكن هذا يستغرق بعض الوقت ويحتاج إلى سكين، وهي لا تملك أيًا منهما. وفي تلك الأثناء، ظهر أول مطارديها على السلم يمشي باضطراب في الردهة.

ألقت تالي بنفسها للوراء في مواجهة الجدار الجانبي للمصعد، ووقفت على أطراف أصابعها وحاولت أن تشد جسمها حتى لا يستطيعون رؤيتها. حينئذ قدم المزيد منهم، وهم يلهثون ويزفرون كحسان مفتقرين إلى اللياقة والحالة البدنية الجيدة. واستطاعت تالي أن تراهم في المرآة الخلفية للمصعد.

وهو ما يعني أنه كان بمقدورهم أن يروها أيضًا لو أنهم فكروا في النظر بهذا الاتجاه.

– «أين ذهب الخنوص؟»

– «تعال إلى هنا أيها الخنوص!»

– «ربما صعد إلى السطح؟»

خطا شخص ما داخل المصعد بهدوء، وهو ينظر إلى الوراء نحو فريق البحث في دهشة. وعندما رآها، وثب وقال: «يا إلهي، لقد أفزعتني!» ثم طرف بأهداب عينيه الطويلة وهو يحدق إلى وجهها المقنع، ونظر إلى أسفل حيث الذيل الطويل لبذلته ثم قال: «يا إلهي! أليس هذا الحفل حفلًا رسميًا؟»

انقطع نفس تالي، وجف فمها ثم همست: «بيريس؟»

فتفرس فيها وقال: «هل...»

بدأت تقترب منه لكنها تذكرت أنه عليها أن تظل ملاصقة للجدار. وكانت عضلاتها تؤلمها من الوقوف على أطراف أصابعها. قالت: «إنه أنا يا بيريس..»

- «تعال إلى هنا أيها الخنوص الصغير!»

استدار بيريس باتجاه الصوت القادم من الردهة ورفع حاجبيه ثم نظر إليها. قال بيريس مصدرًا أمره للمصعد بسرعة: «أغلق الباب، وقف مكانك.» أغلق المصعد بابه، وتحركت تالي للأمام. بعد ذلك نزعت قناعها كي يتسنى لها رؤيته على نحو أفضل. لقد كان بيريس نفسه: صوته، وعيناه بنيتا اللون، والطريقة التي يتجدد بها جبينه عندما يرتبك. لكنه كان غاية في الحسن الآن.

ففي المدرسة، كانوا يشرحون لهم كيف يؤثر الحسن على المرء. ولا يهم إذا كان يعرف شيئًا عن التطور أم لا، فهكذا يكون تأثيره في كل الأحوال، وعلى كل الناس. كان هناك شكل معين من الجمال، وهو الجمال الذي يمكن أن يراه الجميع. إنه يتجسد في العيون الواسعة، والشفاه الممتلئة مثل التي يتصف بها الطفل، والبشرة الصافية الملساء والملامح المتناسقة، وغيرها من مئات العلامات الصغيرة الأخرى. فالناس في عقولهم الباطنة دائمًا ما يبحثون عن هذه العلامات. ولا يستطيع أحد أن يمنع نفسه من النظر إليها، بغض الطرف عن الكيفية التي تحققت بها هذه العلامات. ومئات السنين من التطور جعلتها جزءًا من مخ الإنسان.

ولهذه العلامات دلالات، وكأن العيون الواسعة والشفاه الممتلئة لتتحدث إلى صاحبها قائلة: «نحن صغار السن وحساسون، ولا أستطيع أن أضرك، وأنت عليك حمايتي.» أما عن باقي العلامات، فهي تتحدث إلى صاحبها قائلة: «نحن نتمتع بالصحة، ولن نجلب لك المرض.» ولا يهم شعور المرء حيال كونه حسن المنظر، فهناك جزء منه يفكر: «إن رزقت بأطفال، قد يكونون أصحاء أيضًا. أريد هذا الشخص الحسن ...»

هذا هو علم الأحياء حسبما قالوا في المدرسة. مثلما تؤمن بحقيقة أن قلبك يخفق، لا يمكنك أن تمنع نفسك من الاعتقاد بهذه الأشياء، ليس عندما ترى وجهًا كهذا، وجهًا حسنًا.

وجهًا كوجه بيريس.

قالت تالي: «إنه أنا.»

تراجع بيريس للخلف، رافعًا حاجبيه، ثم نظر لأسفل إلى ملابسها. فطنت تالي إلى أنها كانت ترتدي ثوبها الأسود الفضفاض الذي ترتديه عند قيامها بالرحلات الاستكشافية، والذي اتسخ بالوحل بسبب زحفها على الحبال وعبر

الحدائق وعند تعثرها بين نباتات العنب، في حين ارتدى بيريس بذلة من القטיפه ذات لون أسود داكن، أما قميصه وصدريته ورابطة عنقه فكانوا ناصعي البياض. تراجعت تالي إلى الخلف قائلة: «آه، أنا آسفة، لن ألوثك بالوحل.»

- «ماذا تفعلين هنا، تالي؟»

لفظت تالي بسرعة: «أنا فقط ...» فالآن بعد أن أصبحت أمامه، هي لا تعرف ما الذي ستقوله له، فكل الحوارات التي كانت تتخيلها ذابت الآن في عينيه الواسعتين الجميلتين، فأردفت قائلة: «وددت أن أعرف ما إذا كنا لا نزال ...»

أمسكت تالي بيدها اليمنى، حيث راحة يدها ذات الندب الصغير، التي رسمت الأوساخ الممتزجة بالعرق خطوطاً عليها.

تنهد بيريس، ولم يكن ينظر إلى يدها أو في عينيها، عينيها الضيقتين اللتين شابهما الحول، وتلك عينا من كان يتصف بأنه لا شيء. قال بيريس: «حسنًا، لكن، أقصد، ألم تستطيعي الانتظار أيتها الحولاء؟»

بدا لقبها القبيح غريبًا عندما نطقه واحد من الحسان. وبلا ريب، سيكون من المستغرب أن تناديه بلقبه وهو صاحب الأنف الكبير مثلما اعتادت أن تناديه فيما يقرب من مائة مرة في اليوم الواحد. ازدردت ريقها وقالت: «لماذا لم تكتب إلي؟»

رد بيريس: «حاولت أن أفعل هذا، لكنني وجدت هذا زيفًا. فأنا مختلف تمام الاختلاف الآن.»

أشارت تالي إلى الندب الذي في يدها وقالت: «لكننا كنا ...»

رفع بيريس يده وقال: «تالي، انظري.»

كان جلد راحته ناعمًا لا تشوبه شائبة. وكانت يده تبدو وكأنها تقول: «ليس عليّ أن أكدح في العمل. وأنا ماهرة جدًا بما لا يسمح بأن يصيبني مكروه.»

لقد اختفى الندب الذي شجاه معًا.

قالت تالي: «لقد أزالوه.»

رد بيريس: «بالطبع يا حولاء، فكل بشرتي جديدة.»

طرفت تالي بعينيها في تعجب، فهي لم تفكر في هذا قط.

هز بيريس رأسه: «أنتِ لا تزالين طفلة.»

سأل المصعد بيريس قائلاً: «أتريد المصعد أن يتجه إلى أعلى أم إلى أسفل؟»

وثبتت تالي هلعًا من صوت المصعد.

أجابه بيريس في هدوء: «قف مكانك من فضلك.»



ازدردت تالي ريقها وقبضت كف يدها وقالت: «لكنهم لم يغيروا دمك. لقد تشاركنا هذا، بصرف النظر عن أي شيء.»  
 أخيراً نظر بيريس إلى وجهها مباشرة، دون أن يهلع على نحو ما كانت تالي تخشى. ابتسم بيريس ابتسامة ساحرة وقال: «لا، لم يغيروا دمي. لقد منحوني جلدًا جديدًا، وماذا في ذلك؟ في غضون ثلاثة أشهر يمكننا أن نضحك على هذا الأمر. إلا إذا...»

نظرت تالي إلى عينيه البنيتين الواسعتين باهتمام وقالت: «إلا إذا ماذا؟»  
 أجابها بيريس: «عديني فقط أنك لن تفعلي المزيد من الحيل الغبية، مثل المجيء إلى هنا. فهذا سوف يسبب لك المتاعب. أريد أن أراك جميلة.»  
 أجابته: «بالطبع.»

فرد عليها: «حسنًا، عديني بذلك.»  
 ومع أن بيريس يتقدم عن تالي في العمر بثلاثة أشهر فحسب، لكنها بدت كطفلة صغيرة مرة أخرى عندما نكست عينيها إلى الأرض. ردت عليه تالي: «حسنًا. أعدك، لن أتصرف بغباء. وأعدك أيضًا أنهم لن يمسكوا بي الليلة.»  
 رد عليها: «حسنًا، ارتدي قناعك ثم ...» بعدها تلاشى صوته.  
 وجهت تالي نظرها إلى المكان الذي وقع فيه القناع، لقد جرى التخلص منه، لقد أعاد القناع تدوير نفسه وتحول إلى تراب وردي اللون كانت سجادة المصعد تزيله بالفعل.

حدق الاثنان أحدهما في الآخر في صمت.  
 كرر المصعد سؤاله بإصرار: «أتريد أن يتجه المصعد إلى أعلى أم إلى أسفل؟»  
 قالت تالي: «بيريس، أعدك ألا يلحقوا بي. لا يستطيع أي فرد من الحسان أن يركض بنفس سرعتي. خذني فحسب إلى أسفل إلى ...»  
 هز بيريس رأسه وقال للمصعد: «إلى أعلى من فضلك، إلى السطح.»  
 تحرك المصعد.

قالت تالي: «بيريس، إلى أعلى؟ كيف سأستطيع ...»  
 رد عليها بيريس: «خارج الباب مباشرة ستجدين سترات مطاوية على رف كبير. هناك مجموعة كاملة تحسبًا لنشوب أي حرائق.»  
 ازدردت ريقها وقالت: «أتعني أنني سأقفز؟» اعتصرت معدة تالي خوفًا عندما توقف المصعد.

هز بيريس منكبيه بلا مبالاة وقال: «أنا أفعل هذا طوال الوقت يا حواء.» ثم غمز بعينه وأردف قائلاً: «سيروق لك الأمر.»

حينها أضفى هذا التعبير المزيد من الإشراق على وجهه الجميل، فوثبت تالي نحوه وطوقت زارعها حوله. على الأقل، لا يزال يبدو مثلما كان، ربما أطول قليلاً وأكثر نحافة، لكنه كان دافئاً ورصيناً، ولا يزال بيريس الذي عرفته.

– «تالي!»

تعثرت تالي عندما فتحت الأبواب. لقد أوحلت كل صدريته البيضاء، فصاحت: «يا إلهي! أنا...»

رد عليها بيريس: «أذهبي فحسب!» وكان قلقه سيجعل تالي تفكر في احتضانه مرة أخرى. لقد أرادت أن تنتظر وتنظف ملابس بيريس حتى تطمئن إلى أنه في تمام أناقته من أجل الحفل، فمدت يدها وقالت: «أريد...»

لكنه قاطعها: «أذهبي!» ردت عليه: «لكننا أفضل صديقين، أليس كذلك؟» تنهد وهو يحاول أن يزيل لطفة بنية من على صدريته ثم قال: «بالطبع، إلى الأبد. في غضون ثلاثة أشهر.» استدارت تالي وركضت بينما أغلقت الأبواب وراءها.

في بادئ الأمر لم يشعر أحد بوجودها على السطح، فقد كانوا جميعاً ينظرون إلى أسفل. وكان الظلام يسود السطح فيما عدا النور الساطع المؤقت الصادر عن الألعاب النارية الآمنة.

وجدت تالي رف السترات المطاطية، وشدت إحداها، لكنها كانت مثبتة في الرف بمشبك، فأخذت تتحسس بيدها المشبك بحثاً عن طرفه. وتمنت لو كان بحوزتها خاتم الاتصال الذي تستخدمه حتى تملئ أوامرها.

عندئذ وقعت عيناها على زر مكتوب عليه: «اضغط في حال نشوب حريق.» قالت تالي: «تباً لذلك.»

تحرك ظل تالي حركة سريعة، فكان هناك اثنان من الحسان قادمان باتجاهها يحملان ألعاباً نارية.

– «من هذه؟ وماذا ترتدي؟»

- «يا هذه! هذا الحفل حفل رسمي!»

- «انظر إلى وجهها...»

كررت تالي قولها: «تَبًّا لذلك..»

بعد ذلك ضغطت على الزر.

دوت صفارة إنذار تصم الآذان، وبدأت السترة المطاطية تندفع من الرف نحو يدها. ربطت تالي حزام الأمان، ثم استدارت نحو الشخصين اللذين كانا يتجهان ناحيتها، فانفضا للخلف وكأن تالي قد تحولت إلى شخص مُسَخ ذئبًا، ووقعت اللعبة النارية من يد أحدهما فانطفأت ذاتيًا في الحال.

قالت تالي: «إنه تدريب على كيفية التعامل مع الحرائق..» ثم ركضت نحو حافة السطح.

وما إن وضعت السترة المطاطية حول كتفيها حتى بدا الحزام والمثبتات المنزلقة وكأنها تلتف حولها مثل الثعابين حتى أصبحت الأحزمة محكمة حول خصرها وردفيها. ومض ضوء أخضر في ياقة السترة، جذب نظرها بشدة.

قالت تالي: «سترة رائعة.»

ومن الواضح أن السترة لم تكن ذكية حتى تجيبها.

في تلك الأثناء ساد صمت بين كل الحسان والحسناوات اللذين كانوا يلعبون على السطح، يجوبون المكان في فوضى، يتساءلون عما إذا كان هناك حريق بالفعل. أشاروا إليها، وسمعت تالي كلمة «قبيحة» تتردد على شفاههم.

وتساءلت تالي: أيهما أسوأ في مدينة نيو برتي تاون؟ أن تلتهم النيران قصركم أم أن تقتحم قبيحة حفلكم؟

وصلت تالي إلى حافة السطح، وقفزت على الدرابزين فاختل توازنها لحظة. وأسفلها كان الحسان والحسناوات قد بدءوا ينسلون خارج قصر جاربو مانشون إلى المرج وأسفل التل، وكانوا ينظرون إلى الورا أعلامهم، بحثًا عن دخان أو ألسنة الحريق. وكل ما رآوه كان تالي.

كانت المسافة إلى أسفل طويلة جدًّا، وبدت تالي مرتعدة الفرائص؛ فهناك صوت إنذار يدوي في كل الأرجاء، وحشد من الجمهور يحملق إلى أعلى فيها، وأضواء مدينة نيو برتي تاون تنتشر أسفلها وكأنها ملايين الشموع.

أخذت تالي نفسًا عميقًا ثم أحنّت ركبتيها استعدادًا للقفز.

وتساءلت لحظة عما إذا كانت السترة ستعمل، إذ إنها لا ترتدي خاتم الاتصال.  
فهل سترتد في الهواء من أجل شخص نكرة؟ أم أنها سترتطم بالأرض؟  
لكنها وعدت بريس أنه لن يُقبض عليها. والسترات المطاطية تستخدم في حالات  
الطوارئ، وهناك ضوء أخضر مضيء ...  
صرخت تالي: «احترزوا!»  
وبعدها قفزت.

## الفصل الثالث

# شاي

أخذ صوت الإنذار يتلاشى وراءها. بدا للجميع أن تالي سقطت، وأخذت أعداد الوجوه التي فغرت أفواهها تزداد أكثر فأكثر.

وبدا الأمر كأن الأرض هي التي كانت تندفع نحوها، وأخذت الجموع المذعورة تتباعد عن المنطقة التي ستهبط فيها. لقد بدا الأمر لبضع لحظات وكأنها في حلم رائع تحلق فيه في صمت.

عندئذ وخزها الواقع في منكبها وردفيها، عندما أطبقت شبكات السترة بشدة عليها، إذ كانت تالي أطول من الطول القياسي للحسان، وربما لم تكن السترة تتوقع مثل هذا الثقل.

انقلبت تالي في الهواء، وكان رأسها إلى أسفل طوال بضع لحظات مرعبة، ووجهها كان على مستوى منخفض للغاية مما سمح لها بأن ترى أغصية الزجاجات الملقاة بين العشب. وبعدها وجدت نفسها تتحرك إلى أعلى مرة أخرى مكملة الدائرة، ومن ثم كانت السماء تدور فوقها، ثم اتجه رأسها إلى أسفل مرة أخرى، وجموع أكثر تنشتت أمامها.

رائع. لقد انطلقت تالي بسرعة وبشدة سمحت لها بأن ترتد إلى أسفل التل بعيدًا عن قصر جاربو مانشون، وحملتها السترة باتجاه الظلام حيث الأمان في الحقائق. انقلبت تالي تمامًا مرتين أخريين ثم أنزلتها السترة إلى العشب. شدت تالي أحزمة السترة بطريقة عشوائية فأحدثت السترة صوت هسهسة وسقطت إلى الأرض. ولم تستغرق نوبة الدوار التي أصابتها سوى لحظة وهي تحاول أن تقف على قدميها.

سأل أحد المحتشدين: «إنها قبيحة ... أليس كذلك؟»

حينئذ حامت فوق رأسها عربتا إطفاء طائرتان تحملان اللون الأسود، ومنهما تومض الأضواء الحمراء وتدوي صفارات الإنذار التي تكاد تثقب أذنيها. همهمت تالي: «فكرة رائعة يا بيريس. إنذار كاذب.» ستواجه تالي المتاعب حقًا إن قبضوا عليها، إذ لم تسمع قط عن أحد قام بصنيع بهذا السوء. ركضت تالي نحو الحديقة.

بعث الظلام تحت أشجار الصفصاف الطمأنينة في نفسها. بالأسفل في منتصف المسافة إلى النهر لم تدرك تالي أن هناك إنذار حريق هائل في منتصف المدينة، لكنها كانت تستطيع أن ترى البحث جاريًا، إذ كانت هناك عربات طائرة في الهواء أكثر من المعتاد، وبدا النهر أكثر توهجًا بالأضواء. ربما كان الأمر محض مصادفة. لكن ربما لا.

شقت تالي طريقها بحذر وسط الأشجار. وكان الوقت قد تجاوز أي وقت قد أمضته من قبل هي وبيريس في مدينة نيو برتي تاون. كانت حداثق المتعة أكثر زحامًا، ولا سيما الأجزاء المظلمة منها. والآن وقد زالت الإثارة التي خلفها هروب تالي، بدأت تدرك مدى حماقة الفكرة برمتها.

بالطبع زال الندب تمامًا من راحة يد بيريس. هما لم يستخدموا سوى سكين عندما جرحا أنفسهما وأمسك كل منهما بيدي الآخر، لكن الأطباء استخدموا مشارط أكبر وأكثر حدة أثناء العملية. فهم يزيلون كل ما لدى المرء من جلد، ويصنعون له جلدًا جديدًا تمامًا، رائعًا وصافيًا. فتنمحي عنه تمامًا الآثار التي تركتها الحوادث وسوء التغذية وأمراض الطفولة. إنها بداية نظيفة.

لكن تالي أفسدت بداية بيريس، إذ بدت كطفلة صغيرة مزعجة غير مرغوب فيها، قد تركته والمذاق السيئ للقيح في فمه، ناهيك عن أنها قد أوكلته بالطين، وتمنت لو كان بحوزته صدرية أخرى يرتديها.

على الأقل لم يبد على بيريس الغضب الشديد. لقد قال إنهما سيصبحان أفضل صديقين مرة أخرى، ما إن تصير جميلة. لكن ماذا عن تلك الطريقة التي نظر بها إلى وجهها ... ربما هذا هو السبب الذي جعلهم يفصلون القباء عن الحسان. حتمًا من المروع أن ترى وجهًا قبيحًا في الوقت الذي يحيط بك فيه مثل أولئك الحسان طوال الوقت. ماذا لو أنها قد أفسدت كل شيء الليلة، وماذا لو أن بيريس سيراهها

دائمًا هكذا — ذات عينين يشوبهما الحول وشعر مجعد — حتى بعد أن تخضع للعملية؟

حينئذٍ عبرت سيارة طائرة فوق رأس تالي، فأحنت رأسها إلى أسفل. على الأرجح سيُقبض عليها الليلة، وعندئذٍ لن تصير حسناء أبدًا.

وهي تستحق ذلك فهي حمقاء للغاية.

حينئذٍ ذكرت تالي نفسها بالوعد الذي قطعته لبيريس؛ فلن يُقبض عليها، وينبغي أن تصبح حسناء من أجله.

وفي تلك الأثناء ومض ضوء في زاوية رؤيتها؛ فانحنت تالي ونظرت من بين أوراق الصفصاف المتدلّية.

هناك كان يوجد حارسة أمن في الحديقة، وهي من الحسنات اللاتي مر وقت على تحولهن إلى الحسن وليست من الحسنات الجدد. فعلى الضوء المنبعث هناك، ظهرت بوضوح ملامح الجمال التي تضيفها العملية الثانية: المنكبان العريضان والفك القوي والأنف الأفطس وعظم الوجنتين المرتفع، وكانت المرأة تتمتع بالسلطة المطلقة نفسها التي يتمتع بها مدرسو تالي في آجلي فيل.

ازدرت تالي ريقها. لقد كان للحسان الجدد حراس خاصون بهم. ولم يكن هناك سوى مبرر واحد لوجود مثل هذا النوع من الحسان في نيو برتي تاون: فهؤلاء الحراس كانوا يبحثون عن شخص ما، وهم جادون في العثور عليه.

سلطت المرأة مصباحها الضوئي لحظة على اثنين من الحسان كانا جالسين على مقعد للتحقق من أنهما حسان، فهبّ الاثنان من مكانهما، لكن الحارسة ضحكت ضحكة خافتة ثم اعتذرت لهما. سمعت تالي صوتها الخفيض المطمئن، ورأت زوج الحسان الجدد وهما يسترخيان. لا بد أن يكون كل شيء على ما يرام ما دامت قد قالت ذلك.

شعرت تالي أنها تريد أن تستسلم، وأن تضع نفسها تحت رحمة الحارسة، فإذا شرحت الأمر لها فقط، فسوف تتفهم الحارسة وتسوي كل شيء؛ فالحسان الذين مر وقت طويل على تحولهن إلى الحسن دائمًا يعرفون كيف يتصرفون. لكنها قطعت وعدًا لبيريس.

تقهقرت تالي في الظلام، وهي تحاول أن تتجنب المشاعر الرهيبة التي تملكها بأنها جاسوسة ومتسللة لأنها لم تخضع لسلطة المرأة، وركضت عبر الأجمة بأقصى سرعتها.

وبالقرب من النهر، سمعت تالي ضوضاء أمامها، ورأت في أضواء النهر أمامها شكل إنسان، وهذه المرة لم يكن هذا لاثنين من الحسان ولكن كان فردًا واحدًا في الظلام. لا بدّ أنه حارس، ينتظر قدمهما بين الأجمة.

لم تجرؤ تالي على أن تتنفس إلا بشق النفس. فقد تجمدت في وضع شبه زاحف، إذا كان كل ثقل جسمها يرتكز على ركبة واحدة ويد موحلة. لم يرها الحارس بعد، وإن انتظرت تالي وقتًا طويلًا بالقدر الكافي، فربما يرحل الحارس.

انتظرت تالي بلا حراك وقتًا طويلًا جدًّا. لم يتزحزح ذلك الجسم من مكانه. لا بدّ أنهم يعرفون أن الحقائق هي الطريق الوحيد المظلم المؤدي إلى نيو برتي تاون وخارجها.

بدأ ذراع تالي يرتعش، إذ بدأت العضلات تشكو من بقائها ساكنة في مكانها فترة طويلة، لكنها لم تجرؤ على أن تستند على ذراعها الآخر، فحركة غصن واحد صغير سوف تفضح أمرها.

صمدت تالي حتى كادت كل عضلاتها تصرخ من الألم. لعل أمر الحارس لا يتعدى حيلة بالضوء، ولعل الأمر برمته في مخيلتها هي فحسب. طرفت تالي بعينيها، لعل هيئة ذلك الجسم تختفي من أمام عينيها. لكنه لا يزال هناك محددًا بوضوح في أضواء النهر المتموجة.

حينئذ اندفع غصن صغير فجأة تحت ركبتها، فخانتها عضلاتها المتألمة في آخر الأمر، لكن الشخص «لا يزال» بلا حراك، هو حتمًا سمع ذاك الصوت ...

لعل الحارس رقيق الفؤاد، وينتظرها حتى تستسلم وتسلم نفسها. أحيانًا يفعل المدرسون هذا في المدرسة؛ إذ يجعلونك تدرك أنك لا تستطيع الإفلات، حتى تعترف بكل شيء.

تنحنحت تالي وقالت بصوت خفيض ومثير للشفقة: «أنا آسفة». تنفست صاحبة الخيال وقالت: «آه، يا للهول، حسنًا. لا بدّ أنني أفزعتك أيضًا»، فمالت الفتاة إلى الأمام وعبس وجهها وكأنها أيضًا متعبة من الانتظار كل هذا الوقت. وسطع الضوء على وجهها. لقد كانت قبيحة أيضًا.

الفتاة اسمها شاي، ذات شعر أسود طويل ومضفور، وعيناها متباعدتان جدًّا، وشفتاها مكتنزتان، لكنها كانت أكثر نحافة من الحسان الجدد. لقد جاءت إلى نيو



برتي تاون في رحلتها الاستكشافية الخاصة، وكانت مختبئة بالقرب من النهر مدة ساعة. همست شاي: «لم أر في حياتي قط أي شيء مثل هذا، ثمة الكثير من الحراس والسيارات الطائرة في كل الأرجاء!»

تنحنت تالي وقالت: «أظن أنها غلطتي..»

ارتابت شاي وقالت: «كيف هذا؟»

أجابتها تالي: «حسنًا، لقد ذهبت إلى قلب المدينة، إلى حفل من الحفلات..»

تعجبت شاي: «هل تسلكِ إلى حفل؟ هذا جنون!» ثم خففت صوتها ليصير همسًا مرة أخرى وأردفت قائلة: «هذا جنون لكنه مدهش أيضًا. كيف دخلتِ إلى هناك؟»

أجابتها تالي: «كنت أرثدي قناعًا»

– «حقًا! هل هو قناع فتاة جميلة؟»

– «قناع أشبه بقناع خنزير. إنها قصة طويلة..»

طرفت شاي بعينيها وقالت: «قناع خنزير! حسنًا، دعيني أأخمن، لقد نزعته أحدهم عنك؟»

أجابتها تالي: «لا، لقد كنت على وشك أن يقبض علي، لذا أطلقت إنذار الحرائق..»

ردت شاي: «حيلة بارعة!»

ابتسمت تالي. لقد كانت قصة مثيرة بالفعل، وأصبح لديها من تخبره بها.

أردفت تالي قائلة: «ووجدت نفسي محاصرة على السطح، لذا نزعنا ستر مطاطية ثم قفزنا، وقطعت نصف المسافة إلى هنا وأنا أرتد في الهواء..»

قالت شاي: «مستحيل!»

ردت تالي: «حسنًا، أقصد جزءًا من المسافة إلى هنا، أيًا كان..»

ابتسمت شاي وقالت: «يا له من حدث مدهش..» ثم ارتسمت على وجهها أمارات

الجدية. وأخذت تقضم أظافرها، وهي واحدة من العادات السيئة التي تعالجها عملية التجميل، وسألته: «إذن، تالي، هل ذهبتِ إلى هذا الحفل ... لتقابلي شخصًا ما؟»

حان دور تالي كي تندهش، وقالت: «كيف عرفتِ بهذا الأمر؟»

تنهدت شاي وهي تنظر إلى أظافرها التي قضمته وقالت: «لدي أصدقاء هنا

أيضًا، أقصد كانوا أصدقائي، وأتلقى عليهم بين الفينة والفينة..» ثم رفعت نظرها وقالت: «أتعرفين، كنت دائمًا الأصغر سنًا بينهم؟ والآن ...»

– «أنتِ وحيدة تمامًا..»

أومأت شاي برأسها بالإيجاب ثم قالت: «يبدو أنك كنتِ تفعلين أكثر من مجرد التلصص.»

أجابتها: «نعم، شيء أشبه بإلقاء التحية على شخص ما.»

ردت شاي: «يا إلهي، هذا جنون. هل هو حبيبك أو شيء من هذا القبيل؟» هزت تالي رأسها بالنفي. فقد كان بيريس يواعد فتيات أخريات، وتقبلت تالي الأمر وحاولت أن تفعل مثله، غير أن صداقتها كانت دومًا الشيء الأساسي في حياة كل منهما، لكن الأمور تغيرت الآن على ما يبدو.

أجابتها تالي: «لو كان حبيبي، ما كنت لأفعل ما فعلته الليلة على ما أظن. ما كنت لأرغب أن يرى وجهي، لكن لأننا أصدقاء، ظننت أنه ربما ...» قالت شاي: «نعم، وكيف سار الأمر؟»

فكرت تالي لحظة وهي تنظر إلى الماء المتموج. لقد أضحي بيريس غاية في الحسن، وبدا مظهره ناضجًا، وقد قال إنهما سيصيران أصدقاء مرة أخرى، ما إن تصبح تالي حسناء أيضًا ... وبعدها قالت تالي: «لقد كان سيئًا في مجمله.» ردت شاي: «هكذا ظننت.»

فقالت تالي: «فيما عدا عملية الهروب، فقد كان الهروب مثيرًا للغاية.»

ردت شاي: «يبدو هكذا.» وشعرت تالي بسخرية في صوت شاي التي كانت تتابع حديثها: «يا لك من بارعة.»

بعدها ساد الصمت بينهما لحظة، إذ كانت هناك سيارة طائرة تحوم فوقهما. قالت شاي: «ولكن هل تعلمين أننا لم ننج تمامًا بعد؟ عندما تعقدين العزم على إطلاق إنذار الحرائق في المرة القادمة، أعلميني قبلها بوقت كاف.» قالت تالي: «أسفة لأنني تسببت في محاصرتك هنا.»

نظرت إليها شاي وقطبت حاجبها ثم قالت: «لم أقصد هذا. أعني أنني ما دمت سأنفذ عملية الهروب، فدعيني أنال قسطًا من المتعة أيضًا.» ضحكت تالي ضحكة خافتة: «حسنًا، في المرة القادمة سأعلمك.»

قالت شاي وهي تمسح النهر بعينيها: «نعم أعلميني بذلك من فضلك.» ثم أردفت قائلة: «يبدو النهر أهدأ الآن. أين لوحك الخشبي؟» ردت تالي: «ماذا؟»

أخرجت شاي لوحًا طائرًا من تحت الأجمة وقالت: «أليس لديك لوح؟ إذن ماذا تفعلين، أتسبحين؟»

أجابتها تالي: «لا، أنا ... انتظري. كيف حصلتِ على لوح طائر ليعبر بكِ النهر؟»  
 فهناك حراس مسئولون عن كل شيء يطير.  
 ضحكت شاي: «سؤال سانج. خلت أنكِ مُلمة بكل شيء.»  
 هزت تالي منكبها: «أنا لا أطير كثيرًا.»  
 أجابتها شاي: «حسنًا، سيسع هذا اللوح كلتينا.»  
 صاحت تالي: «انتظري!»  
 ظهرت عربة طائرة أخرى، وكانت تجوب النهر فوق مستوى الجسور مباشرة.  
 انتظرت تالي ثواني قليلة بعد مرور العربة قبل أن تقول: «لست أراها فكرة  
 جيدة أن نعود أدراجنا بالتحليق جوًّا.»  
 سألتها شاي: «إذن، كيف جئتِ إلى هنا؟»  
 أجابتها تالي: «اتبعيني.» نهضت تالي بعد أن كانت جاثمة على يديها وركبتيها،  
 وزحفت قليلًا إلى الأمام، ثم نظرت خلفها وقالت: «أيمكنكِ أن تحملي هذا الشيء؟»  
 أجابتها شاي: «بالطبع، فهو ليس ثقيلًا.» ثم رتبت شاي للأمر، ورفعت اللوح  
 الطائر إلى أعلى وقالت: «في الواقع، هو لا يزن أي شيء حتى أصدر أوامري له.»  
 قالت تالي: «هذا مفيد.»  
 بدأت شاي في الزحف، وكان اللوح يرتد وراءها مثل بالون الصغار، ومع ذلك  
 لم تر تالي أي خيط يجر اللوح. سألتها شاي: «إلى أين سنذهب؟»  
 أجابتها تالي: «أعرف جسرًا ما.»  
 ردت شاي: «لكنه سيثي بنا.»  
 قالت تالي: «لا، ليس هذا الجسر، فهو صديق قديم.»



## الفصل الرابع

# محو الذكريات

سقطت تالي للمرة الثانية.

ولم يؤلمها ذلك كثيراً هذه المرة، ففي اللحظة التي انزلت فيها قدمها من على اللوح الطائر، شعرت بالاسترخاء، حسبما كانت شاي تطلب منها. ولم يكن فقد السيطرة أثناء الطيران أسوأ من أن يقوم والدك بأرجحتك من معصميك وأنت صغير. لكن ماذا إذا حدث وكان والدك رجلاً يتمتع بقوى خارقة للطبيعة وكان يحاول أن يخلع ذراعيك من مكانهما. ولكن شاي شرحت لها الأمر بأنه لا مناص من تفرغ المرء قواه في مكان ما. والحركات المستديرة أفضل من الاصطدام بشجرة. وهنا في حديقة كليوباترا، توجد مساحة وفيرة لذلك.

وبعد عدة حركات دائرية، وجدت تالي نفسها قد نزلت إلى مستوى الأعشاب بمعصميهما، وكانت تشعر بدوار لكنها سليمة بدنياً.

أما شاي فجابت المكان ثم رست بلوحها الطائر في مكان رائع وكأنها كانت تحلق باللوح الطائر منذ نعومة أظافرهما.

قالت شاي: «أعتقد أن هذا كان أفضل قليلاً.»

ردت تالي: «لا أشعر بأن ذلك أفضل على الإطلاق.» ثم نزعت أحد أساور الصدمات الموثقة باللوح وحكت معصمها. لقد كان معصمها أحمر اللون، وشعرت بوهن في أصابعها بسبب ثقل السوار.

كان السوار ثقيلاً وممتيناً حول يدها؛ فكان يجب أن تكون أساور الصدمات معدنية من الداخل، لأنها تعمل بالخاصية المغناطيسية، وبالطريقة نفسها التي تعمل بها الألواح، فكلما كانت قدما تالي تزلان عن اللوح الطائر، كانت الأساور تمسك بمعصميهما مثل مارد ودود ينقذهما من الخطر ويبقي عليها وهي تتدلى حتى يستقر اللوح في مكان ما.

وها هو اللوح يمسك بها من معصمها مرة أخرى.

نزعت تالي السوار الآخر وحكت معصمها.

قالت شاي: «لا تستسلمي، كدتِ تنجحين في الأمر.»

طاف لوح تالي للخلف من تلقاء ذاته محتكًا بكاحليها وكأنه كلب يمرغ أنفه. وضعت يديها على منكبيها وحكتهما وقالت: «تقصدين أنني كدت أنشطرت نصفين.» أجابتها: «هذا لا يحدث ألبته. لقد انزلقت كثيرًا على مسار قطار الملاهي أكثر مما يسقط اللين.»

سألته تالي: «على ماذا؟»

أجابتها شاي: «لا عليك. هيا، قومي بمحاولة أخرى فحسب.»

تنهدت تالي. فلم تكمن المشكلة في معصمها فحسب، فقد تأملت أيضًا ركباتها من الهبوط العنيف منطلقة عبر المنحنيات بسرعة شديدة حتى إن جسدها بدا وكأنه يزن طنًا. وأطلقت شاي على هذا اسم الجاذبية المرتفعة التي كانت تحدث في كل مرة يغير فيها جسمٌ سريعُ الحركة اتجاهه.

قالت تالي: «الطيران بالألواح الطائرة يبدو ممتعًا، إذ تشعرين وكأنك طائر، لكن ممارسته شاقة فعلاً.»

هزت شاي منكبيها وقالت: «أن تكوني طائرًا يعد أمرًا شاقًا أيضًا. فأنتِ ترفرفين بأجنحتك طوال النهار، أتفهمين ما أقصد؟»

أجابتها تالي: «هذا محتمل. هل ثمة تحسن يطرأ على ذلك؟»

استفسرت شاي: «فيما يخص الطيور؟ لا أعلم. أما فيما يخص الألواح؟ فهذا لا شك فيه.»

أجابتها تالي: «أتمنى ذلك.» ارتدت تالي أساورها ثم خطت على اللوح الطائر. تمايل اللوح قليلًا، وكأنه يتكيف مع وزنها، مثل الهزة التي تحدث للوح الغطس.

قالت شاي: «تحققي من جهاز استشعار الأمان المثبت عند معدتك.»

لمست تالي حزام الأمان حيث ثبتت شاي جهاز استشعار صغير. وكان هذا الجهاز بدوره يخبر اللوح عن مكان مركز جاذبية تالي، وأي طريق تواجهه. واستطاع هذا الجهاز أن يقيس حالة عضلات معدتها، التي اتضح أنها تلتصق بالألواح الطائرة دائمًا عند توقع المنحنيات. وكان اللوح ذكيًا حتى إنه كان يعرف تدريجيًا كيف تحرك جسدها. وكلما ركبت تالي عليه فترة أطول، استطاع أن يحفظ نفسه تحت قدميها.

بالطبع كان على تالي أن تتعلم أيضًا. ودأبت شاي على أن تخبرها بأنه ما لم تكن قدمها في المكان الصحيح، فلن يتسنى لأذكي لوح في العالم أن يبقيا على سطحه. وكان سطح اللوح ممتلئًا بالنتوءات ليقاوم الانزلاق، لكن ما أسهل الوقوع من عليه!

وكان اللوح ببيضاوي الشكل، يبلغ طوله حوالي نصف طول تالي، أسود اللون تقطعه بقع فضية كبقع الفهد؛ الحيوان الوحيد في العالم الذي يمكنه أن يسبق اللوح الطائر. وقد كان ذلك اللوح هو أول لوح تمتلكه شاي. ولم يسبق لها أن أعادت تدويره. وحتى اليوم، اعتادت تعليقه على الجدار فوق فراشها. طقطقت تالي أصابعها، ثم ثنت ركبتيها وهي ترتفع في الهواء، ومالت بجذعها إلى الأمام كي تزيد من سرعتها.

حلقت شاي فوقها ولكن مع الحفاظ على مكانها خلفها قليلاً. بدأت الأشجار تتدافع نحو تالي، تجلد ذراعيها بأغصانها الصغيرة دائمة الخضرة ذات الحواف الحادة. وعلى الرغم من أن اللوح لم يدعها تصطم بأي شيء صلب، فإنه لم يكن يابه كثيرًا بالأغصان الصغيرة.

صاحت شاي بتوجيهاتها للمرة الألف: «ابسطي ذراعيك. أبقى على قدميك متباعدين!» ويانفعال دفعت تالي قدمها اليسرى للأمام.

ولما وصلت تالي إلى نهاية الحديقة، مالت إلى اليمين، فوقف اللوح في منعطف طويل شديد الانحدار، ثم ثنت تالي ركبتيها وبدأت السير من حيث بدأت.

في تلك الأثناء، اندفعت تالي نحو رايات سباق التزلج المتعرج، وهي تحني جسدها كلما زادت اقترابًا منها. وشعرت بالريح وهي تزيل رطوبة شفيتها، وترفع ضفيريها إلى أعلى.

همست تالي: «يا للهول!»

اجتاز اللوح الراية الأولى، ومالت تالي بشدة يمينًا، وبسطت ذراعيها طوال الطريق طلبًا للتوازن.

صاحت شاي: «أبدلي الوضع!» لوت تالي جسدها إلى الجانب الآخر كي يستقر اللوح أسفلها وتجعله يمر، لتجتاز الراية التالية. وما إن عبرت، حتى لوت جسدها مرة أخرى.

لكن قدميها هذه المرة كانتا قريبتين جدًا إحداهما من الأخرى. وانزلق حذاؤها على سطح اللوح. وبينما كانت تتشبث باللوح بأطراف أصابعها وتملاً راحتها

بالهواء، وهي تحاول أن تفعل أي شيء كي تبقى على اللوح، صرخت: «لا!» انزلت فردة حذائها اليمنى نحو حافة اللوح حتى ظهر ظل أطراف أصابعها على الأشجار. الأشجار! لقد أوشك جسد تالي أن يميل ويصبح موازيًا للأرض.

بدت رايات التزلج بعيدة جدًا وراءها، وفجأة انتهى الأمر، تدلى اللوح تحت تالي واستعادت استقامة مسارها مرة أخرى.

لقد نجحت تالي في الانعطاف!

استدارت تالي لتواجه شاي وصاحت: «لقد نجحت!»

ثم سقطت.

لقد ارتبك اللوح عندما استدارت تالي، وحاول أن ينعطف معها، فأسقطها. شعرت تالي بالارتياح وذراعاها تندفعان مفرودتين إلى الأمام والعالم يدور من حولها. وظلت تضحك بصوت عالٍ وهي تهبط وسط العشب، متدلية من أساورها.

ضحكت شاي أيضًا ثم قالت: «لقد كدت تحرزي نجاحًا.»

ردت تالي: «لا! لقد اجتزت الرايات. لقد رأيت ذلك بنفسك!»

ضحكت شاي وهي تخطو فوق العشب: «حسنًا، حسنًا، لقد نجحت. لكن لا

تتراقصي هكذا مرة أخرى. هذا ليس رائعًا، أيتها الحولاء.»

أخرجت تالي لسانها من فمها. لقد أدركت تالي خلال الأسبوع الماضي أن شاي لم تستخدم كنيته كقبيحة سوى بغرض الإهانة. وكانت شاي قد أصرت على أن ينادي كل منهما الأخرى باسمها الحقيقي معظم الوقت، الأمر الذي اعتادته تالي سريعًا. وفي الحقيقة لقد راق لها هذا الأمر، إذ لم ينادها أحد من قبل باسم «تالي» سوى سول وإيلي — والداها — وبعض المدرسين المتعجرفين.

ردت تالي: «أيًا كان ما تقولينه، كان الأمر رائعًا.»

نزلت تالي بجسدها على العشب؛ وكان جسدها كله يؤلمها، وكل عضلاتها منهكة،

وقالت: «شكرًا على الدرس، الطيران هو أفضل شيء.»

جلست شاي بالقرب منها ثم قالت: «لا أشعر بالملل عندما أطيّر باللوح الطائر.»

ردت تالي: «هذا أفضل ما شعرت به منذ رحيل ...» لم تنطق تالي باسمه،

وشخصت ببصرها نحو السماء الزرقاء الرائعة، يا لها من سماء رائعة؛ فلم تبدأ

شاي وتالي في الطيران إلا في وقت متأخر من فترة بعد الظهر، وفي السماء فوقهما،

كانت تظهر بعض السحب العالية التي كانت تتخللها أطيايف اللون الوردى مع أنه

بقي بضع ساعات على مغيب الشمس.



ردت شاي: «نعم، وأنا أيضًا أشعر بالسعادة، لقد سئمت من فرط الوحدة.»

سألته تالي: «كم تبقى لك من الوقت؟»

أجابته شاي على الفور: «شهران وستة وعشرون يومًا.»

دهشت تالي لحظة وقالت: «أمتيقنة أنت من ذلك؟»

أجابته شاي: «بالطبع متيقنة.»

شعرت تالي بابتسامة عريضة تداعب شفيتها بالتدرج، ثم نزلت بجسدها للوراء

على العشب وهي تضحك: «حتمًا أنت تمزحين. سنولد جميلتين في اليوم ذاته!»

أجابته شاي: «مستحيل.»

ردت تالي: «لا ليس مستحيلًا، هذا رائع، سنصير جميلتين معًا!»

صمتت شاي لحظة ثم قالت: «نعم، أظنه هكذا.»

قالت تالي: «في التاسع من سبتمبر/أيلول، أليس كذلك؟»

أومأت شاي برأسها إيجابًا.

قالت تالي: «هذا رائع، أقصد أنني لا أعتقد أنه بمقدوري تحمل فقد صديق

آخر. ليس علينا أن نقلق بشأن أن تترك إحدانا الأخرى، يومًا واحدًا.»

استقامت شاي في جلستها، وقد اختفت ابتسامتها ثم قالت: «لن أفعل هذا بأي

حال.»

طرفت تالي بعينيها وقالت: «لم أقل إنك ستفعلين هذا، لكن ...»

– «لكن ماذا؟»

– «لكن عندما ستصيرين جميلة، ستذهبين إلى نيو برتي تاون.»

– «وماذا في ذلك؟ أنت تعلمين أنه يُسمح للحسان أن يعودوا إلى هنا، أو يكتبوا

لنا.»

قالت تالي متذمرة: «لكنهم لا يفعلون هذا أو ذاك.»

رفعت شاي بصرها عبر النهر ليصل إلى القمم منعمة النظر إلى أبراج الاحتفالات،

وقالت وهي تضع ظفر إبهامها بين أسنانها: «سأفعل.»

– «وأنا أيضًا يا شاي، سأتي لأراك.»

– «أمتيقنة أنت من ذلك؟»

– «نعم، بالطبع.»

هزت شاي كتفيها، ثم استلقت على ظهرها وهي تنعم النظر إلى السحب وقالت:

«حسنًا. لكنك لست أول من قطع هذا الوعد كما تعلمين.»

أجابت تالي: «نعم، أعلم.»

ساد بينهما الصمت. وأخذت السحب تلف بتؤدة حول الشمس، وأصبح الجو باردًا قليلًا. فكرت تالي في بيريس، وحاولت أن تتذكر الطريقة التي كان يبادلها بها النظرات عندما كان صاحب الأنف الكبيرة، غير أنه لم يعد باستطاعتها أن تتذكر وجهه الدميم، وكأن تلك الدقائق القليلة التي شاهدها فيها بعدما صار جميلًا قد محت ذكريات عمره بأكمله. إن كل ما تستطيع أن تراه الآن هو بيريس الجميل، بتلك العينين وتلك الابتسامة.

قالت شاي: «ترى، لم لا يعودون أبدًا، ولو لزيارتنا.»

ازدردت تالي ريقها وقالت: «لأننا قبحاء، وهزلى.»

## الفصل الخامس

# مواجهة ما يحمله المستقبل

قالت تالي: «ها هو الخيار الثاني.» ثم لمست خاتم الاتصال الذي كانت تلبسه، فتغيرت الشاشة التي تظهر على الجدار.

كانت صورة تالي التي تظهر على الشاشة تحمل ملامح مختلفة لها وهي ملساء الشعر، ذات وجنتين مرتفعتين جدًا، وعيون خضراء غائرة مثل عيون القطط، وفم عريض تداعبه ابتسامة متفائلة.

تعجبت شاي: «هذا مختلف تمامًا.»

قالت تالي: «نعم، وأشك أن هذا الحد من الجمال مُصرح به.» عدّلت تالي المتغيرات التي تحدد شكل العينين، وجذبت قوس الحاجبين لأسفل إلى الوضع الطبيعي تقريبًا. وعلى الرغم من أن بعض المدن تسمح بإجراء العمليات الجراحية الغريبة — للحد من الجدد فحسب — فإنه شاع عن السلطات هنا أنها محافظة. وساور تالي الشك في أن طبيبًا قد يكلف نفسه عناء إلقاء نظرة أخرى متعمقة على هذا الشكل، لكنه كان مسليًا أن تصل بالبرنامج إلى أقصى حدوده، حينئذ سألت تالي: «هل أبدو مريعة جدًا؟»

قهقهت شاي: «لا، أنتِ تبدين مثل قطعة صغيرة حقيقية، وللأسف، قد أقصد ذلك حرفيًا وكأنها تهم بأكل فأر ميت.»

قالت تالي: «حسنًا، لننتقل إلى صورة أخرى.»

وكان نموذج تشكيل الملامح المورفولوجي اللاحق أكثر التزامًا بما هو متعارف عليه من مقاييس، فقد كانت ذات عينين لوزيتي الشكل وبنيتي اللون، وشعر أسود مستقيم يتدل على ظهرها، وخصلات طويلة فوق جبينها، وشفاه داكنة ممثلة إلى أقصى حد ممكن.

قالت شاي: «هذا ليس مميزًا يا تالي.»

قالت تالي: «كفى، لقد أضنيت نفسي وقتاً طويلاً لعمل هذا النموذج. أرى أنني سأبدو رائعة هكذا، فأنا أرى الملامح الكاملة لكليوباترا.»

ردت شاي: «أتعرفين، لقد قرأت أن كليوباترا الحقيقية لم تكن بهذا القدر من الجمال. لقد كانت تجذب الجميع إليها ببراعتها.»

ردت تالي: «نعم، حقاً، وهل رأيت صورة لها؟»

أجابتها شاي: «لم يكن لديهم كاميرا في ذلك الوقت، أيتها الحولاء.»

ردت تالي: «هه! إذن كيف عرفت أنها كانت قبيحة؟»

أجابتها شاي: «لأن هذا هو ما ذكره المؤرخون في ذلك الوقت.»

هزت تالي منكبيها وقالت: «أظن أنها كانت تتمتع بجمال كلاسيكي، ولم يكونوا مدركين لذلك. لقد كانت لديهم حينذاك أفكار غريبة عن الجمال، ولم يكونوا على دراية بعلم الأحياء.»

نظرت شاي خارج النافذة وقالت: «يا لحسن حظهم.»

قالت تالي: «إذن، إن كنت ترين كل صور وجهي سيئة، لم لا تريني أنتِ بعضاً مما لديك؟» وأزالت كل الصور التي لها على الشاشة، ثم مالت للوراء على الفراش. أجابتها شاي: «لا أستطيع.»

– «أنت تحبين أن تنتقدي الآخرين، لكنك لا تحتملين أن ينتقدك أحد.»

– «لا، أقصد أنني لا أستطيع ذلك فحسب. فأنا لم أصنع أي صور.»

فغرت تالي فمها من الدهشة. فالجميع يصنعون نماذج مورفولوجية تشكيلية، حتى الصغار الذين لم يصلوا بعد إلى تركيب الوجه الذي يُسمح معه بإجراء تعديل له. إنه هدر للوقت أن يبحث المرء عن كل الطرق المختلفة التي يمكن أن يبدو عليها حينما يصير جميلاً.

سألت تالي صديقتها شاي: «ألم تصنعي حتى نموذجاً واحداً؟»

أجابتها شاي: «ربما صنعت واحداً حينما كنت صغيرة، لكنني توقفت أنا

وأصدقائي عن فعل مثل هذه الأشياء منذ زمن طويل.»

استقامت تالي في جلستها وقالت: «حسناً، يجدر بنا أن نصلح هذا الأمر الآن.»

قالت شاي: «أفضل أن أذهب للتخليق باللوح الطائر.» اهتزت شاي اهتزازات

خفيفة أسفل قميصها بتلف، واكتشفت تالي أن شاي نامت مرتدية حزام جهاز الاستشعار، محلقة في أحلامها.

قالت تالي: «شاي، سنخلق لاحقًا. لا أصدق أنه ليس لديك نموذج واحد لتشكيل ملامح الوجه. من فضلك.»

– «هذا حمق. فالأطباء غالبًا ما يفعلون ما يحلو لهم، بصرف النظر عما تقولينه لهم.»

– «أعلم، لكنه أمر مسلي.»

أدارت شاي عينيها إشارة إلى رفضها، لكنها أومأت برأسها في النهاية. جرّت قدميها للنزول من الفراش إلى حيث كانت الشاشة العملاقة، وهي تزيح شعرها عن وجهها.

صاحت تالي: «إذن، أنت فعلتِ هذا من قبل؟»

أجابتها شاي: «عندما كنت صغيرة مثلما قلت من قبل.»

قالت تالي: «بالطبع.» ثم شغلت خاتم الاتصال الذي لبسته كي تظهر القائمة على الشاشة، ثم تلمست طريقها بين مجموعة من الاختيارات عن طرق طرف عينيها. ومضت كاميرا الشاشة بضوء ليزر، وظهرت شبكة خضراء اللون على وجه شاي، وكانت عبارة عن نطاق من المربعات شديدة الصغر التي انطبعت على عظم وجنتيها وأنفها وشفتيها وجبهتها.

وبعد بضع لحظات ظهر على الشاشة وجهان لشاي، لكن كانت هناك اختلافات واضحة: أحدهما بدا متوحشًا، وغاضبًا قليلًا، أما الآخر فله تعبيرات مختلفة اختلافًا طفيفًا، وكأنه لشخص غارق في حلم من أحلام اليقظة.

قالت تالي: «يعمل هذا البرنامج بطريقة غريبة، أليس كذلك؟ يبدو الوجهان وكأنهما لشخصين مختلفين.»

أومأت شاي برأسها وقالت: «هذا أمر مريع.»

لطالما كانت وجوه القبعاء غير متناسقة، فلم يبد أي من نصفي الوجه مثل الآخر تمامًا. لذا كان أول شيء يقوم به برنامج إعادة تشكيل الوجه هو التقاط صورة كل نصف من الوجه على حدة، ثم مضاعفته بعمل النصف المشابه له، فكان الأمر أشبه بوضع مرآة أسفل منتصف الوجه تمامًا، مما يؤدي إلى خلق نموذجين متناسقين تمام التناسق. وبالفعل بدا الشكلان المتناسقان لوجه شاي أفضل من وجهها الأصلي.

سألت تالي: «شاي، أي من الشكلين يحمل الجانب الأفضل من وجهة نظرك؟»

– «لماذا يجب أن أكون متناسقة؟ أفضل أن يكون لدي وجه ذو جانبين مختلفين.»

تهدت تالي: «هذه علامة على تعرضك للضغط في طفولتك. لا أحد يريد أن يبدو هكذا.»

تأوهت شاي: «آه، لا أود أن أبدو هكذا.» ثم أشارت إلى الوجه الذي يبدو أكثر توحشًا واسترسلت: «حسنًا، أيًا كان. الوجه ذو الجانب الأيمن أفضل، ألا تظنين ذلك؟»

ردت تالي: «أنا أكره جانب وجهي الأيمن، ودائمًا أبدأ باليسر.»  
 قالت شاي: «نعم، حسنًا، أنا أحب الجانب الأيمن فهو يبدو أكثر صرامة.»  
 أجابتها تالي: «حسنًا، أنتِ صاحبة الرأي الآن.»  
 طرفت تالي بعينيها لكي تصدر أمرها للبرنامج، فملأ جانب الوجه الأيمن الشاشة.

أصدرت تالي أمرها: «الأساسيات أولاً.» فتولى البرنامج الأمر: فأخذ حجم العينين يزداد بالتدريج، مما قلل بدوره حجم الأنف بينهما، وتحرك عظم وجنتي شاي إلى أعلى، وتضخم حجم شفثيها قليلًا (أوشكتنا أن تصبحا مكتنزتين في حجم شفثي الحسان). واختفى كل عيب في وجهها، وصارت بشرتها صافية بلا أي عيوب. وتحركت جمجمتها ببراعة تحت ملامح وجهها، ومالت جبهتها إلى الخلف، وأصبح ذقنها أكثر بروزًا، وفكها أكثر قوة.

وعندما انتهى البرنامج من عمله، صفرت تالي ثم قالت: «واو، هذا رائع حقًا.»  
 تأوهت شاي: «رائع، إنني أبدو تمامًا مثل سائر الحسنات الجدد في العالم.»  
 قالت تالي: «حسنًا، بالطبع. هذه هي البداية فحسب. ماذا لو أضفنا بعض خصلات الشعر؟» طرفت تالي بعينيها عبر القوائم سريعًا، واختارت أحد أساليب تصفيف الشعر عشوائيًا.

وعندما تغيرت الشاشة، سقطت شاي على الأرض من شدة الضحك؛ إذ كانت تصفيفة الشعر العالية التي تبدو كالبرج فوق وجهها الرفيع أشبه بالقرطاس، وكان الشعر الأشقر يتنافر تمامًا مع لون بشرتها الزيتوني.

واستطاعت تالي بالكاد أن تتحدث وهي تضحك قائلة: «حسنًا، ربما ليست هذه التصفيفة هي الاختيار الصحيح.» ثم أخذت تتنقل بين المزيد من التصفيفات، واستقر اختيارها على الشعر الأصلي الأسود القصير، وقالت: «دعينا نصل لشكل الوجه الأمثل أولاً.»

أدخلت تالي تعديلات على شكل الحاجبين، جاعلة إياهما أكثر إثارة، وزادت من استدارة الوجنتين. وكانت شاي لا تزال هزيلة حتى بعدما اقترب برنامج التشكيل في مواصفاتها من المعدل المتوسط للحجم.

وأرادت تالي أن يكون لون بشرتها قريباً من اللون الطبيعي لبشرة الحسان، فقالت: «ربما نجعلها أفتح قليلاً.»

تساءلت شاي: «أنتِ، أيتها الحولاء، وجه من هذا؟»  
 أجابتها تالي: «هذا للتسلية فقط، هل تريدين أن تحتفظي بلقطة لهذا النموذج؟»  
 ردت شاي: «لا، أريد أن أذهب للتخليق باللوح الطائر.»  
 - «بالطبع سنفعل، لكن دعينا نصحح هذا أولاً.»  
 - «تالي، ماذا تقصدين بقول «نصحح هذا»؟ أظن أنني أرى وجهي صحيحاً بالفعل!»

أدارت تالي نظرها بعيداً وقالت: «حقاً، إنه رائع لفتاة قبيحة.»  
 تجهمت شاي وقالت: «ماذا؟ ألا تستطيعين تحمل رؤيتي؟ هل أنت بحاجة إلى أن تحتفظي ببعض الصور في ذهنك حتى يمكنك أن تتخليها بدلاً من وجهي؟»  
 - «هيا يا شاي. إننا نفعل ذلك من أجل التسلية فحسب.»  
 - «أي تسلية هذه التي تجعلنا نشعر بأننا قبحاء!»  
 - «نحن قبحاء بالفعل!»

- «لقد صُمت هذه اللعبة بأكملها كي تجعلنا نكره أنفسنا.»  
 تنهدت تالي ثم أَلقت بنفسها بتثاقل على الفراش وشخصت ببصرها إلى أعلى.  
 أحياناً تصبح شاي غريبة الأطوار للغاية، فكانت تتخذ دوماً موقفاً عدائياً بشأن عملية التجميل، وكأن أحدهم سيجبرها أن تفعل شيئاً رغم أنفها. قالت تالي: «أنت على حق، لقد كانت الأشياء رائعة للغاية في الماضي حينما كان كل فرد قبيحاً. ولكن هل فاتك ذلك اليوم في المدرسة وما كانوا يرونه فيه؟»

ردت شاي وهي تستدعي من الذاكرة: «نعم، نعم، أعلم. كان الجميع يحكم بعضهم على بعض بناء على مظهرهم الخارجي. فالأناس الأكثر طولاً كانوا يحصلون على وظائف أفضل، وحتى الناس كانوا يدلون بأصواتهم لمصلحة بعض الساسة لأنهم فقط ليسوا على الدرجة نفسها من القبح مثل الباقين، وهلم جرّاً.»

هزت تالي رأسها تأييداً لكلامها، وبصرف النظر عن عدد المرات التي كرروا فيها هذا الكلام في المدرسة، فإنها لم تصدق هذا الأمر قط، ثم قالت: «وكان الناس يقتل

بعضهم بعضًا بسبب المظهر، كأن يكون لأحدهم بشرة مختلفة اللون. إذن، ماذا لو بدأ الناس أكثر تشابهاً الآن؟ فهذه هي الطريقة الوحيدة لجعل الناس سواسية.»  
ردت شاي: «وماذا عن جعلهم أكثر نكاء؟»

ضحكت تالي: «هذا ليس من المحتمل، على كل حال، كنت أفعل ذلك فقط لأرى ما ستبدو عليه كل منا بعد ... شهرين وخمسة عشر يوماً فحسب.»

تساءلت شاي: «ألا يمكننا الانتظار حتى ذلك الحين؟»  
أغمضت تالي عينيها متنهدةً وقالت: «أحياناً أظن أنني لا أستطيع الانتظار.»  
واستطردت تالي: «حسنًا، إنه الحظ العاثر.» وبعدها شعرت تالي بثقل شاي على الفراش، وشعرت بوكزة خفيفة في ذراعها. قالت شاي: «ربما يجدر بنا أيضًا أن نحقق أقصى استفادة من هذا الوقت، هل يمكننا أن نذهب للتخليق بالألواح الطائرة الآن؟ من فضلك.»

فتحت تالي عينيها ووجدت صديقتها باسمة، وقالت «حسنًا، لنذهب إلى الألواح الطائرة.» بعدها نهضت من فراشها وحدقت في الشاشة. لقد كان وجه شاي الظاهر على الشاشة وجهًا ودودًا حساسًا مفعماً بالحيوية ... وجميلاً. قالت تالي: «ألا تظنين أنك جميلة؟»

لم تنظر شاي إلى الشاشة، بل هزت منكبيها فحسب وقالت: «هذه ليست أنا. إنها فكرة اللجنة المعنية بالأمر عني.»

ابتسمت تالي واحتضنتها.

قالت تالي: «مع ذلك ستصبحين هكذا. عما قريب ستكونين هكذا فعلاً.»



## الفصل السادس

# الوقوع في براثن الملل

قالت شاي وهما في الهواء: «أعتقد أنك مستعدة.» وكانت تالي قد هدأت من سرعتها في التحليق إلى أن أوقفت اللوح، منحنية الركبتين وقدمها اليمنى إلى أسفل واليسرى إلى أعلى.

تساءلت تالي: «مستعدة لماذا؟»

كانت شاي تحلق في الهواء بتؤدة وراءها، تاركة نفسها للنسيم كي يحركها. لقد كانتا على أقصى ارتفاع وبُعد يمكن أن تصل إليهما الألواح الطائرة، وذلك أعلى مستوى قمم الأشجار مباشرة عند حافة المدينة. وكان من المدهش أن اعتادت تالي سريعًا التحليق عاليًا، دون الاستعانة بأي شيء يحول بينها وبين السقوط من مكان عال سوى اللوح والأساور.

كان المنظر من أعلى خلابًا؛ فكانت تنبثق من ورائهما أبراج نيو برتي تاون من وسط المدينة، التي يكتنفها حزام أخضر ورقعة من الغابات تفصل المكان الذي يعيش فيه الحسان متوسطو العمر والحسان كبار السن عن ذلك الذي يعيش فيه الحسان الجدد. أما الأجيال الأقدم من الحسان، فكانوا يعيشون في الخارج، في الضواحي، تسترهم التلال، في صفوف من منازل كبيرة تفصلها ممرات من الحقائق الخاصة كي يلهو فيها صغارهم.

ابتسمت شاي قائلة: «مستعدة لرحلة ليلية.»

وعلى مدار الأسابيع الثلاثة المنصرمة كشفت كل منهما للأخرى عن العديد من الحيل، لكنهما لم تعودا إلى نيو برتي تاون منذ الليلة التي تقابلتا فيها. قالت تالي وهي تتذكر وعدها لبيريس: «آه، انظري، لا أعرف هل كنت أريد أن أعبّر النهر مرة

أخرى أم لا، بالطبع حتى يحين وقت تحولنا إلى حسان. فبعد ما حدث المرة الأخيرة، ربما صار الحراس جميعهم ...»

قاطعتها شاي: «لا أتحدث عن نيو برتي تاون، فهي مكان ممل على أي حال. سيكون علينا أن نتسلل خفية طوال الليل.»

ردت تالي: «حسنًا، أتقصد أن نطلق حول آجلي فيل فحسب؟»

هزت شاي رأسها، وهي لا تزال تتقدم تدريجيًا بعيدًا معتمدة على النسيم. بدلت تالي مركز ارتكازها على اللوح بانزعاج وسألت: «ماذا يكون غير هذا؟» وضعت شاي يديها في جيوبها وبسطت ذراعيها، محولة السترة الخاصة بعنبرها إلى شراع للطائرة. وجذبها النسيم بعيدًا جدًّا عن تالي. وعلى نحو لا إرادي، مالت تالي بأطراف أصابعها إلى الأمام حتى يستمر اللوح في الطيران.

أشارت شاي إلى الأرض المفتوحة أمامهما وقالت: «أقصد الذهاب إلى هناك.»

– «أتقصد تلك الضواحي؟ إنها مدينة دلز فيل الكئيبة؟»

– «ليس الضواحي، ولكن ما وراءها.» حركت شاي قدميها في اتجاهين معاكسين إلى أقصى حواف اللوح. وتحركت تنورتها بفعل ريح المساء اللطيفة. وانسأقت شاي نحو الحافة الخارجية للحزام الأخضر، إلى حيث المناطق المحظورة.

ثبتت تالي قدميها وخفضت مستوى اللوح، ووقفت فجأة إلى جانب صديقتها، وقالت: «ماذا تقصدين؟ أتقصد أن نذهب خارج المدينة تمامًا؟»

– «نعم.»

– «أجنتت! لا يوجد شيء هناك.»

– «بل يوجد الكثير هناك؛ أشجار حقيقية عمرها مئات السنوات، وجبال، وأطلال. ألم يسبق لك الذهاب إلى هناك؟»

طرفت تالي بعينيها وقالت: «بالطبع.»

ردت شاي: «لا أقصد نهابك في رحلة مدرسية، هل سبق أن ذهبتي إلى هناك ليلاً؟»

أوقفت تالي اللوح بقوة على حين غرة. فمدينة الأطلال الصدئة هي بقايا مدينة قديمة، صرح تذكاري ضخم للماضي عندما كان هناك الكثير جدًّا من الأشخاص، وجميعهم غاية في الحمق، والقبح. أجابت تالي: «مستحيل، لا تقولي لي إنك ذهبت إلى هناك ليلاً.»

أومأت شاي برأسها إيجابًا.

فغر فم تالي من فرط الدهشة، وقالت: «مستحيل.»

ردت شاي: «أتظنين أنك الوحيدة التي تعرف الحيل البارعة؟»

قالت تالي: «حسنًا، ربما أصدقكِ.» وارتسمت على وجه شاي تلك النظرة التي

تعلمت تالي أن تحذرهما. قالت تالي: «وماذا إن اكتُشف أمرنا؟»

ضحكت شاي وقالت: «تالي، لا يوجد شيء هناك، مثلما قلتِ الآن. ولا أحد هناك

ليكتشف أمرنا.»

– «وهل تعمل الألواح الطائرة هناك؟ أو أي شيء آخر؟»

– «ألواح خاصة فقط هي التي تعمل إذا عرفت كيف تخدعينا وإلى أين

توجهينها. والذهاب إلى ما وراء الضواحي أمر سهل؛ فما عليك سوى أن تحلقي

بطول مجرى النهر، وهناك باتجاه أعلى النهر تكون المياه مليئةً بالزبد، حيث يصعب

على المركب النهري الخوض فيها.»

فغر فم تالي مجددًا، وقالت: «إذن، لقد قمتِ بهذا بالفعل من قبل.»

عصفت ريح قوية مفاجئة بستره شاي، فزلقتها بعيدًا وهي لا تزال باسمه:

وكان على تالي أن تدفع لوحها مرة أخرى حتى تظل على مرمى السمع. وفي تلك

الأتناء مست قمة شجرة كاحليها، بينما أخذت الأرض تحتها في الاقتراب منهما.

صاحت شاي: «سيكون هذا ممتعًا حقًا.»

– «بل يبدو محفوفًا بالمخاطر.»

– «هيا، لقد أردت أن أريك هذا منذ أن التقينا. منذ أن أخبرتني أنك تسللت إلى

إحدى حفلات الحسان، وأطلقتِ إنذار الحرائق!»

ازدردت تالي ريقها، متمنيةً لو أنها كانت قد أخبرت شاي بالحقيقة كاملة تلك

الليلة، وأن الأمر برمته كان محض مصادفة. لقد بدا أن شاي تنظر إلى تالي على

أنها أكثر الأشخاص جراءة في العالم الآن، فقالت تالي: «حسنًا، ما كان هذا الإنذار

إلا حادثًا عارضًا، أو شيء من هذا القبيل.»

– «نعم، بالطبع.»

– «أقصد، علينا أن ننتظر، لم يتبق على العملية سوى شهرين من الآن.»

– «آه، فعلاً، شهران ومنتسم في مركب داخل النهر؛ جميلات يشعرن بالضجر.»

تأوهت تالي وقالت: «لا أرى الأمر مضجرًا تمامًا يا شاي.»

– «أن نفعل دائمًا ما يُفترض فعله هو أمر مضجر في حد ذاته. لا يمكنني أن

أخيل شيئًا أكثر مللاً من ألا يُطلب منك فعل شيء في الحياة سوى اللهو والعبث.»

قالت تالي بهدوء: «يمكنني أنا أن أتخيل هذا الشيء، وهو ألا تحصيلي على أي متعة على الإطلاق.»

قالت شاي: «انصتي لي تالي. هذان الشهران هما فرصتنا الأخيرة لفعل أي شيء رائع حقًا. هما فرصتنا الأخيرة كي نكون أنفسنا. فما إن نتحول، حتى ينتهي بنا الحال ونترج: حسان جدد، ثم حسان متوسطي السن، ثم حسان كبار.» وهنا أنزلت شاي ذراعيها، فتوقف اللوح عن الطيران ثم استرسلت قائلة: «ثم حسان موتى.»

ردت تالي: «أفضل من قبحاء موتى.»

هزت شاي منكبيها ثم بسطت سترتها كي تحلق في الهواء مرة أخرى. هما لم يصيرا الآن بعيدتين عن الحزام الأخضر الذي يطوق المدينة، وعمّا قريب ستلتقي شاي إنذارًا، وبعدها يشي بها لوحها الطائر.

جادلتها تالي قائلة: «أضيفي إلى ذلك أن الخضوع لعملية التجميل لا يعني بالضرورة أننا لن نستطيع القيام بأفعال كهذه.»

– «لكن الحسان لا يقومون بهذا مطلقًا. لا يفعلون هذا البتة يا تالي.»

تنهدت تالي، وهي تميل قدميها مرة أخرى على اللوح كي تلحق بشاي، ثم قالت: «ربما لأن لديهم أشياء يقومون بها أفضل من الخدع الصببانية، فربما يكون الانضمام إلى حفل في المدينة أفضل من قضاء وقت وسط مجموعة من الأطلال القديمة.»

لمعت عينا شاي وقالت: «أو ربما عندما يجرون العملية؛ عندما يكسرون العظام ويزيدون من طولها حتى تصل إلى الطول الصحيح، ويقشرون وجهك وينزعون كل جلدك، ويزرعون عظم وجنتين بلاستيكيتين مما يجعلك تبدين مثل أي شخص آخر، ربما بعدما تجتازين كل هذا، تصبحين شخصية غير مهتمة بمثل هذه الأفعال بعد الآن.»

ارتعدت فرائص تالي، إذ لم يسبق لها أن سمعت أحدًا يصف العملية هكذا. حتى في الفصل الدراسي لمادة الأحياء، حيث خاضوا في التفاصيل، لم يبد الأمر بهذا السوء. قالت تالي: «هيا بنا، لن ندرك أن هذا يحدث. كنت حاملة طوال الوقت بأحلام جميلة.»

أجابتها شاي: «نعم، بالطبع.»

سمعت تالي صوتًا يتردد في ذهنها يقول: «إنذار، منطقة محظورة.» ومع بدء الشمس رحلة مغيبها أخذت الريح في البرودة.

قالت تالي: «هيا بنا يا شاي، دعينا نعود أدراجنا. لقد اقترب وقت العشاء.»  
ابتسمت شاي وهزت رأسها ثم نزعت خاتم الاتصال الذي كانت ترتديه. والآن  
لن تسمع التحذيرات. قالت شاي: «دعينا نذهب الليلة. كدِرتِ تحلقين بالكفاءة نفسها  
التي أحلق بها.»

صرخت تالي: «شاي!»

أجابتها شاي: «قومي بهذا معي وسوف أريك قطار الملاهي.»

– «ما هذا؟»

تردد صوت إنذار آخر في رأس تالي يقول: «التحذير الثاني، منطقة محظورة.»  
أوقفت تالي لوحها وقالت: «إن واصلتِ المسير يا شاي، سيُقبض عليك ولن  
نتمكن من فعل أي شيء الليلة.»

هزت شاي منكبيها بينما كانت الريح تسوقها بعيدًا.

قالت شاي: «أريد فقط أن أريك طريقي في الاستمتاع يا تالي. وذلك قبلما  
نتحول إلى حسان، حينها لن نستطيع أن نستمتع إلا كيفما يحلو للجميع.»

هزت تالي رأسها، إذ كانت تريد أن تقول إن شاي قد علمتها بالفعل كيف  
تحلق باللوح الطائر، وهو أكثر الأشياء التي تعلمتها إثارة على الإطلاق. ففي غضون  
فترة لم تتجاوز الشهر، صارتا تشعران وكأنهما أفضل صديقتين. تمامًا مثلما حدث  
عندما التقت ببيريس وهما صغار، ولقد علما على الفور أنهما سيظلان معًا إلى الأبد.  
صرخت تالي: «شاي ...»

ترجتها شاي: «من فضلك؟»

تنهدت تالي: «حسنًا.»

خفضت شاي ذراعيها ومالت بأطراف أصابعها على اللوح كي توقفه وقالت:  
«حقًا؟ الليلة؟»

– «بالطبع، إلى مدينة الأطلال الصدئة.»

حثت تالي نفسها على الهدوء. فالأمر ليس بهذه الخطورة بالفعل. فلطالما انتهكت  
القواعد طوال الوقت، والجميع يذهبون إلى هذه الأطلال مرة واحدة سنويًا في رحلة  
مدرسية. ولم تكن هناك أي مخاطر أو شيء من هذا القبيل.

تحركت شاي للوراء بعيدًا عن حافة الحزام، وأسرعت نحو تالي كي تطوقها  
بذراعها وقالت: «انتظري حتى تشاهدي النهر.»

– «أنتِ قلتِ إن مياهه مليئة بالزبد؟»

– «نعم.»

– «وما الزبد؟»

ابتسمت شاي وقالت: «إنها مياه لكنها أفضل كثيرًا جدًا.»

## الفصل السابع

# منحدرات نهريّة

«طابت ليلتك.»

هكذا قالت تالي موجهةً حديثها للغرفة.

ردت الغرفة: «نومًا هنيئًا.»

ارتدت تالي ستره وثبتت جهاز الاستشعار في حزام حول بطنها، ثم فتحت النافذة. وكان الهواء ساكنًا، والنهر هادئًا جدًا حتى إنها كانت تستطيع أن تتبين كل تفاصيل آفاق المدينة منعكسة على مياهه. وبدا الأمر وكأن الحسان يستمتعون بحدث ما؛ فكان بإمكانها أن تسمع عبر الماء صخب جموع غفيرة عبر الماء، وآلاف الهتافات التي تدوي وتخفت معًا. وكانت أبراج الاحتفالات مظلمة تحت القمر شبه المكتمل، والألعاب النارية تبعث في السماء بأضواء تتلألأ بالدرجات المختلفة من اللون الأزرق، وترتفع عاليًا جدًا حتى إنها كانت تنفجر في صمت.

لم تبد لها المدينة بعيدة على هذا النحو قط.

قالت تالي بهدوء: «سأراك عما قريب يا بريس.»

كان بلاط سطح العنبر زلقة بسبب المطر الذي انهمر في وقت متأخر من المساء. تسلقت تالي بحذر إلى زاوية عنبر النوم حيث لامست شجرة جميز عتيقة بدت فروع أغصانها صلبة ومألوفة لها، ثم هبطت تالي سريعًا في الظلام خلف إحدى آلات إعادة التدوير.

وعندما اجتازت تالي مساحة الأرض المخصصة للعنبر، نظرت وراءها. بدا نسق الظلال التي أرشدتها في طريقها من العنبر ملائمًا للغاية، يكاد يكون متشكلاً عن عمد تقريبًا؛ وكأنه كان من المفترض أن يتسلل القبحاء عبر هذه الظلال بين الفينة والفينة.

هزت تالي رأسها؛ لقد بدأت تفكر مثل شاي.

التقت تالي وشاي عند السد، حيث ينقسم النهر إلى قسمين كي يطوقا نيو برتي تاون. وفي هذه الليلة، لم يكن هناك أي مركب نهري بالخارج تعكر صفو الظلام. وكانت كانت شاي تمارس بعض الحركات بلوحها الطائر عندما اقتربت تالي منها سيرًا على الأقدام.

صاحت تالي بصوت عال عبر خرير الماء المندفع من بوابات السد: «أينبغي أن تفعل هذا هنا في المدينة؟»

تراقصت شاي بلوحها الطائر، بتبديل تمرکز ثقل جسمها للأمام وللخلف على اللوح العائم، وقالت: «كنت أتأكد فحسب أنه يعمل، فربما ساورك القلق بهذا الشأن.» نظرت تالي إلى اللوح الخاص بها. لقد خدعت شاي جهاز فرض الأمان كي لا يشي بهما عندما تطيران ليلاً، أو تعبران الحدود إلى خارج المدينة. ولم تكن تالي لتقلق كثيراً بشأن أن يشي بهما الجهاز بالقدر الذي يساورها القلق من ألا يطير اللوح على الإطلاق، أو يدعها تصطدم بشجرة. أما لوح شاي فكان يبدو أنه يطير جيداً.

قالت شاي: «لقد طرت طوال الطريق إلى هنا، ولم يأت أحدهم للقبض عليّ.» ألقت تالي بلوحها على الأرض وقالت: «أشكر من أجل تأمين الطريق، لم أقصد أن أبدو جبانة إلى هذه الدرجة بشأن هذا.»

– «لم تكوني جبانة.»  
– «أجل، لقد كنت كذلك، ويجدر بي أن أخبرك شيئاً ما. في تلك الليلة التي التقينا فيها، وعدت صديقي بيريس أنني لن أقوم بأي مخاطر كبيرة في حالة أن أواجه مشكلة، ولقد جن جنونهم بالفعل.»

– «ومن يأبه إذا جن جنونهم؟ لقد أوشكت أن تبلغني السادسة عشرة.»  
– «وماذا إذا بلغ جنونهم أن يرفضوا أن أصير جميلة؟»  
توقفت شاي عن الوثب بلوحها الطائر وقالت: «لم يرد إلى مسامعي مثل هذا الأمر.»

– «أظن أنني لم أسمع به أيضاً، لكن ربما ما كانوا ليخبرونا به إن حدث. على كل حال، لقد جعلني بيريس أعده بالأخوض أي مخاطرة.»  
– «تالي، هل تعتقدين أنه ربما قال هذا حتى لا تذهبين إليه مرة أخرى؟»  
– «ماذا؟»



- «ربما جعلك تعدينه بالأخطار في هذا الشأن حتى لا تزعجيه مرة أخرى، كي يجعلك تخشين الذهاب إلى نيو برتي تاون مرة أخرى.»  
حاولت تالي أن تجيب لكن حلقها كان جافاً.

قالت شاي: «انصتي إلي، إذا كنت لا ترغبين في المجيء، فلا بأس. أنا جادة فيما أقوله، أيتها الحولاء، لكن لن يُقبض علينا. وإن حدث، فسأتحمل أنا المسؤولية.» ثم ضحكت شاي وأضافت قائلة: «سأقول لهم إنني خطفتك.»

صعدت تالي على اللوح الخاص بها ثم طقطقت أصابعها. وعندما أصبح نظرها في مستوى نظر شاي قالت: «أنا آتية معك، قلت لك إنني سأفعل.»  
ابتسمت شاي ثم أمسكت بيد تالي لحظة وهي تضغط عليها، وقالت: «رائع، سيكون الأمر ممتعاً، ليس كمتعة أن تكوني من الحسنات الجدد، إنها المتعة الحقيقية. ارتدي هذه.»

- «ما هذه؟ أتساعد على الرؤية الليلية؟»

- «لا. هذه نظارة واقية، سوف تحبين المياه العارمة ذات الزبد.»

وصلت تالي وشاي إلى المنحدرات النهريّة بعد مرور عشر دقائق.

لقد عاشت تالي حياتها كاملة والنهر على مرأى منها. وكان هذا النهر المهيّب الذي تسير مياهه ببطء سمة مميزة للمدينة؛ إذ كان يميز الحدود بين العوالم. ومع ذلك لم تدرك قط أنه بالسير عكس مجرى التيار مسافة بضعة كيلومترات قليلة من السد صار مجرى المياه الفضي المهيّب وحشاً غاضباً.

كانت مياهه المندفعة بقوة بالفعل مغطاة بالزبد. كانت ترتطم بالصخور وتشق طريقها عبر قنوات ضيقة، لتندفع إلى أعلى كزناد مضاء بنور القمر، تتفرق قطراته ثم تتحد لتسقط في حاويات عملاقة فوارة للمياه عند قاع الشلالات شديدة الانحدار.

كانت شاي تحلق مباشرة فوق سيل المياه على مستوى ارتفاع منخفض حتى إنها كانت تخلف أثراً كلما مالت بلوحها إلى أحد جانبيه. وتبعته تالي حيثما كانت تعتقد أنه ارتفاع يوفر مسافة آمنة، آملة أن يظل لوحها المخدوع عازماً عن الاصطدام بالصخور وأغصان الأشجار المتشحة بالظلام. وكانت الغابات على كلا الجانبين بقعة خلاء مظلمة مليئة بالأشجار البرية العتيقة التي لا تشبه أشجار تنقية الهواء عن طريق امتصاص ثاني أكسيد الكربون التي تزين المدينة. وكذلك كانت السحب التي يضيئها القمر تومض من بين أغصان الأشجار وكأنها سقف من اللؤلؤ.

وفي كل مرة كانت شاي تصرخ فيها، كانت تالي تعلم أنها على وشك أن تتبع صديقتها عبر جدار من الرذاز ينبثق إلى أعلى من الدوامات النهرية. وعلى الرغم من أن بعض جدران الرذاز كانت تتلأأ في ضوء القمر مثل الستائر الشبكية البيضاء، كان البعض الآخر يصفعهما على حين غرة منبثقًا من الظلام. كذلك وجدت تالي أيضًا أنها تصطدم بتدفقات المياه الباردة التي يدفعا لوح شاي عندما كانت تهبط إلى أسفل أو تميل على أحد جانبيها، غير أن هذا كان يذرهما على الأقل باقترابها من منعطف.

لقد كانت الدقائق الأولى مرعبة رعبًا جمًّا، فقد أطبقت أسنانها بحدة حتى إن فكها ألمها، وثنت أطراف أصابع قدميها إلى أعلى داخل حذائها الجديد الخاص المانع للانزلاق، وبسطت ذراعيها وأصابعها بشدة حتى تحدث التوازن. واعتادت تالي تدريجيًّا على الظلمة وخرير الماء أسفلها وصفع رذاز الماء البارد المفاجئ لوجهها. وكان التحليق هذه المرة أكثر تهوُّرًا وسرعة وقطعًا للمسافات مما قامت به من قبل. وكان النهر يشق الغابة المظلمة، قاطعًا مسارها المتعرج إلى المجهول.

أخيرًا لوحت شاي بيديها إلى تالي وتوقفت، وانحدر الجزء الخلفي من لوحها ببطء إلى الماء؛ فقفزت تالي بلوحها كي تتحاشى الموجة الناجمة عن هبوط لوح شاي، بأن تلف لوحها في دائرة ضيقة كي توقفه بخفة.

سألت تالي: «هل وصلنا؟»

- «ليس تمامًا، لكن انظري.» ثم أشارت شاي إلى الوراى نحو الطريق الذي قدما منه.

لهتت تالي عندما نظرت إلى المشهد. لقد بدت مدينة نيو برتي تاون البعيدة كعملة ساطعة يحتضنها الظلام، وكانت الألعاب النارية المنطلقة من نيو برتي تاون بوميضها الأزرق المائل للأخضر هي مصدر الإضاءة الباهت الوحيد. إنهما حتمًا قد قطعتا مسافة طويلة للأمام؛ إذ كانت تالي تستطيع أن ترى رقعة من ضوء القمر تتدفق ببطء عبر التلال المنخفضة التي تكتنف المدينة، وتدفعها الرياح الخفيفة التي تحركها السحب بصعوبة.

لم تكن تالي قد ذهب قط إلى ما وراء حدود المدينة ليلاً، ولم يسبق لها أن رأتها مضاءة على هذا النحو من بعيد.

نزعت تالي عنها نظارتها الواقية التي تناثرت عليها قطرات الرذاز، ثم أخذت نفسًا عميقًا. وكان الهواء مفعمًا بالروائح النفاذة؛ روائح نسغ النباتات دائمة الخضرة والأزهار البرية، ورائحة الطاقة الكهربائية المنبعثة من الماء المتدفق بقوة.

سألت شاي: «الأمر رائع، أليس كذلك؟»

لهتت تالي وهي تنطق: «نعم، أفضل كثيرًا من التسلل حول نيو برتي تاون.»  
ابتسمت شاي ابتسامة عريضة في بهجة: «أنا مسرورة حقًا لأنك ترين ذلك. كم

كنت أتوق بشدة إلى المجيء إلى هنا، لكن ليس وحدي، كما تعلمين؟»

نظرت تالي إلى الغابة المحيطة بهما، محاولة أن تحدق في المساحات الفارغة المظلمة التي تتخلل الأشجار. وكان هذا المكان حقًا مفتوحًا لكل شيء، حيث يمكن لأي كائن أن يختبئ فيه، فهو ليس مكانًا يسكنه البشر. وارتعدت فرائصها عندما خطر لها أن تصبح هناك بمفردها. سألت تالي: «إلى أين الآن؟»

- «الآن سنسير على أقدامنا.»

- «نسير؟»

اتجهت شاي بلوحها نحو الشاطئ ثم ترجلت من عليه وقالت: «نعم، هناك طبقات من الحديد الخام على بعد نصف كيلو متر بهذا الاتجاه. وفيما عدا ذلك لا يوجد شيء في هذه المسافة.»

- «عم تتحدثين؟»

- «تالي، تعمل الألواح الطائرة عن طريق الرفع المغناطيسي، أليس كذلك؟ لذا

لا بد أن يكون هناك معدن ما في الجوار وإلا لن تطير.»

- «أظن ذلك، لكن في المدينة...»

- «في المدينة، هناك شبكة قضبان فولاذية في البنية الأساسية للأرض، أينما

ذهبت، أما هنا فينبغي أن تكوني حذرة.»

- «ماذا سيحدث إذا لم يتمكن لوحك من التحليق مرة أخرى؟»

- «سيسقط. ولن تعمل أساور الصدمات أيضًا.»

تأوهت تالي قائلة: «آه.» ثم نزلت عن لوحها ووضعته تحت أحد ذراعيها. وكانت كل عضلاتها تؤلمها من جراء الطيران العنيف هنا. فمن الجيد أن يعيش المرء على أرض يابسة صلبة، وعلى نحو مطمئن بدت الصخور متماسكة تحت قدميها المرتعشتين، على خلاف الطيران.

ومع ذلك بعد مرور بضع دقائق على بدء السير على الأقدام ازداد اللوح ثقلاً. وفي الوقت الذي خفت فيه صوت الضوضاء الشديد الصادر عن النهر إلى خريف خافت خلفاه وراءهما، شعرت تالي وكأن اللوح الطائر مثل لوح من خشب البلوط تحمله تحت ذراعيها.

قالت تالي: «لم أكن أعرف أن هذه الأشياء ثقيلة كل هذا الثقل.»

– «أجل. هكذا يصبح وزن اللوح عندما لا يكون في مجال العمل. وهنا بالخارج، تكتشفين كيف تعميكَ المدينة عن الطرق الحقيقية التي تعمل بها الأشياء.»  
في تلك الأثناء، كانت السماء آخذة في الاكفهار، وبدا البرد أكثر شدة في الظلام. رفعت تالي اللوح إلى أعلى حتى تتمكن من إحكام قبضتها عليه، متسائلة هل السماء ستمطر. وكانت تالي مبتلة بالفعل من الطيران فوق المنحدرات النهرية. قالت تالي: «يبدو أنني خُدعت بشأن بعض الأشياء.»

وبعد التسلق فترة طويلة عبر الصخور قطعت شاي الصمت قائلة: «هذا هو الطريق، ثمة طبقات طبيعية من الحديد الخام تحت الأرض. يمكنك أن تشعرِي بها في أساور الصدمات للوحك.»

أمسكت تالي بإحدى يديها وقطبت وجهها، مبدية عدم اقتناعها بما تقوله شاي، لكنها شعرت بعد دقيقة واحدة بجذب خفيف في سوارها، وكأن شيئًا يسحبها إلى الأمام. أخذ وزن لوحها يخف من جديد، وعلى الفور قفزت هي وشاي على متن لوحيهما مرة أخرى، محلقتين عاليًا فوق سلسلة من الجبال، ولأسفل في واد مظلم. وبينما كانت تالي على متن اللوح، وجدت متنفسًا وتمكنت من أن تسأل سؤالًا كان يؤرقها: «إن كانت الألواح الطائرة تحتاج إلى معدن كي تعمل، كيف تعمل فوق النهر إذن؟»

– «عن طريق فصل الذهب.»

– «ماذا؟»

– «تخرج الأنهار من ينابيع ترد من باطن الجبال، وتجلب المياه معها معادن من باطن الأرض، من ثم هناك دائمًا معادن في قاع الأنهار.»  
– «صحيح. مثلما اعتاد الناس أن يفصلوا المعادن حتى يتسنى لهم الحصول على الذهب؟»

– «أجل، تمامًا. لكن الألواح تفضل الحديد في الواقع. ليس كل ما يلمع يساعد على الطيران.»

عبس وجه تالي؛ فأحيانًا كانت شاي تتحدث بشيء من الغموض، وكأنها كانت تستشهد بكلمات أغنية لفرقة موسيقية لا يستمع إليها أي فرد آخر سواها.  
همّت تالي بأن تسأل سؤالًا، لكن شاي وقفت وقفة مفاجئة وأشارت إلى أسفل.

لقد كانت السحب تنقشع، وضوء القمر يمر خلالها حتى يتهاوى على أرض الوادي. وقد برزت الأبراج الضخمة ملقية بظلالها المتعرجة، وكانت أشكالها التي من صنع الإنسان واضحة مقابل قمم الأشجار الواضحة التي تتراقص مع الريح. إنها مدينة الأطلال الصدئة.



## الفصل الثامن

# مدينة الأطلال الصدئة

من واجهات المباني العملاقة ظل عليهما في سكون عدد من النوافذ الخالية، فلقد مر وقت طويل على تحطم زجاجها وتلف أخشابها، ولم يتبق سوى الأطر المعدنية، والملاط، والأحجار المفتتة وسط نباتات غزت المكان. وحينما نظرت تالي إلى أسفل نحو مداخل المنازل المظلمة الخالية، اقشعر جلدها من فكرة الهبوط والنظر في أحدها.

تحركت الصديقتان فيما بين البنائيات الخربة، وهما تحلقان بلوحيهما على مستوى مرتفع في سكون وكأنهما لا تريدان أن تزعجا أشباح المدينة البائدة. أسفلهما كانت الشوارع تعج بالسيارات المحترقة المتكدسة والمحشورة بين الجدران البارزة. وبغض النظر عما دمر هذه المدينة فقد حاول الناس أن يفروا منه. وتذكرت تالي من رحلتها المدرسية الأخيرة إلى هذه الأطلال أن سياراتهم لم تستطع أن تطير، فما كان لها سوى أن تسير على عجلات مطاطية. لقد علق سكان العصر القديم بهذه الشوارع، كسرب من الفئران وقع أسيراً لمناهة مشتعلة النيران.

نادت تالي صديقتها شاي بصوت خافت: «شاي، أواثقة أنتِ تمام الثقة من أن لوحينا لن يتوقفا عن العمل على حين غرة؟»

- «لا تقلقي، من بنى هذه المدينة، أيًا كان هو، كان يجب أن يبذل المعادن. فلم يطلق عليها اسم راستي رونز (الأطلال الصدئة)، لأن شخصًا يدعى راستي قد اكتشفها.»

وكان على تالي أن توافقها على هذا الرد، ففي كل بناية أعمدة معدنية تنبتق من جدرانها المنهارة، كالعظام الناتئة من رفات حيوان مات منذ زمن سحيق. وتذكرت أن سكان العصر القديم لم يستخدموا الروافد، فكل المباني منخفضة الارتفاع بدائية وضخمة تحتاج إلى هيكل حديدي ليحفظها من الانهيار.

بعضها كان ضخماً للغاية، إذ لم بين سكان العصر القديم مصانعهم تحت الأرض، وكانوا يعملون معاً كالنحل المتصافر في خلية النحل وليس في المنزل. وكان أقل الأطلال حجماً هنا يفوق في حجمه أكبر العنابر في آجلي فيل، بل حتى أكبر من قصر جاربو مانشون.

ولما كانت تالي تنظر إلى الأطلال الآن ليلاً، بدت في ناظرها حقيقية بقدر أكبر. ففي رحلاتها المدرسية، لطالما كان المدرسون يصورون سكان العصر القديم كأناس غاية في الحمق. فالمرء لا يستطيع أن يصدق أن أناساً عاشوا بمثل هذه الطريقة؛ فقد كانوا يحرقون الأشجار ليخلوا مساحة من الأرض، ويحرقون البترول للحصول على الحرارة والطاقة، ويشعلون النيران في الهواء بأسلحتهم. لكن في ضوء القمر استطاعت أن تتخيل الناس وهم يتدافعون عبر العربات المتقدة للهروب من المدينة المنهارة، مذعورين أثناء هروبهم من كومة من المعادن والحجارة التي من المتعذر الدفاع عنها. حينئذ جاء صوت شاي ليخرج تالي من حلم اليقظة الذي عاشته: «هيا، أود أن أريك شيئاً ما.»

حلقت شاي إلى حافة البنايات ثم إلى أعلى الأشجار.

قالت تالي: «هل أنت متيقنة من أننا يمكننا ...»

- «انظري إلى أسفل.»

رأت تالي أسفلها معدناً يومض عبر الأشجار.

قالت شاي: «ثمة الكثير وراء الرقعة التي يزعمون أنها كل الأطلال. هم فقط يحتفظون بهذا الجزء من المدينة من أجل الرحلات المدرسية وزيارة الآثار، لكنها تمتد إلى ما وراء مرمى البصر.»

- «وذات كميات كبيرة من المعدن أيضاً؟»

- «أجل. هناك أطنان منه. لا تقلقي، لقد حلقت في كل أنحاء المكان.»

ازدردت تالي ريقها، وهي تنظر بعينيها بحذر بحثاً عن علامات الخراب أسفلها، ومبتهجة لأن شاي كانت تتحرك بمعدل سرعة هادئ بطيء.

بزغ شكل من الغابة، عبارة عن قمة جبل طويلة ترتفع وتنخفض في بروزها وكأنها موجة متجمدة، وصار بعيداً عنهما محتفظاً بمكانه في الظلام.

قالت شاي: «ها هو.»

سألته تالي: «حسنًا، لكن ما هذا؟»



- «هذا يُدعى قطار الملاهي. أتذكرين، لقد قلت لك إنني سأريك إياه.»

- «إنه جميل، لكن ما الغرض منه؟»

- «المتعة.»

- «غير ممكن.»

- «بل ممكن. على ما يبدو، كان سكان العصر القديم يحظون بقدر من المتعة.

إنه يشبه مسارًا حديديًا، يثبتون به عربات ثم يطلقونها بأقصى سرعة ممكنة، إلى أعلى وإلى أسفل وبحركات دائرية، مثل الألواح الطائرة لكن دون طيران حر في الهواء. وصنعوها من نوع من الفولاذ لا يصدأ مطلقًا؛ من أجل السلامة على ما أظن.»

عبس وجه تالي؛ إذ كانت الصورة الوحيدة بمخيلتها عن سكان العصر القديم هي لأناس يعملون في خلايا حجرية عملاقة ويناضلون من أجل الفرار في ذلك اليوم الأخير المريع، لا أناس يستمتعون بأوقاتهم.

قالت شاي: «لننقلها، لنطير في قطار الملاهي.»

- «كيف؟»

أجابتها: «على لوحك.» ثم استدارت شاي نحو تالي وقالت بجديّة: «لكن عليك

أن تسرع. فسيكون الأمر خطيرًا إذا لم تتحركي.»

- «لماذا؟»

- «سترين.»

استدارت شاي بعيدًا وأسرعت إلى أسفل تجاه قطار الملاهي لتحلق فوق المسار الحديدي مباشرة. تنهدت تالي ثم مالت بصعوبة وراها. على الأقل هذا الشيء مصنوع من المعدن.

لقد اتضح أيضًا أن رحلة الطيران عليه رائعة للغاية. لقد كان الأمر أشبه بمسار مجسم للوح الطائر في الهواء، يكتمل بمنعطفات منحدرّة محكمة، ويضم منزلقات حادة يعقبها منخفضات طويلة، بل حتى حلقات دائرية جعلت جسم تالي ينقلب رأسًا على عقب، مما كان يدفع أساور الصدمات للعمل لتحفظ تالي على اللوح. وما أجمل الشكل الذي كان يأخذه هذا المسار. فقطعًا بنى سكان الأطلال القديمة هذا المسار من شيء مميز حسبما ذكرت شاي.

كان المسار يصل إلى ارتفاعات أعلى من تلك التي يمكن أن يصل إليها اللوح الطائر بمفرده. فالتحليق باللوح الطائر على مسار قطار الملاهي كان أشبه بأن تكون طائرًا حقيقيًا.

وهو يلتف في شكل قوس واسع بطيء يدور للخلف نحو النقطة التي بدأتها عندها في التحليق. ويبدأ الجزء الأخير منه بمنحدر صاعد ضخم.

وعندما تقدمت شاي على تالي صاحت من فوق كتفها: «أسرعي في هذا الجزء.» تبعها تالي بأقصى سرعتها، صاعدة كالصاروخ إلى أعلى المسار الطويل. وكانت تستطيع أن ترى الأطلال على مرمى بصرها، كقمم سوداء محطمة تقع في مقابل الأشجار، وخلفها وميض لضوء القمر. كان هذا مرتفعاً حقاً! وعندما وصلت إلى أعلى المسار سمعت صرخة مبهجة. وعندئذ اختفت شاي، فمالت تالي إلى الأمام كي تزيد من سرعتها.

فجأة، سقط اللوح من تحتها. لقد سقط بسهولة بعيداً عن قدميها، تاركاً إياها تطير في الهواء، واختفى مسار القطار من تحتها.

أطبقت تالي قبضة يديها، في انتظار أن تقوم أساور الصدمات بعملها وتجذبها لأعلى من رسغيها، غير أنها صارت عديمة الفائدة مثل اللوح، فأصبحت شرائح فولاذية ثقيلة فقط تجذبها نحو الأرض. صرخت تالي وهي تنهاوى نحو الظلمة حالكة السواد: «شاي!»

بعد ذلك رأت تالي إطار قطار الملاهي أمامها. كل ما هنالك هو أن قطعة صغيرة كانت مفقودة من الإطار.

وعلى حين غرة، جذبتها أساور الصدمات إلى أعلى، وشعرت بصلاية سطح اللوح الطائر وهو يقترب إلى أعلى أسفل قدميها. وحملتها قوتها الدافعة إلى الجانب الآخر من الفجوة! حتماً كان اللوح يطير أسفل قدميها مباشرة أثناء ثواني السقوط الحر المرعبة. ووجدت تالي نفسها تنطلق بسرعة ثابتة إلى أسفل المسار حيث كانت شاي في انتظارها، فصرخت فيها: «أنتِ مجنونة!»

فردت شاي: «هذا مثير للغاية، أليس كذلك؟»

صرخت تالي: «لا، لماذا لم تخبريني أنه مكسور؟»

هزت شاي منكبيها: «هكذا يكون الأمر أكثر إثارة، أليس كذلك؟»

ردت تالي: «أكثر إثارة؟» وكان قلبها يخفق بسرعة، وعيناها تتمتعان برؤية واضحة على نحو غير معتاد. كان يملؤها الغضب والراحة ... والفرح، ثم أردفت قائلة: «حسناً، إلى حد ما. لكنك تصرفت بدناءة!»

نزلت تالي عن اللوح، وسارت عبر العشب بأقدام مرتخية، ووجدت صخرة مكسورة كبيرة يمكنها أن تجلس عليها، فجلست عليها وهي ترتعش.

قفزت شاي عن لوحها وقالت: «أنا آسفة.»

- «كان هذا مريعًا يا شاي، لقد كنت أسقط.»

- «ليس مدة طويلة، خمس ثوان تقريبًا. أعتقد أنك قلتِ إنك قفزت من مبنى

بسترة مطاطية.»

حدقت تالي في شاي ثم قالت: «أجل، لقد فعلت، لكنني كنت أعلم أنني لن أرتطم

بالأرض.»

- «أصببت، لكن أتعلمين أنه في المرة الأولى التي أراني فيها أحدهم قطار الملاهي،

لم يخبرني بشأن الفجوة، واعتقدت أنه كان مثيرًا للغاية أن أكتشف الأمر بهذه

الطريقة. فالمرة الأولى هي أفضل مرة تستمتعين فيها بفعل الشيء. وأردتِ أن

تشعرين بذلك أيضًا.»

- «أكنت تعتقدين أن السقوط أمر مثير؟»

- «حسنًا، ربما شعرت بالغضب إلى حد ما في بادئ الأمر. نعم، قطعًا شعرت

بالغضب.» ثم ابتسمت شاي ابتسامة عريضة واسترسلت قائلة: «لكنني تغلبت على

الأمر.»

- «أمهليني قليلًا من الوقت لهذا الأمر، أيتها العجفاء.»

- «على رسلك.»

بدأت أنفاس تالي تهدأ، ورويدًا رويدًا رجعت نبضات قلبها إلى معدلها الطبيعي

بعد أن كاد قلبها يشق ضلوعها، لكن ظل ذهنها صافيًا حسبما كان أثناء لحظات

سقوطها الحر، ووجدت نفسها تتساءل عن عثر على قطار الملاهي أولاً، وعن عدد

القبعاء الذين أتوا إليه هنا منذ ذلك الحين. سألت تالي صديقتها شاي: «شاي، من

أراك كل هذا؟»

- «بعض الأصدقاء الذين يكبرونني سنًا. هم قبعاء مثلنا، كانوا يحاولون أن

يكتشفوا كيف يعمل هذا الشيء وكيف يتحايلون عليه.»

رفعت تالي ناظرها لمسار قطار الملاهي القديم لولبي الشكل، ونباتات الكرمة

الزاحفة ببطء على إطاره وقالت: «تري، منذ متى يأتي القبعاء إلى هنا!»

- «منذ وقت طويل على الأرجح. فالأشخاص يتناقلون الإنجازات؛ مثلما تعلمين،

يكتشف أحدهم كيف يخدع الألواح، ثم يكتشف التالي المنحدرات النهرية، ثم ينجح

التالي في شق طريقه إلى الأطلال.»

- ازدردت تالي ريقها وقالت: «ثم يتحلى شخص بالشجاعة الكافية لأن يقفز عبر الفجوة في مسار قطار الملاهي، أو ربما يقفز عبرها مصادفةً.»
- أومأت شاي برأسها وقالت: «لكن جميعهم صاروا حساناً في آخر المطاف.»
- قالت تالي: «نهاية سعيدة.»
- هزت شاي منكبها.
- أردفت تالي متسائلة: «على كل حال، كيف عرفتِ أنه يُدعى «قطار الملاهي»؟ هل بحثتِ عنه في مكان ما؟»
- «لا، لقد أخبرني أحدهم بذلك.»
- «لكن، كيف عرف؟»
- «هذا الشخص يعرف الكثير من الأشياء. يعرف الخدع، ويعرف أشياء عن الأطلال. إنه شخص رائع حقاً.»
- وثمة شيء ما في صوت شاي جعل تالي تلتفت وتمسك بيدها، ثم قالت: «لكن أظن أنه صار من الحسان الآن.»
- تراجعت شاي بعيداً عنها وأخذت تقضم ظفرها وقالت: «لا، لم يصر كذلك.»
- «لكنني ظننت أن كل أصدقائك ...»
- «تالي، هل يمكنك أن تعديني بشيء ما؟ وعداً حقيقياً.»
- «بالطبع، حسب ظني، أي وعد هذا؟»
- «تعديني بأنك لن تخبري أحداً أبداً بما سأريك إياه الآن.»
- «لا يتضمن هذا الوعد السقوط الطليق، أليس كذلك؟»
- «بلى.»
- رفعت تالي يدها ذات الندب الذي شجته هي وبيريس معاً وقالت: «حسنًا. أقسم لك بأنني لن أخبر أي شخص البتة.»
- نظرت شاي في عينيها لحظة وهي تبحث بإمعان عن شيء ما، ثم أومأت برأسها وقالت: «حسنًا، هناك شخص ما أود أن ألقاه الليلة.»
- «الليلة؟ لكننا لن نعود إلى المدينة حتى ...»
- ابتسمت شاي: «هو ليس بالمدينة، إنه هنا.»

## الفصل التاسع

# في انتظار ديفيد

«أنتِ تمزحين، أليس كذلك؟»

لم تجبها شاي. وكانتا قد عادتا إلى قلب الأطلال، لتقفًا تحت ظل أعلى بناية في الجوار. حدقت شاي في البناية وعلى وجهها أمارات الحيرة. قالت شاي: «أظنني أتذكر طريقة فعل هذا.»

- «فعل ماذا؟»

- «الصعود إلى هناك. ها هي البناية.»

تحركت شاي بلوحها إلى الأمام بحذر، ثم انحنيت لتمر عبر إحدى الفتحات في الجدار المنهار.

- «شاي؟»

- «لا تقلقي. لقد فعلت هذا من قبل.»

- «شاي، أظنني تعلمت ما يكفي الليلة.» ولم تكن تالي في الحالة المزاجية التي تسمح لها بتحمل المزيد من مزاح شاي. لقد كانت منهكة، وطريق الرجوع إلى المدينة طويل، وعلى عاتقها تقع مسئولية تنظيف عنبرها في اليوم التالي. وليس من المفترض أن تنام طوال النهار بحجة أننا في وقت الصيف.

لكن تبعث تالي صديقتها شاي عبر الفتحة، فالجدال بشأن هذا الأمر قد يستغرق وقتًا طويلًا.

استقامت كلاهما في الهواء، إذ استعان اللوحان بالهيكل المعدني للبناية في التحليق عاليًا. وكان وجودهما بداخل تلك البناية أمرًا مروعًا عند النظر عبر النوافذ الخالية إلى أشكال البنايات الأخرى الخربة، وكأنهما شبجان من مدينة الأطلال يشاهدان مدينتهما وهي تنهار عبر القرون.

ولأنه لم يكن هناك سقف يعلو البناية، رمقتا منظرًا خلابًا؛ فكل السحب اختفت، ووقع ضوء القمر على الأطلال فأبرزها بوضوح، وبدت البنائيات مثل صفوف من الأسنان المهشمة. وكذلك رأيت تالي أن ما قد لمحته وهي تتسلق مسار قطار الملاهي كان المحيط بالفعل. فهناك من أعلى البناية، كانت المياه تتلألأ تحت ضوء القمر كحزمة من الأشعة الفضية الواهنة.

أخرجت شاي شيئًا ما من حقيبة كتفها ثم شطرته نصفين.  
فتوهج المكان حولهما فجأة.

صرخت تالي وهي تغطي عينيها: «ستعميني، هيا افعلني.»

- «أنا آسفة.» أمسكت شاي بالشعلة الآمنة ذات الشرارات مبعدة إياها بذراعها حتى مسافة آمنة. وكانت تصدر أصوات طقطقة شديدة وسط سكون الأطلال، وتلقي بظلال متقطعة عبر الجزء الداخلي للبناية الخربة. وبدا وجه شاي وحشيًا وسط الوهج، وكان الشرر يتساقط إلى أسفل متلاشيًا في أعماق المبنى المتهدم.  
وفي آخر الأمر، خبت الشعلة. وطرقت تالي بعينيها في محاولة لإبعاد وميض الشرارة عن عينيها. وانعدمت تمامًا قدرتها على الرؤية ليلاً، ولم تستطع أن ترى أي شيء سوى القمر في السماء.

ازدردت تالي ريقها، إذ فطنت إلى أنه يمكن رؤية الشعلة من أي مكان في الوادي، بل ربما يصل ذلك إلى البحر. قالت تالي: «شاي، هل كانت هذه إشارة ضوئية؟»  
- «أجل، هي هكذا.»

نظرت تالي إلى أسفل، فكانت البنائيات المظلمة أسفلها تعج بومضات ضوء وهمية متقطعة، وأطياف لوميض الشعلة التي اشتعلت أمام عينيها. وفجأة لما أدركت تالي جديدًا عدم قدرتها على الرؤية، شعرت بقطرة عرق باردة تزحف على عمودها الفقري.  
قالت تالي متسائلة: «على أي حال، من سنقابل الآن؟»

- «شخص اسمه ديفيد.»

- «ديفيد؟ يا له من اسم غريب.» لقد بدا الاسم لتالي وكأنه اسم مخلوق، لذا استنتجت مرة أخرى أن الأمر برمته ليس إلا مزحة. أردفت تالي قائلة: «إنن، هو سيحضر إلى هنا؟ هذا الشاب لا يعيش حقًا في الأطلال، أليس كذلك؟»

- «بلى، إنه يعيش بعيدًا جدًا عن هنا، لكنه ربما يكون بالقرب من هنا؛ فهو يأتي إلى هنا بين الفينة والفينة.»

- «أتقصد أنه من مدينة أخرى؟»

نظرت شاي إليها لكن تالي لم تستطع أن تقرأ تعبيرات وجهها في الظلام. ردت شاي: «شيء من هذا القبيل.»

حولت شاي نظرها إلى أفق السماء، كمن تبحث عن إشارة ردًا على الإشارة التي بعثت بها. تدرت تالي بمعطفها؛ ولأنها ظلت ساكنة بلا حراك، بدأت تدرك كم كان الجو قارس البرودة. وكانت تتساءل إلي أي حد بلغا وقتًا متأخرًا من الليل، لكن دون خاتم الاتصال لا يتسنى لها حتى أن تسأل عن ذلك.

ولما كان القمر شبه المكتمل يتوارى في السماء، أدركت تالي أن الوقت قد تجاوز قطعًا منتصف الليل، على نحو ما تذكرت تالي من دروس علم الفلك. وتلك فائدة عادت عليها من كونها خارج المدينة، وهي أن كل المواد الخاصة بالطبيعة التي درستها في المدرسة بدت أكثر فائدة. لقد تذكرت الآن كيف أن مياه الأمطار تتساقط على الجبال، وتمتصها التربة قبل أن تكون فقاعات ممتلئة بالمعادن، ثم تشق طريقها عائدة إلى البحر مرة أخرى حيث تشق أنهارًا وأودية ضيقة في الأرض على مدار القرون. لو أنك كنت تعيش هنا، لاستطعت أن تركب اللوح الطائر عبر الأنهار، مثلما كان الحال في الأيام الخوالي قبل سكان العصر القديم، عندما كان الأناس آنذاك ينتقلون بقوارب صغيرة مصنوعة من الأشجار.

بدأت تالي تستعيد قدرتها على الرؤية ليلاً بالتدريج، فمسحت أفق السماء بعينيها. هل يُعقل أن تأتي إشارة ضوئية أخرى بالفعل ردًا على إشارة شاي؟ أملت تالي ألا تأتي هذه الإشارة، إذ لم يسبق لها أن التقت بأي إنسان من مدينة أخرى. لقد علمت في المدرسة أن بعض المدن أناسها ينطقون بلغات أخرى، أو لا يصيرون حساسًا إلا عندما يبلغون الثامنة عشرة من عمرهم، وأمورًا أخرى غريبة مثل هذه الأمور. قالت تالي: «شاي، ربما يجدر بنا أن نعود أدراجنا.»

– «دعينا ننتظر قليلًا.»

عضت تالي شفتيها وقالت: «ربما ديفيد هذا ليس موجودًا بالجوار الليلة.»  
– «أجل، جائز، من المحتمل. لكنني كنت أأمل أن يكون هنا.» ثم التفتت شاي تجاه تالي وقالت: «سيكون لطيفًا حقًا إن التقيت به. إنه شخص ... مختلف.»

– «يببدو الأمر هكذا.»

– «أنا لا أخلق هذا الأمر، مثلما تعلمين.»

– قالت تالي: «أنا أصدقك.» على الرغم من أن تالي لم تكن متيقنة تمام اليقين من أي شيء يتعلق بشاي.

عادت شاي بنظرها إلى أفق السماء، وهي تمضغ ما قضمته من أحد أظافرها وقالت: «حسنًا، أظنه ليس في الجوار. يمكننا الرحيل إذا رغبت في ذلك.»  
 - «كل ما هنالك أننا تأخرنا حقًا، وطريق العودة طويل. وأنا المسئولة عن التنظيف غدًا.»

أومأت شاي برأسها وقالت: «وأنا أيضًا.»  
 - «شاي، أشكرك لأنك أريتني كل هذا. لقد كان كله مذهلاً حقًا، لكنني أعتقد أن أي شيء مثير آخر سيقضي عليّ.»  
 ضحكت شاي وقالت: «لم يقض قطار الملاهي عليك.»

- «أوشك على ذلك فحسب.»  
 - «ألم تسامحيني بعد؟»  
 - «سأخبرك بذلك عندما أفعل أيتها العجفاء.»  
 ضحكت شاي وقالت: «حسنًا، لكن تذكرني ألا تخبري أحدًا بشأن ديفيد.»  
 - «لقد وعدتك، يمكنك أن تثقي بي حقًا.»

- «حسنًا، أنا أتق بك.» وبعدها أحنت شاي ركبتيها فأخذ لوحها في الهبوط. ألفت تالي نظرة أخيرة حولهما شملت الأطلال المنبسطة تحتها، والغابات المظلمة، والمجرى النهري المتلألئ الممتد ناحية البحر المتوهج بالضوء، وتساءلت عما إذا كان هناك بالخارج أي أشخاص حقًا، أو عما إذا كان ديفيد قصة فقط اختلقها القبحاء لإخافة بعضهم بعضًا.

لكن شاي لم تبد خائفة، وبدت محبطة إحياطًا جمًا عندما لم يستجب أحدهم لإشارتها، وكأنها تؤثر مقابلة ديفيد على تباهيها بمعرفتها بالمنحدرات النهريّة والأطلال وقطار الملاهي.  
 وسواء أكان ديفيد حقيقة أم لا رأت تالي أنه حقيقي في نظر شاي.

رحلت تالي وشاي من الفتحة التي تخللت الجدار ثم حلقتا باتجاه ضواحي الأطلال، وتبعتا طبقات الحديد الخام إلى أعلى للخروج من الوادي. وعند قمة الجبل، أخذ اللوحان يتمتمان بتذمر، فنزلتا عنهما. ومع أن تالي كانت منهكة القوى، فإن حملها للوح لم يبد أمرًا مستحيلًا هذه المرة. لقد توقفت عن التفكير فيه على أنه لعبة مثل بالون الأطفال. لقد أصبح اللوح الطائر شيئًا أكثر صلابة، شيئًا يطيع أوامر نفسه، وهو الشيء الذي يمكن أن يمثل خطرًا أيضًا.



واكتشفت تالي أن شاي كانت على حق بشأن أمر واحد، ألا وهو أن البقاء في المدينة طوال الوقت جعل كل شيء مزيّفًا قليلًا. على نحو مماثل للمباني والجسور المقامة على روافد، أو القفز من قمة سطح باستخدام سترات مطاطية، لم يكن ثمة شيء حقيقي، وكانت تشعر بالجدل لأن شاي أخذتها إلى الأطلال. وإن لم تجن تالي أي استفادة أخرى، فالدرس الوحيد المستفاد هو أن الفوضى التي خلفها سكان العصر القديم أثبتت أن الأمور قد تسوء بشدة ما لم يتسم الإنسان بالحذر. وبالقرب من النهر خف وزن اللوحين، فوثبتت كلتاها عليهما بامتنان. باتخاذ وضعيهما على اللوحين تأوهت شاي وقالت: «لا أعرف رأيك، لكنني لا أنوي القيام بأي شيء آخر الليلة.»

– «بالتأكيد.»

مالت شاي إلى الأمام وسارت بلوحها بحذر على النهر، ثم تدرت بسترة عنبرها حول منكبها لتحميها من رذاذ المنحدرات. واستدارت تالي إلى الوراء لتلقي نظرة أخيرة على المدينة. ومع اختفاء السحاب، استطاعت أن ترى الأطلال من مكانها. طرفت تالي بعينيها، فرأت أكثر الومضات الضوئية وضوحًا آتية من حيث قبع قطار الملاهي. ربما كانت خداعًا بصريًا فقط، انعكاسًا لضوء القمر على قطعة معدنية عارية لم يمسهما الصدأ، قالت تالي بهدوء: «شاي»

صاحت شاي بصوت أعلى من خرير الماء: «هل ستأتين أم لا؟»

طرفت تالي بعينيها مرة أخرى، لكنها لم تستطع أن ترى الومضة الضوئية مرة أخرى. على أي حال، لقد ابتعدتا جدًّا، وإذا ذكرت الأمر لشاي، فسيجعلها تضطرب وترغب في العودة مرة أخرى. ولن تستطيع تالي بأي حال من الأحوال أن تقوم بهذه النزهة ثانية.

وربما لم يكن هناك أساس لأي شيء.

أخذت تالي نفسًا عميقًا وقالت: «هيا أيتها العجفاء، سأسألك!» وبعدها حثت تالي لوحها على زيادة سرعته عبر النهر مجتازة الرذاذ البارد تاركة وراءها لحظة شاي التي انفجرت في الضحك.



## الفصل العاشر

### العراك

«انظري إليهم جميعًا. يا لهم من حمقى..»

– «هل سبق لنا أن بدونا مثلهم؟»

– «ربما. لكن إن كنا حمقى من قبل، فذلك لا يعني أنهم غير حمقى الآن.»

أومأت تالي برأسها وحاولت أن تتذكر كيف كان حالها عندما بلغت الثانية عشرة من عمرها، وكيف بدا لها عنبرها في يومها الأول به. وتذكرت كم بدا لها المبنى مريعًا. لقد كان بالطبع أكبر بكثير من منزل سول وإيلي، وأكبر من الأكواخ التي يذهب إليها الصغار لتلقي التعليم، الذي كان فيه كل مدرس يتولى مسئولية تعليم عشرة تلاميذ.

الآن بدا لها كيف كان عنبر النوم آنذاك صغيرًا للغاية ومثيرًا لرهاب الأماكن المغلقة أو الضيقة. كان يبدو طفوليًا على نحو مزعج بألوانه الزاهية وسلالمه المبطنة. وكان يثير في نفسها الملل الشديد طوال النهار، ومن السهل التسلل منه ليلاً.

الآن هي ترى القبحاء الجدد وهم يتحركون على مقربة شديدة بعضهم من بعض في مجموعات متراسة خوفًا من أن يضلوا بعيدًا عن مرشدهم. كانت وجوههم الصغيرة القبيحة تحدد إلى أعلى في أرجاء عنبر النوم الذي تكون من أربعة طوابق، وقد امتلأت عيونهم بالحيرة والفرع.

أعادت شاي رأسها إلى الوراء عبر النافذة وقالت: «سيكون هذا مسليًا للغاية.»

ردت تالي: «لن ينسوا ما حيوا رحلة التوجيه هذه.»

لقد كان الصيف على وشك الانتهاء، وكان عدد الأفراد الذين التحقوا بعنبر تالي يغادره باطراد خلال العام الماضي حينما يبلغون سن السادسة عشرة، ليكونوا الأرشد. وقد حان الوقت الآن لتحل محلهم دفعة جديدة. شاهدت تالي الزمرة الأخيرة قليلة العدد من القبحاء وهم يشقون طريقهم إلى الداخل وقد اعترتهم حالة من

انعدام اللباقة والتوتر والبدائية والفضوى. وبلا ريب، كان بلوغ سن الثانية عشرة من العمر نقطة تحول في حياة كل واحد منهم، إذ يتحول من قبيح جذاب إلى قبيح كبير الحجم ضعيف التحصيل في تعليمه.

كانت تالي سعيدة بتخطيها تلك المرحلة من حياتها.

قالت شاي متسائلة: «هل أنت متيقنة من أن الأمر سيفلح؟»

ابتسمت تالي؛ إذ لم يكن من عادة شاي أن تتسم بالحيلة. أشارت تالي إلى ياقة السترة المطاطية وقالت: «أترين هذا الضوء الأخضر الصغير؟ هذا يعني أنها قيد العمل، إنها تُستخدم في حالات الطوارئ، من ثم هي دائماً جاهزة للعمل.»

مدت شاي يدها تحت السترة كي تجذب جهاز الاستشعار الذي ترتديه، وهو ما يعني أنها كانت متوترة وقالت: «ماذا لو عرفت السترة أن ليس هناك حالة طوارئ حقيقية؟»

- «إنها ليست بهذا القدر من الذكاء: كل ما هنالك أنها تلتقطك حينما تسقطين.

ولا حاجة للقيام بأي خدع.»

هزت شاي منكبها ثم ارتدت السترة.

كانت تالي وشاي قد استعارتا السترتين من مدرسة الفنون، وهي أطول بناية في آجلي فيل، حيث كان هناك مخزون احتياطي من السترات موضوع في الطابق الأرضي من البناية، ولم يكن عليهما حتى أن تخدعا الرف الموضوعه عليه كي تحررا السترتين منه. وقطعاً لم تكن تالي تريد أن يُقبض عليها وهي تعبت بإنذارات الحرائق، تحسباً لأن ينسب إليها الحراس الحادثة التي وقعت منذ وقت قليل في نيو برتي تاون في بداية فصل الصيف.

ارتدت شاي قميصاً صوفياً فضفاضاً محكماً فوق سترتها المطاطية. وكان

للقميص نفس لون عنبرها، وكذلك لم يعرف أحد من المدرسين هنا وجهها جيداً.

سألت شاي صديقتها تالي: «كيف أبدو؟»

- «يبدو أن وزنك قد زاد، إنه يناسبك.»

عبس وجه شاي؛ لقد كانت تكره أن ينعتها أحدهم باسم «حشرة عصوية»

أو «الفتاة ذات عيني الخنزير» أو بأي من الأسماء الأخرى التي ينادي بها القبعاء بعضهم بعضاً. وكانت تزعم بين الفينة والفينة أنها لا تكثرث مطلقاً بإجراء عملية التجميل والتحول لحسناء. بالطبع كان هذا هراء. وعلى الرغم من أن شاي لم تكن غريبة الخلقة، فمن الصعب أن تبدو جميلة بالفطرة. ومع ذلك لم يكن هناك أناس

حسان بالفطرة سوى ما يقرب من عشرة أفراد عبر كل حقب التاريخ. قالت شاي: «أتريدون أن تبادلري بالقفز أيتها الحولاء؟»  
 - «لقد فعلت الأمرين يا شاي؛ ذهبت إلى هناك وفعلت هذا، حتى قبل أن ألتقي بك. وأنتِ صاحبة هذه الفكرة المذهلة.»  
 تحول تجهم شاي إلى ابتسامة وقالت: «إنها فكرة مذهلة، أليست كذلك؟»  
 - «لن يعرفوا أبداً من ضربهم.»

انتظرت تالي وشاي حتى صار كل القبحاء الجدد في المكتبة، متفرقين حول طاولات العمل لمشاهدة فيديو حول التوجيهات. واستلقت تالي وشاي على بطنيهما في الطابق العلوي المكون من الرفوف التي رصت عليها الكتب الورقية القديمة التي تعلوها الأتربة، وظلتا تحدقان إلى أسفل نحو مجموعة القبحاء عبر الدرابزين. وانتظرتا حتى يهدئ قائد الجولة الضجة التي أحدثها القبحاء الثرثارون.  
 قالت شاي وهي ترسم زوجاً من الحواجب السوداء العريضة فوق حاجبيها: «يكاد الأمر يكون غاية في السهولة.»

- «غاية في السهولة لك، فسوف تكونين خارج الباب قبل أن يعرف أي شخص ما الذي حدث. أما أنا فعلياً أن أنزل درج السلم بأكمله.»  
 - «وماذا في ذلك يا تالي؟ ماذا عساهم أن يفعلوا بنا إذا أمسكوا بنا؟»  
 هزت تالي منكبيها وقالت: «أنتِ على حق.» لكنها ارتدت على كل حال شعرها المستعار ذا اللون البني الفاتح.

على مدار فصل الصيف، حينما بلغت آخر مجموعة قليلة من الراشدين سن السادسة عشرة وصاروا حساناً، ازدادت الحيل سوءاً أكثر فأكثر، لكن لم يبد أن أحدهم قد عُوقب مطلقاً. لقد بدا الوعد الذي قطعته تالي لبيريس وكأنه منذ زمن سحيق، وحالما تصير جميلة، فلن يكون لأي شيء فعلته خلال شهرها الأخير في العنبر أي أهمية. لقد كانت تالي قلقة من أن تترك كل هذا وراءها، دون خاتمة متميزة.  
 وبينما شغل بيريس تفكيرها، لصقت تالي أنفاً بلاستيكيّاً كبيراً على وجهها. وكانت تالي وشاي قد أغارتا الليلة الماضية على حجرة التمثيل الملحقة بعنبر شاي وأخذتا كل ما طالته أيديهما من أدوات تنكر. سألت تالي: «هل أنت مستعدة؟» ثم أخذت تضحك على صوت الخنة الذي أضفاه الأنف المستعار على صوتها.

ردت شاي: «انتظري قليلاً»، ثم سحبت كتاباً ضخماً كبيراً من الرف وقالت: «حسنًا، حان وقت العرض.»

نهضت تالي وشاي معًا.

صرخت تالي في وجه شاي وقالت: «أعطني هذا الكتاب! إنه كتابي!»  
 شعرت تالي بالصمت الذي ساد بين القباء أسفلهما، وكان عليها أن تقاوم  
 رغبتها في النظر إلى أسفل لترى وجوه القباء الملتفتة إلى أعلى تجاه الصوت.  
 ردت شاي: «مستحيل، يا صاحبة أنف الخنزير! لقد أخذته أولاً.»  
 - «أتمزحين أيتها السمينة؟ أنت حتى لا تجيدين القراءة!»  
 - «حقًا؟ حسنًا، اقرئي هذه!»

صوبت شاي الكتاب ناحية تالي التي أحنث رأسها لتفاديها. وأمسكت تالي  
 بالكتاب ثم التفتت للخلف قابضة بقوة على ساعدي شاي المرفوعين، فارتدت شاي  
 للوراء على أثر القبضة لتتدحرج فوق الدرابزين.

مالت تالي إلى الأمام فاعرة العينين لتشاهد شاي وهي تسقط إلى أسفل نحو  
 الطابق الرئيسي بالمكتبة لتتدحرج على درج ثلاثة طوابق إلى أسفل. صرخ القباء  
 الجدد في صوت واحد متفرقين بعيدًا عن الجسم الذي هبط ناحيتهم على حين غرة.  
 ولم تنقض سوى ثانية واحدة، بعدها قامت السترة المطاطية بعملها، فقفزت  
 شاي إلى أعلى في الهواء، منفجرة في الضحك ضحكًا هستيريًا بأعلى صوتها. انتظرت  
 تالي لحظة أخرى، وهي تشاهد فزع القباء الذي تحول إلى حيرة، إذ ارتدت شاي  
 مرة أخرى، ثم عدلت وضعها على إحدى الطاومات لتتجه بعد ذلك إلى الباب.  
 ألقت تالي بالكتاب على الأرض ثم اندفعت بسرعة على السلالم، قافزة إلى أعلى  
 في الهواء في كل مرة حتى وصلت إلى الباب الخلفي للعنبر.

- «لقد كان أمرًا رائعًا!»

- «هل رأيت وجوههم؟»

قالت شاي: «في الواقع لا، لقد كنت منهمكة في مشاهدة الأرضية التي تقترب

مني.»

- «أجل، أتذكر هذا الأمر حينما قفزت من السطح. هذا يسترعي الانتباه حقًا.»

- «بما أننا نتحدث عن الوجوه، لقد راققت لي الأنف.»

ضحكت تالي، وهي تنزع الأنف عنها وقالت: «أجل، لا معنى لأن تصبحي أقبح

من المعتاد.»

عبس وجه شاي، ومسحت أحد حاجبيها ثم نظرت إلى تالي بحدة وقالت: «أنتِ لست قبيحة.»

– «أنتِ تعرفين أن ما تقولينه غير صحيح يا شاي.»

– «لا، أنا أعني ما أقول.» ثم مدت يدها ناحية تالي ولمست أنفها الحقيقية وقالت: «لك صورة جانبية رائعة.»

قالت تالي: «لا تكوني غريبة الأطوار يا شاي، أنا قبيحة وأنتِ قبيحة. وسنظل قبحاء مدة أسبوعين آخرين. وليست هذه المدة بالشأن الكبير.» ثم ضحكت واسترسلت قائلة: «أنتِ على سبيل المثال، لديك حاجب كبير وآخر صغير.»

شردت شاي بنظرها بعيدًا وهي تزيل باقي الأدوات التنكرية في سكون. وفي تلك الأثناء كانت تالي وشاي مختبئتين في غرف تغيير الملابس الموجودة إلى جانب الشاطئ الرملي، حيث تركتا خاتمي الاتصال ومجموعة ملابس إضافية، بحيث إذا استجوبهما أي شخص، فستقولان إنهما كانتا تسبحان طوال الوقت. لقد كانت السباحة خدعة بارعة، فهي تخفي درجة حرارة الجسم، وتتيح لهما تغيير الملابس، وكذلك كانت عذرًا مثاليًا لعدم ارتداء خاتم الاتصال. فالنهر يمحو كل الجرائم.

بعد دقيقة قفزتا في الماء، لتغرقا أدوات التنكر في الماء. أما السترة المطاطية فكانتا سترجعانها إلى الطابق الأرضي بمدرسة الفنون في تلك الليلة.

وما إن أصبحتا على سطح الماء قالت شاي: «أنا جادة يا تالي، أنفك ليست قبيحة، وأنا معجبة أيضًا بعينيك.»

– «عيناي؟ لقد جن جنونك تمامًا؛ فهما قريبتان جدًا إحداهما من الأخرى.»

– «من قال هذا؟»

– «علم الأحياء.»

ألقت شاي حفنة من الماء على وجه تالي وقالت: «أنتِ لا تعتقدين في كل هذا الهراء، ولا تعتقدين أن ثمة طريقة واحدة للنظر إلى الأشياء، والجميع مبرمجون لأن يتفقوا عليها، أليس كذلك؟»

– «الأمر لا يتعلق بالاعتقاد يا شاي، كما تعلمين. لقد رأيت كيف يبدو الحسان.

إنهم يبدوون ... بمظهر جميل.»

– «جميعهم متشابهون.»

– «لطالما كنت أعتقد ذلك أيضًا. لكن عندما كنا نذهب أنا وبيريس إلى المدينة،

كنا نرى الكثير منهم، وأدركنا أن الحسان يبدوون مختلفين. هم يبدوون على ما هم

عليه، كل ما هنالك أن ثمة الكثير من الاختلافات الطفيفة للغاية بينهم، لأنهم ليسوا جميعًا غربيي الخلقه.»

– «نحن لسنا غربيي الخلقه يا تالي، نحن طبيعيون. قد لا نكون فائقي الجمال، لكننا على الأقل لسنا عرائس باربي المشهورة.»

– «ما هذه العرائس؟»

شردت شاي بنظرها بعيدًا وقالت: «إنها عرائس أخبرني عنها ديفيد.»

– «رائع، ديفيد مجددًا.» اندفعت تالي بعيدًا عنها ثم سبحت على سطح الماء على ظهرها، شاخصة بنظرها إلى السماء، متمنية أن ينتهي هذا الحديث. فلقد ذهبنا إلى الأطلال خارج المدينة مرات معدودة أخرى، وكل مرة كانت شاي تصر على إطلاق إشارة ضوئية، لكن ديفيد لم يترأى لهما قط. فالأمر برمته كان يسبب لتالي الرعب والتوتر، إذ كانت تنتظر في المدينة الخربة مجيء شخص يبدو أنه لا وجود له. لقد كان رائعًا لها اكتشاف المكان بالخارج هناك، لكن هوس شاي بديفيد بدأ يثير غضبها.

قالت شاي: «إنه حقيقي، لقد التقيت به أكثر من مرة.»

– «حسنًا يا شاي. ديفيد حقيقة مثله مثل القبح، فلا يمكنك أن تغيري هذه الحقيقة بالتمني فقط، أو بإخبار نفسك بأنك جميلة، ولهذا السبب اخترعوا عملية التجميل.»

– «لكنها خدعة يا تالي، أنتِ لم تري سوى وجوه جميلة طوال حياتك؛ لم تري سوى والديك، ومدرسيك، وكل من تجاوزوا السادسة عشرة من عمرهم، لكنكِ لم تأتي إلى هذا العالم تتوقعين هذا النوع من الجمال في الجميع طوال الوقت، كل ما هنالك هو أنكِ برمجت على التفكير في أن أي شيء آخر فيما خلا ذلك هو شيء قبيح.»

– «إن الأمر ليس برمجة، لكنه رد فعل طبيعي فقط، والأهم من ذلك هو العدل. ففي الماضي كان كل شيء عشوائيًا، فبعض الناس كانوا يتحلون بقليل من الجمال، ويظل معظم الناس قبحاء طوال عمرهم. أما الآن فالجميع قبحاء ... إلى أن يصيروا حسانًا. ما من خاسرين.»

صمتت شاي لحظة ثم قالت: «بل هناك من يخسرون يا تالي.»

ارتجفت تالي، فالجميع يعرفون فئة «قبحاء إلى الأبد»، وهي قلة من الناس لم تفلح معها العملية. ومثل هؤلاء القبحاء لا يراهم أحد في الجوار كثيرًا، ومع أنه يُسمح لهم بأن يكونوا بين الناس، فإن معظمهم يؤثرون التواري عن الأنتظار، من



منهم عساه أن يفعل غير هذا؟ ومع أن القبيح لا يفارق القبحاء الصغار، فإنهم صغار على الأقل. أما القبحاء الكبار، فأمرهم لا يصدق.

قالت تالي: «هل هذا هو السبب؟ أيساورك القلق من فشل العملية؟ هذا أمر سخيف يا شاي. فأنت لست غريبة الخلقه. بعد أسبوعين ستصيرين حسناء كالباقيين.»  
- «لا أود أن أصير حسناء.»

تنهدت تالي: «ها هو الأمر يتكرر.»

أردفت شاي قائلة: «لقد سئمت هذه المدينة، وسئمت قوانينها وحدودها. وآخر شيء أوده هو أن أكون حسناء جديدة تافهة، تقضي يومها كله في حفل واحد.»  
- «كفى يا شاي، إنهم يفعلون كل الأشياء التي نفعلها، فهم يقفزون بالسترات المطاطية، ويطيرون، ويلعبون بالألعاب النارية. والاختلاف الوحيد هو أنهم لا يتسللون.»

- «هم لا يتمتعون بالمخيلة التي تجعلهم يتسللون.»

قالت تالي بحدة: «استمعي إلي أيتها العجفاء، أنا أوافقك الرأي، فتدبير الخدع أمر رائع! هل اتفقنا؟ وخرق القواعد أمر ممتع! لكن في آخر المطاف، عليك أن تفعلي شيئاً ما إلى جانب كونك قبيحة صغيرة ماهرة.»

- «كأن تصبحين حسناء تافهة مملة؟»

- «لا، كأن تصيرين راشدة. هل سبق وأن خطر ببالك أنه عندما تصيرين حسناء، قد لا تحتاجين إلى أن تقومي بأي خدع وتعبثي بالأشياء؟ ربما فقط كوننا قبحاء هو ما يجعل بدوره القبحاء يتصارعون وينتقد بعضهم بعضاً لأنهم غير سعداء بحالهم. حسناً، أنا أود أن أكون سعيدة، والخطوة الأولى لتحقيق هذه السعادة هي أن أبدي كإنسانة حقيقية.»

- «لست أخشى أن أبدي على ما أنا عليه يا تالي.»

- «ربما هذا هو الحال معك، لكنك تخشين أن تنضجين!»

لم تنبس شاي ببنت شفة. وسبحت تالي على سطح المياه في صمت، شاخصة ببصرها نحو السماء، عاجزة عن أن ترى السحب من شدة غضبها. لقد أرادت أن تصبح حسناء، وترى بيريس مرة أخرى. لقد بدا الأمر وكأنه مر دهر من الزمان منذ أن تحدثت إليه، أو إلى أي شخص آخر فيما خلا شاي. لقد سئمت القبيح برمته، وأرادت فقط أن تنتهي تلك المرحلة.

بعد دقيقة سمعت صوت شاي وهي تسبح نحو الشاطئ.



## الخدعة الأخيرة

لقد كان أمرًا غريبًا أن تشعر تالي بالحزن، لكن تالي لم تستطع أن تمنع نفسها عن هذا الشعور؛ إذ علمت أنها ستفتقد المنظر الذي تطل عليه هذه النافذة.

لقد قضت السنوات الأربع الأخيرة في النظر إلى مدينة نيو برتي تاون، لا تتمنى شيئًا سوى أن تعبر النهر إلى حيث نيو برتي تاون ولا تعود مرة أخرى. ربما كان هذا ما استهوأها للخروج عبر النافذة مرات كثيرة جدًا، لتتعلم كل خدعة ممكنة كي تتسلل بالقرب من الحسان الجدد، ولتلتصص على الحياة التي ستنعم بها آخر المطاف.

لكن الآن، حين لم يتبق على العملية سوى أسبوع واحد فحسب، بدا الوقت وكأنه يمر بسرعة جدًا. أحيانًا كانت تالي تتمنى أن يجروا لها العملية بالتدريج؛ فيصلحون عينها الحولاء أولًا، ثم شفيتها، وأن تعبر النهر على مراحل. وبتلك الطريقة لن تضطر أن تنظر إلى نفسها في النافذة وتحزن، لأنها لن ترى هذا المنظر مجددًا.

ودون تواجد شاي حولها بدت الحياة ناقصة، بل أمضت شاي نفسها الكثير من الوقت هنا جالسة على فراشها تحديق في نيو برتي تاون.

بالطبع لم يكن هناك الكثير الذي يمكن لتالي أن تفعله هذه الأيام. لقد كان جميع قاطني العنبر الآن أصغر من تالي، وكانت قد علّمت بالفعل القبحاء في الفصل التالي أفضل ما في جعبتها من خدع. وشاهدت كل فيلم سبق أن عرضته شاشة الجدار في عنبرها لما يقرب من عشر مرات، حتى وصلت إلى بعض الأفلام القديمة غير الملونة الناطقة باللغة الإنجليزية التي استطاعت بالكاد أن تفهمها. ولم يكن هناك من أحد لتذهب معه إلى الحفلات الموسيقية، وكانت المباريات الرياضية للعنبر مملة لأن يقع اختيارها عليها الآن؛ إذ إنها لم تعرف أيًا من أفراد الفرق. وكان جميع القبحاء الآخرين ينظرون إليها نظرة حاقدة، لكن أحدًا لم ير أن هناك فائدة كبيرة

من تكوين صداقة معها. ربما كان من الأفضل أن تُجرى لها العملية في الحال. وكانت تتمنى خلال ما تبقى لها من الوقت أن يخطفها الأطباء في منتصف الليل ويجروا العملية لها. لقد كانت تتخيل أشياء أسوأ كثيراً من أن تستيقظ لتجد نفسها حسناء في صباح أحد الأيام. وقد ذكروا لها في المدرسة أنه صار بإمكانهم الآن أن يجروا العملية بنجاح في سن الخامسة عشرة، والانتظار حتى سن السادسة عشرة من العمر كان تقليدًا قديمًا أحمق.

لكنه تقليد لم يعترض عليه أحد، باستثناء القباء المؤقتين. لذا تبقى لتالي أسبوع لتمضيه بمفردها منتظرة إجراء العملية.

ولم تكن شاي قد تحدثت إليها منذ العراك الكبير الذي وقع بينهما. وحاولت تالي أن تبعث إليها برسالة، ولكن إعدادها لها على الشاشة جعلها تستشيط غضبًا مرة أخرى. ولم يبد منطقياً أن تعمل على حل نزاعهما الآن؛ فما إن تصيرا من الحسان، فلن يعد هناك ما تتجادلان حوله. وحتى إن ظلت شاي تحمل لها ضغينة في قلبها، فسيكون هناك دومًا بريس وكل أصدقائهما القدامى، منتظرين إياها على الضفة الأخرى من النهر بعيونهم الواسعة وابتساماتهم الرائعة.

ومع ذلك انشغلت تالي فترة طويلة من الوقت بالتفكير في الشكل الذي ستكون عليه شاي بعدما تصير حسناء. فجسدها النحيل سوف يزداد وزنًا، ولن تشوب شفيتها المثلثتين بالفعل أي شائبة، ولن يعد هناك ذكر لأظافرها المتجعدة. وربما سيكسبون عينيها درجة أكثر كثافة من اللون الأخضر، أو ربما سيكسبون لونها من الألوان الأكثر حداثة، كاللون البنفسجي أو الفضي أو الذهبي.

«أيتها الحولاء!»

انتفضت تالي من مكانها حينما سمعت هذا الصوت الهامس. وحملت في الظلام فرأت جسمًا يندفع نحوها عبر عوارض سطح العنبر. انفجرت أسارير تالي وصاحت:

«شاي!»

توقفت شاي لحظة.

ولم تكلف تالي نفسها عناء الهمس وقالت بنبرة صوتها العادية: «لا تقفي هناك، تعالي أيتها الحمقاء!»

تقدمت شاي ببطء نحو النافذة، وهي تضحك في حين أخذت تالي تحضنها حضنًا دافئًا قويًا تملؤه البهجة. تراجعوا إلى الوراء وهما لا تزالان متشابكتي الأيدي. وللحظة بدا وجه شاي القبيح رائعًا.

– «أنا مسرورة للغاية لرؤيتك.»

– «وأنا أيضًا يا تالي.»

– «لقد افتقدتك. لقد أردت أن أعتذر، أنا آسفة على ...»

قاطعتها شاي: «لا، لقد كنتِ على حق، لقد دفعتني دفعًا إلى التفكير، وكنت قد عزمت على أن أكتب إليك، لكن الأمر كله كان ...» وبعدها تنهدت شاي.

أومأت تالي برأسها وهي تضغط بحنو على يدي شاي: «أجل، لقد كان سيئًا.» ووقفت تالي وشاي في سكون لحظة، ثم نظرت تالي إلى صديقتها ثم إلى النافذة، وفجأة لم يبد منظر نيو برتي تاون كثيبًا، بل بدا مشرقًا وجذابًا، وكأن كل التردد الذي كان قد اعترها قد نفذ. تساءلت تالي: «شاي؟»

– «ماذا؟»

– «دعينا نذهب الليلة إلى مكان ما، ونقوم بخدعة كبيرة.»

ضحكت شاي وقالت: «كنت أتمنى أن تذكرني هذا الأمر.»

انتبهت تالي إلى الملابس التي كانت ترتديها شاي، لقد كانت ترتدي ملابس تنم عن أنها تدبر لخدعة خطيرة: فملابسها كلها كانت سوداء، وشعرها كان مشدودًا بإحكام إلى الخلف، وتدلّت حقيبة ظهر على أحد كتفيها. ابتسمت تالي ابتسامة عريضة وقالت: «أرى أنك أعددت خطة بالفعل، رائع.»

قالت شاي برفق: «أجل، لقد أعددت خطة.»

سارت شاي نحو فراش تالي وهي تنزع الحقيبة من على كتفها. ورافق خطواتها صوت صرير حاد صدر عن حذائها، فابتسمت تالي عندما رأت أنها ترتدي حذاءً مانعًا للانزلاق. فلم تعتل تالي أي لوح طائر منذ عدة أيام؛ إذ يشق على المرء أن يطير وحده ولن يحظى بالمتعة كاملة.

أفرغت شاي محتويات الحقيبة على الفراش وأشارت قائلة: «جهاز لتحديد المواقع، وأعواد ثقاب، وجهاز لتنقية المياه.» ثم التقطت لفافتين لامعتين بحجم الساندويتش وقالت: «هاتان تصيران حقائب للنوم وهما شديدا الدفاء من الداخل.»

تعجبت تالي قائلة: «حقائب نوم، ومنقي مياه؟ حتمًا هذه خدعة مريعة تمتد بضعة أيام. هل سنذهب إلى أقاصي البحر أو ما إلى ذلك؟»

هزت شاي رأسها وقالت: «بل أبعد من ذلك.»

– «آه، جيد.» وبينما احتفظت تالي بابتسامتها على شفيتها أردفت قائلة: «لكن

لم يتبق سوى ستة أيام فحسب على إجراء العملية.»

- «أعلم يوم العملية بالتحديد.» ثم فتحت حقيبة مصنوعة من مادة مضادة للماء وأفرغت محتوياتها إلى جانب المحتويات الأخرى وقالت: «هذا طعام مجفف يكفي أسبوعين. كل ما عليك هو أن تضعي أيًا منه في جهاز التنقية ثم تضيفي الماء. أي نوع من الماء.» قهقهت شاي وتابعت حديثها: «ويعمل جهاز التنقية جيدًا، فيمكنك حتى أن تتبولي فيه.»

جلست تالي على الفراش لتقرأ البطاقات الملصقة على عبوات الطعام وتساءلت قائلة: «أسبوعان؟»

ردت شاي باهتمام: «يكفي فردين مدة أسبوعين، أو يكفي فردًا واحدًا مدة أربعة أسابيع.»

لم تنبس تالي ببنت شفة. وفجأة لم تستطع أن تنظر إلى الأشياء المطروحة على الفراش أو حتى إلى شاي، وشخصت ببصرها عبر النافذة إلى نيو برتي تاون حيث بدأ إطلاق الألعاب النارية.

قالت شاي: «لكن الأمر لن يستغرق أسبوعين يا تالي. بل أقل بكثير.»

لاحت سحابة من وهج الألعاب النارية ذي اللون الأحمر في وسط المدينة، وبدأت شرارات الألعاب النارية تتساقط إلى أسفل في السماء كالأوراق المتساقطة لشجرة صفصاف ضخمة. سألت تالي: «ما هذا الذي لن يستغرق أسبوعين؟»

- «الذهاب إلى حيث يقطن ديفيد.»

أومأت تالي برأسها وأغمضت عينيها.

- «ليس الحال هناك مثل هنا يا تالي. إنهم لا يصنفون الناس إلى قبحاء وحسان، والحسان إلى حسان جدد وشبان وكبار. ويمكنك أن تغادري مدينتهم متى شئت، وتذهبي حيثما تريدين.»

- «إلى أين أذهب مثلًا؟»

- «إلى أي مكان، الأطلال، الغابة، البحر. علاوة على أنك ... لست مضطرة أبدًا

للخضوع لعملية التجميل.»

- «لن أضطر إلى ماذا؟»

جلست شاي إلى جانبها، ولمست وجنتها بإصبعها، ففتحت تالي عينيها. قالت شاي: «لسنا مضطرين أن نبدو كالجميع ونسلك مسلك الآخرين. أمامنا فرصة للاختيار، يمكننا أن نشب على الطريقة التي نريدها.»

ازدردت تالي ريقها، وشعرت بأنها عاجزة تمامًا عن الحديث، لكنها كانت تعلم أن عليها أن تقول شيئًا ما. فأجبرت الكلمات على الخروج من حلقها الجاف: «لن أصير حسناء؟ هذا جنون يا شاي، لقد دأبت طوال الوقت على التحدث بمثل هذه الطريقة، وما ظننتك إلا حمقاء. لقد كان بيريس يقول الشيء نفسه.»

– «ما كنت إلا حمقاء! لكنك عندما قلت لي إنني أخشى أن أنضح، دفعتني حقًا إلى التفكير.»

– «أنا دفعتك إلى التفكير؟»

– «لقد جعلتني أدرك كم كنت شديدة الحمق. ويجدر بي أن أخبرك بسر آخر

يا تالي.»

تنهدت تالي: «حسنًا، أظن أن الأمور لا يمكن أن تصل إلى ما هو أسوأ من ذلك.»

– «إن الأمر يتعلق بأصدقائي الذي يكبرونني، أولئك الذين كنت أتسكع معهم

قبل أن أقابلك، فلم ينته بهم الحال جميعهم إلى أن صاروا حسانًا.»

– «ماذا تقصدين؟»

– «البعض منهم هربوا، مثلما أفعل الآن، مثلما أريد أن نفعل نحن الاثنين.»

نظرت تالي إلى عيني شاي، بحثًا عن أي أمانة تشير إلى أن الأمر برمته ليس

إلا مزاحًا، بيد أن النظرة الحادة المرتسمة على وجه صديقتها شاي ظلت حاسمة.

لقد بدت غاية في الجدية.

حينئذ تساءلت تالي قائلة: «أتعرفين أحدًا هرب فعلاً؟»

أومأت شاي برأسها إيجابًا وقالت: «وكان من المفترض أن أفعل أنا أيضًا ذلك.

لقد دبرنا للأمر برمته قبل أن يبلغ أول شخص بيننا السادسة عشرة من العمر

بأسبوع تقريبًا. لقد سرقنا بالفعل معدات النجاة، وأخبرنا ديفيد بأننا قادمون، كان

هذا منذ أربعة أشهر.»

– «لكنك لم تفعلي...»

– «البعض منا فعل، لكنني تراجعته من شدة الخوف.» ثم ألقت شاي نظرة إلى

خارج النافذة وقالت: «ولم أكن الوحيدة التي تراجعته، لقد مكث اثنان منا وصارا

من الحسان. وربما كنت سأصير أنا أيضًا مثلهما، لولا أن قابلتك.»

– «أنا؟»

– «فجأة لم أعد وحيدة. ولم أعد خائفة من الرجوع إلى الأطلال للبحث عن

ديفيد مرة أخرى.»

قالت تالي: «لكننا لم...» ثم طرفت تالي بعينيها وتابعت حديثها: «لقد عثرت عليه أخيراً، أليس كذلك؟»

– «منذ يومين فقط. لقد كنت أذهب كل ليلة منذ... أن تشاجرنا. بعد أن قلت لي إنني أخشى أن أنضح، أدركت أنك كنتِ على حق. لقد تراجعت مرة من شدة الخوف، لكن لا يجدر بي أن أتراجع ثانية.»  
أمسكت شاي بيد تالي وانتظرت إلى أن تلاقت عيناها وقالت: «أريدك أن تأتي معي يا تالي.»

قالت تالي دون تفكير: «لا.» ثم هزت رأسها وقالت: «انتظري، لماذا لم تخبريني بأي من هذا من قبل؟»

– «لقد أردت ذلك، غير أنني خشيت أن تظني أنني مجنونة.»  
– «أنت مجنونة!»

– «ربما، لكن ليس على هذا النحو. لهذا السبب أردتِ أن تلتقي بديفيد حتى تعرفي أن الأمر كله ليس من نسج خيالي.»

– «إن الأمر لا يبدو حقيقياً، أقصد ما هذا المكان الذي تتحدثين عنه؟»  
– «إنه مكان يُطلق عليه «الضباب.» هو ليس بمدينة، ولا يحكمه أحد. ولا يوجد به حسان.»

– «إنه يبدو مثل الكابوس. وكيف تصلين إلى هناك، سيراً على الأقدام؟»  
ضحكت شاي وقالت: «أتمزحين؟ بالطبع عن طريق الألواح الطائرة كالمعتاد. هناك ألواح تطير مسافات طويلة، يُعاد شحنها بالطاقة الشمسية، وكل الطرق مصممة بحيث تتبع الأنهار وما إلى ذلك من مسطحات مائية. وديفيد يفعل هذا طوال الوقت ويصل إلى حيث تقع الأطلال. وسوف يأخذنا إلى منطقة الضباب.»

– «لكن كيف يحيا الناس هناك يا شاي؟ هل يعيشون مثل سكان العصر القديم؟ يحرقون الأشجار للحصول على الحرارة، ويدفنون نفاياتهم في كل مكان؟ من الخطأ أن يعيش المرء في الطبيعة، إلا إذا رغب في أن يعيش كالحيوان.»

هزت شاي رأسها وتنهدت وقالت: «هذا هو الهراء الذي يعلموننا إياه في المدرسة يا تالي. فهم لا يزالون يتمتعون بعناصر التكنولوجيا الحديثة، وهم ليسوا كسكان العصر القديم، يحرقون الأشجار وما إلى ذلك. كل ما هنالك أنهم لا يقيمون حواجز بينهم وبين الطبيعة.»

– «والجميع قبحاء.»



- «وهذا يعني أن ما من أحد قبيح.»

تمكنت تالي من أن تضحك بالكاد: «وهو ما يعني أن ما من أحد جميل، أليس هذا ما تقصدينه؟»

جلستا في سكون. وشاهدت تالي الألعاب النارية، شاعرة أنها أصبحت في حال أسوأ بكثير مما كانت عليه قبل أن تطل شاي من النافذة. وأخيراً تفوهت شاي بالكلمات التي كانت تشغل بال تالي: «سأخسرِك، أليس كذلك؟»

- «أنتِ من اتخذ قرار الفرار بعيداً.»

ضربت شاي ركبتيها بقبضتي يديها وقالت: «إنها غلطتي، كان يجدر بي أن أخبرِك بذلك من قبل. لو كنتُ قد أعطيتك المزيد من الوقت لتعتادي الفكرة، ربما ...»

- «أنا لن أعتاد الفكرة أبداً يا شاي. لا أود أن أكون دميمة طوال عمري، فأنا أريد أن أحظى بالعينين والشففتين اللتين لا تشوبهما شائبة، أريد أن ينظر إليّ الجميع بأعين منبهة. أريد أن يتساءل كل من يراني قائلاً من هي؟ ويريد أن يتعرف إليّ ويستمع إلى ما أقوله.»

قالت شاي: «سيكون لدي ما أقوله.»

ردت تالي: «مثل ماذا؟» «لقد اصطدت ذئباً اليوم وتناولته؟»

قهقهت شاي: «الناس لا يأكلون الذئب يا تالي، لكن يأكلون الأرناب — على ما أظن — والغزلان.»

- «يا له من أمر منفر. شكراً على التصوير الحي يا شاي.»

- «أعتقد أنني سأعيش على النباتات والأسماك، لكن الأمر لا يقتصر فقط على التخميم بالخارج يا تالي. الأمر هو أن أكون حسبما أريد أن أكون، وليس مثل ما يراه عدد من الجراحين واجباً.»

- «ستظلين محتفظة بذاتك داخلِك يا شاي، لكن حينما تصيرين حسناء سيعيرك الناس المزيد من الاهتمام.»

- «لا يفكر الجميع بهذه الطريقة.»

- «هل أنتِ متيقنة من ذلك؟ من أنه بمقدورك أن تهزمي التطور بأن تكوني ذكية أو ممتعة؟ لأنك إن كنتِ مخطئة ... وإن لم تعودي في سن العشرين، فلن تنجح العملية حينها أيضاً. ستبدين مخطئة إلى الأبد.»

- «لن أعود إلى الأبد.»

بدا صوت تالي مكتومًا، لكنها أرغمت نفسها على أن تقولها: «وأنا لن أذهب.»

ودعت كل منهما الأخرى تحت السد.

وكان لوح شاي الطائر طويل المدى أكثر سمكًا يتلألاً بوميض أسطح الخلايا الشمسية الصغيرة التي تعلوه. وأخفت أيضًا تحت الجسر معطفاً ثقيلاً للتدفئة وقبعة. فخمنت تالي أن الشتاء في منطقة الضباب قارس البرودة، وباعث على البؤس. لم تصدق تالي أن صديقها سترحل حقًا.

قالت تالي: «يمكنك دائمًا الرجوع، إذا وجدت الأمر سيئًا.»

هزت شاي منكبيها: «لم يفعل أي من أصدقائي هذا.»

دب الخوف في نفس تالي عند سماعها هذه الكلمات، فقد كانت تستطيع أن تفكر في أسباب كثيرة يمكن أن تعلل عدم رجوع أحدهم. قالت تالي: «كوني حذرة يا شاي.»

- «وأنتِ أيضًا. أنتِ لن تخبري أحدًا بهذا الشأن، أليس كذلك؟»

- «لن أفعل أبدًا يا شاي.»

- «أتقسمين على ذلك؟ مهما كلفك الأمر؟»

رفعت تالي يدها ذات الندب وقالت: «أقسم لك.»

ابتسمت شاي وقالت: «أعلم ذلك، لكن كان عليّ أن أسأل فحسب مرة أخرى قبل أن ...» أخرجت شاي ورقة وأعطتها لتالي.

- «ما هذا؟» فتحت تالي الورقة ورأت حروفًا مكتوبة بخط رديء، فسألتها:

«متى تعلمتِ الكتابة باليد؟»

- «لقد تعلمنا الكتابة جميعًا عندما كنا نخطط للرحيل. إنها فكرة جيدة إذا

أردتِ ألا تستطيع أجهزة الإشراف أن تتلصص على مذكراتك. على كل حال، هذه لك. لا يُفترض أن أترك أي شيء مكتوب يشير إلى المكان الذي سأذهب إليه، لذا هذه الورقة مشفرة إلى حد ما.»

قطبت تالي جبينها، وهي تقرأ السطر الأول من الكلمات المائلة: «اتجهي نحو

الملاهي وراء الفجوة مباشرة؟»

- «بلي، هل فهمت؟ أنتِ الوحيدة التي بمقدورها أن تعرف فحواها، في حال

إذا عثر عليها أحد. أقصد في حالة إن أردت في أي وقت أن تتبعيني.»

همت تالي بالتحدث، لكنها لم تستطع، فهزت رأسها بالكاد.

قالت شاي: «فقط في حالة إن أردت..»

قفزت شاي على لوحها وطقطقت أصابعها، وأحكمت وضع حقيبة ظهرها على

منكبيها. قالت: «الوداع يا تالي.»

- «الوداع يا شاي. أتمنى ...»

انتظرت شاي، وهي تتمايل قليلاً مع ريح شهر سبتمبر/أيلول الباردة، فيما

حاولت تالي أن تتخيل شاي وقد تقدمت في العمر؛ وكست التجاعيد وجهها، وضمـر

جسمها بالتدريج، دون أن يمسهـا الجمال حقاً، ولم تتعلم قط كيف تُحسن الاعتناء

بمظهرها حسبما ينبغي، أو كيف تتصرف في حفلات الرقص الرسمية. ولم يتسن

لها أن تأسر أحدهم عندما ينظر في عينيها وينبهر بهما بسهولة.

- «أتمنى أن أرى كيف ستبدين، أقصد حسناء.»

قالت شاي: «أظن أنه سيكون عليك أن تتذكرين على الدوام وجهي على هذا

الحال فحسب.»

بعدها استدارت شاي وطار لوحها الطائر بعيداً نحو النهر، أما كلمات تالي

التالية، فقد بددها خريـر الماء.



## الفصل الثاني عشر

# عملية التجميل

عندما حان يوم إجراء عملية التجميل، انتظرت تالي بمفردها وصول العربة. وغداً عندما تنتهي العملية تماماً، سيكون والداها بانتظارها خارج المستشفى، وكذلك بيريس وأصدقائها الآخرون الذين يكبرونها. ذلك هذا هو التقليد المتبع. لكن من الغريب أنه لم يكن هناك أحد ليودعها في يومها الأخير بالعنبر. لم يودعها أحد باستثناء بعض القبحاء القلائل الذين مروا بها. وكانوا قد بدوا غاية في الصغر في نظرها، لا سيما طالبة الصف الدراسي الجديد الذين وصلوا منذ لحظات، والذين حملقوا فيها ببلاهة وكأنها كومة كبيرة من عظام الديناصورات.

فمع أنها كانت تحب دوماً أن تكون مستقلة، فإنها كانت تشعر الآن وكأنها الفتاة الصغيرة الأخيرة التي سيصطحبها أحدهم من المدرسة، مهجورة ووحيدة. وكان شهر سبتمبر/أيلول شهراً بغيضاً كي يولد فيه أحد.

– «أنتِ تالي، أليس كذلك؟»

رفعت تالي عينيها فرأت أحد القبحاء الجدد، وقد بدا طويلاً على نحو غير مألوف، يسير مرتدياً زي العنبر وكان ضيقاً جداً بالفعل.

أجابته تالي: «بلى..»

– «ألسنتِ أنتِ من ستتحول إلى حسناء اليوم؟»

– «نعم أنا أيها القزم.»

– «إذن لم تبدين في غاية الحزن؟»

هزت تالي منكبيها. فكيف يمكن لمثل هذا الفتى شبه الصغير وشبه القبيح أن يدرك الأمر، على أي حال؟ لقد كانت تفكر فيما قالته شاي عن العملية. وكانوا بالأمس قد قدروا القياسات النهائية لها، إذ دخلت بجسمها كله داخل أنبوب الفحص. أيجدر بها أن تخبر ذاك القبيح الجديد أنه في وقت ما من هذا

المساء سيُفتح جسدها؛ وتُبرى العظام إلى أن تأخذ الشكل الصحيح، بعض منها ستجرى إطالته أو تبطينه؛ وسيُستبدل غضروف أنفها وعظام وجنتيها بمكونات بلاستيكية قابلة للبرمجة؛ وستجرى صنفرة للبشرة ويُعاد بذر خلاياها مثل ملعب كرة القدم في الربيع؟ هل تخبره بأن عينيها سوف تُشق بالليزر لكي تحصل على رؤية ثاقبة مدى الحياة، وأنه سوف تُغرس أنسجة صناعية عاكسة تحت قزحية العين كي تضيء رتوشًا ذهبية براقه على لونها البني الفاتر؟ هل تخبره أيضًا أن عضلاتها ستُعدل بعد الاستئصال الكهربائي، وأنه ستُشفط أيضًا الدهون الطفولية بلا رجعة؟ وستستبدل أسنانها بأخرى مصنوعة من الخزف تماثل في قوتها قوة جناح الطائرة، وبيضاء كبياض الخزف الصيني الفاخر الذي كان مستخدمًا في العنبر؟

لقد قيل إن العملية لا تؤلم، فيما خلا البشرة الجديدة التي سيشعر صاحبها على مدار أسبوعين بألم وكأنه يعاني من سفعة شمس حارقة. وبينما دارت تفاصيل العملية سريعًا برأسها، استطاعت أن تتخيل لِمَ ولَّت شاي هاربة. لقد بدا أن هناك الكثير الذي يجب على المرء أن يجتازه حتى يبدو على شاكلة معينة. لبت الناس كانوا أكثر فطنة، وأكثر نضجًا بما يكفي لأن يساوا بين الجميع حتى لو بدوا مختلفين، وبدوا قبحاء. يا ليتها كانت تستطيع أن تجد الحجة الصحيحة التي تمكنها من أن تجعل شاي تمكث.

وها هي الحادثات الخيالية عادت تراودها مجددًا، بل ازداد الأمر سوءًا عما كان عليه بعد رحيل بريس؛ فما أكثر المرات التي تشاجرت فيها مع شاي في ذهنها، وكلها مناقشات مطولة مشتتة غير مترابطة حول الجمال وعلم الأحياء والنضج. وفي كل المرات التي كانتا تذهبان فيها إلى الأطلال، كانت شاي تفصح عن وجهة نظرها بشأن القبحاء والحسان، والمدينة وخارجها، وما هو مزيف وما هو حقيقي، لكن تالي لم تتخيل قط أن صديقتها قد تهرب بالفعل، هاجرة حياة السحر والجمال والأناقة. يا ليتها قالت الحجة الصحيحة، أي حجة.

وبينما تجلس هنا، شعرت أنها لم تحاول ذلك كثيرًا. نظرت تالي إلى عيني ذلك القبيح الجديد وقالت: «لأن الأمر برمته انتهى إلى الآتي: الأمر يستحق تحمل أسبوعين من آلام سفعة الشمس من أجل حياة بأكملها يكون المرء فيها فائق الجمال.»

هرش الصبي رأسه وتعجب قائلاً: «هه!»  
 - «كان ينبغي أن أقول شيئاً لكنني لم أفعل، هذا كل ما في الأمر.»

أخيراً وصلت العربة الطائرة الخاصة بالمستشفى، واستقرت على ملعب المدرسة بخفة شديدة حتى إنها قليلاً ما أزعجت بهوائها العشب المجزور لتوه.  
 كان السائق من الحسان الشبان وبدا مفعماً بالثقة بالنفس والاحترام، وقد بدا كثيراً مثل والدها سول، حتى إنها أوشكت أن تناديه باسم والدها.  
 قال الرجل: «هل أنت تالي يانج بلود؟»

وكانت تالي قد رأت بالفعل وميض الضوء الذي قرأ بصمة عينيها، لكنها أجابته على أي حال قائلة: «نعم، أنا.» فثمة شيء ما في الرجل الحسن جعلها لا تتجاسر على أن تكون وقحة في ردها؛ فلقد تجسدت الحكمة في هيئته، وكان يسلك سلوكاً جاداً ورسمياً للغاية حتى إن تالي تمننت لو أنها قد ارتدت أبهى أثوابها.  
 سألتها الرجل: «أمتعدة أنت؟ لن نحمل الكثير من الحقائب.»

لقد كانت حقيبة سفرها ذات النسيج الصوفي شبه ممتلئة. فالجميع كانوا يعرفون أن الحسان الجدد ينتهي بهم الأمر على أي حال بإعادة تدوير معظم الأشياء التي يجلبونها معهم عبر النهر. ولقد جلبت معها بالطبع كل الملابس الجديدة وكل اللعب الجميلة الجديدة التي رغبت فيها. والشيء الوحيد التي كانت تحتفظ به حقاً هو الورقة المكتوبة بخط يد شاي وكانت تخفيها وسط مجموعة من الأشياء العشوائية. ردت تالي: «لقد أحضرت ما يكفي.»

- «أحسنِ يا تالي. هذا تصرف ينم عن نضج شديد.»

- «هذه طبيعتي يا سيدي.»

انغلق الباب وأقلعت العربة الطائرة.

كان المستشفى الكبير يقع في أقصى الطرف البعيد لمدينة نيو برتي تاون، ويقصده الجميع للخضوع للعمليات المهمة: الصغار والقبحاء وحتى الحسان الكبار الذين يعيشون بعيداً في مدينة كرامبلي فيل والذين يأتون إليها من أجل الحصول على علاج إطالة العمر.

كان النهر يتلألاً تحت السماء الخالية من السحب، وسمحت تالي لنفسها بأن ينساق عقلها وراء جمال نيو برتي تاون. فحتى دون الأضواء التي تتلألاً ليلاً

والألعاب النارية، فالأشكال الخارجية لمباني المدينة كان تتلألأ بسبب الزجاج والمعدن اللذين يعتليانها، وكانت الأعمدة الدوارة لأبراج الاحتفالات التي كانت تبدو لها بعيدة المنال تلقي بظلالها الرفيعة عبر الجزيرة. لقد أدركت تالي فجأة أنها كانت تنبض بالحياة أكثر من مدينة الأطلال الصدئة. فربما لا تضاهيها في الظلام والغموض، ولكنها أكثر نبضًا بالحياة.

لقد حان الوقت لأن تتوقف عن التجهم من أجل شاي. فمن الآن فصاعدًا ستكون الحياة عبارة عن حفل واحد كبير، يعج بأناس حسان، مثل تالي يانج بلود. هبطت العربة الطائرة على إحدى علامات x الملونة باللون الأحمر على سطح المستشفى، ورافقتها السائق إلى الداخل، مصطحبًا إياها إلى إحدى غرف الانتظار. قامت إحدى الممرضات بالبحث عن اسم تالي، والتقطت صورة لبصمة عينيها مرة أخرى، ثم طلبت منها الانتظار.

سألها السائق: «هل أنت بخير؟»

رفعت تالي عينيها ونظرت في عينيه الصافيتين الحانيتين، راغبة في أن يبقى معها، ولكن أن تطلب منه أن يبقى معها طوال فترة الانتظار سيبدو أمرًا لا ينم عن الرشد، فقالت: «أنا بخير. أشكرك.» فابتسم وذهب بعيدًا.

لم يكن هناك أحد غيرها بغرفة الانتظار. مالت تالي إلى الوراء وأخذت تعد بلاط السقف المعلق. وبينما كانت تنتظر قدوم الممرضة، أخذت أحاديثها مع شاي تدور بذهنها مجددًا، غير أنها لم تكن مزعجة للغاية هنا، فقد فات أوان إعادة التفكير في الأمر.

تمنت تالي لو كان هناك نافذة لتطل منها على نيو برتي تاون، فلقد أضحت قريبة للغاية منها الآن. وأخذت تتخيل مساء اليوم التالي: أول أيامها كحسنا، وهي مرتدية ملابس جديدة رائعة (فملايس العنبر التي كانت ترتديها زج بها في آلات إعادة التدوير)، وتنظر من قمة أعلى برج من أبراج الاحتفالات تستطيع العثور عليه. وتقف أعلاه لتشاهد غياب الأضواء عبر النهر عندما يحين موعد النوم في آجلي فيل، وتعلم حينها أنه لا يزال أمامها الليل بأكمله لتقضيه مع بيريس وأصدقائها الجدد وكل الحسان الذين ستلتقي بهم.

تنهدت تالي.

ها قد بلغت السادسة عشرة من عمرها، أخيرًا.

لم يحدث شيء على مدار ساعة كاملة. وأخذت تالي تنقر بأصابعها متسائلة عما إذا كانوا يتركون عادة القبحاء ينتظرون كل هذا الوقت.



عندئذ هلّ الرجل.

لقد بدا غريبًا، بخلاف أي رجل حسن المنظر شاهدته تالي من قبل. قطعًا كان من الحسان الشبان، لكن أيًا كان من أجرى له العملية، فقد أفسد العملية. قطعًا كان الرجل حسن المنظر، لكن حسنه كان حسنًا مريعًا.

وبدلاً من أن يبدو حكيمًا وواثقًا بنفسه، بدا الرجل فاترًا، ومتسلطًا، ومرعبًا، لقد بدا كحيوان مفترس مهيب. وعندما اقترب منها مشيًا على الأقدام، همّت تالي أن تسأل عما يحدث، لكن نظرة منه أبكمتها.

لم تلتق تالي في حياتها قط برجل بالغ هالها بهذه الطريقة. فدائمًا كان يغمرها الاحترام والتقدير عندما تتقابل وجهاً لوجه مع أحد الحسان الشبان أو الكبار. لكن في حضور هذا الرجل الجميل ذي الملامح القاسية، طغى الخوف على مشاعر الاحترام.

قال الرجل: «هناك مشكلة تتعلق بالعملية الخاصة بك، تعالي معي.»  
ذهبت تالي معه.



## السلطات الخاصة

كانت هذه العربة الطائرة أكبر حجماً من العربة التي أتت بها من آجلي فيل لكنها لم تكن مريحة بالقدر نفسه.

كانت هذه الرحلة أقل بهجة من رحلتها الأولى في اليوم نفسه. لقد حلق ذلك الرجل غريب المنظر بعربته الطائرة بنفاد صبر، وكان ينحدر بها مثل الصخرة التي تقطع الممرات الجوية، ويتمايل بها بشدة مثلما يميل اللوح الطائر مع كل منعطف. ومع أنه لم يسبق لتالي أن أُصيبت بدوار في الجو، فما هي الآن تتشبث بأحزمة الأمان بالمقعد، مشدودة المفاصل، ومثبتة العينين على الأرض الصلبة أسفلها. خطفت تالي نظرة أخيرة على نيو برتي تاون التي كانت تتقهقر وراءهما.

لقد اتجها نحو مجرى النهر، عبر آجلي فيل ووراء الحزام الأخضر، بل وتجاوزا حزام منطقة النقل، حيث تطل المصانع برءوسها فوق الأرض. وإلى جانب تل ضخم غير مألوف الشكل هبطت العربة الطائرة داخل مجمع مباني مستطيلة الشكل، بدا قليل الارتفاع مثل عنابر القبعاء ومطلياً بلون الأعشاب الجافة.

هبطت العربة باصطدام عنيف مؤلم، ثم قادها الرجل إلى داخل أحد المباني، عبر ظلمة خيمت على ممرات مطلية بلون بني مائل إلى الأصفر. ولم تر تالي في حياتها قط كل هذا الحيز المطلي بمثل هذه الألوان الرديئة للغاية، وكأن المبنى قد صُمم خصوصاً كي يصيب قاطنيه بالغثيان على نحو غير واضح.

كان هناك الكثير من الناس على شاكلة هذا الرجل.

وجميعهم كانوا يرتدون ملابس رسمية مصنوعة من الحرير الخام باللونين الأسود والرمادي. وكانت ترتسم على وجوههم النظرة الفاترة القاسية نفسها. وكان كل من الرجال والنساء أكثر طولاً مما عرف عن الحسان، وبدوا ببنية جسدية قوية،

وعيون باهتة كعيون القبحاء. كان هناك قلة قليلة من الأناس العاديين، لكنهم بدوا غير ملحوظين إلى جانب الشخصيات التي كانت تتحرك برشاقة عبر الأروقة. تساءلت تالي هل كان هذا هو المكان الذي يُؤخذ إليه الناس عندما تفشل عمليات التحول الخاصة بهم، عندما يتحول الجمال إلى قسوة ووحشية. إذن لماذا أتت إلى هنا؟ فهي لم تخضع للعملية بعد. ازدردت تالي ريقها. ماذا لو أن أولئك الحسان المرعبين قد جُعلوا بهذه الشاكلة عمدًا؟ هل وجدوا أن قالب العيون الواسعة الحساسة الجميلة لا يتناسب معها عندما أخذوا القياسات الخاصة بها الليلة البارحة؟ ربما أختيرت بالفعل كي يُعاد صنعها من أجل هذا العالم الآخر الغريب.

توقف الرجل خارج باب معدني، فوقفت تالي وراءه، وشعرت وكأنها صغيرة من جديد، يحركها أحد المشرفين بعنف كعرائس المسرح ممسكًا بخيوط غير مرئية. لقد تبخرت كل الثقة التي كانت لديها بوصفها قبيحة راشدة منذ اللحظة التي رآته فيها في المستشفى. لقد ذهبت السنوات الأربع التي تمرست فيها على الخدع والاستقلال سدى.

التقط الباب صورة لبصمة عينيه ثم فُتح الباب، فأشار إليها لتدخل. لاحظت تالي أنه لم ينبس ببنت شفة منذ أن أخذها من المستشفى. فأخذت نفسًا عميقًا، مما جعل العضلات المشلولة في صدرها تتلوى من الألم، وتمكنت من أن تقول بصوت خفيض أجش: «أخبرني من فضلك..»

فجاء رده: «بالداخل..»

ابتسمت تالي، معلقة في نفسها تحقيقها لنصر ضئيل؛ إذ نجحت في دفعه إلى التحدث مرة أخرى، لكنها فعلت ما أمرها به.

– «أنا دكتورة كابل.»

– «وأنا تالي يانج بلود.»

ابتسمت دكتورة كابل وقالت: «أنا أعرف من أنت.»

كانت المرأة تتمتع بجمال تشوبه القسوة، فكانت ذات أنف معقوف، وأسنان حادة، وعين رمادية جامدة. وكان لصوتها إيقاع بطيء كالذي يتصف به كتاب قبل النوم، ولكنه قلما نجح في أن يجعل تالي تشعر بالنعاس. وكانت هناك نبرة حادة في صوتها، كقطعة المعدن التي تشق الزجاج ببطء.

– «لديك مشكلة يا تالي.»

- «لقد خمنت ما هي مشكلتي إلى حد ما، أيتها السيدة...» لقد كان غريب على تالي ألا تعرف الاسم الأول للسيدة.
- «يمكنك أن تنادينني دكتورة كابل.»
- طرفت تالي بعينها في تعجب، إذ لم يسبق لها طوال عمرها أن دعت أحداً باسمه الأخير.
- «حسنًا، دكتورة كابل.» تنحنت تالي، وتمكنت بالكاد من أن تنطق بالمزيد بلحق جاف: «مشكلتي الآن هي أنني لا أعرف ما الذي يحدث. لذا... لم لا تخبريني؟»
- «في رأيك ما الذي يحدث يا تالي؟»
- أغمضت تالي عينها، لتستريح قليلاً من الزوايا الحادة لوجه المرأة. ردت تالي: «حسنًا، هذه السترة المطاطية كانت احتياطية، حسبما تعلمين، وقد أعدناها مرة أخرى إلى كومة السترات المطلوب إعادة شحنها.»
- «الأمر لا يتعلق بحيلة يقوم بها القبحاء.»
- تنهدت تالي وفتحت عينها ثم قالت: «لا، لم أظن ذلك.»
- «الأمر يتعلق بأحد أصدقائك، شخص مفقود.»
- بلا ريب، تخطت خدعة اختفاء شاي ما هو متوقع، تاركة تالي وراءها تتكبد عناء تحليل الأمر. قالت تالي: «لا أعرف أين هي.»
- ابتسمت دكتورة كابل، ليظهر فك أسنانها العلوي فحسب، ثم قالت: «لكنك قطعاً تعرفين شيئاً ما.»
- قالت تالي دون تفكير: «من أنتِ على أي حال؟ وأين أنا؟»
- قالت السيدة: «أنا دكتورة كابل، وهذا مقر قيادة السلطات الخاصة.»
- في بادئ الأمر، أمطرتها دكتورة كابل بوابل من الأسئلة: «لم تتعرفي إلى شاي منذ وقت طويل، أليس كذلك؟»
- «بلى، هذا الصيف فحسب. لقد كنا نعيش في عنبرين مختلفين.»
- «ألم تعرفي أيًا من أصدقائك؟»
- «لقد كانوا جميعًا أكبر منها سنًا، وقد تحولوا بالفعل.»
- «مثل صديقك بيريس، أليس كذلك؟»
- ازدردت تالي ريقها؛ ترى ما قدر المعلومات الذي تعرفه عنها هذه المرأة؟ أجابت تالي: «بلى، مثلي ومثل بيريس.»

- «لكن أصدقاء شاي لم يصيروا حساناً، أليس كذلك؟»

تنفست تالي ببطء، وتذكرت وعدها لشاي، ومع ذلك لم تشأ أن تكذب. وإن فعلت، فستعرف دكتورة كابل أنها كذبت، وكانت تالي متيقنة من أنها ستعرف. لذا كانت تالي واقعة في حيص بيص بالفعل، سألت تالي: «لماذا لم يتحولوا؟»  
- «هل أخبرتك عن أصدقائها؟»

- «لم نتحدث عن شيء مثل هذا. لقد كنا نتسكع معاً فحسب. لأن ... الوحدة مؤلمة، لقد كنا منهمكين في الحيل والخدع فحسب.»  
- «أكنتِ تعرفين أنها عضو في عصابة؟»  
نظرت تالي في عيني دكتورة كابل. لقد كانت عيناها كبيرتي الحجم مثل عيون الحسان العاديين، لكنها كانت مائلة إلى أعلى كعيني الذئب.  
ردت تالي: «عصابة؟ ماذا تقصدين؟»

- «هل ذهبتي أنتِ وشاي إلى مدينة الأطلال الصدئة من قبل؟»  
- «الجميع يذهبون.»

- «لكن هل سبق أن تسللتما إلى الأطلال؟»

- «أجل، الكثيرون يفعلون ذلك.»

- «هل التقيتما بأي شخص هناك؟»

عضت تالي شفتها وقالت: «ما هي السلطات الخاصة؟»

نطقت السيدة باسمها: «تالي»، وكانت نبرة صوتها قد اشتدت على نحو مفاجئ مثل شفرة الحلاقة.

- «إن أخبرتني ما هي السلطات الخاصة؟ فسأجيبك.»

استرخت دكتورة كابل على مقعدها وطوت يديها ثم أومأت برأسها وقالت: «هذه المدينة هي الفردوس يا تالي. إنها تطعمك، وتعلمك، وتحفظك بأمن. وتجعلك جميلة.»

لم تستطع تالي أن تمنع نفسها من النظر لأعلى وهي مفعمة بالأمل عند سماعها الجملة الأخيرة.

استرسلت دكتورة كابل في حديثها قائلة: «تسمح مدينتنا بقدر كبير من الحرية يا تالي؛ فهي تفسح المجال للصغار لممارسة الحيل والخدع، وتطوير قدراتهم الإبداعية وإحساسهم بالاستقلالية. لكن بين الفينة والأخرى ترد إلينا بعض الأشياء السيئة من خارج المدينة.»

ضيقَت الدكتورَة كابل عينيها، فأصبح وجهها أشبه بوجه حيوان مفترس. قالت: «نحن نعيش في توازن مع بيئتنا يا تالي؛ فنحن ننقي المياه التي نعيدها إلى النهر، ونعيد تدوير الكتلة الحيوية، ولا نستخدم سوى الطاقة الشمسية، لكن أحياناً لا يمكننا أن ننقي ما ننتقله من الخارج. وأحياناً يكون هناك مخاطر من البيئة نفسها يجب أن نجابهها.»

ابتسمت واسترسلت في حديثها: «أحياناً يكون هناك سلطات خاصة.»  
قالت تالي: «إذن أنتم مثل المشرفين، ولكن تقومون بدوركم للمدينة بأكملها.»  
أومأت دكتورَة كابل برأسها إيجاباً وقالت: «أحياناً تمثل بعض المدن الأخرى خطراً لنا. وفي بعض الأحيان يتمكن أولئك القلة الذين يعيشون خارج المدينة من التسبب في مشكلات لها.»

اتسعت عينا تالي من فرط الدهشة. لقد قالت خارج المدن، أليس كذلك؟ إذن كانت شاي تقول الصدق، إذ يوجد هناك بالفعل أماكن مثل منطقة الضباب.

- «الآن حان دورك يا تالي لكي تجيبي عن سؤالي. هل سبق أن التقيت بشخص ما في الأطلال؟ شخص ليس من هذه المدينة؟ ولا من أي مدينة أخرى؟»  
ابتسمت تالي ابتسامة عريضة وقالت: «لا، لم ألتق بأحد قط.»

تجهم وجه دكتورَة كابل، وللحظة نظرت بعينيها إلى أسفل نظرة حادة وهي تفحص شيئاً ما. وعندما عاودت عيناها النظر إلى تالي مرة أخرى، أصبحت أكثر فتوراً. ابتسمت تالي مجدداً، مطمئنة الآن إلى أن دكتورَة كابل علمت متى تفصح تالي عن الحقيقة. فلا بد أن الغرفة ترصد ضربات قلبها، وما تفرزه من عرق وقدر اتساع حدقة عينيها، لكن تالي لم تستطع أن تقول ما لا تعرفه.

احتد صوت السيدة مرة أخرى: «لا تحاولي أن تخدعيني يا تالي. لن تشكر صديقك شاي من أجل هذا لأنك لن تريها مرة أخرى.»

تبدد حماس تالي بالانتصار الصغير الذي حققته، وشعرت بابتسامتها تتلاشى.  
- «لقد اختفى ستة من أصدقائها فجأة يا تالي، ولم نعرثر على أي منهم قط. ومع ذلك اختار اثنان كانا يعترضان للحاق بهم ألا يوديا بحياتهما، ولم نكتشف سوى القليل عما ألمّ بالآخرين؛ فهم لم يهربوا من تلقاء أنفسهم، لقد أغواهم شخص ما من الخارج، شخص أراد أن يخطف أكثر أبنائنا شجاعةً من القبحاء الصغار. لقد أدركنا أن الأمر يقتضي تدخل أفراد السلطات الخاصة.»

ومن بين كلماتها كانت كلمة واحدة لتدب خوفًا شديدًا في نفس تالي؛ «أحقًا» خُطفت شاي؟ فماذا تعرف شاي أو أي من القبحاء الآخرين عن منطقة الضباب؟ - «لقد كنا نراقب شاي منذ ذلك الحين، على أمل أن تقودنا إلى بقية أصدقائها.» قالت تالي دون تفكير: «إذن، لماذا لم ... أقصد لما لم تمنعوها!»

- «بسببكِ أنتِ يا تالي..»

- «بسببي أنا؟»

خففت دكتورة كابل من حدة صوتها وقالت: «لقد ظننا أنها كوّنت علاقة صداقة معك، مما سيجعلها تمكث في المدينة. ظننا أنها أصبحت على ما يرام.»

لم يكن بوسع تالي سوى أن تغمض عينيها وتهز رأسها.

استرسلت دكتورة كابل في حديثها قائلة: «لكن شاي اختفت عندئذ، لقد تبين أنها أدهى من أصدقائها. لقد أحسنتِ تعليمها.»

صاحت تالي: «أنا علمتها؟ أنا لا أعرف حيلًا أكثر من تلك التي يعرفها معظم

القبحاء.»

ردت دكتورة كابل: «أنتِ تبخسين قدر نفسك.»

حولت تالي عينيها بعيدًا عن العينين الخبيثتين، مما أبكم الصوت الحاد لصاحبتهما. فهذا لم يكن خطأها. فقد قررت أن تمكث هنا في المدينة، رغم كل ما جرى. لقد أرادت أن تصبح حسناء، بل حتى حاولت أيضًا أن تقنع شاي.

لكنها فشلت في ذلك.

- «الخطأ ليس خطأي.»

- «ساعدينا يا تالي..»

- «فيما أساعدكم؟»

- «العثور عليها، العثور عليهم جميعًا.»

أخذت تالي نفسًا عميقًا وقالت: «ماذا إذا كانوا لا يريدون أن يُعثر عليهم؟»

- «وماذا إذا كانوا يريدون أن يعثر عليهم؟ وماذا أيضًا إذا كانوا مخدوعين؟»

حاولت تالي أن تتذكر وجه شاي تلك الليلة، وكيف كان مفعمًا بالأمل. لقد كانت

ترغب في أن تترك المدينة بقدر ما كانت تالي ترغب في أن تصير حسناء. وأيًا كان

مدى حمق القرار الذي اتخذته شاي، فقد اتخذته بمنتهى الوعي، واحترمت اختيار

تالي البقاء.



رفعت تالي عينيها نحو الجمال القاسي الذي جسده دكتورة كابل، ولون الجدران البني الضارب إلى الصفرة الذي كان يثير الاشمئزاز. لقد تذكرت كل الحيل التي لعبتها السلطات الخاصة معها اليوم — كيف جعلوها تنتظر مدة ساعة في المستشفى، تنتظر وتفكر في أنها سرعان ما تصير حسناء، ورحلة الطيران القاسية إلى هنا، وكل الوجوه القاسية التي رأتها في الأروقة — فاتخذت قرارها: «ليس بمقدوري مساعدتك؛ لقد قطعت وعدًا.»

كشرت دكتورة كابل عن أنيابها. وهذه المرة لم تكن هذه فقط ابتسامة ساخرة، فقد تحولت المرأة بالفعل إلى وحش ضارٍ غير آدمي يتوق للانتقام: «إنن، سوف أقطع أنا أيضًا وعدًا لك يا تالي يانج بلود: لن تصيري حسناء إلا بعد أن تساعدنا بكل ما لديك من قوة.»

استدارت دكتورة كابل بعيدًا عنها.

— «ستموتين قبيحة، فهذا لا يعني.»

انفتح الباب، وكان الرجل المخيف يقف بالخارج حيث كان ينتظر هناك طوال

الوقت.



## الفصل الرابع عشر

# قبيحة إلى الأبد

لا بد أنهم قد أخطروا أجهزة الإشراف بأمر عودتها، لقد اختفى الجميع، لقد ذهب كل القبحاء الآخرين في رحلة مدرسية غير مخطط لها مسبقًا. ولكنهم لم يكتشفوا أمر عودتها في حينه حتى ينقذوا أغراضها. فعندما وصلت تالي إلى غرفتها القديمة، وجدت كل شيء قد أُعيد تدويره، الملابس والفراش والأثاث والصور الموجودة بشاشة الجدار، وعادت الغرفة مرة أخرى مكانًا عامًا للقبحاء. بل حتى قد بدا الأمر وكأن شخصًا آخر قد انتقل للعيش هنا فترة قصيرة ثم رحل مرة أخرى، تاركًا عبوة مشروب غريب في المبرد.

جلست تالي على الفرش، مذهولة بدرجة شديدة لم تستطع معها أن تبكي. وكانت تعلم أنها ستنفجر سريعًا في النواح، فلعلها فقدت القدرة على النواح في أسوأ وقت ومكان محتملين. والآن وقد انتهى لقاءها بدكتورة كابل، أخذ غضبها وإحساسها بالتحدي يتلاشيان، ولم يتبق لها شيء ليشد من عزمها. لقد فقدت كل أغراضها، وضاع مستقبلها، ولم يتبق سوى المنظر الذي تطل عليه النافذة.

جلست تالي على الفرش وحملت أمامها، حيث كان عليها أن تذكر نفسها كل بضع دقائق أن كل ما مرت به قد حدث بالفعل: الحسان ذوو الملامح القاسية، والمباني الغريبة عند طرف المدينة، والإنذار النهائي المريع الذي وجهته لها الدكتورة كابل. شعرت تالي وكأن أمرًا قد ساء، وأن حقيقة مشئومة مرعبة بزغت في الأفق والتهمت العالم الذي عرفته وفهمته.

إن كل ما تبقى لها هو الحقيقة الصغيرة ذات النسيج الصوفي التي حزمته من أجل المستشفى، بل إنها حتى لم تتذكر أنها كانت تحملها طوال طريق العودة إلى

هنا. أخرجت تالي الملابس القليلة التي كانت قد زجتها في الحقيبة عشوائياً، فوجدت ورقة شاي.

قرأت تالي الورقة، بحثاً عن مفاتيح حل لغزها.

اتجهي نحو الملاهي وراء الفجوة مباشرة،

إلى أن تعثري على واحد طويل ومسطح.

والبحر بارد، انتبهي إلى الفجوات.

في الثانية، ارتكبي أفدح الأخطاء.

بعد أربعة أيام، الزمي الجانب الذي تزدريه،

وابحثي بين الأزهار عن عيون مشعلي الحرائق الجاحظة.

وما إن تجدينهم، استمتعي بالرحلة.

ثم انتظري فوق الرأس الأصلع حتى النور.

لم تنقل أي من هذه الكلمات تقريباً أي معنى لها، فقط القليل منها. من الواضح أن شاي عمدت إلى أن تخفي المعنى عن أي شخص آخر يقرؤها، مستخدمة إشارات لا يفهمها أحد سواهما. ولقد بدا الآن منطقياً أكثر من ذي قبل لماذا كان جنون الشك ينتاب شاي. فبعد أن تقابلت تالي مع الدكتورة كابل، استطاعت أن تفهم الآن لماذا أراد ديفيد أن يحفظ اسم مدينته — أو معسكره أو أيّاً كان هذا المكان — طي الكتمان.

وبينما أمسكت تالي بالورقة، أدركت أنها ما تسعى إليه الدكتورة كابل. لقد كانت المرأة تجلس في الغرفة على الجانب الآخر من الخطاب، لكنها لم تكلف نفسها عناء تفتيش تالي. وذلك يعني أن تالي قد حفظت سر شاي، وأنه لا يزال بحوزتها ما يمكنها أن تساوم به.

وهذا يعني أيضاً أن السلطات الخاصة غير معصومة من الخطأ.

رأت تالي بقية القباء وهم عائدون قبل وقت الغداء. وبينما كانوا مصطفين للنزول من وسيلة النقل المدرسية، رفعوا جميعاً أعناقهم لينظروا إلى نافذتها، وأشار قليلون منهم إليها قبل أن تميل إلى الوراء لتختبئ وسط الظلال. وبعد دقائق، كان باستطاعتها أن تسمع صوت الأطفال في الردهة خارج غرفتها، وهم يحاولون أن يلتزموا الصمت

وهم يمرون ببابها. وكان البعض منهم يقهقهون، مثلما يفعل القبحاء الجدد عندما يحاولون أن يلتزموا الصمت.

وذكرها صوت قرقرة معدتها أنها لم تتناول الإفطار أو العشاء في الليلة المنصرمة؛ لقد كان من المفترض أن تصوم عن الطعام والماء مدة ست عشرة ساعة قبل الخضوع للعملية، لذا كانت تالي تتضور جوعاً.

لكنها مكثت في غرفتها حتى انتهى وقت الغداء؛ إذ لم تستطع أن تواجه كافيتريا تعج بقبحاء يراقبونها في كل خطوة، ويتساءلون عما فعلته حتى تستوجب أن تظل محتفظة بوجهها القبيح. وعندما لم تستطع أن تتحمل شعورها بالجوع وقتاً أكثر من ذلك، تسللت درج السلم إلى أعلى نحو السطح، حيث كانوا يضعون بقايا الطعام لمن يرغب في تناولها.

وفي الردهة رآها عدد قليل من القبحاء فتوقفوا عن الكلام وتنحوا جانباً إلى أن مرت بهم، وكأن بها مرضاً معدياً. وتساءلت تالي: ترى ماذا قالت لهم أجهزة الإشراف؟ هل قالت إنها دبرت الكثير من الخدع؟ أم أنه من المتعذر إجراء الجراحة لها وأنها ستظل قبيحة إلى الأبد؟ أم أنها فقط ظروف خاصة؟

وأينما ذهبت تالي، كان القبحاء يحولون عيونهم عنها، بينما كان تصرفهم ملموساً لها أكثر من أي وقت مضى.

وعلى السطح كان هناك طبق معد محكم الغلق بلفافة بلاستيكية وملصق عليه بطاقة تحمل اسمها. فلقد لاحظ أحدهم أنها لم تتناول طعامها. وبلا ريب كان يدرك الجميع أنها كانت تتوارى عن الأنظار.

وأمام شكل الطبق الذي ترك لها في مكان منزوي ومنعزل، انفجرت دموع تالي المكتومة من عينيها. ومن شدة البكاء ألمها حلقها بشدة وكأنها قد ابتلعت شيئاً حاداً، وكل ما كان بوسعها آنذاك هو أن تركض إلى غرفتها قبل أن تنفجر في البكاء العنيف والتنهيد بصوت خشن مرتفع.

عندما وصلت إلى غرفتها، وجدت أنها لم تنس أن تحضر الطبق. فكانت تأكل وهي تبكي، وتتذوق دموعها المالحة مع كل قضة من الطعام.

بعد مرور ما يقرب من ساعة، حضر والداها.

كانت والدتها إيلي أول من اندفع داخل الغرفة وحضنت تالي حضناً قوياً وعنيفاً أفرغ رثتها من الأوكسجين ورفع قدميها من على الأرض، وقالت: «تالي، طفلتي المسكينة!»

قال سول: «لا تؤليها يا إيلي، فقد مرت بيوم عصيب.»

حتى مع معاناتها من صعوبة التنفس مع هذا الحزن العنيف، شعرت تالي بتحسن في حزن أمها الذي سحق ضلوعها. فلطالما بدت إيلي أمًا مثالية، وكانت تالي تشعر دائمًا في حزنها أنها طفلة. وبعد أن أطلقتها أمها من حزنها الذي دام ما يقرب من دقيقة كاملة، وإن كان لا يزال فراقها لحزنها أمرًا مبكرًا، خطت إلى الوراء، راجية ألا تبكي ثانية. نظرت تالي إلى والديها في خجل، متسائلة عما يدور بخلدتهما. لقد شعرت أنها فاشلة تمامًا. قالت تالي: «لم أعلم أنكما قادمان.»

قالت إيلي: «بالطبع أتينا.»

هز سول رأسه: «لم أسمع من قبل بحدوث شيء مثل هذا. يا له من أمر سخيف. ولسوف نسبر غوره، لا تقلقي أبدًا!»

شعرت تالي وكأن حملًا قد أزيح من على كاهليها؛ فأخيرًا وجدت إنسانًا آخر يؤازرها، لقد تلالأت عينا والدها — أحد الحسان الشبان — بثقة هادئة. ولم يكن هناك شك في أنه سيصل إلى حل لكل الأمور.

تساءلت تالي: «ماذا قالوا لكما؟»

أومأ سول برأسه لتالي، فجلست على الفراش، وجلست إيلي إلى جانبها بينما أخذ يذرع الغرفة الصغيرة جيئةً وذهابًا.

رد سول: «أخبرونا عن تلك الفتاة شاي. يبدو أن وراءها الكثير من المتاعب.»

قاطعته إيلي: «سول! الفتاة المسكينة مفقودة.»

قال سول: «يبدو أنها هي التي تريد أن تكون مفقودة.»

ضمت أمها شفتيها في سكون.

قالت تالي: «لم يكن الخطأ خطؤها يا سول. كل ما هنالك أنها لم ترد أن تصير

حسنا.»

— «إذن هي مفكرة مستقلة، رائع. لكن كان يجدر بها أن تتحلّى بوعي أفضل من أن تجر معها شخصًا آخر.»

— «هي لم تجرني إلى أي مكان، أنا هنا.» ثم رمقت تالي بعينيها عبر النافذة المنظر المألوف لمدينة نيو برتي تاون وتابعت حديثها: «حيث سأظل إلى الأبد على ما يبدو.»

قالت إيلي: «المهم الآن أنهم قالوا إنه بمساعدتك إياهم في العثور على هذه الفتاة

التي تدعى شاي، ستسير كل الأمور في مجراها الطبيعي.»

ضحك سول بصوت خافت وقال: «ليس بالأمر الجلل أن يتأخر موعد العملية بضعة أيام، بل سيكون هذا حدثًا مميّزًا تذكريه عندما تتقدمين في العمر.»  
 عضت تالي شفتها وقالت: «لا أظن أنه بمقدوري أن أساعدهم.»  
 قالت إيلي: «حسنًا، ابذلي أقصى ما بوسعك فحسب.»  
 - «لكنني لا أستطيع، أقصد أنني قطعت وعدًا لشاي بالأخبار أي شخص عن خططها.»

ساد الصمت بينهم لحظة.

جلس سول، وأمسك بإحدى يديها في يده التي بدت دافئة للغاية وقوية ومليئة بالتجاعيد كيد رجل هرم قضى حياته في العمل في ورشة نجارة. وأدركت تالي حينها أنها لم تزر والديها منذ أسبوع الراحة الصيفية، عندما كانت متلهفة بشدة للعودة للتسكع مع شاي طوال الوقت. لكن كان جيدًا أن تراهما الآن.

قال سول: «لقد قطع جميعنا وعدًا عندما كنا صغارًا يا تالي. فقد كان هذا جزءًا لا يتجزأ من كونك قبيحًا، فكل شيء كان مثيرًا وانفعاليًا ومهمًا من وجهة نظر القبحاء، لكن عليك أن تتخذي وتتخلصي من هذه الأمور الطفولية. ومع كل هذا أنتِ لا تدينين بأي شيء لهذه الفتاة. فهي لم تفعل شيئًا سوى أنها تسببت لك في المتاعب.»  
 أمسكت إيلي بيدها الثانية وقالت: «أنتِ ستساعدينها فقط يا تالي. من يعلم أين هي الآن، وماذا يحدث لها؟ أنا مندهشة من أنكِ تركتها تهرب بهذه السهولة. ألا تعلمين مدى خطورة المكان هناك بالخارج؟»

وجدت تالي نفسها تومئ برأسها، وعندما نظرت إلى وجهي سول وإيلي، بدا كل شيء واضحًا. فالتعاون مع الدكتورة كابل ربما سيساعد شاي بالفعل، وسوف يعيد الأمور إلى مجراها الطبيعي معها هي نفسها. لكن مجرد التفكير في الدكتورة كابل جعلها ترتجف، فقالت: «كان الأخرى بكما أن تريا أولئك الناس، أولئك الناس الذين يحققون في موضوع شاي؟ إنهم يبدوون مثل ...»

ضحك سول: «أظن أنها قد تكون صدمة لشخص في سنك يا تالي. لكن بالطبع نحن الكبار نعرف كل ما يتعلق بالسلطات الخاصة تمام المعرفة. قد يكونون قاسين، لكنهم يؤدون وظائفهم فحسب مثلما تعلمين، فثمة عالم قاس بالخارج.»

تنهدت تالي. ربما يُعزى نفورها من الحسان ذوي الملامح القاسية إلى أنهم أربعوا كثيرًا. سألت تالي: «هل التقيتما بهم من قبل؟ لم أصدق أن هناك من يبدو بهذا الشكل.»

قطبت إيلي حاجبيها: «حسنًا، لا أستطيع أن أقول إنني التقيت بأحدهم بالفعل.»

عبس وجه سول ثم انفجر ضحكًا وقال: «حسنًا، لن ترغبي في الالتقاء بأحدهم يا إيلي. وأنت يا تالي، إذا قمتِ بالشيء الصحيح الآن، فقد لا تلتقين بأي منهم مرة أخرى، نحن في غنى عن أن نلتقي بهم.»

نظرت تالي في وجه والدها، وللحظة، لم تجد في تعبيرات وجهه الحكمة والثقة المعهودتين، وإنما بدا جليًا لها أنه يسخر من السلطات الخاصة باستخفاف، مستبعدًا كل ما يجري خارج المدينة. وجدت تالي نفسها لأول مرة في حياتها تنصت إلى أحد الحسان الشبان دون أن تكون مطمئنة تمام الاطمئنان، وهو الإدراك الذي جعلها تشعر بدوار. ولم تستطع أن تطرد من ذهنها فكرة أن سول لا يعرف أي شيء عن العالم الخارجي الذي هربت شاي إليه.

وربما لم يشأ معظم الناس أن يعرفوا أي شيء بشأنه. لقد تعلمت تالي في المدرسة كل ما يخص مدينة الأطلال والتاريخ القديم، لكنهم لم يأتوا البتة على ذكر أي معلومة مفادها أن أناسًا يعيشون الآن خارج المدن، أناس مثل ديفيد. ولم تفكر تالي قط في هذا الأمر إلى أن التقت بشاي.

لكنها لم تستطع استبعاد الأمر برمته مثلما فعل والدها. ولقد قطعت وعدًا قاطعًا لشاي، والوعد هو الوعد حتى لو لم يكن من قطعه إلا إنسانًا قبيحًا. قالت تالي لوالديها: «سأحمل نفسي على التفكير في الأمر.» وللحظة، ساد الغرفة صمت ينم عن ارتباكهما؛ إذ قالت تالي شيئًا لم يتوقعاه.

ضحكت إيلي ثم ربتت على يدها وقالت: «حسنًا، بالطبع يمكنك أن تأخذي وقتك في التفكير يا تالي.»

أومأ سول برأسه إيجابًا ردًا على إيلي ليعود ويمسك بزمام الأمور: «نحن نعرف أنك ستفعلين الصواب.»

قالت تالي: «بالطبع، لكن هل يمكنني أن أذهب معكما إلى المنزل في هذه الأثناء؟» تبادل والدها نظرة اندهاش أخرى.

استرسلت تالي في حديثها: «أقصد أنه من الغريب أن أكون هنا الآن، فالجميع يعرفون أنني ... لست مدرجة في الفصول الدراسية بعد الآن، فالأمر وكأنني عائدة إلى المنزل لقضاء عطلة الخريف، لكن في وقت مبكر قليلًا.»



كان سول أول من أزاح الاندهاش عن نفسه، ثم ربت على كتفها وقال: «ألا ترين أنه سيكون من الغريب أن تكوني في كرامبلي فيل الآن؟ أقصد أنه لا يوجد أطفال آخرون هناك في هذا الوقت من السنة.»

أضافت إيبي: «من الأفضل أن تكوني هنا مع الأطفال الآخرين يا عزيزتي. أنت أكبر من بعضهم بأشهر قليلة فحسب. وللأسف، غرفتك غير جاهزة على الإطلاق!» ردت تالي: «لا أبالي، فلا شيء أسوأ من هذا الوضع.»

قال سول: «اطلبي المزيد من الملابس فحسب، وأعيدي شاشة الجدار إلى الوضع

الذي تريدينه.»

– «لا أقصد حال الغرفة ...»

قاطعتها إيبي: «على أي حال، لم نثر هذه الجلبة؟ سينتهي كل هذا قريبًا. كل ما عليك هو أن تتحدثي حديثاً ودوداً مع مستوحي السلطات الخاصة، وأخبرهم بكل ما تعرفينه، وسوف تذهبين إلى حيث تريدين حقاً أن تكوني.»

بعدها نظروا جميعاً إلى خارج النافذة حيث كانت أبراج نيو برتي تاون.

أجابت تالي: «أظن ذلك.»

قالت إيبي: «وهل أمامك خيار آخر يا عزيزتي؟»



## الفصل الخامس عشر

### بيريس

كانت تالي تستتر في غرفتها أثناء النهار.

فالذهاب إلى أي مكان آخر كان أمرًا يعذبها للغاية؛ فالقبحاء في عنبرها كان يعاملونها وكأنها وباء متحرك بينهم، وكان كل من يتعرف عليها يسألها عاجلاً أو آجلاً: «لماذا لم تتحولي إلى حسناء بعد؟»

يا للعجب! لقد ظلت قبيحة مدة أربع سنوات، لكنها لمست في أيام قليلة إضافية كل ما تحمله كلمة قبيحة من معان. وكانت تالي تحرق في مرآتها طوال اليوم، تلاحظ كل عيب؛ وكل نقيصة في وجهها. لقد صارت شفثاها الرفيعتان مضمومتين من الحزن، وبات شعرها أكثر تجعدًا بفعل يديها حينما ظلت تمررهما فيه بيأس، ونبأت ثلاث بثور في جبهتها، وكأنها تسجل مرور الأيام الثلاثة التي مرت على عيد ميلادها السادس عشر، وكانت عيناها الدامعتان شديدا الصغر تحملقان في صورتها المنعكسة في المرآة وهما مملوءتان بالغضب.

ولم يكن بمقدورها أن تهرب من الغرفة الصغيرة ونظراتها المحدقة المتوترة لنفسها ووجهها القبيح سوى في الليل.

لقد كانت تخدع أجهزة الإشراف وتتسلق إلى الخارج كالمعتاد، لكنها لم تعد تشعر بما اعتادت عليه في الخدع الحقيقية التي قامت بها من قبل، إذ لم يكن هناك أحد لتزوره أو لتمازحه بمقلب، وكانت فكرة عبور النهر مؤلة جدًا عندما تخطر لها. وكانت قد حصلت على لوح طائر جديد، وخذعته مثلما علمتها شاي، بحيث تستطيع أن تطير ليلاً على الأقل.

لكنها لم تعد تستشعر ما عهدته أثناء الطيران؛ إذ صارت وحيدة، وبات الجو أكثر برودة أثناء الليل، ومهما كان مدى سرعتها في الطيران، كانت تالي حبيسة، وهي تعلم ذلك.

وفي ليلتها الرابعة بمنفى القبحاء، حلقت بلوحها الطائر حتى وصلت إلى الحزام الأخضر، ولبثت عند طرف المدينة. وأخذت تتحرك جيئةً وذهابًا بمحاذاة جذوع الأشجار التي بدت كأعمدة يغشيها الظلام، وتخرقها بأقصى سرعتها حتى إنها أصيبت بعشرات الخدوش في يديها ووجهها من فروع الأشجار التي تصطدم بها. وبعد أن أزالَت تلك الساعات القليلة التي قضتها في الطيران قدرًا من كربها، فطنت تالي إلى حقيقة سعيدة: لقد كانت هذه أفضل مرة حلقت فيها، وقد أوشكت الآن أن تجيد الطيران مثل شاي. إذ لم يلق بها اللوح عند اقترابها الشديد من الأشجار، وكانت فردتا حذائها تتشبثان بإحكام بسطح اللوح المانع للانزلاق وكأنهما ملصقتان به. وبدأ العرق يعرف طريقه إلى جسدها على الرغم من برودة الخريف، بعد أن حلقت حتى كلت قدمها، وألمها كاحلاها، وتوجع ذراعاها من جرّاء بسطهما مثل الأجنحة التي تقودها عبر الغابة المظلمة. لقد كانت تالي تعتقد أنها إذا حلقت بهذا الكد طوال الليل، ربما تستطيع أن تنام طوال ساعات النهار الشنيعة في يومها التالي.

وظلت تحلق في السماء حتى أرغمها التعب على العودة إلى العنبر. وعندما تسللت ببطء إلى غرفتها في الفجر، كان هناك شخص بانتظارها.

– «بيريس!»

أشرفت ملامح وجهه بابتسامة مشرقة، ولمعت عيناه الواسعتان على نحو فاتن في ضوء الصباح الباكر. غير أنه عندما نظر في وجهها عن كثب، تبدلت ملامحه فقال: «ما الذي ألم بوجهك أيتها الحولاء؟»

طرفت تالي بعينيها وقالت: «ألم تسمع بما حدث؟ إنهم لم يقوموا بإجراء...»  
– «لا أقصد هذا.» ثم اقترب ولمس وجنتيها اللتين كانتا تؤلمانها بشدة تحت أنامله، وقال: «تبددين وكأنك كنتِ تلعبين مع القطط طوال الليل.»

– «أجل.» مررت تالي يديها على شعرها ثم بحثت في أحد أدراجها وأخرجت بخاخة طبية وأغمضت عينيها ثم رشت وجهها بها.

وقبل أن يبدأ مفعول المخدر صرخت من الألم: «آه!» وبعدها رشت أيضًا يديها المليئتين بالخدوش، وقالت: «كنت أحلق باللوح الطائر في منتصف الليل فحسب.»  
– «بعد منتصف الليل بقليل، ألا تلاحظين ذلك؟»

خارج النافذة، كانت الشمس قد بدأت تصبغ أبراج نيو برتي تاون باللون الوردى، اللون الوردى الذي يماثل قىء القطة. نظرت تالي إلى بيريس وهي خائفة القوى ومرتبكة وقالت: «منذ متى وأنت هنا؟»

تلوى بيريس بعدم ارتياح في مقعد النافذة الموجود بغرفتها وقال: «منذ وقت طويل.»

– «أنا آسفة، لم أعلم أنك أت.»

رفع بيريس حاجبيه بحزن رقيق وقال: «بالطبع أتيت. أتيت في اللحظة التي علمت فيها أين أنت.»

استدارت تالي بعيدًا، وأخذت تفك رباط حذائها المانع للانزلاق، وهي تستجمع نفسها؛ فمنذ عيد ميلادها السادس عشر وهي تشعر بأنها مهجورة، ولم تتخيل قط أن بيريس قد يرغب في رؤيتها، ولا سيما هنا في أجلي فيل. لكنه هنا الآن، مغتم وقلق وفاتن.

قالت وهي تشعر بأن دموعها تنزل من عينيها: «جيد أن أراك.» فكانت عيناها محمرتين ومنتفختين معظم الوقت هذه الأيام.

ابتسم بيريس لها بابتهاج وقال: «هذا ما أشعر به أيضًا.» وكان انشغالها بما يجب أن تبدو عليه أمامه لا يفارق خاطرها. ارتمت تالي على الفراش وغطت وجهها بيديها وأخذت تبكي بشدة، فمكث بيريس إلى جانبها وأحاطها بيديه بعض الوقت وهي تبكي، ثم مسح أنفها وأجلسها وقال: «انظري إلى نفسك يا تالي يانج بلود.»

هزت تالي رأسها وقالت: «من فضلك، لا تفعل.»

– «أنتِ في حالة يرثى لها تمامًا.»

وجد بيريس فرشاة شعر وأخذ يمشط شعرها. لم تستطع تالي أن تنظر في عينيه، فكانت تحديق بعينيها في الأرض.

– «حسنًا، أتذهبين دائمًا للتخليق بحركات دائرية عنيفة؟»

هزت تالي رأسها، وهي تلمس برفق الخدوش التي أصابت وجهها ثم أجابته: «فروع الأشجار هي التي أحدثت هذه الخدوش؛ إذ كنت أحلق بسرعة عالية.»

– «إذن خدعتك الذكية التالية هي أن تقتلي نفسك. أظن أنها ستفوق قليلًا أو كثيرًا خدعتك الحالية.»

– «ماذا تقصد بخدعتي الحالية؟»

أدار بيريس عينيه وقال: «الخدعة التي قمّت بها والتي بها لم تتحوّلي إلى حسناء بعد. يا لها من خدعة شديدة الغموض.»

- «أجل، خدعة ما.»

- «متى صرت متواضعة أيتها الحولاة؟ إن أصدقائي جميعهم مبهورون بك.»  
أدارت تالي عينيها المنتفختين نحو صديقها في محاولة أن تكتشف إن كان يمزح بشأن هذا.

- «أقصد أنني أخبرت الجميع عنك بالفعل بعدما أطلقت إنذار الحرائق، لكنهم حقًا يتوقون بشدة للقائك الآن. وثمة إشاعات تقول إن الأمر يتعلق بالسلطات الخاصة.»

طرفت تالي بعينيها؛ إذ كان بيريس جادًا فيما يقول.

- «حسنًا، هذا صحيح. إنها السبب في أنني ما زلت قبيحة.»

اتسعت عينا بيريس الواسعتان وقال: «حقًا؟ هذا مثير للغاية!»

استقامت تالي في جلستها وعبس وجهها: «هل الجميع يعرفونها إلا أنا؟»

- «حسنًا، لم يكن لدي أدنى فكرة عما يتحدث عنه الجميع. لقد بدا من الواضح أن أفراد السلطات الخاصة هم غالبًا أشباح تُلقين باللوم عليهم عند حدوث أي أمور غريبة. البعض يظنون أنه لا وجود لهم، ولا أحد ممن أعرفهم رأى فعليًا أي فرد من أفراد السلطات الخاصة قط.»

تنهدت تالي: «حظي العاثر هو الذي جعلني ألتقي بهم، على ما أظن.»

قال بيريس هامسًا: «إذن، إنهم أشخاص حقيقيون؟ أيبدون مختلفين حقًا؟  
أقصد ليسوا حسانًا.»

- «ليس الأمر أنهم ليسوا حسانًا يا بيريس، لكنهم حقًا...» ثم نظرت تالي إلى بيريس الذي كان فائق الجمال، يصغي إلى كل كلمة تنطق بها. لقد كان إحساسًا رائعًا أن تجلس إلى جواره، وهما يتحدثان ويتلامسان، وكأنهما لم يفترقا قط. ابتسمت تالي واسترسلت في حديثها: «كل ما هنالك أنهم ليسوا حسانًا مثلك.»

ضحك بيريس: «عليك أن تخبريني كل شيء، لكن إياك أن تخبري أي شخص آخر غيري، ليس بعد. فالأمر سوف يثير فضول الجميع بشدة. يمكننا أن نقيم حفلًا كبيرًا عندما تصيرين حسناء.»

حاولت تالي أن تبتسم وقالت: «بيريس...»

- «أعرف أنه ربما ليس من المفترض أن نتحدثي عن هذا. لكن بعبورك النهر، يمكنك أن تصدري بعض التلميحات القليلة عن السلطات الخاصة التي قابلت أفرادها، وعندئذ سيدعونك إلى كل الحفلات! فقط احرصي على أن تصطحبيني معك». ثم مال بيريس بالقرب منها واسترسل في حديثه: «هناك إشاعة أن كل المهن الجيدة ستكون من نصيب أولئك الذين يحفل سجلهم بالخدع التي قاموا بها في طفولتهم. لكن هذا بعد سنوات من الآن. القضية الأساسية الآن هي أن تصيري حسناء بالفعل.»

وبينما بدأت معدتها تؤلمها قالت تالي: «لكن، بيريس، لا أعتقد أنني سوف ...»  
- «سوف تحبين الأمر يا تالي. أن تصيري حسناء هو أفضل شيء على الإطلاق. وسأستمتع بالأمر آلاف المرات عندما تكونين هناك معي.»  
- «لا أستطيع.»

قطب بيريس حاجبيه: «ما الذي لا تستطيعينه؟»  
رفعت تالي عينيها إلى بيريس وهي تمسك بيده بشدة: «إنهم يريدونني أن أشي بإحدى صديقاتي، صديقة عرفتها معرفة جيدة، بعدما رحلت أنت.»  
- «تشي؟ لا تقولي إن الأمر برمته يتعلق بإحدى خدع القبحاء.»  
- «شيء من هذا القبيل.»

- «حسنًا، ما المانع في أن تشي بها؟ ما مدى أهمية الأمر؟»  
استدارت تالي بعيدًا وقالت: «إن الأمر مهم للغاية يا بيريس. إنه أكبر من مجرد خدعة. لقد وعدت صديقتي بأنني سأكتم سرها.»

ضاعت عينا بيريس وبدا للحظة مثلما عهدته من قبل في حديثه وعمق تفكيره بل بدا حزينًا قليلًا. قال بيريس: «تالي، لقد قطعت وعدًا لي أنا أيضًا.»  
ازدردت تالي ريقها وأحدث النظر إليه، وقد اغرورقت عيناه بالدموع.  
- «لقد وعدتني أنك لن ترتكبي أي حماقة يا تالي، وأنت ستكونين معي قريبًا، وأننا سنكون من الحسان.»

لمست تالي الندب في راحتها، الذي كان لا يزال موجودًا، حتى بعدما أزيل ندب بيريس. اقترب بيريس وأمسك بيديها وقال: «أفضل صديقين إلى الأبد يا تالي.»  
علمت تالي أنها لو نظرت في عينيه مرة أخرى، فسينتهي الأمر برمته. نظرة واحدة، وستنهار كل مقاومتها. قالت تالي: «هل سنظل أفضل صديقين إلى الأبد؟»  
- «إلى الأبد»

أخذت تالي نفسًا عميقًا وسمحت لنفسها بأن تنظر في عينيه. لقد بدا حزينًا وحساسًا للغاية ومجروحًا جرحًا عميقًا، وكذلك بدا رائعًا. وتخيلت تالي نفسها إلى جواره، كواحدة من الحسنات تقضي كل أيامها لا تفعل شيئًا سوى أن تتحدث وتضحك وتستمتع بوقتها.

– «ستحفظين وعدك لي يا تالي، أليس كذلك؟»

شعرت تالي برجفة تسري في جسدها، رجفة إعياء وارتياح في الوقت نفسه. ها هي قد وجدت بغيتها الآن؛ وجدت عذرًا لتحنث في قسمها. فهي قد قطعت وعدًا حقيقيًا لبيريس قبل أن تلتقي بشاي. لقد عرفته سنوات، أما شاي فعرفتها أشهر قلائل فحسب.

وها هو بيريس هنا بنفسه، وليس في مكان مقفر غريب. ينظر إليها بهاتين العينين ...

ردت تالي: «بالطبع.»

تساءل بيريس: «حقًا؟» وابتسم ابتسامة مشرقة مثل ضوء النهار الذي كان يتجلى بالخارج.

شعرت تالي بكلماتها وهي تخرج بمنتهى السلاسة: «أجل، سأكون هناك في أسرع وقت ممكن. أعدك بذلك.»

تنهد بيريس وحضنها بقوة، وهو يهز جسمها برفق، فاغرورقت عيناها بالدموع مرة أخرى.

أخيرًا أرخى بيريس قبضته عنها ونظر إلى خارج النافذة حيث ضوء اليوم المشمس، ثم لوح باتجاه الباب وقال: «ينبغي أن أذهب، قبل ... أن يستيقظ ... أولئك ...»

– «بالطبع.»

– «لقد تجاوز الوقت وقت خلودي للنوم، وأنت أيضًا لا يزال أمامك يوم طويل.»

أومأت تالي برأسها؛ إذ لم يسبق لها أن شعرت بمثل ذلك الإعياء الشديد. وكانت عضلاتها تؤلمها، وبدأ وجهها ويدها يؤلمانها مجددًا، لكن ثمة شعورًا بالراحة كان يغمرها. لقد بدأ هذا الكابوس منذ ثلاثة أشهر، عندما صار بيريس من الحسان، وسينتهي عما قريب.

– «حسنًا، بيريس. سأراك عما قريب، في أسرع وقت ممكن.»



حضرنا بيريس مرة أخرى، وقبّل وجنتيها اللتين سالت عليهما دموعها المألحة وكستهما الخدوش، وهمس قائلاً: «ربما في غضون يومين فحسب، أنا متحمس للغاية!»

ودعها بيريس ثم رحل بعد أن تفقد كلا الطريقتين أسفل الممر. نظرت تالي عبر النافذة لكي تلقي نظرة أخيرة على بيريس فأدركت أن ثمة عربة طائرة كانت بانتظاره بأسفل. حقًا، يحصل الحسان على كل ما يريدونه.

حينئذ لم ترغب تالي في شيء سوى أن تغط في سبات عميق، لكن ما كان لها أن تؤجل التصرف بناء على القرار الذي اتخذته. لقد كانت تعلم أنه برحيل بيريس، ستعاودها الشكوك مرة أخرى وتلازمها. هي لا تستطيع استمرار هذا الوضع يومًا آخر؛ وهي لا تعلم هل من نهاية لعذابها بعدم مفارقتها للقبج. وكذلك لقد وعدت بيريس بأنها ستكون معه في أقرب وقت ممكن.

قالت تالي بهدوء: «أنا آسفة يا شاي.»

بعدئذ التقطت خاتم الاتصال الخاص بها من على الطاولة المجاورة للفراش حيث كان موضوعًا هناك طوال الليل وارتدته ثم أصدرت له أمرًا: «هذه رسالة إلى دكتورة كابل، أو أيًا من كانت. سأفعل ما تريدينه، دعيني أنام قليلاً فحسب. انتهت الرسالة.»

تنهدت تالي ثم تركت جسدها يسقط على الفراش. وكانت تعلم أنه ينبغي أن ترش جروحها مرة أخرى قبل أن تغط في النوم، لكن فكرة التحرك من مكانها أثارت الألم في كل جسدها. فلن تمنعها تلك الخدوش القليلة من النوم اليوم. ولا شيء آخر يستطيع أن يمنعها.

بعد لحظات، قالت الغرفة: «رد من دكتورة كابل: سنبعث إليك بسيارة، وستصل في غضون عشرين دقيقة.»

دمدمت تالي قائلة: «لا.» لكنها أدركت أنه لا فائدة من الجدل. سيأتي أفراد السلطات الخاصة، وسيوقظونها ويأخذونها.

قررت تالي أن تحاول الخلود إلى النوم بضع دقائق، سيكون هذا أفضل من لا شيء.٤

لكنها لم تستطع قط على مدار الدقائق العشرين تلك أن تغمض عينيها.



## التجسس

بدا الحسان ذوو الملامح القاسية كمخلوقات غريبة الأطوار أكثر من ذي قبل في عيني تالي المجهدين. شعرت تالي وكأنها فأر محبوس في قفص مليء بالصقور، ينتظر أن ينقض أحدهم عليه ويطير به. وكانت الرحلة بالعربة الطائرة أكثر إثارة للاشمئزاز هذه المرة.

ركزت تالي على الإحساس بالغثيان الذي كان يؤرق معدتها، في محاولة أن تنسى سبب مجيئها إلى هنا. وعندما شقت تالي والشخص المرافق لها طريقهما إلى أسفل عبر الردهة، حاولت أن تلمّ شتات نفسها فأخذت تهدم ملابسها وتحكم شد شعرها. وبالطبع لم تبد الدكتورة كابل كمن نهض من نومه. وحاولت تالي دون طائل أن تتخيل كيف ستبدو دكتورة كابل حينما يشعث شعرها. لقد بدا مستبعدًا أن تغلق عينيها ذواتي اللون الرمادي الداكن والحادتين كالسهام فترة طويلة كافية حتى تحظى بقدر من النوم.

- «إذن، لقد أعدتِ النظر في الأمر يا تالي.»

- «نعم.»

- «وسوف تجيبين عن كل أسئلتنا الآن؟ بكل صراحة وبمحض إرادتك، أليس

كذلك؟»

قالت تالي بازدراء: «أنتِ لم تتركي لي خيارًا آخر.»

ابتسمت دكتورة كابل وقالت: «دائمًا يكون لدينا فرصة الاختيار يا تالي. وأنتِ

اخترتِ.»

- «عظيم، أشكرك. اطرحي أسئلتك فحسب.»

- «بالطبع. أولاً، ما الذي حل بوجهك؟»

تنهدت تالي وهي تلمس خدوشها بإحدى يديها وقالت: «الأشجار». رفعت دكتورة كابل حاجبها وتعجبت قائلة: «الأشجار؟ هذا جيد للغاية. بالمناسبة، فيما تحدثتما أنتِ وشاي آخر مرة رأيتها فيها؟»

أغمضت تالي عينيها، ها هي اللحظة التي ستحدث فيها بقسمها لشاي، لكن صوتًا خافتًا في ذهنها المجهد ذكّرها بأنها تحفظ وعدًا آخر أيضًا. والآن ستتضم أخيرًا إلى بيريس.

- «تحدثت بشأن الرحيل، الهروب مع شخص يُدعى ديفيد.»

مالت دكتورة كابل إلى الوراء وقالت: «آه، نعم، ديفيد الغامض. وهل ذكرت إلى أين ستذهب هي وديفيد؟»

- «مكان يدعى «الضباب»، مماثل للمدينة، لكنه أصغر. لا يتولى أحد هناك زمام المسؤولية، ولا يوجد أي حسان هناك.»

- «وهل ذكرت أين يقع هذا المكان؟»

- «لا، لم تذكر. ليس بالضبط.» تنهدت تالي ثم أخرجت الورقة المجدعة من جيبها وقالت: «لكنها تركت لي هذه التعليمات.»

لم تنظر دكتورة كابل حتى إلى الورقة، وإنما دفعت بورقة من جانب مكتبها إلى تالي. رأت تالي بعينيها المجهدين أنها نسخة ثلاثية الأبعاد من الورقة تماثلها في كل التفاصيل، حتى التعريجات الطفيفة في خط شاي المکتوب بعناء شديد.

- «لقد كان لنا مطلق الحرية في عمل نسخة منها في المرة الأولى التي كنت فيها هنا.»

حملت تالي في دكتورة كابل، مدركة أنها قد خُدعت: «إذن، لماذا تريدينني، فأنا لا أعرف شيئًا أكثر مما أخبرتك به لتوي، وأنا لم أطلب منها أن تخبرني المزيد، ولم أذهب معها، لأنني ... أردت أن ... أصير حسناء فحسب!» شعرت تالي بضيق في الحلق وأرادت أن تبكي لكنها قررت أنها لن تبكي أمام دكتورة كابل، تحت أي ظروف من الظروف، سواء أكان ظرفًا خاصًا أم لا.

- «يؤسفني أننا وجدنا التعليمات الموجودة في الورقة مشفرة يا تالي.»

- «إنها مشفرة لي ولكم.»

ضيقت دكتورة كابل عينيها اللتين كانتا كعيني الصقر وقالت: «يبدو أنها صُممت بحيث يقرأها شخص يعرف شاي تمام المعرفة، ربما أنتِ.»

- «أجل، حسنًا، لقد فهمت البعض منها، لكن بعد السطرين الأولين لم أفهم أي شيء مطلقًا.»

- «أنا متأكدة أنها غاية في الصعوبة، ولا سيما بعد ليلة طويلة مع ... الأشجار. ومع ذلك ما زلت أرى أنه بمقدورك مساعدتنا.»

فتحت دكتورة كابل حقيبة كتف صغيرة على المكتب الذي يفصل بينهما، وناضل ذهن تالي المجهد كي يدرك الأشياء الموجودة بالحقيبة: أعواد ثقاب، وحقيبة نوم مجمدة ...

- «مهلاً، تبدو هذه الأشياء كأدوات النجاة التي كانت بحوزة شاي.»

- «هذا صحيح يا تالي، هذه الأدوات الخاصة بحراس الغابة تختفي من حين لآخر، وعادةً ما يكون ذلك في الوقت نفسه الذي يختفي فيه أحد القبحاء.»

- «حسنًا، لقد انكشف اللغز، لقد أعدت تالي نفسها جيدًا للرحيل إلى منطقة الضباب ومعها مجموعة من هذه الأشياء.»

- «وماذا كان بحوزتها أيضًا؟»

هزت تالي منكبيها وقالت: «لوح طائر، لوح معد خصوصًا، يعمل بالطاقة الشمسية.»

- «بالطبع، لوح طائر. وما الذي يحدث لهذه الأشياء وأولئك الأوغاد؟ وماذا كانت شاي تنوي أن تأكل، ماذا في رأيك؟»

- «كان بحوزتها عبوات طعام، مجفف.»

أظهرت دكتورة كابل عبوة طعام فضية اللون وقالت: «كهذه؟» أخذت تالي نفسًا عميقًا وقالت: «إنه يكفي أسبوعين لو كنت قد ذهبت معها. وقد قالت لي إنه يكفي ويزيد.»

- «أسبوعين؟ ليست مدة طويلة.» ثم أخرجت دكتورة كابل حقيبة كتف سوداء من جانب مكتبها وبدأت تعبئ الأشياء المتنوعة فيها وقالت: «ربما عليك أن تقومي بها.»

- «أقوم بها؟ بماذا أقوم؟»

- «الرحلة إلى منطقة الضباب.»

- «أنا؟»

- «أنتِ فقط من يستطيع فهم الاتجاهات يا تالي.»

- «لقد أخبرتك أنني لا أعرف ماذا تعني!»

– «لكنك ستعرفين، ما إن تخرجي للرحلة. إذا كنت ... متحمسة حسبما ينبغي..»  
 – «لكنني أخبرتك بالفعل بكل ما تريدين معرفته، لقد أعطيتكِ الورقة، وأنتِ وعدتني!»

هزت دكتورة كابل رأسها وقالت: «لقد كان وعدي يا تالي هو ألا تصيري حسناء إلى أن تبذلي أقصى ما في وسعك في مساعدتنا. أنا متيقنة تمام اليقين من أن هذا بمقدورك.»

– «لكن لماذا وقع الاختيار علي؟»

– «انصتي إلي جيداً يا تالي. أتظنين أن هذه هي المرة الأولى التي نعلم فيها بشأن ديفيد؟ أو منطقة الضباب؟ أو نعثر على بعض الاتجاهات المكتوبة في عجالة التي تصف طريق الوصول إلى هناك؟»

فزعت تالي لدى سماعها نبرة الصوت الحادة، فحولت نظرها بعيداً عن الغضب الذي يشع من وجه المرأة القاسي، ثم قالت: «لا أعلم.»

– «لقد رأينا كل هذا من قبل، لكن أينما ذهبنا بأنفسنا لا نعثر على شيء. ضباب فحسب.»

شعرت تالي مجدداً بضيق في الحلق ورغبة في البكاء: «إذن، كيف لي أن أعثر على أي شيء؟»

قرّبت دكتورة كابل الورقة منها وقالت: «هذا السطر الأخير، الذي يقول «انتظري فوق الرأس الأصلع» يشير بوضوح إلى نقطة التقاء. لذا اذهبي أنتِ إلى هناك وانتظري. وعاجلاً أو آجلاً، سيأتون لاصطحابك. إذا أرسلت عربة طائرة مليئة بأفراد السلطات الخاصة، ربما يرتاب أصدقاؤك قليلاً.»

– «أتقصدين أنكِ تريدينني أن أذهب بمفردي؟»

أخذت دكتورة كابل نفساً عميقاً، واعتلت وجهها نظرة اشمئزاز ثم قالت: «هذا ليس بالأمر العسير يا تالي. لقد غيرت رأيك، وقررت أن تهربي وتلحقي بصديقتكِ شاي. كل ما هنالك أن قبيحة أخرى قد ولت الأدبار من استبداد الجمال.»

رفعت تالي عينيها إلى الوجه القاسي عبر دموعها المترقرقة في عينيها وقالت: «وماذا بعد؟»

أخرجت دكتورة كابل شيئاً آخر من الحقيبة، عبارة عن قلادة يتدلى منها حلية على شكل قلب صغير. وضغطت على جانبيه، فانفتح القلب وقالت: «انظري بداخله.»

أمسكت تالي بالقلب الصغير بالقرب من عينيها وقالت: «لا أستطيع أن أرى أي شيء ... آو!»

بعث القلب وميضاً أعمى عينيها لحظة، تلاه صوت صفير خافت.

- «لن يستجيب هذا الجهاز الكاشف عن المكان إلا لبصمة عينيك يا تالي. وبتنشيطه سنأتي إليك في غضون ساعات قليلة. فيمكننا أن نساfer بسرعة كبيرة.»  
بعدها أسقطت دكتورة كابل القلادة على المكتب، ثم استرسلت في حديثها: «لذا لا تقومي بتنشيطه إلى أن تصلي إلى منطقة الضباب. لقد استغرق إعدادنا منا بعض الوقت. أريد المكان الحقيقي يا تالي.»

نفضت تالي عن عينيها الصورة الطيفية للوميض التي علقت بعينيها، في محاولة لأن تجبر ذهنها المجهد على التفكير. لقد فطنت الآن إلى أن هذا لم يكن مجرد استجواب. لقد أرادوها أن تصبح جاسوسة لهم، عميلة. وتساءلت: ترى منذ متى وهم يخططون لهذا؟ وكم مرة حاولت فيها السلطات الخاصة أن تجند أحد القبحاء كي يعمل معهم من قبل؟ قالت تالي: «لا أستطيع أن أفعل هذا.»

- «بل تستطيعين يا تالي، يجب عليك أن تقومين بهذا. لتعتبريها مغامرة.»

- «أرجوك، لم يسبق لي أن قضيت الليل بأكمله خارج المدينة وحدي.»

تجاهلت دكتورة كابل التنهد ذا الأنفاس السريعة الذي تخلل كلمات تالي وقالت: «إذا لم توافقني الآن، فسأجد شخصاً آخر، أما أنتِ فستظلين قبيحة إلى الأبد.»

رفعت تالي عينيها كي تحاول النظر عبر دموعها التي كانت تسيل بحرية الآن إلى ما وراء قناع القسوة الذي اعتلى وجه دكتورة كابل بحثاً عن الحقيقة. وبالفعل وجدت في عينيها الفاترتين ذواتي اللون الرمادي الداكن ثقة رزينة ومريعة على خلاف أي إحساس يمكن أن ينقله وجه أي من الحسان العاديين. أدركت تالي أن المرأة كانت تعني ما قالته.

إما أن تتجسس تالي على منطقة الضباب وتخون شاي، أو أن تصير قبيحة إلى

الأبد.

قالت تالي: «يجدر بي أن أفكر في الأمر.»

قالت دكتورة كابل: «ستكون قصتك كالتالي: هربتِ الليلة التي سبقت عيد ميلادك، مما يعني أنه لديك فرصة لتختلقي قصة بأنك ضللت الطريق أربعة أيام. وفي حالة أي تأخير بعد ذلك، لن يصدقوك، سيخمنون ما حدث؛ لذا قرري الآن.»

- «لا أستطيع، أنا منهكة للغاية.»

أشارت دكتورة كابل إلى شاشة الجدار، فظهرت صورة على الشاشة، أشبه بالمرأة، لكنها أظهرت في لقطة قريبة مأخوذة لتالي حسبما تبدو الآن: عينين منتفختين وملابس غير مرتبة، وإعياء وخدوشاً حمراء تميز وجهها، وشعرًا يبرز في كل الاتجاهات، وملامح تالي وقد اعترها الخوف وهي تشاهد مظهرها.

«هذه أنتِ يا تالي. إلى الأبد.»

- «أطفئها...»

- «قرري.»

- «حسنًا، سأفعل. لكن أطفئها.»

أُظلمت الشاشة.



الجزء الثاني

## منطقة الضباب

«لا يوجد جمال فائق لا يخلو من بعض الغرابة في اتساقه.»

فرانسيس بيكون،

«مقالات ومشورات مدنية وأخلاقية عن الجمال»



## الفصل السابع عشر

# الرحيل

غادرت تالي مدينة آجلي فيل في منتصف الليل.

وكانت دكتورة كابل قد طلبت منها ألا تخبر أي شخص بأمر مهمتها حتى أجهزة إشراف العنبر. ولا بأس إن روج بيريس لإشاعات عن مهمتها، فعلى أي حال لا أحد يصدق ثرثرة الحسان الجدد. ولكن الأمر قد بلغ حتى عدم إبلاغ والديها رسمياً بأنهم أجبروا تالي على الهرب. كانت تالي بمفردها تماماً وليس بصحبتها إلا حلية القلب الصغير للقلادة.

كالمعتاد تسللت تالي إلى الخارج عبر النافذة إلى أسفل خلف آلة إعادة التدوير. تركت وراءها خاتم الاتصال الذي يخصها على الطاولة المجاورة للفرش، ولم تحمل معها شيئاً سوى حقيبة النجاة والورقة التي تركتها شاي. وكادت تالي أن تنسى حزام جهاز الاستشعار، لكنها ارتدته قبل أن ترحل مباشرة، حينئذ كان القمر قد شارف على الانتصاف، أخذاً في الاكتمال. على الأقل سيكون هناك بعض الضوء أثناء سفرها.

وكان هناك لوح طائر خاص طويل المدى ينتظرها تحت السد. وعلى عكس بقية الألواح نادراً ما تحرك هذا اللوح عندما اعتلته. فمعظم الألواح تفقد اتزانها قليلاً عندما تعدل وضعها وفقاً لوزن راكبها، وترتد مثل لوح القفز في الماء، لكن هذا اللوح كان ثابتاً تماماً. وبعد أن طقطقت تالي أصابعها، ارتفع بها، وهو ثابت تحت قدميها.

قالت تالي: «لا بأس بذلك.» ثم عضت شفتها. ومنذ أن رحلت شاي منذ عشرة أيام اعتادت تالي أن تُحدث نفسها، الأمر الذي لم يكن مؤشراً جيداً. فالآن سوف تكون وحيدة تماماً على مدار بضعة أيام على الأقل، وآخر شيء كانت في حاجة إليه هو المزيد من الحوارات الخيالية.

حلق اللوح إلى الأمام بسلاسة، مرتفعاً عن الجسر إلى أعلى السد. وما إن حلقت تالي بلوحها أعلى النهر، حتى دفعته للتطبيق بسرعة أكبر وهي تميل إلى الأمام، وبدا النهر كبقعة ضبابية لامعة تحت قدميها. ولم يبد أن هناك جهازاً ضابطاً لسرعة اللوح؛ إذ لم يصدر أي صوت إنذار للأمان. ربما كانت الحدود الوحيدة له هي الفضاء الفسيح، والمعدن الموجود على سطح الأرض تحته، وبقاء قدمي تالي راسختين على اللوح.

وكانت السرعة هي كل الخيارات المتاحة لها إذا كانت تريد أن تختلق عذراً للأيام الأربعة السابقة التي قضتها في سجن القبحاء. فإذا ظهرت تالي بعد عيد ميلادها بمدة طويلة، قد تدرك شاي أن عملية تحولها قد أرجئت. ومن هنا ستخمن أن هروب تالي ليس هروباً عادياً.

مر النهر تحت قدميها على نحو أسرع وأسرع، ووصلت تالي إلى المنحدرات النهرية في وقت قياسي. وكانت قطرات الرذاذ تتساقط عليها كحبات البرد عندما بلغت أولى الشلالات، فمالت تالي إلى الورا لتخفف من سرعتها قليلاً. ومع ذلك كانت لا تزال تجتاز المنحدرات النهرية بسرعة لم تبلغها من قبل.

لقد أدركت تالي أن هذا اللوح الطائر ليس كذاك الذي يلعب به القبحاء، وإنما هو لوح حقيقي. ففي الطرف الأمامي منه تلاًماً وميض نصف دائرة من الأضواء التي تمدها بتقارير من كاشف المعادن المزود به اللوح، وهو الذي كان يبحث باستمرار في بقاع الأرض أمامها ليرى هل هناك رواسخ حديدية كافية في الأرض تتيح للوحها مواصلة التطبيق في السماء. وظلت الأضواء وامضة باستمرار أثناء تسلقها للمنحدرات النهرية، وكانت تالي تتمنى أن تكون شاي صائبة فيما يتعلق بالرواسب المعدنية الموجودة في كل نهر، وإلا قد تكون رحلتها هذه المرة طويلة للغاية.

بالطبع لن يتسنى لها وهي تطير بهذه السرعة أن يكون لديها الوقت لأن تتوقف لو انطفت هذه الأضواء فجأة، الأمر الذي سيجعل هذه الرحلة رحلة قصيرة للغاية. لكن ظلت الأضواء وامضة، وهدأت أعصاب تالي بفضل خريز المياه ذات الزبد، وصفعات الرذاذ الباردة على وجهها، وشعورها بالإثارة وهي تحني جسدها في كل منحني تلو الآخر في الظلام المرقط بضوء القمر. وكان هذا اللوح أكثر ذكاءً من لوحها السابق، إذ استوعب حركاتها في غضون دقائق معدودة. لقد كان الأمر أشبه بالارتقاء من استخدام الدراجة الثلاثية إلى الدراجة البخارية. قد يكون أمراً مخيفاً لكنه مثير.

تساءلت تالي عما إذا كان الطريق إلى منطقة الضباب مليئاً بالكثير من المنحدرات النهرية التي يفترض أن تحلق فوقها. ربما قد تكون هذه الرحلة مغامرة حقاً. بالطبع، ولن يكون هناك في نهاية الرحلة سوى الخيانة، أو الأسوأ من ذلك أن تكتشف أن ثقة شاي في ديفيد في غير محلها، مما يعني ... أي شيء. ربما شيء مريع.

ارتعدت تالي أمام هذا الاحتمال وقررت ألا تفكر فيه ثانية.

عندما بلغت تالي الطريق الجانبي، أبطأت من سرعتها واستدارت باللوح لتلقي نظرة أخيرة على المدينة. لقد بدت متلائة في الوادي المظلم، وكانت بعيدة جداً حتى إنها كانت تستطيع أن تخفيها عن ناظرها بيد واحدة. وفي هواء الليل الصافي استطاعت تالي أن تميز بعض الألعاب النارية التي كانت تتفتح في الهواء كالأزهار المشرقة، وكان كل شيء صغيراً للغاية. وبدا القفر حولها أكبر بكثير، والنهر ذا الزبد في كامل قوته، والغابة ممتلئة بالأسرار المستترة في أعماقها المظلمة.

وسمحت تالي لنفسها أن تحدق طويلاً في أضواء المدينة قبل أن تخطو بقدميها على اليابسة، وهي تتساءل متى سترى وطنها مرة أخرى.

في طريقها تساءلت تالي عن عدد الأوقات التي سيكون عليها فيها أن تسير على قدميها. لقد كانت رحلة تحليقها أعلى المنحدرات النهرية أسرع من أي مرة حلقت فيها، بل كانت أسرع أيضاً من العربة الطائرة الخاصة بالسلطات الخاصة وهي تطارد غيرها من العربات بسرعة وسط ازدحام المدينة. ومع هذه السرعة، يجب حمل حقيبة الكتف واللوح.

ومع ذلك لم يمض وقت طويل حتى ظهرت مدينة الأطلال الصدئة أسفلها، وقادها كاشف المعادن المزود به اللوح إلى طبقات الحديد الخام. هبطت تالي بلوحها أسفل باتجاه الأبراج المنهارة، وازدادت أعصابها توتراً حينما كانت الأطلال ترتفع في السماء لتحجب القمر المنتصف. لقد كانت المباني المنهارة تحيط بها، والعربات المحترقة الصامتة تقترب منها. وكان النظر عبر النوافذ الفارغة للمباني يشعرها بمدى وحدتها؛ لكونها هائمة وحيدة بمدينة خالية.

قالت تالي بصوت مرتفع وكأنها تعوذ بتعويزة لتُبعد عنها أيًا من أشباح الأطلال: اتجهي نحو الملاهي وراء الفجوة مباشرة.» على الأقل كان هذا الجزء من الرسالة واضحاً وضوح الشمس؛ فلا بد أن «الملاهي» تشير إلى مسار قطار الملاهي.

وعندما أفسحت الأطلال المرتفعة الطريق للأرض المستوية، زادت تالي من سرعة اللوح الطائر. ولدى بلوغها قطار الملاهي، وصلت بالدائرة الكهربائية إلى أقصى سرعتها. ربما كان جزء «ما وراء الفجوة مباشرة» هو الجزء الوحيد المهم في مفتاح اللغز، لكن تالي قررت أن تتعامل مع الورقة بأكملها على أنها تعويذة سحرية. فإهمال أي جزء قد يجعل الأمر برمته بلا معنى.

كذلك هو شعور رائع أن تحلق بلوحها بسرعة وكدمجدًا، تاركة أشباح مدينة الأطلال الصدئة وراءها. وبينما كانت تالي تلتف لتلبية انحناءات المنعطفات الضيقة وتهبط مع المنحدرات شديدة الانحدار، والعالم يدور حولها، شعرت وكأنها شيء تتقاذفه الرياح، لا تعلم إلى أي اتجاه ستأخذها الرحلة في آخر المطاف.

وقبل أن تقفز عبر الفجوة، انطفأت أضواء كاشف المعادن، وسقط اللوح بعيدًا، وبدا الأمر وكأن معدتها صاحبتة في سقوطه، مخلفًا شعورًا غائرًا داخلها. لقد ثبت لها أن شكوكها في محلها، فلا يصدر اللوح إنذارًا بالأمان عند التحليق بأقصى سرعة. حلقت تالي في الهواء في الظلام الساكن، وكان الصوت الوحيد هو صوت اندفاعها المتعجل. وتذكرت تالي تجربتها السابقة في القفز عبر الفجوة، وكيف كانت غاضبة آنذاك، وكيف بدا الأمر بعد بضعة أيام كمزحة بينها وبين شاي، وهو أمر طبيعي بين القباء. لكن ها هي شاي تعاود فعلها الآن، تختفي مثل المسار الذي اختفى أسفل تالي، تاركة إياها تسقط سقوطًا حرًا.

بعد ثوان معدودة، ومضت الأضواء، وعملت أساور الصدمات على استقرار اتزان تالي إذ عاود اللوح عمله وهو يرتفع بسلاسة ليستقر تحت قدميها بثبات مطمئن. وعند قاع التل انحنى المسار في منحنيات لولبية شديدة الانحدار. لكن تالي هدأت من سرعتها واستمرت في التقدم وهي تتمتم: «وراء الفجوة مباشرة.»

ظلت الأطلال تطل على تالي تحت قدميها. وهنا خارج الفجوة كادت الأطلال أن تكون مطمورة بالكامل تقريبًا، حيث لم يكن هناك سوى بعض الكتل التي لا شكل لها ترتفع وسط الأعشاب. لكن سكان العصر القديم كانوا يبنون بنايات راسخة بدت في تناغم مع هياكلها المعدنية الخربة. وظلت الأضواء في الطرف الأمامي من لوحها مضاءة.

رددت تالي في نفسها السطر التالي: «إلى أن تعثري على واحد طويل ومسطح.» وكانت تالي قد حفظت سطور الورقة عن ظهر قلب من أعلى إلى أسفل ومن أسفل إلى أعلى، لكن تكرار الكلمات لم يوضح معناها مطلقًا.

كان السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو «ماذا تعني بكلمة واحد؟» هل تقصد مسار قطار ملاهي واحد؟ أم تقصد فجوة؟ قد يكون الاقتراح الأول سخيًّا، فأين ستكون نقطة بدء مسار قطار ملاهي طويل ومسطح؟ وهل تقصد فجوة طويلة ومسطحة؟ ربما كانت تريد أن تصف واديًّا ضيقًا عميقًا يكتمل بوجود نهر قريب في قاعه. لكن كيف يكون الوادي مسطحًا؟

ربما تعني بكلمة «واحد» رقم واحد. هل من المفترض أن تبحث تالي عن شيء يشبه رقم واحد؟ لكن الرقم واحد يأخذ خطأً مستقيمًا فقط. على أي حال، هي تقصد شيئًا طويلًا ومسطحًا بالفعل. إذن هل أرادت أن تشير إلى شكل رقم واحد في اللغة الرومانية I، لكن دون الخطين المستعرضين الموجودين أعلاه وأسفله، أم تعني النقطة التي تعلق هذا الشكل إذا كانت تريد أن تشير إلى حرف i الصغير.

قالت تالي بصوت مرتفع: «أشكرك من أجل مفتاح اللغز العظيم يا شاي.» ولم تبد لتالي فكرة التحدث إلى نفسها فكرة سيئة هناك في الأطلال في العراء، حيث كانت بقايا الأطلال تناضل ضد قبضة النباتات المعترشة. كان أي شيء أفضل من هذا الصمت المرعب. واجتازت تالي أراضي منبسطة من المباني الخرسانية، وأرجاء شاسعة شقها وغزاها العشب. وكانت شرفات الجدران المنهارة تحمق فيها، وقد انبثقت منها أعشاب ضارة وكأن الأرض لها أعين مراقبة راشدة.

عندئذ مسحت تالي الأفق بعينيها، باحثة عن مفاتيح لحل اللغز، فلم تجد شيئًا طويلًا ومسطحًا، وعندما نظرت أسفل إلى الأرض التي تجتازها، لم تستطع تالي أن تميز أي شيء في الظلام الذي تخنقه الأعشاب الضارة. لعلها تجاوزت الشيء الذي يشير إليه المفتاح أيًّا كان هو، دون أن تعرفه، وعليها أن تعيد اقتفاء أثر دربها في ضوء النهار. لكن كيف لها أن تعرف بعدما ذهبت بعيدًا جدًّا؟ كررت تالي قولها: «أشكرك يا شاي.»

عندئذ لمحت شيئًا على الأرض فوقفت.

لقد تجلت عبر الستائر العشبية وكسارة الأنقاض أشكال هندسية، عبارة عن سلسلة من المستطيلات مصطفة في خط مستقيم. دنت تالي باللوح من الأرض فرأت تحتها مسارًا ذا قضبان معدنية تقطعه عوارض خشبية عرضية، مثل مسار قطار الملاهي، لكنه أكبر. إنه يسير في خط مستقيم مسافة بعيدة جدًّا على مرمى بصرها.

- «اتجهي نحو الملاهي وراء الفجوة مباشرة، إلى أن تعثري على واحد طويل

ومسطح.»

لقد كان هذا الشيء مسارًا لقطار ملاء، لكنه طويل ومسطح.

تساءلت تالي بصوت مرتفع: «لكن ما الغرض منه؟» ما المتعة التي يجلبها مسار قطار الملاهي دون منعطفات أو مرتفعات؟

هزت تالي كتفيها في تعجب. وبصرف النظر عن الطريقة التي كان سكان العصر القديم يجدون بها المتعة لأنفسهم، فقد كان هذا المسار رائعًا للوح الطائر. لقد امتد المسار في اتجاهين متقابلين، لكن كان من السهل أن تعرف تالي أي اتجاه ستسلكه، فأحدهما يقودها إلى الورا نحو الطريق الذي أتت منه إلى قلب الأطلال، والآخر يمتد إلى الخارج نحو الشمال وينعطف باتجاه البحر.

استرشدت تالي بالسطر التالي الوارد في الورقة التي تركتها شاي: «والبحر البارد»، وتساءلت إلى أي حد ستتوغل شمالاً.

زادت تالي من سرعة اللوح الطائر وهي سعيدة لعثورها على الإجابة. ولو كانت كل الأحجيات الصغيرة التي خلفتها شاي في ورقتها سهلة الحل على هذا النحو، لصارت هذه الرحلة بأكملها رحلة يسيرة.

مكتبة  
t.me/t\_pdf



## وجبة الاسباجتي بولونيز

تقدمت تالي بسرعة كبيرة تلك الليلة.

تحرك المسار بسرعة تحتها، وهو لا يحيد عن المنعطفات المتدرجة حول التلال، ويعبر الأنهار فوق الجسور المتهدمة، ويتقدم دومًا باتجاه البحر. وقادها هذا المسار مرتين إلى أطلال صدئة أخرى لمدن أصغر حجمًا وأكثر تماثلًا في خرابها. فلم يتبق سوى بضعة هياكل معدنية ملتوية ترتفع فوق الأشجار كأصابع الهيكل العظمي المقبوضة في الهواء. وانتشرت العربات الأرضية المحترقة في كل مكان، التي سدت الشوارع المؤدية إلى خارج المدينة حينما تلاحمت معًا في التصادمات التي وقعت بعد الهلع الأخير الذي انتاب سكان العصر القديم.

وبينما كانت تالي قريبة من مركز إحدى المدن الخربة، اكتشفت ما الذي قصده شاي بمسار قطار الملاهي الطويل والمسطح. فوسط مجموعة من المسارات المتشابكة كلوحة كهربائية ضخمة عثرت تالي على مجموعة عربات بالية لأحد قطارات الملاهي، التي كانت عبارة عن حاويات ضخمة مملئة بأغراض سكان العصر القديم وأكوام من الأشياء الصدئة والبلاستيكية يصعب تمييزها. حينئذ تذكر ذهن تالي في التو أن المدن الصدئة لم تكن تتمتع بالاكتهاء الذاتي، وإنما كانت دومًا تجري معاملات تجارية فيما بينها، حينما لم يكن هناك نزاع حول من يمتلك بضائع أكثر. ولا بد أنهم كانوا يستخدمون مسار القطار المسطح لنقل بضائعهم من مدينة لأخرى.

وبينما أخذ ضوء النهار ينجلي، سمعت تالي صوت البحر من بعيد، فسمعت صوتًا خافتًا لخير الماء آتيًا من البحر عبر الأفق. وكان بإمكانها أن تشم رائحة ملح البحر في الهواء، وهو ما أنعش في ذاكرتها ذكريات زهابها إلى المحيط مع إيلي وسول وهي صغيرة.

قرأت تالي في ورقة شاي: «والبحر البارد، انتبهي إلى الفجوات.» ولن يمر وقت طويل حتى ترى تالي الأمواج وهي تتكسر على الشاطئ. لعلها قريبة الآن من حل مفتاح اللغز التالي.

وتساءلت تالي عن قدر الوقت الذي استطاعت أن تعوض ضياعه من مهمتها بواسطة لوحها الطائر الجديد. لقد زادت من سرعته، ودرثت نفسها بستره العنبر من برد ما قبل الشروق. وكان المسار يرتفع تدريجياً الآن، قاطعاً تشكلات من الصخور الجيرية. فتذكرت تالي الجروف البيضاء التي توجت المحيط، والتي كانت تكتظ بالطيور البحرية التي كانت تعشش في الكهوف العالية. وبدا لها وكأنها قد قامت برحلات التخيم التي كانت فيها بمعية سول وإيلي منذ مائة سنة. وتساءلت هل توجد عملية تمكنها من أن تعود صغيرة مرة أخرى وتظل صغيرة إلى الأبد.

وفجأة تراءت فجوة كبيرة أمام عيني تالي، امتد فوقها جسر منهار، وبعد لحظة أدركت أن الجسر لا يمتد بطول الطريق، وأنه لا يوجد تحتها نهر مليء بالرواسب المعدنية قد تسقط فيه، لم يكن هناك سوى منحدر شديد إلى البحر. استدارت تالي بلوحها إلى أحد جانبيها، ومن شدة استخدام الكوابح المفاجئة انحنت ركبتها، وأصدر حذاؤها المانع للانزلاق صوت صرير عال وهو ينزلق على سطح اللوح، وكاد جسدها يصبح موازياً للأرض. لكن الأرض اختفت.

لقد رأت هوة عميقة أسفلها، رأت صدعاً قطعه البحر في الجروف. وكانت الأمواج الهائجة تصطدم بتلك القناة الضيقة، ويتلأأ زبدها في الظلام الدامس، وعلا صوت خريرها الغاضب الذي وصل إلى أذنيها. وبينما تركت تالي الطرف المتشقق للجسر الحديدي خلفها خفتت أضواء كاشف المعادن المزود به اللوح واحداً تلو الآخر. حينئذ شعرت تالي أن اللوح يفقد قوته الرافعة وينزلق إلى أسفل.

وإذا بفكرة تبارق في ذهنها: إذا قفزت الآن، يمكنها أن تقبض بيديها على طرف الجسر المحطم. لكن عندئذ سيقع اللوح الطائر في الهوة وراءها، تاركاً إياها عالقة هناك.

أخيراً، توقف اللوح عن الانزلاق في الهواء، لكن تالي كانت لا تزال تهبط إلى أسفل. وكان آخر نتوء بارز للجسر المنهار «فوقها» الآن، بعيداً عن متناول يديها. تحرك اللوح إلى أسفل ببطء، وأخذت أضواء كاشف المعادن تخبو واحداً تلو الآخر

عندما فقدت قواه المغناطيسية سيطرتها على الحركة. وكان جسد تالي ثقيلًا للغاية. أرخت تالي حمالة الحقيبة عن كتفها واستعدت لتقذف بها. لكن كيف لها أن تنجو دونها؟ الاختيار الوحيد أمامها هو أن تعود إلى المدينة للحصول على المزيد من المؤن، مما يعني أنها ستخسر يومين آخرين. نسمت ريح باردة عبر المحيط تدفقت عبر الصدع، لتجتاح ذراعي تالي قشعريرة كقشعريرة الموت.

لكن نسمة الريح تلك أبقت على اللوح الطائر في الهواء، وللحظة أصبحت تالي عالقة، فلم ترتفع إلى أعلى ولم تسقط إلى أسفل. بعد ذلك بدأ اللوح ينزلق إلى أسفل مجددًا ...

أدخلت تالي يديها في جيوب سترتها وبسطت ذراعيها مثل الشراع كي تستغل الريح. حينئذ ضربتها عاصفة أقوى فرفعتها قليلًا، مخففة من وزن اللوح، ثم أومض أحد أضواء كاشف المعادن وميضًا أقوى.

بدأت تالي ترتفع في السماء مثل طائر يبسط جناحيه. وأخذت روافع اللوح الطائر بالتدريج تستعيد تحكمها الميكانيكي في المسار، إلى أن حلق اللوح الطائر بتالي عاليًا لتوازي في ارتفاعها ارتفاع الطرف المنهار للجسر. وبحذر حركت اللوح ليعود إلى مستواه فوق حافة الجرف، وسرت في جسدها قشعريرة شديدة عندما مر اللوح بأرضية صلبة. تراجلت تالي عن اللوح، وقدمها تارتعشان.

رددت تالي بصوت أحش: «البحر بارد، وانتهي إلى الفجوات.» يا لها من حمقاء، كيف لها أن تزيد من سرعتها في الوقت الذي تطلب منها شاي فيه أن تنتبه وتكون حذرة؟

انهارت تالي على الأرض، وقد غلبها شعور مفاجئ بالدوار والإعياء. واستعاد ذهنها صورة الهوة التي تراءت لها، وكذلك الأمواج التي تدنوها وهي ترتطم بشدة ولا مبالاة بالصخور المفلولة. لقد كان من الممكن أن تظل هناك بالأسفل وقد تهشمت وتهشمت إلى أن ينتهي أمرها تمامًا.

وحينئذ ذكرت تالي نفسها بأن ما تراه هو البرية، فالأخطاء لها عواقب وخيمة.

وقبل أن يتوقف قلب تالي عن خفقانه الشديد، كانت معدتها قد بدأت تتذمر من شعور الجوع الذي يعترضها.

مدت تالي يدها إلى حقيبة كتفها لتخرج منها جهاز تنقية الماء الذي ملأته من آخر نهر بلغته، وأفرغت مرشح الشوائب والرواسب، ووجدت أنه رشح من الماء ملء ملعقة من الرواسب الطينية بنية اللون. وعندما فتحت غطاء الجهاز لتتنظر بداخله اندهشت قائلة: «غريب..» لقد بدا الماء بداخله نقياً وله رائحة الماء.

شربت منه بنهم بقدر حاجتها الشديدة، لكن احتفظت بمعظمه لتستخدمه في إعداد العشاء أو الإفطار أيًا كان. واعتزمت تالي أن تقوم بمعظم تنقلاتها ليلاً، كي تسمح للوح الطائر بأن يستعيد شحنه من ضوء الشمس كي لا تضيع وقتها.

دست تالي يدها في الحقيبة المصنوعة من مادة مقاومة للماء وأخرجت عشوائياً إحدى عبوات الطعام، وقرأت ما كان مكتوباً على ملصق العبوة: «اسباجتي بولونيز» ثم هزت منكبها. وعندما فتحت غطاءها البلاستيكي، بدت لها في شكلها وملمسها كعقدة من الخيوط القطنية المجففة في حجم الإصبع. ألقته تالي في جهاز التنقية، الذي أصدر أصوات بقبقة حينما وصل إلى درجة الغليان.

وعندما أحدثت تالي النظر في الأفق المتوهج، اتسعت عيناها؛ إذ لم يسبق لها أن شاهدت الفجر من خارج المدينة. فشأنها شأن سائر القباء، نادراً ما كانت تستيقظ مبكراً، وعلى أي حال كان الأفق يختبئ دوماً وراء أفق نيو برتي تاون. لقد فتنها مشهد شروق الشمس الحقيقي.

كانت السماء تتوهج بشريط يحمل اللونين البرتقالي والأصفر، بدا متألّقاً يفوق التوقعات، ويمائل الألعاب النارية في روعتها لكنه كان يتغير بمعدل بطيء يصعب إدراكه. هذا هو الحال هنا في البرية، لقد بدأت تالي تتعلم الكثير وتنظر إلى الأمور من منظور جديد. الخطر أم الجمال، أم كلاهما معاً.

أصدر جهاز تنقية الماء صوت رنين معدني إيذاناً بانتهاء عمله، ففتحت تالي غطاءه ونظرت داخله فوجدت مكرونة شريطية (نودلز) بصلصة الطماطم، مع بذور صغيرة لفول الصويا، لقد بدت رائحتها شهية للغاية. نظرت تالي مرة أخرى إلى ملصق العبوة فقرأت فيه: «اسباجتي بولونيز ... اسباجتي بكرات اللحم!»

وجدت تالي شوكة بالحقيبة فاستخدمتها وتناولت الاسباجتي بنهم. كانت تلك الوجبة أجمل وجبة تناولتها تالي منذ زمن بعيد وسط أشعة الشمس المشرقة التي أشعرتها بالدفء، وصوت تصادم أمواج البحر أسفلها.

ولما كان اللوح الطائر لا يزال يحتفظ بقدر من شحناته الكهربائية، عزمت تالي على أن تواصل المضي في طريقها بعد تناولها لإفطارها. وأعدت تالي قراءة السطور الأولى من ورقة شاي:

اتجهي نحو الملاهي وراء الفجوة مباشرة،  
إلى أن تعثري على واحد طويل ومسطح.  
والبحر البارد، انتبهي إلى الفجوات.  
في الثانية، ارتكبي أفدح الأخطاء.

كانت لفظة «الثاني» تعني جسراً آخر مكسوراً، أرادت تالي أن تتجه إليه في وضح النهار. وإذا اكتشفت وجود الفجوة بعد أقل من ثانية، فسينتهي بها الحال إلى حد كبير كالاسباجتي بولونيز عند قاع الجرف.

لكن المشكلة الأولى التي كانت تواجهها كانت تكمن في عبور الصدع والهوة التي تدنوه. فقد كان أوسع بكثير من ذلك الذي في مسار قطار الملاهي، ومما لا شك فيه أن أطرافه كانت بعيدة للغاية بعضها عن بعض بما يصعب القفز عبرها. لذا بدا المشي وكأنه السبيل الوحيد لاجتيازه، فسارت تالي على الأرض عبر الأعشاب القصيرة، وقدماتها تشعران بالامتنان لها لأنهما أخيراً صارتا مبسوطتين بعد ليلة طويلة قضتها على اللوح. وبعد فترة وجيزة تخطت تالي الصدع، وبعد مرور ساعة حلقت تالي فوق الجانب الآخر للجسر.

حلقت تالي بلوحها الطائر عالياً الآن بسرعة أبطأ كثيراً مما قبل، وعيناها تحديقان النظر أمامها، دون أن تتجرأن على فعل أي شيء أكثر من إلقاء نظرة خاطفة من وقت لآخر على المشهد من حولها.

برزت الجبال عن يمينها، فكانت شاهقة بما يكفي لأن يغطي الثلج قممها حتى في برد أوائل الخريف. وكانت تالي تنظر دوماً إلى المدينة على أنها مكان ضخم، عالم متكامل في حد ذاته، لكن حجم كل ما رآته هنا بالخارج كان أكبر بكثير. وكذلك كان المكان جميلاً للغاية. لقد أدركت لِمَ اعتاد الناس العيش بالخارج في الطبيعة، حتى ولو لم يكن هناك أي أبراج للاحتفالات أو قصور، أو حتى عنابر للنوم.

ومع ذلك كان التفكير في مدينتها يذكرها باشتياق عضلاتها المتألمة إلى حمام دافئ. وجمال في مخيلتها حوض استحمام كبير للغاية، مثل ذلك الحوض الذي استخدمه الحسان في نيو برتي تاون، ذلك الحوض ذي النافورة الدوارة وفقاعات

التدليك الهائلة الذائبة فيه. وتساءلت عما إذا كان بمقدور جهاز تنقية المياه أن يغلي قدرًا من الماء يكفي للماء حوض استحمام إذا ما عثرت على واحد، وهو الأمر المستبعد تمامًا. ترى كيف يستحم سكان منطقة الضباب؟ ترى كيف ستكون رائحتها عندما تصل منطقة الضباب بعد أيام لم تستطع فيها الاستحمام؟ هل هناك صابون في حقيبة النجاة؟ شامبو؟ بالطبع لن يكون هناك أي مناشف. ولم تدرك تالي قط قدر الأشياء التي كانت تحتاج إليها من قبل.

وبعد مرور ساعة أخرى بلغت تالي الفجوة التالية في مسارها: فقد كان هناك جسر منهار فوق نهر تسلل كالأفعى من الجبال.

أحكمت تالي وقفعتها، ثم حملت عبر حافة الجسر. ولم يكن منحدر الهوة هذه المرة بنفس سوء الهوة الأولى، ولكنها كانت عميقة بالقدر الكافي الذي يجعلها مميتة. لقد كانت كبيرة للغاية مما يجعل من الصعب عليها القفز عبرها. ولو لجأت لاجتيازها سيرًا على الأقدام، فقد تسير إلى الأبد. لقد امتد ممر النهر مسافة بعيدة، ولم يكن هناك سبيل يسير لاجتيازه.

تمتت تالي: «في الثانية، ارتكبي أفدح الأخطاء.»

ها هو مفتاح آخر للغز. وأي شيء صحيح ستفعله الآن قد يكون خطأ. لكن كان ذهن تالي مجهودًا للغاية بما لم يسمح له بالتفكير في هذا المفتاح، وكان اللوح الطائر تعوزه على كل حال الطاقة الكافية للتطبيق.

لقد انتصف الصباح، حان وقت النوم.

لكن عليها أولًا أن تبسط اللوح الطائر؛ فلقد شرح لها أحد أفراد السلطات الخاصة الذي أرشدها إلى كيفية استخدام اللوح أنه ينبغي تعريض أكبر مساحة ممكنة من اللوح للشمس عند إعادة شحنه. لذا شدت تالي المقابض الخاصة بفرد اللوح، فانفصلت أجزاؤه، وصار ككتاب مفتوح بين يديها، حيث أصبح في صورة لوحين، ثم انبسط كل لوح منهما إلى أجزاء أخرى وانبسط كل جزء تالي مثل العرائس الورقية. أخيرًا أصبح لدى تالي ثمانية ألواح متصلة جنبًا إلى جنب، يبلغ عرضها ضعف طول تالي نفسها، ولا يزيد سمكها عن سمك ورقة صلبة. وصارت أجزاء اللوح ترفرف وسط النسيم الشديد للمحيط كطائرة ورقية عملاقة، ولكن القوى المغناطيسية للوح حالت دون أن تعصف به الريح بعيدًا.

وضعت تالي اللوح مسطحًا منبسطًا تحت أشعة الشمس، حيث تحول لونه المعدني إلى لون أسود داكن أثناء تشبعه بالطاقة الشمسية. وفي غضون ساعات قليلة

سيتزود اللوح بشحنات من الطاقة الشمسية ويكون جاهزًا للتطبيق من جديد. وكل ما رجته تالي هو أن تُعيد ترتيب أجزائه بالسهولة التي وجدتها عند تفكيكه. أخرجت تالي حقيبة نومها وانتزعتها من حاويتها، ثم تسللت داخلها وهي لا تزال ترتدي ملابسها. وهنا أضافت تالي البيجامة إلى قائمة الأشياء التي افتقدت توفرها في المدينة.

جعلت تالي من سترتها وسادة، وشدت قميصها لتغطي به وجهها. لقد كانت تشعر بالفعل بالتهاب طفيف في أنفها، فأدركت أنها نسيت أن تلتصق لاصقًا عازلاً للشمس بعد انبثاق الفجر. رائع؛ فالقليل من احمرار البشرة وتقرحها سيتماشي تمامًا مع الخدوش التي تعلو وجهها القبيح.

ومع ذلك لم يداعبها النعاس. لقد ازدادت درجة حرارة النهار دفئًا، وكان غريبًا أن تستلقي هناك في العراء. وكانت صرخات طيور البحر تدوي في رأسها. تنهدت تالي ثم نهضت، قد تنعس لو أنها تناولت قليلًا من الطعام أيضًا. أخرجت عبوات الطعام من حقيبتها واحدة تلو الأخرى. وكان مكتوب على ملصقاتها:

اسباجتي بولونيز

اسباجتي بولونيز

اسباجتي بولونيز

اسباجتي بولونيز

اسباجتي بولونيز ...

عدت تالي عبوات الاسباجتي المتبقية التي بلغت واحدًا وأربعين عبوة تكفي حاجتها على مدار أسبوعين، بمعدل ثلاث وجبات من الاسباجتي يوميًا. مالت تالي إلى الوراة وأغمضت عينيها، وشعرت بالإرهاق فجأة. قالت تالي: «أشكرك يا دكتورة كابل.»

وبعد بضع دقائق، خلدت تالي إلى النوم.





## أفدح الأخطاء

حلقت تالي عاليًا، وهي تمر سريعًا بالأرض أسفلها دون أن يقترب منها أي مسار، ولا حتى لوح طائر. فبفضل قوة إرادتها الخالصة والريح التي تخللت سترتها احتفظت تالي بارتفاعها في الهواء. وطافت تالي بحافة جرف ضخم أطل على محيط أسود ضخم. ولاحقها سرب من طيور البحر كانت صرخاته البرية تدوي في أذنيها كصوت دكتورة كابل الحاد.

فجأة تصدعت الجروف الصخرية من تحتها وتشققت، انفلق شق ضخم تدفقت عبره مياه المحيط مصدرة صوت خرير عال فاق في شدته صرخات طيور البحر، فوجدت تالي نفسها ترتجف في الهواء، وتهاوى نحو المياه السوداء. حينئذ ابتلعها المحيط، وملأت المياه رثتها، وتجمد قلبها حتى إنها لم تقو على الصراخ ...

صرخت تالي وهي تثب من نومها جالسة: «لا!» حينئذ لفحت وجهها ريح باردة قادمة من البحر، ساعدت في صفاء ذهنها. نظرت تالي حولها فأدركت أنها فوق الجروف متدثرة بحقيبة نومها. لقد كانت منهكة القوى، وجائعة، وفي أمس الحاجة لقضاء حاجتها، ولكن لم تقع أسيرة للنسيان. أخذت تالي نفسًا عميقًا. وكانت طيور البحر لا تزال تصرخ حولها، ولكن في الفضاء الفسيح.

ولم يكن هذا الحلم الأخير سوى واحد من الكوابيس العديدة التي كانت تراودها بشأن السقوط.

كان الليل قد أوشك أن يرخي سدوله، وغربت الشمس فوق المحيط ليتحول لونها إلى اللون الأحمر الدموي. ارتدت تالي قميصها وسترتها قبل أن تجرؤ على

الخروج من حقيبة النوم. وكانت درجة الحرارة قد بدأت تنخفض مع كل دقيقة تالية، وضوء النهار يتلاشى أمام عينيها. فهرعت تالي كي تستعد لمواصلة المسير. تمثلت العقبة الآن في اللوح الطائر؛ فسطحه المنبسط قد تبلل، وغطته طبقة رقيقة من رذاذ المحيط وطله. حاولت تالي أن تمسحه بكم سترتها، لكن كان هناك الكثير من الماء الذي اعتلى اللوح ومعطف واحد لا يكفي. انطوى اللوح المبلل بسهولة، لكنه كان يبدو ثقيلًا عندما طوته وكأن الماء لا يزال محتجزًا بين طبقاته. وتحول ضوء تشغيل اللوح إلى اللون الأصفر، فأخذت تالي تنظر إليه عن كثب، ووجدت جوانب اللوح ترشح الماء إلى الخارج بالتدريج فقالت: «حسنًا، هذا سيمنحني بعض الوقت لأتناول طعامي.»

أخرجت تالي عبوة اسباجتي بولونيز، ثم أدركت أن جهاز التنقية خالٍ من الماء. وكان مصدر الماء الوحيد القريب لها هو قاع الجرف، ولا يوجد سبيل للوصول إليه، فعصرت تالي معطفها المبلل، مما وفر قدرًا لا بأس به من قطرات المياه ثم جمعت بيدها ماء كفهها من الماء الذي يرتشح من اللوح، إلى أن وصل الماء حتى منتصف الجهاز. وكانت النتيجة اسباجتي بولونيز غير مخففة شديدة التتبيل تحتاج إلى مدة أطول من المضغ.

وعندما انتهت من الوجبة غير الممتعة، تحول ضوء اللوح إلى اللون الأخضر. قالت تالي لنفسها: «حسنًا، أنا مستعدة للذهاب.» ولكن إلى أين ستذهب؟ وقفت تالي بلا حراك في مكانها وهي تفكر مليًا واضرة إحدى قدميها على اللوح والقدم الأخرى على الأرض.

مكتوب في ورقة شاي: «في الثانية، ارتكبي أفدح الأخطاء.»  
ما أسهل ارتكاب الخطأ. لكن ما «أفدح» خطأ؟ لقد أوشكت اليوم بالفعل على أن تودي بحياتها.

تذكرت تالي حلمها. يعد السقوط في النهر خطأ جسيمًا. ركبت تالي على اللوح وزحزحته نحو حافة الجسر المنهار، وهي تنظر إلى أسفل حيث يلتقي النهر بالبحر على عمق سحيق.

لو أنها هبطت إلى أسفل، فسيكون الدرب الوحيد المحتمل هو أن تسير عكس اتجاه مجرى النهر. ربما هذا ما يعنيه مفتاح اللغز، لكن الجرف شديد الانحدار لم يشر إلى وجود درب واضح يمكنها أن تسلكه، ولا حتى ما يمكنها أن تمسك به أثناء سيرها.

بالطبع وجود طبقات من الحديد الخام في الجرف قد يساعد على هبوطها إلى أسفل بأمان. ومسحت تالي بعينيها جدران الممر الضيق للنهر المؤدي إلى أسفل، بحثًا عن اللون الأحمر للحديد الخام. وبينما بدت بعض البقاع مبشرة بنجاحها في مهمتها، لم تستطع أن تتأكد من ذلك مع استمرار زحف الظلام.

قالت تالي: «رائع.» فبحلول هذا الظلام أدركت تالي أنها قد نامت وقتًا طويلًا. لو انتظرت تالي حتى ينبثق الفجر، فستضيع اثنتا عشرة ساعة، وهي لا تملك المزيد من الماء.

وكان الخيار الوحيد المتروك أمامها هو أن تمشي بعكس اتجاه مجرى النهر أعلى الجرف. لكن هذا قد يستغرق أيامًا قبل أن تصل إلى مكان يمكنها أن تهبط منه لأسفل، وكيف لها أن تراه ليلاً؟

لقد كان عليها أن تعوض الوقت المهدر وليس أن تتخبط في الظلام.

ازدردت تالي ريقها بعد أن توصلت إلى قرار. ينبغي أن يكون هناك طريق إلى أسفل يمكنها أن تسلكه باستخدام لوحها الطائر. لعلها كانت ترتكب خطأ، لكن هذا ما دعا إليه مفتاح اللغز. زحزحت اللوح نحو حافة الجسر حتى فقد اللوح سيطرته على المسار، وطار إلى أسفل بمحاذاة جانب الجرف، متجهًا لأسفل بسرعة مخلفًا وراءه المعدن الخاص بالمسار.

جالت عينا تالي في إحباط بحثًا عن أي أمارات تشير إلى وجود حديد في الجرف. دفعت تالي اللوح إلى الأمام بيسر، مقربة إياه من الجدار الصخري غير أنها لم تر شيئًا. وكذلك انطفأت بعض أضواء كاشف المعادن باللوح. ولو نزلت تالي عن هذا المستوى، فستسقط.

إذن لن يفلح هذا الأمر. طقطقت تالي أصابعها، وأبطأ اللوح من سرعته للحظة في محاولة منه للتسلق، لكنه عندئذ اهتز وواصل الهبوط.

فات الأوان.

بسطت تالي سترتها، لكن الهواء في الممر الضيق كان ساكنًا. لمحت تالي طبقة تبدو صدئة في الجدار الصخري، فاقتربت باللوح منها، لكن اتضح أنها ليست إلا بقعة موحلة من نبات الأشنة. حينئذ انزلق اللوح إلى أسفل بسرعة أكبر وأكبر، وخفتت أضواء كاشف المعادن واحد تلو الآخر.

وفي نهاية الأمر، توقف اللوح عن العمل تمامًا.

أدركت تالي أن هذا الخطأ قد يكون خطأها الأخير.

سقطت تالي إلى أسفل كصخرة تتجه إلى أسفل نحو الأمواج المتلاطمة. وعلى نحو مماثل تمامًا لما دار في حلمها بدا صوتها مكتومًا وكأن يدًا مجمدة تخنقه، وبدت رثاتها ممتلئتين فعليًا بالماء. واهتز اللوح أسفلها، وكان يدور كورقة شجر تسقط في الهواء.

أغمضت تالي عينيها، بانتظار التأثير الذي تحدثه المياه الباردة. ولكن على حين غرة ثمة شيء أمسك بها من معصمها وجذبها بقسوة لتدور في الهواء، فتألمت كتفاها بشدة، واندفعت إلى أعلى طوال الطريق مثل لاعب الجمنازيوم الذي يلعب باستخدام الحلقات.

فتحت تالي عينيها وطرفتها، فوجدت نفسها مستقرة أعلى اللوح الطائر الذي كان ينتظرها ثابتًا ثبات الصخر فوق سطح الماء مباشرة.

تعجبت تالي بصوت مرتفع: «ما الذي...؟» وعندئذ أدركت ما جرى عندما وجدت قدمها سبيلًا إلى الراحة.

لقد أمسك بها النهر؛ إذ كانت الرواسب المعدنية تترسب فيه على مدار قرون، أو أيًا كان عمر هذه الأنهار، واستعاد مغناطيس اللوح قبضته على المسار في الوقت المناسب.

دمدمت تالي: «على أي حال لقد نجوت.» ثم حككت كتفيها اللذين كانا يؤلمانها بسبب قبضة أساور الصدمات، وتساءلت عن المسافة التي يتعين أن يسقطها المرء قبل أن تحرر الأساور ذراعيه.

لكنها نجحت في آخر الأمر في شق طريقها إلى أسفل. وها هو النهر ممتد الآن أمامها، يشق طريقه هو الآخر نحو الجبال التي تغطي قممها الثلوج. وارتجفت تالي عندما لفحها نسيم المحيط ثم شدت بإحكام سترتها المشبعة بالماء حول جسدها. حينئذ أشارت تالي إلى ورقة شاي وواصلت قراءتها: «بعد أربعة أيام، الزمي الجانب الذي تزدريه، أربعة أيام، وستبدأ القوة أيضًا.»

بعد سبعة الشمس التي لفحتها في المرة الأولى، داومت تالي على وضع اللاصق الواقي من أشعة الشمس على بشرتها في كل صباح عند انبلاج الفجر. وعلى الرغم من أنها لم تكن تتعرض لأشعة الشمس إلا لساعات قليلة كل يوم، ازداد درجة لون ذراعيها البني شيئًا فشيئًا.

ولم يعد لعبوة الاسباجتي قط المذاق اللذيذ الذي كان لها في المرة الأولى التي تناولتها فيها فوق الجروف. وكانت وجبات تالي تتدرج ما بين المقبول والكريه، وكان أسوأها وجبات إفطارها المعدة من الاسباجتي بولونيز، حتى إنه متى راودتها عند غروب الشمس فكرة تناول المزيد من المكرونة الشريطية، كانت تعزف تمامًا عن الرغبة في تناول الطعام مرة أخرى. وكادت تتمنى أن تنفذ منها هذه العبوات حتى تضطر إما إلى أن تصطاد سمكة وتطهيها أو أن تتضور جوعًا، ومن ثم تتخلص من سمنتها القبيحة بهذه الطريقة القاسية.

لكن الشيء الذي كانت تالي ترهبه بالفعل هو نفاذ المناديل الورقية المخصصة للحمام. وكانت قد أوشكت أن تستنفد اللفة الوحيدة بحوزتها التي استهلكت أكثر من نصفها بالفعل، وهي الآن تحاول أن ترشد استخدامها بصرامة حتى إنها كانت تعد طبقات الورق المتبقية لديها. وكل يوم كانت رائحة جسدها تزداد سوءًا شيئًا فشيئًا.

وفي اليوم الثالث أعلى النهر، قررت تالي أن تستحم.

في ذلك اليوم استيقظت تالي كعادتها قبل غروب الشمس بساعة، وهي تشعر أنها لزجة بداخل حقيبة النوم. وكانت قد غسلت ملابسها هذا الصباح وتركتها لتجف على الصخرة، واقشعر بدنًا لفكرة أن ترتدي ملابس نظيفة دون استحمام. كان الماء في النهر يجري بسرعة، وكاد جهاز تنقية المياه يكون خاليًا من أي رواسب عندما كانت تالي تغلي فيه ماء من النهر، وهو ما يعني أنه كان نظيفًا. ولكن كان الماء باردًا كالثلج، وربما مشبع بالجليد الذائب من الجبال المجاورة للنهر. وتمنت تالي أن تكون مياه النهر أقل برودة في وقت لاحق من اليوم، بعدما تُتاح الفرصة لأشعة الشمس أن تبعث فيها الدفء.

واتضح لها أن حقيبة النجاة تحوي قطع صابون، إذ كانت هناك عبوات صغيرة تستخدم مرة واحدة محشورة في أحد أركان حقيبة الكتف. أمسكت تالي بواحدة في يدها بإحكام وهي تقف عند حافة النهر، مجردة تمامًا من كل ملابسها عدا جهاز الاستشعار المثبت في حزام البطن، وترتجف من نسيم الهواء البارد.

قالت تالي وهي تحاول أن توقف اصطكاك أسنانها: «حانت اللحظة الصعبة.» وضعت إحدى قدميها في النهر لكنها وثبتت إلى الوراء من شدة البرودة المؤلمة التي أصابت قدميها. وبدا من الواضح أنه لن يكون من اليسير عليها أن تتقدم تدريجيًا في الماء، فعليها أن تجري وتقفز في الماء مرة واحدة.

سارت تالي على ضفة النهر بحثاً عن مكان جيد لتقفز فيه، وهي تستجمع في الوقت نفسه شجاعته ببطء. وأدركت أنه لم يسبق لها أن كانت عارية هكذا بالخارج من قبل. ففي المدينة كانت كل الأماكن المفتوحة أماكن عامة، لكنها لم تر وجه أي إنسان آخر على مدار أيام. لقد بدا العالم وكأنه ملكها وحدها. وحتى في الهواء البارد، شعرت بتأثير أشعة الشمس الرائع على بشرتها.

أطبقت تالي أسنانها وأدارت وجهها نحو النهر. فالوقوف لتأمل البرية لن يجدي ولن ينظف جسدها، كل ما هنالك هو التقدم لخطوات معدودة فحسب والقفز في النهر، ثم ستتولى الجاذبية باقي الأمر.

عدت تالي عدداً تنازلياً من الرقم خمسة، ثم عدت عدداً تنازلياً من الرقم عشرة، لكن لم يفلح أي منهما، ثم أدركت أن مجرد وقوفها هكذا يشعرها بالبرودة. أخيراً، قفزت تالي.

أطبقت المياه شديدة البرودة عليها بإحكام وكأنها قبضة اليد، فأصابت كل عضلة من عضلاتها بالشلل، وحولت يديها إلى مخالب مرتجفة. وللحظة من الوقت تساءلت تالي عن الطريقة التي ستمكن بها من العودة إلى الشاطئ. لعلها ستلطف أنفاسها الأخيرة هنا، وتبقى تحت المياه الجليدية إلى الأبد.

أخذت تالي نفساً عميقاً غلبه الارتجاف، وهي تذكر نفسها بأن الناس ممن سبقوا سكان العصر القديم حتماً كانوا يغتسلون في الينابيع الجليدية طوال الوقت. أطبقت تالي أسنانها بإحكام حتى تمنعها من أن تصطك، وأخذت تخفض رأسها تحت الماء ثم ترفعها مرة أخرى، وهي تلقي شعرها المبتل على ظهرها.

وبعد بضخ لحظات، شعرت بشيء من الدفء بعيد الاحتمال يتسلل إلى معدتها، وكأن المياه الجليدية استحسنت مخزوناً احتياطياً سريعاً من الطاقة كامناً في جسدها، فانسعت عيناها، ووجدت نفسها تصيح بحماس. وعلى نحو مفاجئ بدت الجبال التي كانت تستظلها على مدار ثلاث ليال من التجوال جلية، وقممها الجليدية تمسك بأشعة الشمس الأخيرة التي ترسلها الشمس عند غروبها. وأخذ قلب تالي يخفق بعنف، ودمها يبعث دفئاً غير متوقع في كل أنحاء جسدها.

لكن الطاقة المتقدة داخلها كانت تحترق بسرعة؛ فتحسست تالي عبوة الصابون بارتباك وفتحتها، ومررت الصابون بين أصابعها وعلى بشرتها ثم على شعرها. الآن ليس عليها سوى أن تخفض جسدها تحت الماء مرة أخرى وستكون مستعدة للخروج من الماء.

وعندما نظرت تالي إلى الوراى نحو الشاطىء، أدركت أن مجرى النهر قد جرفها بعيدًا عن المكان الذي تخيم فيه. حينئذ سبحت تالي بحركات نظامية قليلة متكررة ضد التيار، ثم سارت بخطى متثاقلة نحو الشاطىء الصخري. وبينما كان منسوب المياه عند خصرها، وكانت ترتجف بالفعل من نسيم الهواء الذي يداعب جسدها المبلل، سمعت صوتًا جعل قلبها يتجمد من الفزع. شيء ما كان قادمًا، شيء كبير.





## الجانب الذي تزدريه

لقد دوى الرعد في السماء، مثل طبلة ضخمة تُقرع بعنف وسرعة، وبدا يشق طريقه بقوة نحو رأسها وصدرها. بدا الرعد وكأنه يضرب الأفق بأكمله، باعثًا وميضًا متلألئًا على سطح النهر مع كل ضربة له.

جثمت تالي بتذلل إلى أسفل في الماء، وخفضت جسمها بأكمله في الماء حتى عنقها قبل أن تظهر العربة.

لقد قدمت هذه المصفحة من ناحية الجبال، وهي تطير على مستوى منخفض، وتثير في أعقابها الكثير من العواصف الترابية المنفصلة. وفاقت هذه المصفحة في حجمها بكثير العربة الطائرة التي عهدتها، ولها صوت مدوٍ أعلى مئات المرات. وبدا من الواضح أنها لا تعمل بالمغناطيس، وإنما تعتمد على الهواء بواسطة قرص شبه مرئي يتلألأ في الشمس.

وعندما بلغت المصفحة النهر مالت إلى أحد جانبيها على شكل منحني؛ فآثار مرورها زبد مياه النهر لتبعث فيها بموجات دائرية وكأن حجرًا ضخماً قد انزلق فوق السطح. رأت تالي أناسًا بداخلها، ينظرون إلى أسفل نحو مخيمها. وبدا لوحها الطائر المنبسط يتمايل في العاصفة الترابية، بينما تناضل قواه المغناطيسية لإبقائه على الأرض. وبينما اختفت حقيبتها في العاصفة الترابية، رأت ملابسها وحقيبة نومها وعبوات الاسباغتي مبعثرة على أثر حركة المصفحة.

غاصت تالي في المياه الهائجة، تذهلها فكرة أنها ستترك هنا عارية ووحيدة ومجردة من كل شيء، وكانت قد أوشكت بالفعل على أن تتجمد.

لكن مالت المصفحة إلى الأمام، تمامًا مثل اللوح الطائر، وواصلت تقدمها، لتسير باتجاه البحر ثم تختفي بالسرعة نفسها التي ظهرت بها، مخلفة وراءها طنينًا شديدًا صم أذان تالي وهياجًا شديدًا اعتلى سطح النهر.

زحفت تالي إلى خارج الماء وهي ترتعش؛ فقد كان جسدها باردًا برود الثلج، وأصابها تناضل بالكاد كي تتشبث في أي شيء. شقت تالي طريقها إلى الخلف إلى حيث كانت تخيم، وشدت ملابسها لتلامس جسدها ثم ارتدتها حتى قبل أن تجفف الشمس جسدها. جلست تالي ولفت ذراعيها حول جسدها، إلى أن توقف ارتجافها، وأخذت ترمق في زعر الأفق المكسو باللون الأحمر كل بضع ثوان.

لقد كانت خسائرها أقل مما كانت تخشى؛ فكانت أضواء تشغيل اللوح الطائر تومض بلونها الأخضر، وكانت حقيبتها مغطاة بالأتربة ولكنها لم تُمس بأذى. وبعد أن بحثت عن عبوات الاسباجتي وعدت المتبقي منها، وجدت أنها لم تفقد سوى عبوتين. لكن حقيبة النوم كانت ممزقة، فقد مزقها شيء ما إربًا إربًا.

ازدردت تالي ريقها، إذ لم يتبق من حقيبة النوم قطعًا أكبر حجمًا من المنشفة. ماذا لو كانت بداخلها عندما قدمت تلك المصفحة؟

طوت تالي اللوح الطائر بسرعة شديدة وحزمت كل أغراضها المبعثرة. وكان اللوح جاهزًا للتطبيق على الفور، فعلى الأقل ساعدت العاصفة الترابية التي خلفتها العربة الغريبة على تجفيفه.

قالت تالي وهي تصعد على اللوح: «أشكركم شكرًا جزيلاً.» ثم مالت إلى الأمام بلوحها حينما شرعت الشمس في الغروب. لقد كانت قلقة ومتلهفة إلى أن تترك المخيم في أسرع وقت ممكن، تحسبًا لعودتهم.

لكن، تُرى من هم أولئك الناس؟ لقد كانت تلك المصفحة الطائرة أشبه بما كانت تالي تتخيله عندما كان مدرسوها يصفون الأدوات غريبة الشكل التي كان يستخدمها سكان العصر القديم: طائرة تورنيديو محمولة تحدث ضجة عالية، تطيح بكل ما يعترض طريقها. لقد قرأت تالي عن طائرة حطمت النوافذ التي مرة بها، ومركبات حربية مدرعة بإمكانها أن تتخذ طريقها عبر أحد المنازل.

لكن ولى زمن سكان العصر القديم منذ زمن سحيق. من ذلك الأخرق الذي يعيد تصنيع هذه المصفحات المجنونة؟

حلقت تالي في الظلام الذي يزداد ظلمة شيئًا فشيئًا، وعيناها تنعمان النظر بشدة بحثًا عن أي علامات تدل على المفتاح التالي من لغز شاي: «بعد أربعة

أيام، الزمي الجانب الذي تزدريه» أو تحسبًا لأي مفاجآت أخرى قد يرمى بها الليل.

ولكن ثمة شيء وحيد مؤكد الآن ألا وهو أنها ليست بمفردها هنا.

في وقت لاحق من هذه الليلة، تفرع النهر إلى فرعين.

تحركت تالي بسرعة ثابتة ثم توقفت لتفحص بعينها نقطة الالتقاط. وكان واضحًا أن أحد الفرعين أكبر من الآخر، وأن الآخر أشبه بنهر فسيح. وتذكرت تالي أنه يُطلق على النهر الصغير الذي يصب في نهر أكبر اسم: «رافد». ربما يجدر بها أن تسترشد بمسار النهر الرئيسي، لكنها كانت تواصل المسير طوال ثلاثة أيام فحسب، وقد بات لوحها الطائر أسرع من أي لوح طائر آخر. لذا لعل الوقت حان لحل المفتاح التالي للغز.

دمدمت تالي: «بعد أربعة أيام، الزمي الجانب الذي تزدريه.»

حدقت تالي النظر إلي النهرين تحت الضوء المنبعث من القمر، الذي كاد يكون مكتملاً الآن. أي النهرين تزدريه تالي؟ أو أي النهرين تظن شاي أن تالي ستزدريه؟ لقد بدا الاثنان في عينيها عاديين جدًّا. نظرت تالي بعينين شبه مغمضتين نحو الفضاء الفسيح، لعل أحدهما يؤدي إلى شيء جدير بالازدراء يمكن أن يُرى في ضوء النهار. لكن الانتظار يعني عدم الاستفادة من الحركة ليلاً، ويعني النوم في الجو البارد والظلام دون حقيبة نوم.

وذكرت تالي نفسها أن مفتاح اللغز ربما لا يتعلق بتفرع النهر. ربما عليها أن تسترشد في مسارها بالنهر الكبير حتى يظهر شيء أكثر وضوحًا. فما الذي يجعل شاي تطلق على النهرين اسم «جانبيين» على أي حال؟ إذا كانت تقصد هذا التفرع، فلا محل لعبارة «الزمي الجانب الذي تزدريه»؟

تمتت تالي وهي تتذكر شيئًا ما: «الجانب الذي تزدريه؟»

تحسست تالي وجهها بأصابعها. فعندما قامت تالي بمحاولات تشكيل وجه شاي بعد التجميل وعرضته عليها، ذكرت تالي حينها أنها تبدأ دومًا بمضاعفة الجانب الأيسر من وجهها عند تشكيل ملامحه؛ فلطالما كانت تكره الجانب الأيمن من وجهها. وذاك هو الشيء الذي قد تسترجعه شاي جيدًا من ذاكرتها.

هل كانت هذه طريقة شاي في إخبارها بأن تلزم الجانب الأيمن؟

والالتزام بالجانب الأيمن يعني أن تلزم النهر الأصغر حجمًا، أي الرافد. وفي هذا الاتجاه كانت الجبال أكثر قربًا من النهر. لعلها باتت تقترب أكثر فأكثر من منطقة الضباب.

حدقت تالي إلى النهرين تحت ستائر الظلام، أحدهما كبير، والآخر صغير، وتذكرت قول شاي بأن اتساق الجمال شيء سخي، لأنها تفضل أن تقتني وجهًا ذا جانبيين مختلفين.

لم تدرك تالي ذاك الأمر في حينه، ولكن هذا الحديث كان مهمًا لشاي، فهي المرة الأولى التي تتحدث فيها عن رغبتها في أن تظل قبيحة. لو كانت تالي تدرك ذلك الأمر آنذاك، ربما استطاعت حينها أن تثني شاي عن عزمها على الفرار، وكانت كل منهما بمعية الأخرى الآن وقد صارتا من الحسنات الموجودات في أحد أبراج الاحتفالات. تنهدت تالي وهي تدفع لوحها بهدوء نحو النهر الصغير: «صحيح.»

بطلول وقت شروق الشمس، أدركت تالي أنها حددت الاختيار الصحيح. وبينما شق الرافد طريقه نحو الجبال، امتلأت الحقول المحيطة به بالزهور. وسرعان ما صارت الأغطية الزهرية البيضاء البارزة كثيفة كالعشب، الذي استقى جميع الألوان الأخرى من المنظر الرائع المحيط. وعندما بزغ ضياء الفجر، بدت الأرض وكأنها تتوهج من تلقاء ذاتها.

قالت تالي لنفسها: «وابحثي بين الأزهار عن عيون مشعلي الحرائق الجاحظة»، متسائلة عما إذا كان ينبغي لها أن تنزل من على اللوح. لعل هناك نوع من الحشرات ذات عيون نارية ينبغي أن تبحث عنه.

اتجهت تالي نحو الشاطئ وترجلت عن اللوح. كانت الزهور ممتدة حتى حافة المياه، فمالت تالي لتفحص إحداها عن كثب. وكان لهذه الزهرة خمس بتلات طويلة بيضاء تنبثق من الساق لتحنني إلى أعلى برقة وتمتد حول قلب الزهرة، الذي كان محتويًا على قدر ضئيل من سائل أصفر بداخله. وكانت إحدى البتلات الممتدة أسفل قلب الزهرة أكثر طولًا وتحنني إلى أسفل حتى إنها تكاد تلمس الأرض. حينئذ جذبت حركة ما عينيها، فالتفتت ورأت طائرًا صغيرًا يرفرف بين الزهور متنقلًا من زهرة إلى أخرى ليحط على البتلة الأطول، ناقرًا بمنقاره واحدة تلو الأخرى.

قالت تالي: «ما أجملها!» وقد كان هناك الكثير منها. وأرادت تالي أن تستلقي بين الزهور وتروح في النوم.

ولكنها لم تستطع أن تلاحظ أي شيء قد يبدو «كعيون مشعلي الحرائق الجاحظة». استقامت تالي في وقفها ومسحت الأفق بعينها، ولكن لم تسقط عينها على أي شيء سوى التلال التي تمزج اللون الأبيض بالزهور، والنهر المتلألئ الذي يشق طريقه في الجبال. لقد بدا المشهد بأكمله هادئاً للغاية، لقد رأت عالماً مختلفاً عن ذلك الذي أزعجته المصفحة الطائرة الليلة المنصرمة.

استقلت تالي اللوح الطائر مرة أخرى وواصلت مسارها لكن ببطء هذه المرة كي تبحث بعناية عما قد يلائم مفتاح اللغز الذي وضعته شاي، وتذكرت أن تضع اللاصقة الواقية من الشمس عندما أشرفت الشمس.

شق النهر طريقه في التلال، وبدءاً من تلك الرقعة استطاعت تالي أن ترى بقاعاً جرداء بين الزهور، ومساحات ممتدة من التربة الرملية الجافة. لقد بدا ذلك المشهد غريباً للنظر؛ وكأن ثمة لوحة جميلة جلب أحدهم ورقة سنفرة للعمل بها فيها. ترجلت تالي عن لوحها الطائر مرات عدة كي تفحص الزهور بحثاً عن حشرات أو أي شيء آخر قد يطابق وصف شاي: «عيون مشعلي الحرائق الجاحظة»، ولكن انقضى النهار ببطء دون أن يظهر شيء ذو معنى.

ومع اقتراب وقت الظهر، أخذ الرافد يتضاءل في حجمه تدريجياً، وعاجلاً أم آجلاً ستصل إلى منبعه، الذي قد يكون ينبوعاً جبلياً أو كتلة ثلجية ذائبة، وحينئذ سيكون عليها أن تسير مشياً على الأقدام. ولأن تالي شعرت بالإرهاك بعد قضاء ليلة طويلة، قررت أن تخيم.

مسحت تالي بعينها السماء متسائلة عما إذا كان هناك المزيد من العربات الطائرة لسكان العصر القديم في الجوار. لقد زعرت من فكرة وجود مصفحة أخرى قد تفتك بها وهي نائمة. ترى ما الذي أراده أولئك الناس الذين كانوا بداخلها؟ وإذا لم تكن مختبئة داخل الماء في تلك الليلة المنصرمة، ماذا كان عساهم أن يفعلوا بها؟ لكن ثمة شيء واحد مؤكد وهو أن الخلايا الشمسية اللامعة الخاصة باللوح الطائر ستكون جلية في العراء. وتفقدت تالي شحنات اللوح الطائر، فوجدت أنه قد تبقى منها ما يزيد عن النصف، لأنها كانت تطير ببطء، وأيضاً بسبب الشمس الساطعة فوق رأسها الآن. بسطت تالي اللوح الطائر حتى منتصفه، وخبأته بين

الزهور الأكثر طولاً التي استطاعت العثور عليها، ثم قصدت قمة تل قريب، ومن تلك الرقعة، كان بمقدورها أن تراقب اللوح بانتباه، وتسمع وترى أي شيء يقدم ناحيته. وكذلك قررت أن تعيد حزم حقيبتها قبل أن تذهب لتنام، بحيث يمكنها أن تفر سريعاً.

فهذا أفضل ما يمكنها فعله.

وبعد تناول وجبة كريهة قليلاً من الاسباجتي بولونيز، جثمت في بقعة ما كانت فيها الأزهار طويلة بالقدر الكافي لأن تخفيها عن الأنظار. وكان النسيم يهز سيقانها الطويلة، والظلال تتراقص على جفني تالي المغمضين.

وبينما استلقت تالي على الأرض مستترة بملابسها دون حقيبة نومها شعرت شعوراً غريباً بأنها مكشوفة للجميع، لكن الشمس الدافئة والرحلة الليلية الطويلة جعلتها تخلد إلى النوم سريعاً.

وعندما استيقظت، كان المكان يضطرم بالنيران من حولها.

## عاصفة نارية

في البداية، كان يراودها صوت ريح هادر في أحلامها. بعدئذ علت ضوضاء صاخبة في الهواء، واجتاح المكان صوت طقطقة اضطرار النيران في الأغصان الجافة، ورائحة الدخان حتى إنهما أيقظتا تالي على حين غرة وجعلتاها في كامل وعيها.

لقد أحاطت بها سحب الدخان حتى حجبت السماء. وانتشرت ألسنة اللهب بين الأزهار، محدثة موجة من الحرارة المحرقة، فجذبت تالي حقيبتها وهولت باضطراب إلى أسفل التل بعيدًا عن ألسنة النيران.

ولم يكن لدى تالي أدنى فكرة عن أي اتجاه يمتد فيه النهر؛ فلقد حجبت السحب الكثيفة الرؤية تمامًا. وتجاهد رثاها من أجل استنشاق الهواء وسط الدخان البني العاصف.

بعدئذ استطاعت تحديد مكانها من خلال بعض الأشعة التي ترسلها الشمس عند مغيبها والتي اخترقت الأمواج الدخانية، لقد كان النهر وراءها في اتجاه اللهب، على الجانب الآخر من التل.

أعادت تالي تتبع دربها إلى أعلى التل ثم حدقت النظر عبر الدخان. لقد كانت النيران تزداد اضطرابًا، وسهامها النارية تصوب أعلى التل، لتتنقل من زهرة جميلة إلى أخرى تاركة إياها محترقة ومتفحمة. سارت تالي مع النهر عبر الدخان، لكن الحرارة كانت تدفعها إلى الوراء.

سارت تالي باضطراب على الجانب الآخر مرة أخرى وهي تسعل وتبصق، وقد انشغل ذهنها بأمر واحد: هل ابتلعت النيران لوحها الطائر بالفعل؟ وكان على تالي أن تصل إلى النهر، فالماء هو الملاذ الوحيد من النيران المستعرة. إن لم تستطع أن تجتاز التل، ربما يمكنها أن تلف حوله.

هبطت تالي منحدر التل بأسرع ما يمكن. وكان هناك القليل من البقع المحترقة على هذا الجانب، لكن ما من شيء يمكنه أن يضاهي في سرعته ألسنة اللهب المستعرة التي تطاردها. وعندما بلغت تالي أرضاً مستوية وشقت طريقها حول قاعدة التل، جثمت كي تنحني أسفل سحب الدخان.

وفي منتصف طريقها حول التل، وصلت إلى بقعة متفحمة كانت النيران قد اجتازتها بالفعل، وسحقت السيقان الهشة للأزهار بحذائها، وكانت الحرارة المنبعثة من التربة المحترقة تؤلم عينيها.

كانت النيران تلحق بخطاها وهي تهرع في طريقها عبر الأزهار المتفحمة، كمن يقم قضيب تذكية النيران في نار خاملة. شعرت تالي أن عينيها قد جفت، ووجهها قد صار مليئاً بالقرح.

بعد مرور بضع لحظات، لمحت تالي النهر. ولكن النيران كانت قد امتدت كجدار متصل في الجهة المقابلة من الشاطئ، في حين كان شبح الريح الهادرة يطاردها من ورائها ويبعث بجمرات نار متطايرة تحط على الجانب القريب. وهجمت عليها موجة ملتفة من الدخان، فخنقتها وأعمتها إلى أن اجتازتها.

وعندما تمكنت تالي من أن تفتح عينيها مرة أخرى، وقعت عيناها على السطح الشمسي اللامع للوحها الطائر. فركضت نحوه، متجاهلة الزهور المشتعلة في طريقها. وبفضل الحظ الطيب وطبقة الندى التي يجمعها اللوح الطائر كل ليلة، لم يلحق باللوح الطائر أي أذى من ألسنة اللهب.

طوت تالي اللوح في عجالة وركبته، دون أن تنتظر حتى يتحول ضوءه الأصفر إلى أخضر؛ فقد ساهمت درجة الحرارة في جفاف اللوح، وارتفع بها في الهواء بناءً على أمرها. حلقت تالي باللوح فوق النهر، وأعلى مياهه مباشرة وسارت سريعاً عكس اتجاه التيار، بحثاً عن ثغرة في الجدار الناري عن يسارها.

ولما بدا حذاؤها المانع للانزلاق ممزقاً وتشقق نعله مثل الطين الجاف، حلقت بلوحها بتؤدة وأخذت تغرف بيديها ماء لتلطف وجهها وذراعيها المحترقين.

وفجأة دوى صخب شديد عن يسار تالي، وكان شديد الوضوح حتى إنه فاق في شدته صوت طقطقة النيران المرتفع؛ لقد أحاطت بها وبلوحها ربح مفاجئة، فدفعتها إلى الورا نحو الشاطئ الآخر. مالت تالي بشدة في مواجهة الريح وأنزلت إحدى قدميها في الماء كي تقلل من سرعة اللوح. وتشبثت به بقوة بيديها الاثنتين، مناضلة باستماتة حتى لا يلقى بها في النهر.



فجأة انقشع الدخان، وبرز شكل مألوف عبر الظلام. هو تلك المصفحة الطائرة، وبدا الآن صوت ضرباتها الرعدية جلياً للغاية حتى إنه فاق صوت النيران الثائرة وحجبه. وتناثر الشرار عبر النهر، إذ منحت عاصفة الريح التي خلفتها المصفحة كثافة جديدة للنيران.

وتعجبت تالي: ترى ماذا يفعل أولئك الناس؟ ألا يدرون أنهم هكذا ينشرون النيران؟

وأجيب عن سؤالها بعد ذلك بلحظة عندما أطلقت المصفحة قذيفة نارية انتشرت عبر النهر كي تحرق رقعة أخرى من الزهور.

لقد أضرموا النيران، وكانوا يعكفون على انتشارها في كل الطرق الممكنة التي يستطيعون الوصول إليها.

وجاء دوي المصفحة الطائرة الصاخب قريباً منها، فلمحت وجهاً قاسياً يحرق فيها من مقعد السائق. أدارت تالي لوحها الطائر كي تفر بعيداً، لكن المصفحة ارتفعت في الهواء، وعبرت فوقها مباشرة، وصارت الريح شديدة للغاية على حين غرة. مالت تالي ناحية الماء ويدخله، وأمسكت بها أساور الصدمات للحظة لتحملها فوق الأمواج، لكن حينئذ عصفت الريح باللوح الطائر الذي كان أخف كثيراً دون تالي وجعلته يدور في الهواء مثل إحدى أوراق الشجر.

غاصت تالي في المياه العميقة في منتصف النهر بحقيبتها وكل ما لها.

كان الوضع لطيفاً وهادئاً تحت الأمواج.

وعلى مدار لحظات معدودة لا نهاية لها، شعرت تالي بالراحة فقط لكونها هربت من الريح العنيفة، والمصفحة الصاخبة، والحرارة المستعرة للعاصفة النارية، ولكن ثقل أساور الصدمات وحقيبة الكتف بمقدورهما جذبها لأسفل سريعاً، فتسلل الرعب في قلبها الذي كان يخفق بشدة.

صارعت تالي بعنف الأمواج، وصعدت إلى أعلى نحو الأضواء المتقطعة التي كانت تومض على سطح الماء. وكانت ملابسها المبللة وأمتعته تسحبها إلى أسفل، ولكن ما إن كانت رثتها على وشك أن تنفجر، شقت تالي طريقها بعنف إلى السطح بزوية هائلة. بعدئذ استنشقت تالي قدرًا قليلاً من الهواء المفعم بالدخان، ثم صفعتها موجة على وجهها، وسعلت تالي وبصقت وأخذت تناضل حتى تظل طافية على السطح.

حينئذ عبر ظل أعلاها وأعتم السماء فوقها. عندئذ ارتطمت يدها بشيء ما، سطح

محبب مألوف لها ...

لقد عاد لوحها الطائر إليها! مثلما يفعل دائماً متى تسقط عنه. لقد رفعتها أساور الصدمات إلى أعلى حتى استطاعت أن تحكم الإمساك به وتتشبث أصابعها بسطحه المليء بالنتوءات وهي تلهث لاستنشاق الهواء.

وتردد إلى مسامعها صوت صخب شديد قادم من جهة الشاطئ المجاور. وطرفت تالي عينيها كي تبعد عنها المياه ورأت أن مصفحة العصر القديم قد هبطت على هذا الشاطئ. وكان أناس يقفزون منها ويرشون رغوات إطفاء بيضاء في النهر وعلى الأرض وهم يسحقون الزهور المحترقة. لقد كانوا يتجهون نحوها.

عانت تالي كي تصعد على اللوح.

ناداها الشخص الأقرب منها قائلاً: «انتظري!»

استقامت تالي في وقفها بترنح، في محاولة لأن تحتفظ بثباتها على سطح اللوح المبلل. وكان حذاؤها المحترق بشدة زلّقا، وبدت حقيبتها المشبعة بالماء وكأنها تزن طناً. وبينما مالت تالي إلى الأمام، طالتها يد مغطاة بقفاز كي تمسك بمقدمة اللوح، إذ بزغ وجه من الماء مقنع بما يشبه القناع، وحدقت فيها عينان واسعتان.

وطئت تالي بقدمها على تلك اليد ودهست أصابعها، فانزلقت الأصابع بعيداً عن اللوح، لكن ثقل جسدها كان مرتكزاً إلى حد كبير على مقدمة اللوح فانغمرت مقدمة اللوح في الماء.

وقعت تالي في النهر مرة أخرى.

أمسكت بها يد أحدهم، وشدتها بعيداً عن اللوح الطائر، ورفعت تالي من الماء على كتف عريض. لمحت تالي وجوهاً مقنعة: عيوناً واسعة قاسية تحرق بها دون أن تطرف.

عيون جاحظة.

## الفصل الثاني والعشرون

# عيون جاحظة

سحبوا تالي إلى الشاطئ خارج الماء، وحملوها إلى المصفحة الطائرة.

شعرت تالي بأن رئتيها ممتلئتان عن آخرهما بالماء والدخان، وكان يصعب عليها أن تستنشق الهواء دون أن يهز سعال عنيف جسدها بأكمله.  
- «أنزلها!»

- «من أين أتت بحق الجحيم؟»

- «أعطها بعض الأوكسجين.»

طرحوا تالي على ظهرها على الأرض التي كانت ممتلئة بالرغوات البيضاء، ثم نزع الشخص الذي كان يحملها عنه قناع العيون الجاحظة، وطرفت تالي بعينيها. لقد كان من الحسان، من الحسان الجدد، وسيماً تماماً مثل بيريس. وضع الرجل قناعه على وجه تالي، فقاومت بوهن للحظة، لكن عندئذ تدفق هواء بارد نقي إلى رئتيها. وصار ذهنها أكثر صفاءً وهي تستنشق الهواء بامتنان. نزع الرجل القناع عنها وقال: «لا تستنشقي كثيراً من الهواء، ستعانين من سرعة التنفس.»

حاولت تالي أن تتحدث، لكن لم يكن بمقدورها سوى أن تسعل.

قال شخص آخر: «إن حالتها تسوء. جنكز يريد أن ينقلها إلى أعلى.»  
- «يمكن له أن ينتظر.»

تنحنت تالي وقالت: «لوحى.»

ابتسم الرجل ابتسامة عذبة ثم رفع عينيه وقال: «إنه يتجه إلى أعلى. هيا! ليلصق شخص هذا الشيء بالمروحية! ما اسمك يا صغيرتي؟»

سعلت تالي وهي تجيبه: «تالي.»

- «حسناً تالي، هل أنت مستعدة للتحرك؟ فالنيران لن تنتظر.»

تنحنحت تالي وسعلت مرة أخرى وأجابته: «أظن ذلك.»

- «حسنًا. هيا بنا.» وساعدها الرجل على النهوض وجذبها ناحية المصفحة، فوجدت نفسها تُدفع إلى الداخل حيث كانت الضوضاء أقل صخبًا، وانحشرت خلف المصفحة مع ثلاثة آخرين يرتدون أقنعة العيون الجاحظة. وأُغلق الباب بقوة.

انطلقت المصفحة، ثم شعرت تالي بها وهي ترتفع عن الأرض، فصاحت: «لوحى!» نزعت المرأة قناعها عن وجهها وقالت: «اهدئي يا صغيرتي؛ إنه في حوزتنا.» وكانت المرأة من الحسان صغار السن أيضًا.

تساءلت تالي هل هؤلاء هم الناس الذين أشارت شاي إليهم في مفتاح اللغز «عيون مشعلي الحرائق الجاحظة»، هل كان من المفترض أن تبحث عنهم؟ دوى صوت عبر حجرة القيادة: «هل ستنجو؟»

- «نعم، ستنجو يا جنكز. انعطف كالمعتاد، وأشعل القليل من النيران في طريق عودتنا.»

نظرت تالي إلى أسفل حينما كانت المصفحة ترتفع في السماء. لقد اتخذوا مجرى النهر مسارًا لهم في رحلتهم، ورأت تالي النيران وهي تنتشر عبر الشاطئ الآخر بفعل الريح التي أحدثتها المصفحة أثناء مرورها به. وكانت المصفحة الطائرة تطلق من آن إلى آخر قذائف نارية.

تفرست تالي في وجوه أفراد طاقم المصفحة. وبوصفهم حسانًا جدًّا، بدوا غاية في المثابرة والتركيز على مهمتهم، لكن أفعالهم كانت جنونية فسألتهم: «ماذا تفعلون أيها الرجال؟»

- «نضرم القليل من الحرائق.»

- «يمكنني أن أرى ذلك، لكن لماذا؟»

- «كي نحمي العالم يا صغيرتي. لكننا آسفين بحق لأنك كنت جزءًا من الأمر.»

هم يطلقون على أنفسهم اسم حراس الغابة.

وكان الشخص الذي انتشلها من النهر يدعى تونك، وهم جميعًا يتحدثون بلكنة لم تعرفها، وينتمون إلى مدينة لم تسمع تالي عنها قط.

قال تونك: «إنها لا تبعد عن هنا كثيرًا. لكننا نحن حراس الغابة نمضي معظم وقتنا بالخارج في البرية. فالطائرات الهليكوبتر النارية تتخذ الجبال مركزًا لعملها.»

- «ماذا قلت: طائرات...؟»

- «طائرات هليكوبتر. هي ما تركيبينها الآن.»
- نظرت تالي حولها في أرجاء المصفحة الصاخبة، وصاحت بصوت يعلو صخبها:
- «إنها على طراز مصفحات سكان العصر القديم بشكل كبير!»
- «نعم، إنها عتيقة الطراز. وأجزاء قليلة منها عمرها مائتا عام تقريبًا. ونحن نحاكي قطعها حينما تبلى.»
- «لكن لماذا؟»
- «يمكنك أن تحلقي بها في أي مكان، سواء أتوفرت شبكة التحكم المغناطيسية أم لا. كذلك هي الأداة المثلى لنشر الحرائق. قطعًا كان سكان العصر القديم يعرفون كيف يحدثون الفوضى.»
- هزت تالي رأسها وقالت: «وأنتم تنشرون الحرائق بسبب ...»
- ابتسم الرجل ورفع إحدى فرديتي حذاءه، وأخرج من نعلها زهرة مفتتة لكن غير محترقة وقال: «بسبب السحلبية الخضراء والأرجوانية.»
- «عذرًا، ماذا قلت؟»
- «لقد كانت هذه الزهرة واحدة من أكثر النباتات ندرة في العالم، سحلبية النمر الأبيض. وفي أيام العصر القديم، كانت النبتة الواحدة منها تفوق في قيمتها قيمة منزل.»
- «منزل؟ لكن هناك كمًّا هائلًا منها.»
- «ألاحظت ذلك؟» ثم أمسك بالزهرة، وهو يحدق في فمها الرقيق واسترسل قائلاً: «منذ حوالي ثلاثمائة سنة، تمكنت واحدة من سكان العصر القديم من اكتشاف طريقة لهندسة واستنباط فصائل منها تستطيع أن تتكيف مع ظروف أكبر، لكنها في محاولتها جعلتها تتكاثر أسهل، وأفسدت الجينات.»
- «ولماذا تريد أن يكون تكاثرها أسهل؟»
- «كالمعتاد، لتجني ثروة من ورائها بمبادلتها مع الكثير من الأشياء، لكنها أحرزت نجاحًا هائلًا إلى حد ما. انظري إلى أسفل.»
- أطلت تالي من النافذة. لقد حلقت المصفحة عاليًا وخلفت العاصفة النارية وراءها، وأسفلها كانت حقول بيضاء لا حصر لها، لا يقطعها سوى القليل من البقع الجرداء.
- قالت تالي: «يبدو أن هذه العالمة قامت بعمل جيد. وماذا بعد؟ فهذه الزهور رائعة.»
- «إنها إحدى أجمل نباتات العالم، لكن هذا نجاح زائد عن الحاجة؛ فقد تحولت إلى عشبة ضارة. هذا ما نطلق عليه «استزراع وحيد النوع»، إذ زاحمت هذه

النباتات كافة الفصائل الأخرى وحجبت الأشجار والأعشاب، ولا تأكل هذه النباتات سوى فصيلة واحدة من فصائل الطائر الطنان التي تتغذى على رحيقها. بيد أن الطائر الطنان يعيش في الأشجار.»

قالت تالي: «لا توجد أي أشجار هناك بأسفل. لا يوجد سوى أزهار السحلبية.»  
 - «بالضبط. وهذا ما يعنيه مصطلح «الاستزراع وحيد النوع»: أن يكون كل شيء متطابقًا. وبعدها تستحوذ أزهار السحلبية على منطقة ما، لا يتوفر العدد الكافي من الطائر الطنان حتى يلحقها، لينشر البذور مثلما تعلمين.»  
 قالت تالي: «أجل، أعلم ذلك عن الطيور والنحل.»

- «بالطبع تعلمين ذلك يا صغيرتي. لذا تموت أزهار السحلبية في آخر المطاف، كضحية لنجاحها الذاتي، مخلفة وراءها أرضًا قاحلة، ما يُعرف باسم الصفر البيولوجي. ونحن الحراس نحاول أن نوقف زحفها. لقد جربنا السموم، وابتكرنا الأمراض، واستخدمنا الحيوانات الضارية كي تستهدف طيور الطنان ... لكن النيران هي الشيء الوحيد الذي أفلح فعليًا.» وضع تونك الزهرة في يده ثم أمسك بقداحة وأطلق لسان اللهب ناحية قلب الزهرة وقال: «عليك أن تكوني حذرة، أتعلمين هذا؟» لاحظت تالي أن الحراس الآخرين كانوا ينظفون أحذيتهم وملابسهم، بحثًا عن أي آثار للأزهار بين الطين والرغوات. نظرت تالي إلى أسفل على الرقعة البيضاء التي لا تنتهي. قالت تالي: «وأنتم تنهضون بهذا العمل منذ ...»

- «منذ ثلاثمائة سنة تقريبًا. لقد بدأ سكان العصر القديم هذا العمل، بعدما اكتشفوا فعلتهم، لكننا لن نتغلب على هذا النبات أبدًا، كل ما نرجوه هو كبح جماح العشب الضارة.»

عادت تالي بظهرها إلى الوراء وهي تهز رأسها، وتسعل مرة أخرى. لقد كانت الأزهار غاية في الجمال والرقّة، ولا تمثل خطرًا في حد ذاتها لكنها تخنق كل ما حولها.

مال الحارس إلى الأمام وأعطاها حافظة الماء الخاصة به، فأخذتها وارتمشت منها بامتنان.

- «أنتِ قاصدة منطقة الضباب، أليس كذلك؟»  
 ابتلعت تالي بعض الماء بطريقة خاطئة، فلفظته من فمها وأجابته: «بلى، كيف عرفت ذلك؟»

- «هذا بديهي. قبيحة تنتظر بين الأزهار ومعها لوح طائر وحقيقية نجاة!»

- «آه، أجل.» وتذكرت تالي مفتاح اللغز بورقة شاي: «ابحثي بين الأزهار عن عيون مشعلي الحرائق الجاحظة.» لا بدّ أنهم رأوا قبحاء من قبل.

قال تونك: «نحن نعين الضبابيين وهم يعينوننا. في رأيي هم مجانيين؛ هم يعيشون حياة قاسية ويظلون قبحاء. لكنهم يعرفون الكثير عن البرية أكثر من معظم حسان المدينة. إنهم جديرون بالإعجاب حقًا.»

قالت تالي: «نعم، أظن ذلك.»

عبس وجه الرجل وقال: «أتظنين ذلك؟ لكنكِ متجهة إلى هناك، أنت لست متيقنة من ذلك، أليس كذلك؟»

أدركت تالي أن الأكاذيب تبدأ من هنا، وبالطبع لم تستطع أن تخبر الحارس الحقيقة: إنها متلصصة، جاسوسة. قالت تالي: «بالطبع أنا متيقنة من ذلك.»

- «حسنًا، سننزلك قريبًا.»

- «في منطقة الضباب؟»

عبس وجه الرجل مرة أخرى: «ألا تعلمين؟ المكان سر كبير. والضبابيون لا يتقنون في الحسان، ولا حتى فينا نحن حراس الغابة. سنأخذك إلى البقعة المعهودة، وأنتِ تعريفين الباقي، أليس كذلك؟»

أومأت تالي برأسها: «بالطبع، كنت أختبرك فحسب.»

هبطت المروحية وسط دوامة ترابية، وكانت الزهور البيضاء تتلوى في دائرة واسعة حول مكان هبوط الطائرة.

قالت تالي: «أشكرك من أجل توصيلي.»

أجابها تونك: «حظ طيب. أتمنى أن تعجبك منطقة الضباب.»

- «وأنا أتمنى لك ذلك أيضًا.»

- «لكن إذا ما عدلتِ عن رأيك يا تالي، نحن نبحث دومًا عن متطوعين للعمل

معنا.»

عبست تالي: «ماذا تعني كلمة متطوعين؟»

ابتسم الحارس: «التطوع هو أن تختاري عملك بنفسك.»

- «آه، حسنًا.» وكانت تالي قد سمعت من قبل أن هذا الأمر ممكن في بعض

البلدان. أردفت تالي قائلة: «ربما. وفي تلك الأثناء، واصل عملك الجيد. والشيء بالشيء

يذكر، أنت لن تشعل النيران هنا في الجوار، أليس كذلك؟»

ضحك الحراس، وقال تونك: «نحن نعمل فقط على الأطراف التي تنتشر منها، كي نحد من انتشارها. وهذه البقعة تقع في المنتصف تمامًا. يستحيل أن نفعل ذلك.» نظرت تالي حولها، فلم تستطع أن ترى على مرمى بصرها أي لون آخر سوى الأبيض. وعلى الرغم من أن الشمس قد غربت منذ ساعة، كانت أزهار السحلبية بارزة كالأنشباح على ضوء القمر. والآن بعدما عرفت ماهيتها، ارتجف جسدها من المنظر. وحاولت تالي أن تتذكر الاسم الذي أطلقوه على هذا الوضع: الصفر البيولوجي.

قالت تالي: «رائع.»

قفزت تالي من المصفحة، ونزعت لوحها الطائر من الحامل المغناطيسي المجاور لبابها. وتراجعت إلى الورا بحرص لكي تجثم إلى أسفل حسبما حذرها الحراس. عاودت المصفحة الطائرة عملها ونمطها المعتاد، ورفعت تالي بصرها إلى أعلى نحو القرص اللامع. وكان تونك قد شرح لها أن هناك زوجًا من الريش المعدنية الرفيعة يدور بسرعة شديدة حتى إنها لا تستطيع أن تراه، ويحمل المصفحة عبر الهواء. وكانت تتساءل عما إذا كان يمزح، فقد بدا الأمر لها وكأنه مجال القوة النموذجي.

حينئذ جن جنون الريح مرة أخرى عندما كانت المصفحة الطائرة ترتفع إلى أعلى، فتشبثت بلوحها الطائر بشدة، وأخذت تلوح بيديها إلى أن اختفت المصفحة بين طيات السماء المظلمة، ثم تنهدت.

ها هي وحيدة مرة أخرى.

نظرت تالي حولها، وهي تتساءل كيف لها أن تعثر على الضبابيين وسط هذه الصحراء منعدمة المعالم التي تغشيها أزهار السحلبية.

فتذكرت السطر الأخير من تعليمات شاي: «ثم انتظري فوق الرأس الأصلع حتى طلوع النهار.» مسحت تالي الأفق، ثم ارتسمت على وجهها ابتسامة تنم عن الارتياح.

لقد برز في الأفق تل مرتفع ومستدير على مسافة ليست ببعيدة عنها. لا بدّ أنه من أوائل الأماكن التي استنبطت فيها الأزهار المستحدثة، فكان النصف العلوي منه آخذًا في الهلاك، ولم يتبق منه شيء سوى التربة العارية التي دمرتها أزهار السحلبية.

لقد بدت المنطقة الخالية من النبات كالرأس الأصلع.



وصلت تالي إلى قمة التل الصلعاء في غضون ساعات معدودة.

كان لوحها الطائر آنذاك بلا فائدة هناك، لكن المشي سيرًا على الأقدام كان يسيرًا بحذائها الجديد الذي أعطاه إياها الحراس، فحذاؤها قد احترق حتى إنه تشقق في الطائرة المروحية. وملأ تونك جهاز تنقية المياه الخاص بها بالماء.

وكان لركوبها المصفحة المروحية دور في جفاف ملابسها قليلًا، في حين أكمل السير في الهواء الطلق باقي المهمة. وكانت حقيبة كتفها قد نجت من الغرق، حتى إن الاسباجتي بولونيز ظلت جافة في عبواتها المضادة للماء. أما الشيء الوحيد الذي تلف في النهر، فكان ورقة شاي التي تحولت إلى حشوة صغيرة مشبعة بالماء في جيبها.

لكنها كادت أن تنجح في مهمتها؛ فبينما كانت تطل من أعلى قمة التل، أدركت أنها ما زالت على قيد الحياة، فيما عدا بعض القرع الناجمة عن الحرق في يديها وقدميها وخدوش في ركبتها وبعض خصلات الشعر التي احترقت. وما دام سكان منطقة الضباب يعلمون أين يعثرون عليها، ويصدقون قصتها أنها إحدى القبيحات التي جاءت لتنضم إليهم، ولم يكتشفوا أنها جاسوسة حقيقية، فسيكون كل شيء رائعا.

انتظرت تالي فوق التل، منهكة القوى لكن غير قادرة على أن تخلد إلى النوم، وتساءلت عما إذا كانت تستطيع حقًا أن تفعل ما أرادته دكتورة كابل أم لا. وها هي القلادة التي زينت عنقها قد نجت من المحنة أيضًا. وشككت تالي في أن قدرًا ضئيلاً من المياه قد دمر الجهاز الذي تحمله القلادة، لكنها لم تكن تستطيع أن تعرف ذلك إلا بعد أن تصل إلى منطقة الضباب وتشغل القلادة.

وتمنت تالي للحظة من الوقت أن تتوقف القلادة عن عملها. لعل أحد الارتطامات التي مرت بها خلال طريقها قد كسر قارئ بصمة العين الصغير، ومن ثم لن يتسنى لها أبدًا أن ترسل الرسالة إلى دكتورة كابل. لكن مثل هذا الأمر من الصعب أن يستحق التمني، فدون القلادة ستظل تالي عالقة هنا في البرية إلى الأبد. قبيحة إلى الأبد.

فخيانة صديققتها هي الطريق الوحيد للعودة إلى بلادها.



## الفصل الثالث والعشرون

# أكاذيب

بعد بزوغ الفجر بساعتين، قدموا إليها وأخذوها معهم. رأتهم تالي وهم يمشون عبر أزهار السحلبية، رأت أربعة أشخاص يحملون ألواحًا طائرة ويرتدون ملابس بيضاء اللون، وتغطي رءوسهم قبعات عريضة بيضاء رقطاء، وكذلك لاحظت أنهم إذا انحنوا إلى أسفل بين الزهور، كانوا يختفون بمكر.

لقد اجتاز أولئك الناس كثيرًا من الصعاب حتى يظلوا متوارين عن الأنظار. وبينما كانوا يدنون منها، تعرفت تالي على شاي من ضفيرة شعرها التي كانت تتمايل تحت إحدى القبعات، ولوحت لها بحماس شديد. وكانت تالي قد عقدت العزم على أن تلتزم حرفياً بما ورد في الورقة التي تركتها شاي وتنتظر فوق التل، لكن ما إن لمحت صديقتها حتى سحبت لوحها واندفعت به إلى أسفل للقائهم.

وسواء أكانت تالي جاسوسة أم لا، فهي تتلف بشدة لرؤية شاي. تركت شاي، تلك الفتاة الطويلة الهزيلة، الآخرين وركضت نحو تالي، وتعانقتا وهما تضحكان.

– «هذا أنتِ! كنت أعرف أنه أنتِ!»

– «بالطبع هذا أنا يا شاي. لم أستطع تحمل فراقكِ.» الأمر الذي كان حقيقياً

إلى حد كبير.

ولم تستطع شاي أن تتوقف عن الضحك وقالت: «عندما رأينا المروحية الليلية البارحة، قال معظم الناس إنها ثقل حتماً مجموعة أخرى من الناس. فقد قالوا إنكِ استغرقت وقتاً طويلاً وعليّ أن أفقد الأمل.»

حاولت تالي أن تبادلها الابتسامة، وهي تتساءل في نفسها ألم تتمكن من أن تعوض ما أهدرتة من الوقت، وبالطبع بات من الصعوبة أن تعترف بأنها بدأت رحلتها «بعد» عيد ميلادها السادس عشر بأربعة أيام.

ردت تالي: «لقد ضللت الطريق، ألم يكن بمقدورك جعل مفاتيح اللغز أكثر غموضًا من هذا؟»

اعترى الحزن وجه شاي وقالت: «ظننتكِ ستفهمينها.»

ولأن تالي لم تستطع أن تتحمل رؤية شاي وهي تلوم نفسها هزت رأسها وقالت: «في الواقع لا بأس بمفاتيح اللغز، كل ما في الأمر هو أنني حمقاء، لكن المشكلة الكبرى ظهرت عندما وصلت إلى الأزهار؛ فالحراس لم يروني في البداية، وكادت النيران أن تشويني.»

اتسعت عينا شاي حينما تفرست في وجه تالي الذي سفعتة الشمس وملأته الخدوش ويديها اللتين علتها القرح وشعرها المحترق ذي الرقع المتفرقة، وقالت: «تالي! تبدين وكأنك قد اجتزت ساحة حرب.»

– «شيء من هذا القبيل.»

اقترب القبحاء الثلاثة الآخرون منهما، ووقفوا خلفهما قليلاً، وقد حمل أحد الصبية جهازاً في الهواء ثم قال: «إنها تحمل جهاز تعقب.»

تجمد قلب تالي من الذعر وقالت: «ماذا؟»

حينئذ أخذت شاي برفق اللوح من تالي وأعطته للصبي الذي مرر جهازه عبر اللوح، ثم أوماً برأسه وأوقف تشغيل أحد جناحي الاتزان الصغيرين. قال: «ها هو.»

قالت شاي: «إنهم يضعون أحياناً بعض أجهزة تتبع الأثر في الألواح التي تسافر مسافات طويلة، في محاولة للعثور على منطقة الضباب.»

– «أنا فعلاً ... أنا لا أعرف، أقسم لكم!»

رد الصبي: «اهدئي يا تالي، هذا ليس خطأك. فلوح شاي اشتمل على واحد أيضاً، هذا ما يجعلنا نلتقي بالجدد هنا أسفل التل.» ثم أمسك الصبي بجهاز التعقب وقال: «سنأخذه بعيداً في اتجاه عشوائي ونربطه بطائر مهاجر، ولنرى كم سيحب أفراد السلطات الخاصة أمريكا الجنوبية.» فضحك جميع الضبابيين.

اقترب الصبي من تالي وحرك الجهاز إلى أعلى وإلى أسفل عبر جسدها، ففزعت تالي عندما مر الجهاز بالقرب من القلادة. لكن الصبي ابتسم وقال: «كل شيء على ما يرام، أنتِ خالية من أي أجهزة تعقب.»

تهدت تالي بارتياح. بالطبع، هي لم تقم بتشغيل القلادة بعد، من ثم لم يستطع جهازه كشفها. أما عن جهاز التعقب الآخر، فقد كان وسيلة استعانت بها دكتورة كابل لتضليل الضبابيين كي ينصرفوا عن حيطتهم، فقد كانت تالي نفسها هي الخطر الحقيقي.

تقدمت شاي لتجاور الصبي، ووضعت يده في يد تالي وقالت: «تالي، هذا ديفيد». ابتسم الصبي مجددًا. ومع أن الصبي كان قبيحًا، فابتسامته كانت لطيفة. وكذلك علت وجهه أمارات ثقة بالنفس لم تعهدها تالي من قبل في أي قبيح التقت به. ربما يكبرها ببضع سنوات. ولم يسبق لتالي قط أن رأت أي شخص ناضج بالفطرة بعد سن السادسة عشرة.

وبالطبع من الصعوبة أن يكون ديفيد من الحسان، فابتسامته كانت معوجة، وجبهته مرتفعة. لكن سواء أكان من تقابلهم قبحاء أم لا، فمن الجيد أن ترى شاي وديفيد، أن تراهم جميعًا؛ فباستثناء الساعتين اللتين قضتهما في زهول مع حراس الغابة لم تر تالي وجوهًا بشرية طوال وقت بدا وكأنه دام سنين.

– «إذن، ماذا لديك؟»

– «ماذا تقصد؟»

كان كروي أحد القبحاء الآخرين الذين جاءوا للقائها، وبدا لها أن عمره هو الآخر يزيد عن السادسة عشرة، لكن لم يبد عمره ملائمًا لهيئته مثلما كان الحال مع ديفيد، فالبعض يحتاجون إلى عملية التجميل أكبر من غيرهم. مد كروي يده كي يحمل عنها حقيبة كتفها.

قالت تالي: «آه، أشكرك». فكان كتفها يتألمان من تشبث هذه الحقيبة بهما على مدار الأسبوع السابق.

فتح كروي الحقيبة وهم يسرون إلى وجهتهم ثم نظر بداخلها وقال: «جهاز تنقية المياه. جهاز تحديد الاتجاهات.» ثم أخرج العبوة المضادة للماء وفتحها: «اسباجتي بولونيز! هم!»

تأوهت تالي وقالت: «يمكنك أن تأخذها.»

اتسعت عينا كروي وهو يتساءل: «هل يمكنني ذلك حقًا؟»

جذبت شاي الحقيبة بعيدًا عنه وقالت: «لا، لا يمكنك.»

قالت تالي: «لقد كنت أتناول هذا الشيء ثلاث مرات يوميًا على مدار ... ما بدا لي وكأنه دهر.»

أوضحت شاي الأمر لتالي قائلة: «صحيح ولكنه يصعب الحصول على الطعام المجفف في منطقة الضباب، لذا ينبغي أن تحفظي هذه العبوات حتى تقايضي بها.» عبست تالي: «أقايض؟ ماذا تقصدين؟» فالقباء في المدينة كانوا يقايضون المهام أو الأشياء التي يسرقونها، لكن مقايضة الطعام أمر مستحدث! ضحكت شاي: «ستعادين الفكرة. ففي منطقة الضباب، لا تعبر الأشياء الحاجز. عليك أن تتشبثي بالأشياء التي أحضرتها معك. لا تعطها لأي أحد يطلبها منك.» ثم حدقت شاي في كروي الذي نظر إلى أسفل خجلًا.

أصر كروي بإلحاح قائلاً: «كنت أنوي أن أعطيها شيئًا ما في المقابل.» قال ديفيد: «قطعًا كنت تنوي ذلك.»

لاحظت تالي يده الموضوعه على كتف شاي وهي تلمسها برقة وهما يسيران في طريقهما، وتذكرت الطريقة الحاملة التي لطالما تحدثت بها شاي عن ديفيد. ربما لم يكن الوعد بالحرية وحده هو ما أحضر صديقتها إلى هنا. بلغوا حافة الأزهار حيث برزت أعداد كثيفة من الأشجار والأجمة الآخذة في النمو عند سفح جبل شاهق.

تساءلت تالي: «كيف تحدثون انتشار أزهار السحلبية؟»

برقت عينا ديفيد وكأن هذا الأمر كان موضوعه المفضل: «هذه الغابة العريقة تقف حائلًا أمامها، فيمتد عمرها قرونًا بل ربما قد تمتد أصولها إلى ما قبل سكان العصر القديم.»

قالت شاي: «هي تحوي فصائل لا حصر لها من النباتات، ومن ثم هي بالقوة الكافية التي تمكنها من أن تحول دون انتشار الأعشاب الضارة.» ثم نظرت شاي إلى ديفيد لترى ما إذا كانت ستنال الموافقة على ما قالته أم لا.

أردف ديفيد وهو يشير إلى الوراء حيث قبعت المساحة الشاسعة البيضاء وراءهم: «أما بقية الأرض فقد كانت تستخدم كمزارع أو كمراع. وكان سكان العصر القديم قد بذلوا جهدًا كبيرًا فيها قبل أن تصل الأعشاب الضارة إلى هنا.»

وبعد أن سارت تالي دقائق معدودة في الغابة، أدركت لماذا لا تضاهي أزهار السحلبية الغابة في قوتها؛ فأغصانها المتشابكة وأشجارها الكثيفة كانت معقودة معًا في شكل جدار لا يمكن اختراقه على كلا جانبيها. وحتى في ممراتها الضيقة،

كانت تالي باستمرار تدفع عنها بقوة الأغصان والفروع المتشعبة، وتتعثر في الجذور والصخور. فلم يسبق لها أن رأت غابة بهذه البدائية والقسوة؛ فلقد امتدت النباتات المعترشة التي تخللتها الأشواك القاسية عبر الغابة في الظلام شبه المعتم كالأسلاك الشائكة. تساءلت تالي: «أتعيشون هنا؟»

ضحكت شاي ثم قالت: «لا تقلقي، لا تزال أمامنا مسافات طويلة لنقطعها، نحن نتأكد فحسب من أنه ما من أحد يتبعك. فمنطقة الضباب على مستوى أكثر ارتفاعًا من هنا، وليست الأشجار فيها بهذه الكثافة. نحن نقرب من النهر، بعد قليل سنعتلي الألواح.»

قالت تالي: «جيد.» فقدمهاها كانتا تتقرحان بالفعل بسبب الحذاء الجديد، لكنها أدركت أن حذاءها الجديد أكثر دفتًا من حذاءها البالي المانع للانزلاق، وكذلك هو أفضل للمشي. وتساءلت تالي عما كان سيحدث لو لم يعطها حراس الغابة إياه، كيف كان لها أن تحصل على حذاء جديد في منطقة الضباب؟ أكانت ستقايض شخصًا ما بكل الطعام الذي بحوزتها للحصول على حذائه؟ أم كانت ستصنع الحذاء بنفسها؟ نظرت تالي إلى أسفل على القدمين اللتين كانتا تسبقانها، لقد كانتا قدمي ديفيد، ولاحظت أن حذاءه يبدو مصنوعًا يدويًا؛ وأنه مثل قطعتين من الجلد جرى خياطتهما معًا بطريقة بدائية. والغريب في الأمر أنه كان يتحرك برشاقة عبر الأشجار المتشابكة في صمت وثقة، بينما كان الباقون يشقون طريقهم في جلبة صاخبة كالأفيال.

لقد أدeshتها فكرة صناعة زوج من الأحذية يدويًا.

وبينما أخذت تالي نفسًا عميقًا ذكرت نفسها بأن هذا الأمر لا يهملها في شيء، فبوصولها لمنطقة الضباب ستشغل القلادة وتعود إلى مدينتها في غضون يوم، وربما في غضون ساعات. وسيكون كل ما تحتاجه من مأكّل وملبس في متناول يدها بلا عناء. وأخيرًا سيصير وجهها جميلًا بعد طول انتظار، وستجد بيريس وكل أصدقائهما القدامى حولها.

أخيرًا سينتهي هذا الكابوس.

بعد وقت قليل، صخبت الغابة بأكملها بصوت خرير المياه الجارية، ووصلوا إلى قطعة أرض صغيرة مقطوعة الأشجار. أظهر ديفيد جهازه مرة أخرى، ووجهه إلى الوراء نحو الدرب وابتسم لتالي: «لم يظهر شيء بعد. أهنتك، لقد صرت الآن واحدة منا.»

قهقهت شاي وحضنت تالي مرة أخرى بينما كان الآخرون يعدون ألواحهم. قالت شاي: «ما زلت لا أصدق أنكِ جئتِ إلى هنا، لقد ظننت أنني قد أفسدت كل شيء بانتظاري وقتًا طويلًا دون أن أخبرك عن أمر الهروب. وكنت غاية في الحماسة عندما تعاركت معكِ بدلاً من أن أخبركِ بما كنت معترمة أن أفعله.»

هزت تالي رأسها وقالت: «لقد قلتِ كل شيء بالفعل، الأمر أنني لم أكن أصغي إليك. وحين أدركت أنكِ جادة، كنت في حاجة إلى فرصة لأفكر في الأمر. لقد استغرق الأمر مني بعض الوقت ... كل دقيقة، حتى الليلة الأخيرة قبل عيد ميلادي.» أخذت تالي نفسًا عميقًا وهي تتعجب من إفصاحها بكل هذا والكذب على شاي وهي ليست مضطرة فعلًا إلى ذلك. يجدر بها أن تصمت فحسب، وتذهب إلى منطقة الضباب، وتنتهي من هذا الأمر. لكن تالي وجدت نفسها تسترسل قائلة: «وعندئذ أدركت أنني لن أراكِ مرة أخرى إذا لم آتي إلى هنا، وعندها كنت سأظل متحيرة.»

على الأقل كان هذا الجزء الأخير حقيقيًا.

وحين حلقوا بألواحهم إلى أعلى فوق الجبل، ازداد النهر اتساعًا، قاطعًا ممرًا من الأشجار المتشابكة في الغابة الكثيفة. صارت الأشجار الصغيرة كثيرة العقد أشجار صنوبر طويلة، وازدادت ممرات الأشجار الكثيفة المتشابكة ضيقًا، وانقسم النهر إلى منحدرات نهرية تشق طريقها في الغابة من آن لآخر. صاحت شاي حينما عبرت بلوحها عبر رذاذ المياه ذات الزيد.

ثم قالت: «كنت أتحرق شوقًا كي أريك هذا! وسترين المنحدرات النهرية الهائلة حقًا على الجانب الآخر.»

أخيرًا تركوا النهر وتبعوا عرقًا من الحديد فوق سلسلة جبال. ومن هذا الارتفاع نظروا إلى أسفل، إلى وادي صغير يكاد يخلو من الأشجار.

أمسكت شاي بيد تالي وقالت: «ها هو، الوطن.»

كانت منطقة الضباب تقع أسفلهم.



## الفصل الرابع والعشرون

# عارضة أزياء

كانت منطقة الضباب ضبابية حقًا.

تخللت الوادي نيران مكشوفة التفت حولها مجموعات صغيرة من الناس، واشتمت تالي رائحة الدخان الناجم عن حرق الأخشاب والطهي، تلك الرائحة التي جلبت إلى ذهنها صورة المخيمات والحفلات التي تقام في الهواء الطلق. وإلى جانب هذا الدخان، عج الهواء بنسيم الصباح، وغطت مساحات بيضاء من السحب الوادي فأظلت الجبال، وومض عدد قليل من الألواح الشمسية وميضًا واهنًا في محاولتها لجمع ما تعكسه الشمس من أشعة، وامتدت أراضي الحدائق المزروعة في بقاع عشوائية لتتخلل المباني التي بلغ عددها عشرين مبنى مكونًا من طابق واحد ومقامًا من ألواح خشبية طويلة. لقد كان الخشب منتشرًا في كل الأرجاء: في الأسوار، وأسياخ شيّ الطعام، والممرات التي تعلق الرقع الموحلة، والأكوام المتراكمة بجوار النيران المكشوفة، فتساءلت تالي عن المصدر الذي استطاعوا أن يأتوا منه بكل هذا الخشب.

عندئذ رأت تالي جذوع الأشجار المقطوعة عند حافة المستوطنة، فشهقت، وهمست في رعب: «الأشجار ... أنتم تقطعون الأشجار.»

عصرت شاي يديها ثم قالت: «إنه في هذا الوادي فحسب. يبدو هذا الأمر غير مألوف في البداية، لكن هذه هي الطريقة التي عاش بها سكان ما قبل العصر القديم أيضًا، حسبما تعلمين. ونحن نزرع المزيد من الأشجار على الجانب الآخر من الجبل كي تحد من انتشار أزهار السحلبية.»

قالت تالي بارتياب: «حسنًا.» ورأت فريقًا من القبحاء يحرك شجرة مقطوعة ويدفعها على زوج من الألواح الطائرة. قالت تالي: «هناك شبكة قضبان، أليس كذلك؟»

أومأت شاي برأسها في سعادة وقالت: «لا توجد إلا في أماكن معينة فحسب. لقد اقتلعنا بعض أجزاء قضبان السكة الحديدية، مثل المسار الذي اقتربت من خلاله إلى الساحل. ولقد صممنا القليل من المسارات الطائرة عبر منطقة الضباب، وفي النهاية سنعمم هذه الطرق في الوادي بأكمله، وأنا أعمل بنفسي في هذا المشروع. ونحن ندفن قطعة من المعدن كل بضع خطوات معدودة؛ فالأمر بالغ الصعوبة شأنه في ذلك شأن سائر الأشياء هنا. لن تصدقي كم تزن حقيبة كتف مملوءة بالفولاذ.»

وكان ديفيد والآخرين قد اتجهوا إلى أسفل بالفعل، ينزلقون في صف واحد بين صفيين من الصخور. سألت تالي: «هل هذا هو الطريق الطائر؟» أجابته شاي: «نعم، هيا بنا، سوف آخذك إلى المكتبة. ينبغي أن تقابلي الرئيس.»

وأوضحت شاي أن الرئيس ليس هو المسئول الفعلي هنا، ولكنه منوط بهذا الدور ولا سيما أمام القادمين الجدد، وكان المسئول عن المكتبة، وهي أكبر بنايات الميدان الرئيسي بالمستوطنة.

وعند مدخل المكتبة هالت تالي الرائحة المألوفة للكتب المغطاة بالأتربة التي عبققت المكان، وبينما كانت تنظر حولها، وجدت أن الكتب هي أكثر ما تحويه المكتبة؛ فلا توجد شاشة معلقة ولا حتى شاشات عمل خاصة، كل ما هنالك مناخذ ومقاعد غير متناسقة الشكل، وصفوف كثيرة جداً من أرفف الكتب.

أرشدت شاي صديقته تالي إلى منتصف حجرة المكتب، حيث كان هناك كشك مستدير جلس به رجل ضئيل الحجم يتحدث في سماعة تليفون عتيقة الطراز. وبينما كانتا تقتربان منه أكثر، شعرت تالي بقلبها يرتج بداخلها. لقد كانت تخشى ما كانت على وشك أن تراه.

كان الرئيس رجلاً قبيحاً طاعناً في العمر. وكانت تالي قد لمحت القليلين من أمثاله عن بعد وهي في طريقها إلى منطقة الضباب، لكنها استطاعت أن تحيد عينيها بعيداً عنهم. لكن ها هي الحقيقة التي تطالعتها عيناها، ملامح مريعة لوجه غلبه كبر السن ذي تجاعيد، تبدل وتغير لونه، وملأته العروق. حدق الرجل ذو العينين الباهتتين في عينيها وهو يعنف الشخص الذي يحادثه بصوت مزعج، ويلوح لهم بأحد أصابعه للذهاب بعيداً.

قهقهت شاي وسحبتهما نحو الأرفف وقالت: «سيقابلنا في وقت لاحق. أريد أن أريك شيئاً ما أولاً.»

قالت تالي: «هذا الرجل المسكين ...»

قالت شاي: «أتقصدين الرئيس؟ يبدو وحشيًّا إلى حد ما، أليس كذلك؟ هو في الأربعين من عمره تقريبًا! انتظري حتى نتحدثي إليه.»

ازدردت تالي ريقها، وحاولت أن تمحي صورة ملامحه المتهدلة من ذهنها. هؤلاء الناس خرقى لأنهم يتحملون هذا ويرغبون فيه. قالت تالي: «لكن وجهه ...»

قالت شاي: «هذا لا يهم. انظري إلى هذا.» ثم أجلستها على الطاولة، واستدارت نحو أحد الأرفف، جلبت عددًا من المجلدات ذات الأغطية الواقية، وألقت بها أمام تالي.

- «تلك كتب ورقية؟ وماذا عنها؟»

- «هذه ليست كتب، إنها تسمى مجلات.» ثم فتحت إحداها وأشارت إلى محتواها، حيث غطت صور أناس صفحاتها اللامعة على نحو غريب.

قباء.

اتسعت عينا تالي اندهاسًا حينما كانت شاي تقلب الصفحات وهي تشير إلى محتواها وتفهقه بشدة؛ إذ لم يسبق لتالي أن رأت كل هذا الكم من الوجوه المختلفة اختلافًا جمًّا، فرأت جميع ما يمكن تخيله من أفواه وعيون وأنوف، وكانت جميعها مجتمعة بجنون في أناس من مختلف الأعمار. أما أجسامهم، فبعضها كان شديد السمنة على نحو غريب، وأخرى كانت ضخمة العضلات على نحو غريب، أو شديدة النحافة بشكل مزعج، ولم تخل جميعها من أبعاد قبيحة خاطئة. ومع ذلك بدلًا من أن يشعر أولئك الناس بالخجل من تشوهاتهم، كانوا يضحكون ويقبل بعضهم بعضًا، ويتخذون أوضاعًا وكأن كل الصور قد التقطت في حفل كبير. قالت تالي:

«من أولئك الأشخاص غريبو الأطوار؟»

ردت شاي: «هم ليسوا غريبو الأطوار، وإن كان هناك شيء غريب فهو أنهم من المشاهير.»

- «مشهورون بماذا؟ بالقبح؟»

- «لا، هم رياضيون وممثلون وفنانون بارزون. وأظن أن أولئك الرجال ذوي الشعر الليفي موسيقيون. أما عن أولئك ذوي الملامح شديدة القبح حقًا فهم سياسيون، وقد أخبرني أحدهم أن البدناء يكونون ممثلين كوميديين في الأغلب الأعم.»

قالت تالي: «هذا مضحك وغريب. إذن، وهكذا بدا الناس قبل عملية التجميل الأولى؟ كيف يتحمل أي شخص أن يراهم؟»

- «حقًا، هذا مروع في البداية. لكن الغريب هو أنك إذا دأبت على النظر إليهم، ستعتادين على ذلك قليلًا.»

قلبت شاي الصفحة لتظهر صورة جسم كامل لامرأة ترتدي نوعًا من الملابس الداخلية الضيقة تبدو كملابس سباحة على شكل خيوط شريطية.

قالت تالي: «ما الذي ...»

أجابت شاي: «أجل.»

لقد بدت المرأة وكأنها تتضور جوعًا، وقد برزت ضلوعها من جانبيها، وكانت قدمها رفيعتين للغاية حتى إن تالي تعجبت من أنهما لم تتذمرا من ثقل جسمها، وكذلك بدا مرفقاها حادين كالإبر ومثلها عظام الحوض. ولكنها كانت تبتسم وتكشف عن جسدها بفخر وكأنها قد خضعت لتوها لعملية التجميل ولم تدرك أنهم تخلصوا من كم كبير من الدهون بجسمها. والأمر الممتع هو أن وجهها كان أقرب إلى الجمال مما كان عليه الحال مع باقي الأشخاص، فهي تتمتع بالعينين الواسعتين، والبشرة الملساء، والأنف الصغير، لكن عظم وجنتيها كان قريبًا جدًا بعضه من بعض، ويمكن رؤية جمجمتها بوضوح تحت بشرتها. قالت تالي: «من تكون هذه بحق السماء؟»

- «عارضة أزياء»

- «من تقصدين؟»

- «شيء مثل حسناء محترفة. أظن أنه عندما يبدو كل شخص آخر قبيحًا، يصير الحسن مهنة.»

قالت تالي: «إذن، هي ترتدي ملابسها الداخلية لأنها...؟» وعندئذ تذكرت شيئًا ما برق في ذهنها ثم استرسلت قائلة: «لقد أُصيبت بذلك المرض! ذلك المرض الذي طالما أخبرنا عنه المدرسون.»

- «ربما. طالما ظننت أنهم اختلقوا هذا الأمر لتخويفنا.»

تذكرت تالي أنه في الأيام التي كانت تسبق ابتكار عملية التجميل بات الكثيرون من الناس ولا سيما الفتيات يستحون من كونهم بدناء؛ لذا كانوا يتوقفون عن تناول الطعام. وكانوا يفقدون الكثير من وزنهم سريعًا، والبعض منهم يفتن بهذا الأمر ويواصل فقد وزنه حتى ينتهي به الحال مثل هذه «العارضة». وقد بلغ الأمر بالبعض حد الموت جوعًا، حسبما قالوا لهم في المدرسة. ولقد كان هذا الأمر أحد أسباب ابتكار هذه العملية، ومنذ ذلك الحين لم يطل المرض أحدًا، إذ يعلم الجميع

أنهم سيتحولون إلى حسان عند بلوغ سن السادسة عشرة. بل إن معظم الناس كانوا يأكلون بشرامة قبل أن يتحولوا إلى حسان، وهم على دراية بأنهم سيتخلصون من كل هذا الوزن الزائد أثناء العملية.

حدقت تالي في الصورة وارتجفت. لم العودة إلى هذا الأمر؟  
التفتت شاي بعيداً وقالت: «مرعب، أليس كذلك؟ سأرى ما إذا كان الرئيس مستعداً للقائنا أم لا.»

وقبل أن تختفي شاي عن نظرها في أحد أركان الحجرة، لاحظت أنها شديدة النحافة. لم تكن نحيفة كأولئك الذين كانوا يلهثون وراء النحافة على نحو مرضي، ولكنها كانت نحيفة على نحو قبيح، فهي لم تكن قط شرهة في تناول الطعام. وتساءلت تالي هل إقبال شاي على الطعام سيزداد سوءاً هنا في منطقة الضباب، إلى أن ينتهي بها الحال إلى متضورة جوعاً.

تحسست تالي القلادة بأصابعها، فهذه فرصتها، لعلها تنتهي من الأمر الآن. لقد نسي هؤلاء الناس حال العالم القديم، صحيح أنهم ينعمون بأوقات رائعة وهم يخيمون بالخارج ويلعبون لعبة الغميضة ويبرعون في العيش بالخارج هنا وهم يخفونه عن المدن، لكنهم نسوا بطريقة أو بأخرى أن سكان العصر القديم كانوا مجانين، وكادوا يدمرون العالم بمليون طريقة مختلفة. وهذه المتضورة جوعاً التي أوشكت أن تصير حسناء ما هي إلا واحدة منهم. إذن لم العودة إلى هذا؟  
لقد كانوا يقطعون الأشجار هنا بالفعل.

فتحت تالي حلية القلب التي حملتها القلادة، ثم أخذت تنظر إلى الثقب الصغير الوامض الذي كان ينتظر أن تقرأ أشعة الليزر المنبعثة منه بصمة عينيها. قربت تالي الحلية من عينيها ويداها ترتجفان. لقد كان من الحمق أن تنتظر، فالانتظار قد يصعب الأمر أكثر.

وهل لديها فرصة الاختيار؟

«تالي، إنه على وشك...»

أغلقت تالي القلادة سريعاً ودستها داخل قميصها.

ابتسمت شاي بخبث ثم قالت: «لقد لاحظتها من قبل. ما الذي تصدره؟»

– «ماذا تقصدين؟»

– «هيا أخبريني، فأنت لم ترتدي شيئاً مثل هذا من قبل. لقد تركتك وحدك

مدة أسبوعين فصرت رومانسية. كيف ذلك؟»

ازدردت تالي ريقها وهي تنظر إلى أسفل نحو القلب الفضي.

أردفت شاي: «أقصد إنها قلادة لطيفة حقًا وجميلة، لكن من أعطاك إيها يا تالي؟»

وجدت تالي أنها لا تستطيع أن تجبر نفسها على الكذب، فقالت: «شخص ما، شخص ما فحسب.»

أدارت شاي عينيها وقالت: «آه، علاقة غرامية قصيرة في اللحظة الأخيرة قبل الرحيل، أليس كذلك؟ لطالما ظننتك تحفظين نفسك من أجل بيريس.»  
- «الأمر ليس كذلك، إنه ...»

تساءلت تالي: لم لا تخبر شاي بالأمر؟ فهي ستكتشفه على أي حال عندما يُغير أفراد السلطات الخاصة عليهم. وإذا علمت شاي بالأمر، فستستطيع على الأقل أن تستعد قبل أن ينهار هذا العالم الخيالي. قالت تالي: «ينبغي أن أخبرك شيئًا ما.»  
- «بالطبع.»

- «إن مجيئي هنا هو نوع من ... الأمر هو، عندما ذهبت كي تُجرى لي.»  
- «ماذا تفعلان؟»

وثبتت تالي من مكانها على وقع هذا الصوت الأجش. لقد بدا صوت الرئيس مثل نسخة قديمة متهالكة من صوت دكتورة كابل، الذي كان مثل نصل موسى الحلاقة الصدئ الذي يجري عبر أوتارها.

- «يرجع عمر هذه المجلات إلى ثلاثة قرون مضت، وأنتما لا ترتديان قفازات!»  
ثم جر قدميه نحو المكان الذي كانت تالي تجلس فيه وهو يبرز قفازات قطنية بيضاء ثم ارتداها. اقترب منها كي يطوي المجلة التي كانت تقرأها.

- «أصابعك مغطاة بأحماض قذرة للغاية يا أنستي، وسوف تفسدين هذه المجلات إذا لم تكوني حذرة. قبل أن تستطعي المجموعة، عليك أن تأتي إليّ أولاً!»  
ردت شاي: «أسفة أيها الرئيس، إنه خطئي.»

ردت بنبرة لاذعة وهو يعيد وضع المجلات إلى الأرفف بحركات أنيقة وحريصة تتناقى مع كلماته القاسية: «ليس عندي شك في ذلك.» ثم قال لتالي: «والآن يا أنستي الصغيرة، أظن أنك هنا من أجل مهام العمل.»

قالت تالي: «عمل؟»

نظر كلاهما إلى تعبير تالي المتحير، وانفجرت شاي في الضحك.

## إلى العمل

تناول كل الضبابيين الغداء معًا، تمامًا مثلما كان يحدث في عنبر القبحاء. لقد بدا واضحًا أن الطاولات الطويلة قد قطعت من ألباب الشجر، فقد كانت تظهر بها العقد والعروق، وكذا تجري المسارات المموجة بطولها. لقد كانت خشنة وجميلة، لكن تالي لم تستطع أن تتجاهل فكرة أن الأشجار قُطعت حية. سُرت تالي عندما اصطحبتها شاي وديفيد إلى الخارج حيث كانت نيران الطهي، وحيث كانت توجد مجموعة من القبحاء الأصغر سنًا. لقد كان مريحًا لها أن تبعد بعيدًا عن الأشجار المقطوعة، وعن القبحاء الكبار المزعجين. وبالخارج هنا على الأقل، يستطيع أي من الضبابيين أن يمر بها. فتالي لم تتمتع بالكثير من الخبرة في تقدير عمر القبحاء، لكن اتضح أنها على صواب إلى حد ما؛ فاثنتان منهم كانا قد وصلا لتوهما من مدينة أخرى، ولم يبلغا السادسة عشرة من العمر بعد. أما الثلاثة الآخرون — كروي ورايدي وأستريكس — فقد كانوا أصدقاء من مجموعة أصدقاء شاي الذين هربوا معًا قبل أن تلتقي تالي بشاي للمرة الأولى.

وهنا في منطقة الضباب حظي أصدقاء شاي — مع أنهم لم يبقوا فيها سوى خمسة أشهر — بالقدر نفسه من الثقة بالنفس كذلك الذي يتحلّى بها ديفيد. فهم يتمتعون بطريقة ما بسلطة الحسان الشبان متوسطي السن، لكن دون الفك القوي أو العيون المرسومة بدقة أو الملابس الأنيقة. وفي أثناء الغداء كانوا يتحدثون عن المشروعات التي كانوا بصدها: قناة لجلب المياه من النهر الصغير بالقرب من منطقة الضباب، وأنماط جديدة لأصواف الغنم التي كانت ستراتهم تُصنع منها، ومرحاض جديد (وكانت تالي تتساءل عما يكون المرحاض). لقد بدوا غاية في الجدية، وكأن حياتهم كانت خدعة معقدة بالفعل وهم كل يوم في حاجة لأن يُخططوا ويعيدوا التخطيط لها.

وكان طابع الجدية يطغى أيضاً على الطعام، إذ كان الطعام يُغرف في أطباقهم بمقادير كبيرة، وكان أكثر دسامة من الطعام الذي اعتادت تالي أن تتناوله، وكذا غني المذاق مثلما كان الحال كلما حاول فصل دراسة تاريخ الأطعمة أن يطهو واجباته الخاصة. ومع ذلك كانت الفراولة حلوة المذاق دون الحاجة إلى إضافة السكر إليها، ومع أنه بدا من المستغرب أن يؤكل الخبز دون أي إضافات، فإن خبز الضبابيين كان له مذاقه الخاص دون إضافة أي شيء إليه. وبالطبع كانت تالي تلتهم أي شيء بسعادة ما دام أنه ليس إحدى عبوات الاسباجتي بولونيز.

ومع ذلك لم تسأل عن نوع الطعام المطهو، كفاها صدمة واحدة في يومها؛ وهي قطع الأشجار حية.

وبينما كان أصدقاء شاي يتخلصون من بقايا الطعام بأطباقهم، أخذوا يلحون على تالي بأسئلتهم عن أخبار المدينة؛ مثل نتائج مباريات العنابر، وحبكات المسلسلات، وسياسات المدينة، وتساءلوا عما إذا كان قد تردد إلى مسامعها أي حديث عن هروب أي شخص آخر؟ أجابت تالي أسئلتهم بأفضل إجابات استطاعت تقديمها. ولم يحاول أحد أن يخفي حنينه إلى الوطن.

عندئذ سألتها أستريكس عن رحلتها إلى هنا إلى منطقة الضباب.

«كان الأمر حقاً يسيراً إلى حد ما عندما أدركت المغزى من تعليمات شاي.»

قال ديفيد: «ليست بهذا اليسر، كم استغرقت من وقت؟ عشرة أيام، أليس كذلك؟»

قالت شاي: «لقد رحلت في الليلة السابقة ليوم عيد ميلادنا، أليس كذلك؟»

أجابت تالي: «عند منتصف الليل بالضبط. تسعة أيام ... ونصف.»

عبس وجه كروي وقال: «لقد استغرق الأمر وقتاً طويلاً حتى عثر عليك حراس الغابة، أليس كذلك؟»

«أظن ذلك، وكانوا على وشك إحراقها حينها، لقد كانوا يشعلون حرائق ضخمة خرجت عن السيطرة.»

تأثر أصدقاء شاي بشدة قائلين: «حقاً؟ كفى!»

«وكاد لوحي أن يحترق، وكان عليّ أن أنقذه فقفزت في النهر.»

سأل رايدي: «هل هذا هو سبب ما ألمّ بوجهك؟»

لمست تالي الجلد المقشر بأنفها وقالت: «هذا نوع من ...» وكانت على وشك أن تقول إنه بسبب سفحة الشمس لكن وجوه الآخرين كانت تقول إنهم غارقون في



التفكير. ولأنها قضت وقتًا طويلًا بمفردها، وجدت نفسها تتلذذ بكونها محط اهتمام الجميع.

قالت تالي: «كانت السنة الذهب تكتنفي من كل الجهات. وقد ذاب حذائي أثناء عبوري الرقعة الشاسعة من الزهور المحترقة.»  
صفرت شاي قائلة: «أمر لا يصدق عقل.»

قال ديفيد: «غريب، فحراس الغابة عادةً ما يكونون حذرين من أجلبنا.»  
- «أظن أنهم لم يستطيعوا التوصل إلي.» وعزمت تالي على ألا تخبرهم بحقيقة أنها عمدت إلى إخفاء لوحها الطائر، واسترسلت قائلة: «على أي حال، كنت في النهر ولم يسبق أن رأيت في حياتي قط طائرة مروحية - باستثناء اليوم السابق - وخرج هذا الشيء بصوت كالرعد من وسط الدخان دافعًا النيران نحوي. وبالطبع لم يكن لدي أدنى فكرة أن حراس الغابة هم أناس صالحون. فقد ظننتهم أناسًا من سكان العصر القديم المولعين بإشعال الحرائق قاموا من قبورهم!»

ضحك الجميع، ووجدت تالي نفسها تتلذذ بالدفاء المتولد من انتباه المجموعة الذي حاد إليها. لقد كان الأمر أشبه بسرد خدعة ناجحة على جميع من بالعنبر، لكن هذا كان أفضل كثيرًا لأنها كانت قد نجت بالفعل من موقف حياة أو موت. وكان ديفيد وشاي يصغيان بانتباه إلى كل كلمة. وكانت تالي مسرورة لأنها لم تشغل القلادة بعد. فلو كانت قد خانتهم لتوها ما كانت لتجلس بينهم الآن تنعم بإعجاب الضبابيين بها. وعزمت على أن تنتظر حتى يحين الليل، حينما تكون بمفردها كي تقوم بما عليها أن تفعله.

قال ديفيد بصوت جذبها بعيدًا عن أفكارها المؤرقة: «لا بد أنك كنت مرتاعة، من البقاء وحدك بين أزهار السحلبية كل هذه الأيام، تنتظرين فحسب.»  
هزت تالي منكبيها وقالت: «ظننت أنهم كانوا من الحسان. ولم أكن أعرف عن العشب الضارة الغازية.»

عبس ديفيد في وجه شاي: «ألم تخبريها بأي شيء في الورقة التي تركتها لها؟»  
خجلت شاي وقالت: «لقد طلبت مني ألا أكتب أي شيء من شأنه أن يفشي سر منطقة الضباب، لذا كتبتها في صورة شيء أشبه بالشفرة.»

قال ديفيد: «لقد كادت شفرتك أن تودي بحياتها.» خفضت شاي وجهها، والتفت ديفيد نحو تالي ثم قال: «قلما قام أحدهم بالرحلة بمفرده، ما بالك وهذه هي المرة الأولى التي تغادرين فيها المدينة.»

طوقت تالي منكبي شاي بذراعها وقالت بارتياح: «لقد سبق لي أن غادرت المدينة من قبل. لقد كنت بخير، وكان الأمر كباقة من أجمل الزهور، وقد بدأت رحلتي بمؤن من الطعام تكفي أسبوعين.»

سألها كروي: «لم سرقت كل عبوات الاسباجتي بولونيز؟ لا بد أنها أعجبتك.» فأثارت هذه العبارة ضحك الآخرين.

حاولت تالي أن تبتسم وقالت: «لم ألاحظ حتى متى سرقتها. ثلاث عبوات اسباجتي بولونيز في اليوم الواحد مدة تسعة أيام. ولقد فقدت شهيتي لها من اليوم الثاني، لكنني كنت أتصور جوعًا.»

أومأ الجميع برءوسهم، فبدا من الواضح أنهم قد اختبروا السفر المجهد، وأيضًا العمل الشاق، ولقد لاحظت تالي بالفعل قدر الطعام الذي كان يستهلكه كل فرد في وجبة غدائه. ربما ليس من المحتمل بدرجة كبيرة أن تصاب شاي بمرض الإحجام عن تناول الطعام، فلقد تناولت طبقها المليء بالطعام عن آخره.

قال ديفيد: «أنا مسرور بأنك نجحت.» ثم اقترب منها ولمس برفق الخدوش على وجهها وقال: «يبدو أنك عشت مغامرات تفوق ما تذكرينه لنا بالفعل.» ازدردت تالي ريقها وهزت كتفها، آملة أن تبدو لهم متواضعة. ابتسمت شاي وحضنت ديفيد وقالت: «عرفت أنك سوف ترى تالي إنسانة رائعة.»

قرع جرس انعكس رنينه على سطح الأرض، فأسرعوا للانتهاء من طعامهم. سألت تالي: «ما هذا؟»

ابتسم ديفيد ابتسامة عريضة ثم قال: «هذا جرس العودة إلى العمل.» قالت شاي: «ستأتي معنا، لا تقلقي لن يقضي ذلك عليك.»

وبينما كانوا في طريقهم إلى العمل شرحت شاي لصديقتها تالي المزيد عن مسارات قطارات الملاهي الطويلة المسطحة التي تُسمى قضبان السكة الحديدية، والتي امتد بعضها عبر القارة بأكملها، وها هي تشكل جزءًا صغيرًا من أطلال سكان العصر القديم يشج الأرض. ولكن على عكس معظم الأطلال، كانت قضبان السكة الحديدية ذات فائدة بالفعل، فهي ليست مفيدة فقط من أجل الألواح الطائرة، ولكنها كانت أيضًا المصدر الرئيسي الذي يحصل منه الضبابيون على المعادن.

وكان ديفيد قد اكتشف خط سكة حديدية جديدًا منذ عام أو قرابة العام، ولم يكن هذا المسار يصل إلى أي مكان ذي فائدة، لذا وضع خطة لتجريد المسار من المعادن واستخدامها في بناء المزيد من الطرق الطائرة داخل الوادي وحوله. وكانت شاي تعمل في المشروع منذ قدومها إلى منطقة الضباب منذ عشرة أيام.

حلق ستة منهم بألواحهم الطائرة إلى أعلى خارج الجانب الآخر من الوادي، ثم إلى أسفل على مستوى نهير يعج بالماء الثائر ذي الزبد، وبامتداد سلسلة جبال حادة كالموسى تزخر بالمعادن الخام. ومن هناك أدركت تالي أخيرًا إلى أي مدى ارتفعت عن الجبل منذ أن تركت الساحل. لقد بدت القارة بأكملها منبسطة أمامهم. وعكست الطبقة الرقيقة من السحب التي تجلت أسفل قمة الجبل الطبقة الأكثر كثافة من السحب التي تعلو رؤوسهم، أما الغابات والأراضي العشبية، وأمواج الأنهار الوامضة فكان يمكن رؤيتها عبر الستار الضبابي. وكذا لا يزال من الممكن رؤية الكم الهائل من أزهار السحلية البيضاء من هذا الجانب من الجبل، وهي تومض مثل الصحراء مترامية الأطراف تحت أشعة الشمس.

دمدمت تالي قائلة: «إن كل شيء كبير الحجم للغاية.»

ردت شاي: «وهذا هو ما لا يمكن أن تدركيه من الداخل. فما أصغر المدينة! كم كانوا أيضًا يقللون من شأن كل إنسان حتى يحتجزونه بداخلها.»

أومأت تالي برأسها، لكنها أخذت تتخيل ما سيحدث لو أطلق العنان لكل أولئك الناس في الريف أسفلهما، وهم يقطعون الأشجار ويقتلون الكائنات للحصول على الطعام، ويتطفلون على هذه الطبيعة الخلابة مثل إحدى آلات العصر القديم المعاد استخدامها.

ومع ذلك لم تعرض تالي بعد أي خدمة حتى هذه اللحظة، حيث كانت تقف هناك وتتفرس السهول المنبسطة الممتدة أسفلها. وكانت تالي قد قضت الأربع سنوات المنصرمة تتفرس في أفق نيو برتي تاون، معتقدة أنه أجمل منظر في العالم، لكنها لم تعد تعتقد هذا.

في الأسفل، وعلى ارتفاع منخفض وفي منتصف الطريق حول الجبل، كان هناك نهر آخر يقطع طريق السكة الحديدية الذي أنشأه ديفيد. ومع أن الطريق الممتد من منطقة الضباب إلى هناك كان يتعرج في كل الاتجاهات، مستفيدًا من طبقات الحديد الخام، والأنهار وقيعان الروافد الجافة، فإنهم لم يضطروا قط للتخلي عن ألواحهم،

إذ لم يكن المشي سيرًا على الأقدام خيارًا أمامهم، وذلك حسبما شرحت شاي لتالي عندما عادت محمّلتين بمعدن ثقيل.

كان مسار السكك الحديدية مكسوًا بنباتات العنب والأشجار غير مكتملة النمو، فكانت كل عارضة خشبية فيه أسيرة لقبضة عشرات النباتات، وكذلك تقطعت الغابة إلى رقع تحيط بعدد قليل من خطوط السكة الحديدية، ولكنها أحكم قبضتها بشدة على باقي الأجزاء.

سألت تالي: «كيف سنقتلع أيًا من هذه؟» ثم رفست بقدمها جذرًا كثير العقد، وهي تشعر بالوهن أمام قوة البرية.

أجابتها شاي: «انظري إلى هذا.» ثم أخرجت أداة من حقيبة ظهرها عبارة عن قضيب طوله ذراع يكاد يماثل طول تالي عند فرده من داخل أنبوبته، ثم ثنت أحد طرفيها لتنبسط من الطرف الآخر أربع دعامات قصيرة كدعامات الشمسية. قالت شاي: «إنها تسمى «مدوار الطاقة» ويمكنها أن تحرك أي شيء.»

ثنت شاي مقبض القضيب مرة أخرى فتراجعت الدعامات إلى مكانها، ثم دفعت أحد طرفي المدوار تحت إحدى العوارض الخشبية في المسار. وبعد أن ثنت معصمها، بدأ القضيب يهتز وانبعث صوت صرير عن الخشب. حينئذ انزلت قدمها شاي للوراء، لكنها ألقت بثقل جسدها على القضيب، مما أبقى عليه تحت العارضة الخشبية. وببطء ارتفعت العارضة الخشبية القديمة عن الأرض، وتحررت من قبضة النباتات والأرض، وتسببت في انثناء القضيب الذي كانت تتخلله. رأت تالي دعامات مدوار الطاقة وهي تنبسط تحت العارضة الخشبية وتجبرها على الارتفاع عن الأرض بالتدرّج، لتحرر القضيب من فوقها من قيود سلاسل النباتات.

ابتسمت شاي لتالي ابتسامة عريضة ثم قالت: «ألم أقل لك!»

مدت تالي يدها بعينين متسعيتين ثم قالت: «دعيني أجرب.»

ضحكت شاي ثم أخرجت مدوار طاقة آخر من حقيبة ظهرها وقالت: «اقلعي تلك العارضة هناك بينما أقتلع أنا هذه العارضة.»

كان مدوار الطاقة أثقل مما يبدو عليه، لكنه كان سهل التشغيل. فتحت تالي المدوار وأقحمته تحت العارضة التي أشارت إليها شاي، ثم أدارت المقبض ببطء حتى بدأ المدوار يهتز في يديها.

بدأ الخشب يغير موضعه، وتلوى ثقل المعدن والأرض في يديها، ثم تمزقت أواصر نباتات الكرمة بالأرض، حتى إن تالي كان باستطاعتها أن تشعر بشكواها

عبر نعل حذائها، التي تردد صوتها إلى أسماعها كزلزال يدمم عن بعد. بعدئذ دوت صرخات المعدن في كل الأرجاء عندما بدأ القضيب ينثني، متحرراً من النباتات والمسامير الصدئة التي كانت تثبته في الأرض على مدار قرون من الزمان. وأخيراً ظل القضيب محتفظاً بأواصره القديمة مع النباتات، فناضلت تالي وشاي من أجل إخراجه.

تساءلت شاي وهي تمسح العرق الذي تصبب على حاجبها قائلة: «هل تستمتعين بالأمر؟»

أومأت تالي برأسها وهي تبتسم لها ابتسامة عريضة ثم قالت: «لا تقفي كذلك، دعينا ننتهي من العمل.»



## الفصل السادس والعشرون

### ديفيد

بعد بضع ساعات، تكدست كومة من الركام المعدني بأحد أركان الأرض الخالية من الشجر. وانقضت ساعة في قلع كل جزء من القضبان، واستدعى حملها جهود الأفراد الستة جميعهم. كذلك كانت عوارض قضبان السكة الحديدية متكدسة في كومة أخرى، ولكن على الأقل لم يحصل الضبابيون على كل أخشابهم من الأشجار الحية. ولم تستطع تالي أن تتخيل الكم الذي أنقذوه من المسارات، وهذا يشير حرفياً إلى تحرير المسار من قبضة الغابة.

ولم تصدق أيضاً ما ألمّ بيديها، لقد كانتا حمراوين ومسلوخ عنهما الجلد، تصرخان من الألم، وممتلئان بالقروح.

قال ديفيد وهو يحملق من فوق كتفي تالي وهي تنظر إلى يديها في دهشة: «تبدوان في حالة سيئة للغاية.»

ردت عليه: «إنهما تؤلماني بشدة لكنني لم ألاحظ ما ألمّ بهما إلا الآن.»

ضحك ديفيد وقال: «العمل الشاق مصدر إلهاء للإنسان، لكن ربما يجدر بك أن تأخذي قسطاً من الراحة. وأنا كنت على وشك أن أستطلع خط السكة الحديدية لإيجاد بقعة أخرى لإنقاذها، ألا ترغبين في أن تأتي معي؟»

قالت تالي بامتنان: «بالطبع.» حيث كانت فكرة أن تمسك بمدوار طاقة آخر تثير الرغبة في يديها.

بعد أن ترك ديفيد وتالي الآخرين في الأرض مقطوعة الأشجار، ركبا لوحيهما الطائرين وحلقا بهما إلى أعلى فوق الأشجار متشابكة الأغصان، وتتبعها مسار السكة الحديد المؤدي إلى غابة كثيفة الأشجار الذي كان مرثياً لهما. حلق ديفيد على ارتفاع منخفض وسط غطاء الأشجار الكثيفة، متجنباً برشاقة الأغصان ونباتات الكرمة، وكأنه كان في سباق مألوف للتزلج المتعرج. وكانت تالي قد لاحظت أن ملبسه كلها

صناعة يدوية مثل حذائه؛ فبينما كانت ملابس الأفراد في المدينة تستخدم الحواشي والتطريز لزخرفة الأقمشة، بدت ستره ديفيد مرقعة من اثنتي عشرة قطعة من الجلد بمختلف الألوان والأشكال، فأعاد هذا الشكل المرقع إلى ذاكرة تالي وحش فرانكنشتاين، واستحوذت على عقلها فكرة مربعة.

ماذا لو كانت هذه السترة مصنوعة من جلد حقيقي مثلما كان الحال في الأيام السالفة؟ مصنوعة من الجلود.

ارتعدت أوصل تالي، فيستحيل أن يرتدي ديفيد مجموعة من جلود الحيوانات الميتة، فهم ليسوا وحشيين هنا. وعليها أن تقر بأن المعطف كان يناسبه تمامًا، فالجلد يتبع خط منكببيه وكأنهما صديقان حميمان، وكذلك وقى جسده من سياط الأغصان على نحو أفضل من سترة العنبر التي ترتديها المصنوعة من الأنسجة الناعمة. أبطأ ديفيد من سرعته عندما وصلا إلى منطقة مقطوعة الأشجار، ولاحظت تالي أنهما قد وصلا إلى جدار صخري صلب فقالت: «يا للعجب!» إذ كان مسار السكة الحديدية يشق طريقه باستقامة داخل الجبل، مختلفياً وسط كومة من صخور ضخمة.

قال ديفيد: «لقد كان سكان العصر القديم لا يتهاونون بشأن الخطوط المستقيمة؛ فأينما أقاموا مسارات السكك الحديدية، كانوا لا يحبذون أن يلتفوا حول الأشياء.»

– «لذا كانوا يشقون طريقهم داخلها، أليس كذلك؟»

أوماً ديفيد برأسه ثم قال: «بلى، كان هذا المسار في وقت من الأوقات نفقاً شق طريقه مباشرة في الجبل، ولا بدّ أنه انهار في وقت ما بعد أن أصاب الهلع سكان العصر القديم.»

– «أتظن أنه كان هناك أحد ... بداخله؟ أقصد عندما انهار.»

– «على الأرجح لا، ولكن لا يستطيع أحد أن يجزم بذلك. فربما كان هناك ملء حمولة قطار من الهياكل العظمية لسكان العصر القديم.»

ازدردت تالي ريقها وهي تحاول أن تتخيل أيّاً مما يحتمل وجوده هناك، الذي في النهاية سوي بالأرض ووراه الثرى عدة قرون في الظلام.

قال ديفيد: «أشجار الغابة هنا أقل كثافة، ومن ثم أسهل في العمل خلالها، ولكنني أخشى فحسب من انهيار هذه الصخور إذا بدأنا في رفع قضبان السكك الحديدية.»

– «إنها تبدو صلبة إلى حد ما.»



قال ديفيد: «أجل. لاحظي هذا.» ثم نزل من على لوحه ليعلو إحدى الصخور، وبمهارة قفز إلى بقعة في ظل الشمس الآخذة في المغيب.

أمالت تالي لوحها بالقرب منه ثم قفزت على صخرة كبيرة مجاورة لديفيد. وعندما اعتادت عيناها على الظلام، لاحظت أن هناك فراغًا كبيرًا ممتدًا بين الصخور الضخمة. زحف ديفيد نحو الداخل واختفت قدماه في الظلام.

تردد صوت ديفيد: «هيا. تعال.»

– «لا يوجد بالداخل ملء حمولة قطار من جثث سكان العصر القديم، أليس كذلك؟»

– «بلى، لم أعر على جثث، لكن ربما يكون هذا هو يوم سعدنا.»

أدارت تالي عينيها، ونزلت على بطنها وزحفت نحو الداخل مستظلة بالصخور الضخمة الباردة التي جثمت فوقها.

ومض ضوء أمامها، واستطاعت أن ترى ديفيد جالسًا في مكان مرتفع في مساحة صغيرة خالية، ومصباح يدوي يومض بين يديه. وقفت تالي ثم جلست إلى جانبه على قطعة صخرية مسطحة، وكانت الصخور العملاقة تتكدس أعلاه. قالت تالي: «إن لم ينهزُ النفق تمامًا.»

سلط ديفيد مصباحه إلى أسفل عبر صدع توسط المكان الذي جلسا فيه ثم قال: «ليس تمامًا. لقد تشققت الصخرة إلى أجزاء، بعضها كبير والآخر صغير.» بعدئذ حدقت تالي في الظلام ورأت مساحة خالية أكبر كثيرًا ممتدة أسفلهما، وكشف بريق القطع المعدنية عن وجود جزء من مسار سكة حديدية.

قال ديفيد: «ما رأيك لو نزلنا إلى أسفل هناك؟ لن يكون علينا أن ننزع كل هذه النباتات المعترشة. كل هذه القضبان بانتظارنا.»

– «لكن هناك مائة طن من الصخور في طريقنا.»

أومأ ديفيد برأسه وقال: «أجل، لكن الأمر يستحق هذا العناء.» ثم سلط ضوء المصباح إلى أعلى على وجهه فبدا قبيحًا، ثم أردف قائلاً: «لم تطأ رجل إنسان هذا المكان منذ مئات السنين.»

ردت تالي: «رائع.» اقتشع بدنهما واخترقت عيناها الشقوق المظلمة في كل الأرجاء حولهما. ربما لم تطأ رجل أي إنسان هذا المكان منذ زمن سحيق، لكن هناك الكثير من الأشياء التي يروق لها العيش في الكهوف الباردة المظلمة.

قال ديفيد: «لطالما فكرت في أننا قد نتمكن من فتح المكان وسبر غوره إذا ما تمكنا من نقل الصخرة المناسبة...»

– «لم تفكر إذا حركنا الصخرة غير المناسبة التي تجعل الكهف بأكمله يسحقنا، أليس كذلك؟»

ضحك ديفيد وسلط مصباحه الضوئي ليضيء وجهها بدلاً من وجهه وقال: «توقعت أنك ستقولين هذا.»

حدقت تالي عبر الظلام في محاولة لاستيضاح تعبيرات وجهه وقالت: «ماذا تعني؟»

– «أرى أنك تقاومين هذا الأمر؟»

– «تقاومين؟ ماذا؟»

– «وجودكِ هنا في منطقة الضباب؛ أنتِ غير واثقة من كل هذا.»

اقشعر بدننا مرة أخرى؛ ولكن هذه المرة لم يكن ذلك خيفة من احتمالية وجود ثعابين أو خفافيش أو جثث لسكان العصر القديم في المكان؛ بل كانت تتساءل هل ديفيد بالفعل قد اكتشف بطريقة ما أنها جاسوسة. ردت تالي بهدوء: «لا، أظنني غير واثقة.»

لمحت تالي لمحة من الضوء المنعكس من عيني ديفيد وهو يوميء برأسه. قال ديفيد: «جيد أنك تأخذين الأمر مأخذ جد، فكثير من الأطفال يأتون إلى هنا ويظنون أن هذا كله ليس إلا تسلية وألعابًا.»

قالت تالي برقة: «لا أظن هذا مطلقًا.»

– «يمكنني أن أخمن، فالأمر ليس مجرد لعبة لك، مثلما هو الحال لمعظم الهارين، فحتى شاي التي تؤمن بالفعل بفداحة عملية التجميل، هي لا تدرك مدى الخطورة المميتة لمنطقة الضباب.»

لم تنبس تالي ببنت شفة.

وبعد لحظة طويلة من الصمت في الظلام استرسل ديفيد قائلاً: «المكان هنا بالخارج خطير. والمدن تشبه هذه الصخور الضخمة، فهي تبدو صلبة، لكن إذا بدأت تعبثين بها، تنهار كومة الصخور بأكملها.»

قالت تالي: «أظنني أعرف ما ترمي إليه.» فمنذ ذلك اليوم الذي ذهبت فيه تالي للخضوع للعملية شعرت بثقل المدينة الرهيب يلوح فوقها، وعلمت من السلطات الخاصة نفسها كم من أماكن مثل منطقة الضباب تمثل تهديدًا لأناس مثل دكتورة كابل. قالت تالي: «لكنني لا أستطيع حقًا أن أفهم سبب اكرائهم بشدة بكم أيها الرجال.»

- «إنها قصة طويلة، لكن جزءاً منها بسبب ...»

انتظرت تالي لحظة قبل أن تسأل: «بسبب ماذا؟»

- «حسنًا، هذا سر. وأنا عادة لا أخبر الناس بالأسرار إلا بعد أن يمضوا وقتاً

طويلاً هنا، سنوات. لكن يبدو أنك ... جادة ما فيه الكفاية لأن تتفهمي الأمر.»

قالت تالي: «يمكنك أن تثق بي.» ثم تعجبت في نفسها على الفور عن السبب الذي قد يدفعه إلى ذلك؛ إنها جاسوسة ومتلصصة والشخص الأخير الذي ينبغي أن يثق فيه ديفيد.

قال ديفيد: «أتمنى ذلك يا تالي.» ثم اقترب منها وقال: «تحسسي راحة يدي.»

أمسكت تالي بيده ومررت أصابعها عليها، فوجدتها خشنة مثل عروق خشب الطاولة بغرفة الطعام، وكانت بشرة إبهامه صلبة وجافة مثل الجلد الذي يتشقق بمرور الزمن. لا عجب إذن في أنه يعمل طوال اليوم دون أن يشكو. سألته: «يا إلهي، كم استغرق منك الأمر حتى تحصل على بشرة صلبة كهذه؟»

- «قاربة ثمانية عشر عامًا.»

- «قاربة ...؟» توقفت تالي عن الحديث مستنكرة، ثم قارنت راحة يده المتصلبة

ببشرتها الرقيقة المليئة بالقروح. واستطاعت تالي أن تدرك الأمر، فهو يكمن في تلك الظهيرة المضنية التي أمضتها في العمل الحقيقي، ولكنها امتدت فيما يخصه هو على مدار الحياة. سألته تالي: «ولكن كيف هذا؟»

أجابها: «أنا لست هاربًا يا تالي.»

- «لست أفهم ما تقصده.»

- «والداي هما اللذان هربا ولست أنا.»

صاحت تالي: «آه.» لقد شعرت بغبتها، ولكن هذا الأمر لم يخطر ببالها قط.

فإن استطاع المرء أن يعيش في منطقة الضباب، يستطيع أن يربي أولاده فيها أيضًا، لكنها لم تر أي صغار هنا، وقد بدا المكان برمته غامضًا للغاية وغير دائم. لقد بدا الأمر وكأن إحداهن قد وضعت وليدها أثناء رحلة تخييم بالخارج. سألت تالي: «كيف تدبرا والداك هذا الأمر؟ أقصد دون وجود أي أطباء.»

- «هم أطباء.»

- «هه، لكن ... انتظر لحظة. أطباء؟ كم كان عمرهما عندما هربا؟»

- «كانا كبيرين بما يكفي، لم يُعدا قبيحين آنذاك. أظن أنهم يطلقون عليهما

حسان متوسطي العمر؟»

- «أجل، أقل شيء يحصلان عليه.» فالحسان الجدد يعملون أو يدرسون إن أرادوا ذلك، لكن قليلين منهم هم الذين يأخذون امتهان العمل مأخذ جد حتى منتصف أعمارهم. قالت تالي: «انتظر، ماذا تقصد بأنهما لم يكونا قبيحين؟»
- «لم يكونا كذلك وقتها، لكنهما صارا قبيحين مرة أخرى الآن.»
- حاولت تالي أن تجعل ذهنها يستوعب كلماته فقالت له: «أقصد أنهما لم يخضعا للعملية الثالثة على الإطلاق؟ وأنهما لا يزالان يبديان كالحسان متوسطي العمر مع أنهما متقدمان في العمر؟»
- «لا يا تالي، لقد أخبرتك أنهما أطباء.»
- ارتعدت أوصال تالي، فقد كانت هذه الصدمة مذهلة أكثر من الأشجار المقطوعة أو الحسان ذوي الملامح القاسية؛ لقد كانت صدمة ساحقة. قالت تالي: «هل أبطلا تأثير العملية؟»
- «أجل.»
- «هل أجرى كل منهما العملية للآخر وأزال جلده هنا بالخارج في البرية؟ كي يجعلنا أنفسهما ...» انغلق حلقها على الكلمة وكأنها ستتقياً.
- «لا، لم يستعينا بالجراحة.»
- فجأة بدا الكهف المظلم وكأنه سيسحقها، ويضغط الهواء ليخرجه من صدرها. أرغمت تالي نفسها على التنفس.
- شد ديفيد يده من يدها، وأدركت تالي في جزء من ذهنها المذعور أنها كانت تمسك بيده طوال كل هذا الوقت.
- «ما كان ينبغي أن أخبرك بكل هذا.»
- «لا يا ديفيد، أنا آسفة. لم أتوقع أنني سأصاب بسرعة تنفس.»
- «إنه خطأي. لقد وصلت هنا لتوك، وأنا حملتك كل هذا العبء.»
- «لكنني أريدك حقاً أن ...» قاومت تالي نفسها كيلا تتم هذه الجملة لكنها أفلتت من قبضتها: «أن تثق بي، وأن تخبرني عن هذا الشيء. فأنا أحمل الأمر على محمل الجد.» وكانت تالي صادقة في هذا الجزء من الجملة.
- قال ديفيد: «بالطبع يا تالي، لكن ربما يكفي هذا حتى الآن. يجدر بنا أن نعود أدراجنا.» ثم استدار وزحف نحو ضوء الشمس.
- وبينما تبعت تالي ديفيد فكرت فيما قاله عن الصخور الضخمة. فمع أنها ضخمة، بإمكانها أن تنهار إذا دفعتها في الاتجاه الخاطئ، وبإمكانها أن تسحقك.

شعرت تالي بالقلادة وهي تتدلى من عنقها، وتضغط عليها بحركات قصيرة ولكنها ملحة. فالدكتورة كابل ربما قد ضاقت ذرعًا الآن في انتظار الإشارة. لكن ما باح به ديفيد جعل كل الأمور أكثر تعقيدًا بشكل مفاجئ. لقد أدركت تالي الآن أن منطقة الضباب ليست مجرد مخبأً للهاربين باختلافهم. إنها مدينة حقيقية، مدينة قائمة بذاتها. وإذا شغلت تالي جهاز التعقب الآن، فلن يعني هذا القضاء فقط على مغامرة شاي الكبيرة، لكنه سيعني نزع موطن ديفيد منه، وتجريده من كل حياته. وشعرت تالي بثقل الجبل الذي كان يحدق بها، ووجدت أنها لا تزال تصارع كي تتنفس وهي تجر نفسها إلى الخارج نحو ضوء الشمس.



## العشيق

بينما كانوا مجتمعين تلك الليلة حول النيران في وقت العشاء، روت تالي قصة اختفائها في النهر عندما ظهرت مروحية حراس الغابة للمرة الأولى، واستحوذت على انتباه الجميع مرة أخرى؛ إذ بدا من الواضح أنها مرت بوحدة من أكثر الرحلات التي تقصد منطقة الضباب إثارةً.

– «هل تتخيلون الأمر؟ أنا عارية وجائمة في النهر بينما كانت مروحية سكان العصر القديم تدمر مخيمي!»

سألها أستريكس: «ولماذا لم يهبطوا بالمروحية؟ ألم يروا أغراضك؟»

– «ظننتهم رأوها.»

علل ديفيد الأمر قائلاً: «حراس الغابة لا يجلبون القبحاء إلا إذا كانوا في منطقة الأزهار البيضاء، هذه هي منطقة الالتقاء التي نطلب من الهاربين الذهاب إليها؛ فالحراس لا يمكنهم أن يجلبوا أي شخص وإلا قد يجلبون إلينا جاسوسًا بشكل غير مقصود.»

قالت تالي بهدوء: «أظن أنك لا تريد ذلك.»

قالت شاي: «لكن لا يزال يجدر بهم أن يكونوا أكثر حذرًا بشأن هذه المروحيات، سيقطعون شخصًا ما إربًا إربًا يومًا ما.»

قالت تالي: «لقد مررت بالتجربة نفسها، فلقد أوشكت الريح أن تلقي بلوحي الطائر بعيدًا، ورفعت حقيبة نومي من على الأرض لتلتصق بريشها المعدنية مباشرة ومزقتها إربًا إربًا.» وكانت تالي في غاية السعادة بسبب الاندهاش الذي اعترى وجوه جمهورها.

سأل كروي: «إذن أين نمت؟»

— «لم يكن الأمر بهذا السوء، لقد دام هذا مدة —» حينئذ تداركت تالي نفسها في اللحظة المناسبة، فهي لم تقض سوى ليلة واحدة دون حقيبة النوم لكن من المفترض أنها قضت أربع ليالٍ في منطقة زهور السحلبية حسب قصتها المزيفة، فأردفت قائلة: «كان الطقس دافئاً بدرجة كافية.»

قال ديفيد: «يجدر بك أن تحصلي على واحدة جديدة قبل ميعاد النوم؛ فالطقس هنا أكثر برودة منه بأسفل عند الأعشاب الضارة.»

قالت شاي: «سأصطحبها إلى المحطة التجارية. إنها أشبه بمركز للحصول على الاحتياجات يا تالي. كل ما عليك هو أن تتركي شيئاً في مقابل ما تأخذينه كثمن له.» تحركت تالي في مقعدها بعدم ارتياح، إذ إنها لم تعتد بعد على فكرة الدفع للحصول على الأشياء، وقالت: «كل ما أملكه هو الاسباجتي بولونيز.»

ابتسمت شاي: «هذا شيء رائع لأن تقايضي به، فنحن لا نستطيع صنع الطعام المجفف هنا، فيما عدا الفاكهة، والتنقل بالطعام غير المجفف أمر مجهد للغاية. وقيمة الاسباجتي بولونيز هنا تعادل قيمة الذهب.»

بعد العشاء، أخذت شاي صديقته تالي إلى كوخ كبير بالقرب من منتصف المدينة، حيث كانت الأرفف تزخر بأشياء مصنوعة في منطقة الضباب، بالإضافة إلى بعض الأشياء الواردة من المدينة التي بدت بالية ورثة في الغالب بعد أن خضعت للإصلاح مرارًا وتكرارًا، ولكن انبهرت تالي بالأشياء المصنوعة صناعة يدوية. تحسست تالي الأواني الفخارية والأدوات الخشبية بأصابعها التي لا تزال غير ملتئمة، وبهرها كيف أن لكل أداة منها ملمسها ووزنها الخاص. لقد بدا كل شيء ثقيلًا ... وذا شأن.

كان المسئول عن إدارة المكان شخص قبيح طاعن في العمر، لكنه لم يكن مرعباً مثل الرئيس، وأحضر الرجل لها ملابس مصنوعة من الصوف والقليل من حقائب النوم فضية اللون. وكذا كانت البطاطين والأوشحة والقفازات غاية في الجمال بألوانها الهادئة وأشكالها البسيطة، لكن شاي أصرت على أن تحصل تالي على حقيبة نوم صنعت في المدينة، وقالت لها: «إنها أخف وزناً بكثير، ويمكن طيها لتكون بحجم صغير. ستكون الأنسب عندما نذهب للاستطلاع.»

قالت تالي وهي تحاول أن تبتسم: «بالطبع، سيكون هذا رائعاً.» وانتهت تالي إلى شراء حقيبة نوم أخرى مقابل اثنتي عشرة عبوة من الاسباجتي بولونيز، وسترة صناعة يدوية مقابل ست عبوات، ومن ثم لم يتبق لديها سوى ثمان



عبوات فحسب. ولم تصدق تالي أن تكلفة السترة بنية اللون ذات الأربطة الملونة باللون الأحمر الفاتح والأخضر الداكن نصف تكلفة حقيبة النوم البالية المرقعة.

قالت شاي وهما في طريق عودتهما إلى المنزل: «أنتِ محظوظة لأنكِ لم تفقدي جهاز تنقية المياه؛ فمثل هذه الأشياء يستحيل أن تقايمي للحصول عليها.»  
 اتسعت عينا تالي تعجباً ثم قالت: «ماذا سيحدث إذا انكسر؟»  
 - «حسناً، يقولون إنه يمكنك أن تشربي ماء من الأنهار دون تنقيته.»  
 - «أنت تمزحين.»

قالت شاي: «الكثيرون من الضبابيين كبار السن يفعلون هذا الأمر. حتى لو كان لديهم جهاز تنقية للمياه هم لا يكفون أنفسهم عناء تنقية المياه فيه.»  
 - «يا له من أمر مقزز.»

قهقهت شاي ثم قالت: «أجل، لست أمزح، لكن يمكنك أن تستخدمى جهازى دائماً.»

وضعت تالي يدها على كتف شاي ثم قالت: «يمكنك أن تستخدمى جهازى أيضاً.»

أبطأت شاي خطاها وقالت: «تالي؟»  
 - «نعم،»

- «لقد كنت تعترمين أن تقولي لي شيئاً ما عندما كنا في المكتبة، قبل أن يهم الرئيس بالصراخ فيك.»  
 تقلبت معدة تالي خوفاً، وابتعدت عن شاي، وذهبت أصابعها تلقائياً تحسس القلادة بعنقها.

قالت شاي: «أجل، بشأن القلادة.»

أومأت تالي برأسها بالإيجاب لكنها لم تعرف كيف تبدأ؛ فهي لم تقم بتشغيل القلادة بعد، ومنذ الحوار الذي دار بينها وبين ديفيد لم تعد متأكدة من أنها تستطيع أن تفعل ذلك، ربما قد تشفق دكتورة كابل عليها إن عادت إلى المدينة في غضون شهر تتضور جوعاً.

لكن ماذا لو أن المرأة صممت على تنفيذ قسمها، ولم تخضع تالي للعملية مطلقاً؟ في غضون ما يقرب من عشرين عاماً ستكسو بشرتها الخطوط والتجاعيد، وستصبح في قبح الرئيس، وستصير منبوذة من الجميع. وإن مكثت هنا في منطقة الضباب، فستنام في حقيبة نوم قديمة، وستظل ترهب اليوم الذي ينكسر فيه جهاز تنقية المياه الخاص بها.

سئمت تالي إخفاء الحقيقة عن الجميع؛ فاستهلت حديثها قائلة: «أنا لم أخبركِ بكل شيء.»

– «أعرف، لكنني أظن أنني اكتشفت الأمر.»

نظرت تالي إلى صديقتها وهي تخشى التحدث.

أردفت شاي قائلة: «أقصد أن الأمر واضح وضوح الشمس، أليس كذلك؟ كل ما هنالك أنك منزعة لأنكِ خرقت وعدكِ لي، ولم تحفظي أمر منطقة الضباب سرًا.» فغرت تالي فمها.

ابتسمت شاي وأمسكت بيدها واسترسلت قائلة: «عندما اقترب يوم عيد ميلادك عزمتم على الفرار، وفي تلك الأثناء التقيت بشخص ما، شخص ذي شأن، وهو الشخص نفسه الذي أعطاك هذه القلادة ذات القلب. لذا خرقت وعدكِ لي، وأخبرت هذا الشخص بالمكان الذي كنتِ تعقدين العزم على الذهاب إليه.»

تمكنت تالي بالكاد من أن تقول: «إم، شيء من هذا القبيل.»

قهقهت شاي وقالت: «لقد فطنت إلى هذا، لهذا كنتِ عصبية؛ لقد أردت أن تكوني هنا لكنكِ وددت أيضًا أن تكوني في مكان آخر بمعية شخص آخر. وقبل أن تهربي تركت له خريطة بالاتجاهات، نسخة من ورقتي، تحسبًا إذا أراد عشيقك أن ينضم إلينا. أنا على حق أليس كذلك؟»

عضت تالي شفتها. تورد وجه شاي على ضوء القمر، إذ كان من الواضح أنها مزهوة بنفسها لاكتشافها سر تالي المهم. قالت تالي: «آه، إلى حد ما أنتِ محقة.» أمسكت شاي بمنكبي تالي وقالت: «ألا ترين أن هذا الأمر لا بأس به؟ أقصد أنني فعلت الشيء نفسه.»

عبس وجه تالي وقالت: «ماذا تقصدين؟»

– «لم يكن من المفترض أن أخبر أي شخص أنني كنت آتية إلى هنا. لقد جعلني ديفيد أعده بألا أخبر أي شخص حتى أنتِ.»

– «لماذا؟»

هزت شاي رأسها وقالت: «إنه لم يلتق بك، ولم يكن واثقًا من أنه يستطيع الوثوق بك؛ فعادة لا يجند الفارون إلا الأصدقاء القدامى فحسب، الذين قاموا بالحيل معًا على مدار السنوات. وأنا لم أعرفك إلا منذ مطلع الصيف. ولم أذكر لك اسم منطقة الضباب قط حتى حان اليوم الذي سبق رحيلي، ولم أكن شجاعة بالقدر الكافي، تحسبًا لرفضك للأمر.»

– «إذن لم يكن من المفترض أن تخبريني؟»

– «أجل، لذا عندما ظهرت فعلياً، توتر الجميع؛ إذ لم يكونوا واثقين مما إن كانوا سيستطيعون أن يثقوا فيك، وبلغ الأمر حد أن ارتاب ديفيد في أمرك.»

– «أنا آسفة للغاية يا شاي.»

هزت شاي رأسها بقوة وقالت: «هذا ليس خطأك! هو خطئي، لقد أفسدت كل شيء. ولكن ماذا في ذلك؟ فما إن يعرفوك، حتى يدركوا أنك لطيفة حقاً.»

قالت تالي بلطف: «نعم، لقد تعامل معي الجميع بلطف.» تمت تالي لو كانت قد حسمت أمر تشغيل القلادة في اللحظة التي وطئت قدمها المكان، ففي غضون يوم واحد، بدأت تدرك أنها لم تكن حلم شاي فحسب، بل مئات الناس الذين عاشوا حياتهم هنا في منطقة الضباب.

قالت شاي: «أنا واثقة من أن الشخص الذي تحببته سيكون لطيفاً أيضاً، كم أشتاق إلى أن يجتمع شملنا جميعاً.»

قالت تالي: «لا أدري إن ... كان هذا سيحدث.» لا بد أن هناك مخرجاً آخر من هذا الموقف. ربما لو ذهبت إلى مدينة أخرى ... أو وجدت حراس الغابة مرة أخرى وأخبرتهم أنها تريد أن تتطوع، ويتولون أمر تحويلها إلى حسناء، لكنها لا تعرف عن مدينتهم سوى أقل القليل، وما خلا ذلك هي لا تعرف أحداً هناك ...

هزت شاي منكبها ثم قالت: «ربما لا، لكنني أيضاً لم أكن متأكدة من مجيئك» ثم ضغطت على يد تالي وقالت: «ومع ذلك أنا مسرورة للغاية لأنك جئت.»

حاولت تالي أن تبتسم وقالت: «حتى مع أنني قد تسببت لك في متاعب؟»

– «إنه ليس بالأمر الخطير، أظن أن الجميع هنا مصابون بجنون الارتياب، فهم يقضون كل هذا الوقت في إخفاء المكان حتى لا يتسنى للأقمار الصناعية أن تراه، ويخفون بث الهاتف حتى لا تعترض اتصالاتهم. وكل هذه السرية حول الهاربين تنطوي على قدر من المغالاة الشديدة، وتشكل خطراً كبيراً. تخيلي معي لو لم تكوني ذكية بما فيه الكفاية كي تكتشفي التعليمات التي تركتها لك، لكنك الآن قد قطعت نصف المسافة إلى الأسكا!»

– «لا أدري يا شاي، لعلمهم يعلمون ماذا يفعلون، فقد تكون سلطات المدينة غاية في القسوة.»

ضحكت شاي وقالت: «لا تخبريني أنك تؤمنين بوجود السلطات الخاصة.»

– «أنا...» أغمضت تالي عينيها ثم أردفت قائلة: «أنا أظن فحسب أن الضبابيين ينبغي أن يكونوا حذرين.»

– «حسنًا، بالطبع. لا أقول إننا ينبغي أن نروج لمنطقة الضباب، لكن إذا أراد أناس مثلي ومثلك أن يأتوا إلى هنا ويعيشوا معيشة مختلفة، فلماذا لا يتاح لنا ذلك؟ أقصد أنه لا يحق لأحد أن يُلمي علينا أنه يجب أن نصير حسناوات، أليس كذلك؟»

– «ربما يساورهم القلق فقط لأننا صغار، حسبما تعلمين.»

– «تلك هي مشكلة المدن يا تالي، فكل شخص ينتقل من صغير مدلل تابع إلى شخص حسن. تمامًا مثلما يقولون في المدرسة: العيون الواسعة تعني التعرض للخطر. حسنًا، ومثلما قلت لي ذات مرة، لا بد أن تنضجني في وقت من الأوقات.»

أومأت تالي برأسها وقالت: «أعي ما ترمين إليه؛ وهو أن القباء هنا أكثر نضجًا، يمكنك أن تري ذلك في وجوههم.»

قاطعت شاي تالي وتفرست فيها لحظة عن كذب وقالت: «أنتِ تشعرين بالذنب، أليس كذلك؟»

نظرت تالي في عينيها أيضًا لحظة عاجزة عن الكلام، فقد شعرت فجأة أنها عارية في هواء الليل البارد، وكأن شاي تستطيع أن تخترق أكاذيبها.

قالت تالي بشق النفس: «أشعر بماذا؟»

– «بالذنب، ليس فقط لأنك أخبرت شخصًا ما عن منطقة الضباب، لكن لأنه قد يأتي بالفعل. فالآن وبعد أن رأيت منطقة الضباب، أنت لست واثقة من أن تلك الفكرة فكرة جيدة.» تنهدت شاي ثم تابعت حديثها قائلة: «أعلم أن منطقة الضباب تبدو غريبة في البداية، وتنطوي على الكثير من العمل الشاق، لكنني أظن أنها ستروق لك في نهاية المطاف.»

نظرت تالي إلى أسفل وهي تشعر بأن عينيها قد اغرورقت بالدموع ثم قالت: «الأمر ليس كذلك. حسنًا، ربما يكون كذلك. أنا فقط لا أعرف ما إذا كنت سأستطيع...»

بدا حلقها وكأنه مسدود بما لم يتح لها أن تتحدث، فلو تفوهت بكلمة واحدة أخرى، فسيكون عليها أن تخبر شاي الحقيقة: أنها جاسوسة، وخائنة أرسلت كي تدمر كل شيء حولهم.

وأن شاي نفسها هي الحمقاء التي قادتتها إلى هنا.

طوقت شاي صديقتها تالي بذراعيها بحنان، وحركتها بشكل مائل برفق عندما أجهشت تالي بالبكاء، ثم قالت لها: «بالله عليك، لا بأس، أنا آسفة، لم أقصد أن أثقلك

بكل هذا العبء مرة واحدة، لكنني شعرت بمسافة تفصل بيني وبينك منذ مجيئك إلى هنا. يبدو وكأنك لست متيقنة من رغبتك في النظر إليّ.»

– «يجدر بي أن أخبرك بكل شيء.»

قالت شاي: «شبههههه»، وشعرت تالي بأصابع شاي تمر في شعرها، ثم أردفت شاي قائلة: «أنا مسرورة فحسب لأتلك هنا.»

تركت تالي لنفسها العنان في البكاء، ودفنت وجهها في أكمام سترتها الجديدة الخشنة المصنوعة من الصوف، وهي تشعر بدفء شاي نحوها، وتشعر أيضًا بالبغض من ذاتها أمام كل إيماءة حنان تصدر عن صديقتها.

في جزء من عقلها، كانت تالي سعيدة بالفعل لأنها أتت إلى هذا المكان ورأت كل هذا؛ فقد تعيش حياتها كلها في المدينة ولا تتمكن أبدًا من مشاهدة هذا الجزء الكبير من العالم. وفي الجزء الآخر من عقلها، كانت تالي لا تزال تتمنى لو أنها كانت قد شغلت القلادة ما إن وطأت قدمها منطقة الضباب، فربما كان الأمر أيسر بكثير حينها.

لكن ما من سبيل للرجوع بالزمن إلى الوراء. عليها أن تقرر ما إذا كانت ستخون الضبابيين أم لا، بعد أن أدركت تمام الإدراك ما الذي سيلم بشاي وديفيد وكل شخص هنا آنذاك.

دمدمت شاي: «لا بأس، تالي ستكونين بخير.»



## الارتياب

مع تعاقب الأيام، انغمست تالي في الأعمال الروتينية اليومية في منطقة الضباب. وكان ثمة قدر من الراحة يجلبه لها إنهاك العمل الشاق، فلطالما أتعبها الأرق طوال حياتها، إذ كانت تظل مستيقظة معظم الليالي تفكر في الحوارات التي دارت في يومها، أو تلك التي أرادتها أن تدور، أو أشياء كان يجدر بها أن تفعلها بطريقة مختلفة. لكن هنا في منطقة الضباب، كان ذهنها يتوقف عن التفكير لحظة أن تلمس رأسها الوسادة، التي لم تكن حتى وسادة حقيقية؛ إذ كانت تعد وسادة لها مستخدمة سترتها الجديدة بعد طيها ووضعها في كيس قطني.

ما زالت تالي لا تعلم بالفعل كم ستمضي من الوقت هنا؛ إذ لم تصل بعد إلى قرار بشأن هل ستشغل القلادة أم لا، لكنها كانت تعلم أن التفكير في هذا الأمر طوال الوقت سوف يفقدها صوابها، لذا قررت أن تتناسى الأمر. فلعلها تستيقظ يومًا ما وتجد نفسها لا تطيق أن تمضي كل حياتها قبيحة، بصرف النظر عن سيتأذى من جِراء هذا أو عن تكلفة الأمر ... لكن، في الوقت الحالي، يمكن للدكتورة كابل أن تنتظر.

وكان من السهل على تالي أن تنسى ما يزعجها في منطقة الضباب، فالحياة هنا أكثر جهدًا من الحياة في المدينة؛ إذ كانت تستحم في نهر غاية في البرودة حتى إنها كانت تضطر إلى القفز فيه وهي تصرخ، وتتناول طعامًا معدًا لتوه على النار حتى إنه يمكنه أن يحرق لسانها، الأمر الذي لم يحدث قط عند تناول الطعام في المدينة؛ وبالطبع هي تفتقد الشامبو الذي لا يدمع عينيها، والمراحيض ذات المياه المتدفقة (وقد صُعبت عندما علمت ما هي «المراحيض العامة»)، والبخاخة الطبية على وجه الخصوص. لكن على الرغم من تفرح يديها، فإنها شعرت بأنها أكثر قوة على الإطلاق من ذي قبل؛ فهي تستطيع أن تعمل طوال اليوم في موقع مسار السكة الحديدية،

ثم تتسابق بالألواح الطائرة مع كل من ديفيد وشاي في طريق العودة إلى المنزل، وقد امتلأت حقيبته ظهرها بالركام المعدني أكثر مما كانت تحمله منذ شهر مضى. كذلك تعلمت من ديفيد كيف تصلح ملابسها باستخدام الإبرة والخيط، وكيف تميز بين الطيور الجارحة وفريستها، بل تعلمت أيضًا كيفية تنظيف السمك، الذي اتضح أنه ليس بهذا القدر من السوء مثلما بدا عند تشريحه في دروس الأحياء.

وقد ساهم أيضًا جمال الطبيعة في منطقة الضباب في طرد المخاوف من ذهنها. ومع إشراق شمس كل يوم جديد، كان ثمة تغيير يطرأ على الجبل والسماء والأودية المحيطة لتظهر بشكل خلاب من جديد. فالطبيعة على الأقل لم تكن بحاجة إلى عملية جراحية كي تصبح جميلة، لقد كانت جميلة بالفعل.

في صبيحة أحد الأيام، وفي الطريق المؤدي إلى مسار السكة الحديدية، اقترب ديفيد بلوحيه الطائرة من لوح تالي. حلق لحظة في صمت، متتبعًا المنعطفات المعتادة برشاقتة المعهودة. وقد علمت خلال الأسبوعين المنصرمين أن معطفه كان مصنوعًا بالفعل من الجلد، جلد حيوانات حقيقية ميتة، لكنها بدأت تعتاد على الفكرة تدريجيًا. لقد كان الضبابيون يصطادون الحيوانات، لكنهم، على غرار حراس الغابة، لا يقتلون سوى الفصائل التي لا تتناسب مع هذا الجزء من العالم، أو تلك التي خرجت عن السيطرة نتيجة لتدخل سكان العصر القديم. ونظرًا لأن المعطف كان يعج بالرقع العشوائية، فإنه قد يبدو سخيًا عندما يرتديه أي شخص آخر غير ديفيد، لكنه كان مناسبًا لديفيد إلى حد ما، وكأن نشأته هنا في البرية قد جعلته يلتحم بالحيوانات التي وهبت جلودها لملابسه. وربما لا ضرر في أن يصنع المعطف بنفسه.

قال ديفيد على نحو مفاجئ: «لقد أحضرت لك هدية.»

– «هدية؟ حقًا؟»

أدركت تالي الآن أن لا شيء على الإطلاق يفقد قيمته في منطقة الضباب. لا شيء يمكن التخلص منه أو الاستغناء عنه لأنه فقط قديم أو معطل. كل شيء يُعاد إصلاحه وتجديده وتدويره، وإن لم يستطع أحد الضبابيين أن ينتفع به، يُقايسه بشيء آخر. عدد قليل من الأشياء كان يُستغنى عنه.

مال ديفيد بالقرب منها وأعطاهها هدية صغيرة مغلقة وقال لها: «أجل، حقًا.» أخذت تالي تفتح الهدية، وهي تتبع طريقها المألوف أسفل النهر دون أن تنظر أمامها، فوجدت زوجًا من القفازات المصنوعة يدويًا من جلد ذي لون بني فاتح.



دست تالي ورقة التغليف اللامعة في جيبها، ثم ارتدت القفازات في يديها المتقرحتين وقالت: «أشكرك! مقاسها يناسبني تمامًا.»

أوماً ديفيد برأسه ثم قال: «لقد صنعتها عندما كنت بعمرِك تقريبًا، وقد صار لا يناسبني إلى حد ما هذه الأيام.»

ابتسمت تالي، وكانت تتمنى أن لو استطاعت أن تحضنه. وعندما بسطا ذراعيهما كي يجتازا منعطفًا صعبًا، أمسكت يده للحظة.

وعندما ثنت تالي أصابعها، شعرت أن القفازات ناعمة ومرنة، وقد بهت لون جانب راحة اليد منها بسبب طيلة سنوات الاستخدام، وكذلك أظهرت الخطوط التي في المفاصل أن مقاسها كان مناسبًا لديفيد. قالت تالي: «إنه رائع.»

قال ديفيد: «بالله عليك، إنه عادي فهو ليس بشيء ساحر أو ما إلى ذلك.»  
 - «لا، لكن به ... شيء.» إذ إن له تاريخًا، حسبما أدركت تالي. ففي المدينة، كانت تالي تملك كمًّا كبيرًا من الأشياء، وبشكل عملي كانت تحصل على أي شيء تريده من الشاشة المعلقة على الجدار. لكن الأشياء المتداولة في المدينة كانت قابلة للتخلص منها واستبدالها بأشياء أخرى، أشياء قابلة للتبادل شأنها شأن مجموعة الملابس الخاصة بزي العنبر والمكونة من قميص ومعطف وتنورة. أما هنا في منطقة الضباب، فتتقدم الأشياء، حاملة تاريخها معها في صورة ثقوب وخدوش وأسمال بالية.  
 ضحك ديفيد ضحكة خافتة ثم زاد من سرعته وانضم إلى شاي التي كانت تتقدمهما.

عندما بلغوا موقع مسار السكة الحديدية، أعلن ديفيد أن عليهم أن ينزعوا المزيد من القضبان باستخدام المناشير الهزازة لقطع النباتات التي نمت حول القضبان الحديدية.

سأل كروي: «وماذا عن الأشجار؟»

- «ماذا عنها؟»

سألت تالي: «هل علينا أن نقطعها؟»

هز ديفيد منكبيه وقال: «ليست الأشجار المتوقفة عن النمو ذات نفع كبير، لكننا لن نهدرها بل سنستفيد منها؛ سنأخذها معنا إلى منطقة الضباب لاستخدامها في إشعال النيران.»

تعجبت تالي: «إشعال النيران؟» فالضبابيون عادة لا يقطعون إلا الأشجار الموجودة بالوادي وليست من سائر الجبل. وكانت هذه الأشجار تنمو هناك على مدار

عقود من الزمان، وقد أراد ديفيد أن يحرقها من أجل طهي وجبة واحدة فحسب! نظرت تالي إلى شاي طلباً لتأييدها لكن تعبيرات وجه صديقتها كانت حيادية حذرة لم تكشف عما تعتقده. لعلها كانت تتفق مع تالي، لكنها لم ترد أن تجادل ديفيد أمام الجميع حول كيفية إدارة مشروعه.

أجابها ديفيد: «نعم، إشعال النيران. وبعدها ننقذ قضبان المسار سوف نعيد زراعة صف من الأشجار المفيدة في المكان المعتاد لقضبان السكة الحديدية.» نظر الخمسة الآخرون إليه في صمت. لف ديفيد منشاراً كان بيده مثلهاً لبدء العمل، بيد أنه كان مدرّكاً أنه لم يحصل على دعمهم الكامل له بعد.

قال كروي: «أتعلم يا ديفيد، هذه الأشجار ليست عديمة الفائدة، فهي تحمي الشجيرات الصغيرة من أشعة الشمس مما يمنع بدوره تآكل التربة.» أجابه ديفيد: «حسنًا، لك الحجة الراجحة. بدلاً من أن نزرع نوعاً آخر من الأشجار، سوف ندع الغابة تسترد الأرض، وكل الشجر المتوقف عن النمو والشجيرات الصغيرة البغيضة التي تريدها.»

سأل أستريكس: «لكن أيجب علينا القيام بقطع كامل لكل الأشجار؟» أخذ ديفيد نفساً بطيناً. فتعبير «القطع الكامل للأشجار من جذورها» هو التعبير الذي يشير إلى ما فعله سكان العصر القديم بالغابات القديمة: قطع كل شجرة، وقتل كل ما هو حي، وتحويل أراضي كاملة إلى مراعى. لقد دمّرت غابات كاملة عن آخرها، وتقلصت من أماكن تضم ملايين الفصائل المترابطة إلى قطع من البقر يأكل العشب، واستبدل قطاع عريض من الحياة بقطع هامبرجر رخيصة. رد ديفيد: «أصغ إلي، نحن لن نقوم بقطع كامل للأشجار من جذورها، كل ما هنالك أننا سنتخلص من القاذورات التي خلفها سكان العصر القديم وراءهم. وسيطلب الأمر تدخلاً جراحياً بسيطاً فحسب.»

قالت تالي: «يمكننا أن نقطع حول الأشجار، ولا نقطع منها إلا عند الحاجة، ليكون هناك الحاجة إلى تدخل جراحي، حسبما ذكرت.» ضحك ديفيد ضحكة خافتة ثم قال: «حسنًا، لا بأس. لنر ما رأيكم في هذه الأشجار بعدما تضطرون إلى قطع القليل منها من فوق الأرض.»

لقد كان ديفيد على حق.

عندما تغلغل المنشار الهزاز ذي الاهتزازات المتتالية خلال النباتات المعترشة الكثيفة، فصل الشجيرات الصغيرة المتشابكة مثلما يفعل المشط في الشعر المبلل، ونفذ

على نحو مرتب عبر المعدن عندما أدى التصويب الخاطئ له إلى استهداف نصل القطع للقضبان بدلاً من الأغصان. لكن عندما تقابلت أسنان المنشار مع الجذور المتشابكة والأغصان اللتوية للأشجار المتوقفة عن النمو، كان الأمر مختلفاً تمام الاختلاف.

تجهمت تالي عندما ارتد منشارها عبر الخشب الصلب مرة أخرى، مطلقاً قطعاً صغيرة من اللحاء في وجهها، وقد تحول صوته الضعيف إلى صوت يصم الآذان. ناضلت تالي كي تجبر نصل القطع على استهداف الغصن المتين القديم. كل المطلوب هو رمية واحدة أخرى ويصبح هذا الجزء من القضبان خالياً.

قال كروي: «أنتِ تبلين بلاءً حسناً، يا تالي، لقد أوشكت على التصويب ناحيتها.» ولاحظت تالي أن كروي يقف وراءها متأهباً لأن يقفز إذا انزلق المنشار من يدها بطريقة ما. واستطاعت الآن أن تدرك السبب وراء رغبة ديفيد في قطع الأشجار المتوقفة عن النمو إلى أجزاء؛ فهذا أيسر كثيراً من الوصول إلى الجذور والأغصان المتشابكة، في محاولة لأن يشق المنشار الهزاز طريقه نحو بقعة محددة بدقة.

دمدمت تالي: «أشجار حمقاء.» قالتها وهي تركز على أسنانها حينما كانت تغرز نصل المنشار أسفل مرة أخرى.

أخيراً، شق المنشار طريقه عبر الخشب، فدوت صرخة عالية وهي تغرزه في الغصن. وعندئذ انزلق المنشار للحظة قبل أن ينغرز في الوحل أسفلها، مما دفعها إلى التحدث بغضب والصراخ من الألم.

خطت تالي إلى الوراء ونزعت نظارتها الواقية ثم قالت: «أجل»، وكان المنشار يتوقف عن التشغيل تدريجياً وهي ممسكة به في يديها.

خطا كروي إلى الأمام وركل الجزء المقطوع من الغصن بعيداً عن القضبان وقال: «بتر جراحي رائع يا دكتورة.»

قالت تالي وهي تسمح حاجبها: «أظنني بدأت أتقن هذا الأمر.» كان الوقت قد شارف على وقت الظهيرة تقريباً، وكانت الشمس تلقي بأشعتها الحارقة بلا هوادة على المنطقة الخالية من الأشجار؛ فخلعت تالي سترتها، مدركة أن برودة الصباح قد ولت منذ وقت طويل. قالت تالي: «لقد كنت على صواب عندما قلت إن الأشجار تلقي ظللاً.»

أجابها كروي: «أنفق معك. بالمناسبة، هذه سترة جميلة.»

ابتسمت تالي؛ فألى جانب قفازها الجديد، كانت هذه السترة من ممتلكاتها التي فقدتها أياً تقدير. ردت شاي: «أشكر».  
سألها كروي: «كم كلفتكِ هذه السترة؟»  
- «ست عبوات من الاسباغتي بولونيز».

جذب كروي انتباه تالي وقال: «إنها باهظة التكلفة، لكنها جميلة». وأردف كلامه قائلاً: «تالي، أتذكرين أول يوم قدمت فيه إلى هنا؟ عندما أمسكت بحقيبتك؟ ما كنت فعلاً لأستحوذ على أغراضكِ دون أن أمنحك شيئاً في المقابل. لقد فوجئت فقط عندما قلت إنني يمكن أن أخذ كل ما بها».

- «بالطبع، لا عليك.» والآن وبعد أن عملت مع كروي، بدا لها فتى على قدر من اللطف. وكانت تؤثر أن تعمل مع ديفيد أو شاي، لكنهما كانا يعملان معاً اليوم. ولعل الوقت قد حان لأن تتعرف أكثر على بعض الضبايين الآخرين.

سألها كروي: «أأمل أن تكوني قد حصلت على حقيبة نوم جديدة أيضاً».

- «أجل، مقابل اثنتي عشرة عبوة اسباغتي بولونيز».

- «لا بد أنك قد أوشتك على أن تفقدي القدرة على المقايضة».

أومأت تالي برأسها وقالت: «لم يتبق معي سوى ثمان عبوات».

- «ليس بالأمر السيئ. ومع ذلك أراهن على أنك لم تدركي وأنت في طريقكِ إلى هنا أنك كنت تأكلي ثروتكِ المستقبلية».

ضحكت تالي، ثم جلسا تحت الشجرة المقطوعة وهما ينتزعان النباتات المعترشة المقطوعة من حول القضبان.

قالت تالي: «لو كنت أعرف كم ستكون عبوات الطعام مرتفعة القيمة، غالباً ما كنت لأتناول الكثير منها، حتى لو تضررت جوعاً. أنا حتى لم أعد أحبها. وكان أسوأها وجبة الإفطار المكونة من الاسباغتي بولونيز».

ضحك كروي ضحكة خافتة وقال: «لكنها تروق لي. هل يبدو هذا الجزء من الغابة خالياً بالنسبة لك؟»

- «نعم. دعنا نبدأ في الجزء التالي»، ثم أعطت تالي المنشار لكروي.

نهض كروي بالجزء السهل أولاً، منقّضاً على الشجيرات الصغيرة بالمنشار الطنان. قال كروي: «حسناً يا تالي، ثمة شيء واحد محير قليلاً أريد التحدث عنه».

- «ما هو؟»

لمس المنشار القضبان المعدنية، مطلقاً القليل من الشرارات المتناثرة.

قال كروي: «لقد ذكرت في اليوم الأول لوصولك هنا أنك تركت المدينة ومعك مؤن من الطعام تكفي أسبوعين.»  
- «أجل،»

- «إذا كنت قد استغرقت تسعة أيام للوصول إلى هنا، فكان ينبغي أن يتبقى لديك مؤن طعام تكفي خمسة أيام فقط، ربما حوالي خمس عشرة عبوة إجمالاً. لكنني أتذكر أنني قد قلت لنفسني في هذا اليوم الأول عندما تحققت من حقيبتك: إنها تحمل كميات كبيرة من الاسباجتي بولونيز!»

ازدردت تالي ريقها وهي تحاول أن تخفي تعبيرات وجهها.  
استرسل كروي: «وقد اتضح الآن أنني مصيب في هذا الأمر، فعند إضافة اثنتي عشرة عبوة إلى ست عبوات ثم إلى ثمان عبوات تكون النتيجة ... ستاً وعشرين عبوة.»  
- «أجل، على ما أظن.»

وأماً كروي برأسه وهو يعمل بالمنشار بحذر في غصن قريب من الأرض، ثم قال: «لقد ظننت ذلك. لكنك تركت المدينة قبل يوم عيد ميلادك، أليس كذلك؟»  
فكرت تالي في عجالة وقالت: «بالتأكيد، لكنني أظن أنني لم أكن أتناول ثلاث وجبات بالفعل كل يوم يا كروي. حسبما ذكرت، لقد سئمت جدًّا الاسباجتي بولونيز بعد فترة وجيزة.»

- «يبدو أنك لم تأكلي كثيرًا على الإطلاق مقارنة بطول الرحلة.»  
بذلت تالي قصارى جهدها كي تجري العملية الحسابية في ذهنها، كي تكتشف الرقم الذي ينبغي أن تضيفه إلى القيمة التي توصلت إليها بالفعل كي تصل إلى الكمية الصحيحة. وتذكرت ما قالته لها شاي ليلة وصولها: إن بعض الضبابيين كانوا يرتابون في أمرها، وقلقين من أنها قد تكون جاسوسة. ومع أنها كانت تظن أن الجميع صاروا يرحبون بها الآن، فهذا غير صحيح على ما يبدو.  
أخذت تالي نفسًا عميقًا، وهي تحاول ألا تظهر الخوف في صوتها وقالت: «أصغ إلي يا كروي، دعني أخبرك شيئًا ما، سرًّا.»  
- «ما هو؟»

- «من المحتمل أن أكون قد تركت المدينة ومعني مؤن تكفي لما يزيد عن أسبوعين؛ أنا لم أقم بعدها بالفعل.»  
- «لكنك دأبت على قول ...»

- «أجل، لعلني بالغت قليلاً في الأمر، كي أضفي المزيد من الإثارة على الرحلة فحسب، حسبما تعلم، كأن أقول إن الطعام كاد أن ينفد إذا لم يظهر حراس الغابة. لكنك محق، لقد كان معي وفرة من الطعام دائماً.»

نظر كروي إليها وهو يبتسم ابتسامة رقيقة وقال: «بالطبع، لقد ظننت الأمر كذلك، لقد بدت رحلتك إلى حد ما ... غاية في الإثارة والتشويق أكثر من كونها حقيقية.»

- «لكن معظم ما قلته كان ...»

- «بالطبع.» وكان المنشار قد أعلن تدمره وتوقف عن العمل. واسترسل كروي قائلاً: «أنا على يقين من أن معظمه كان حقيقياً. السؤال هو: كم منه كان حقيقياً؟»

التقت عينا تالي بعينيه الثاقبتين، وهي تضني ذهنها في التفكير فيما تقوله. فالأمر يتعلق بالقليل من عبوات الطعام الزائدة التي تستطيع بالكاد أن تثبت أنها جاسوسة. يجدر بها ألا تعير الأمر أهمية، لكن حقيقة أنه كان على حق تماماً أبكمتها.

قال كروي بلطف: «أتريدين المنشار قليلاً؟ فإزالة هذه النباتات عمل شاق.»

ولأنهما كانا يقطعان الشجيرات الصغيرة، لم يعد هناك حمل من المعادن ليأخذه معهما في منتصف النهار، من ثم كان الأفراد القائمون على العمل في قضبان السكة الحديدية يحضرون غداءهم معهم، الذي كان يتكون من حساء البطاطس وشرائح الخبز المزين بشرائح الزيتون المملح. شعرت تالي بالسعادة عندما أخذت شاي غداءها وذهبت بعيداً عن باقي المجموعة قاصدة حافة الغابة كثيفة الأشجار. تبعتها تالي، وجلست إلى جانب صديقته تحت الضوء الذي تخلل الأشجار. قالت تالي: «أريد أن أحدث إليك يا شاي.»

بهدوء تنهدت شاي التي لم تكن تنظر إليها وهي تقطع خبزها ثم قالت: «نعم، أظن ذلك.»

- «هل تحدث إليك أيضاً؟»

هزت شاي رأسها وقالت: «لم يكن مضطراً لأن يقول أي شيء.»

عبس وجه تالي وقالت: «ماذا تقصدين؟»

- «أقصد أن الأمر واضح منذ أن وصلت إلى هنا. كان يجدر بي أن أدرك الأمر

في الحال.»

استهلت تالي قولها: «أنا لم ... قط» لكن صوتها خانها، ثم استرسلت: «ماذا تقولين؟ أتظنين أن كروي على حق؟»

تنهدت شاي: «أنا أقول فحسب إن ...» ثم توقفت عن الكلام واستدارت لتواجه تالي وقالت: «كروي؟ ماذا عن كروي؟»

– «لقد كان يتحدث إليّ قبل الغداء، وقد لاحظ سترتي وسألني عما إذا كنت قد حصلت على حقيبة نوم. وقد اكتشف أنه بعد تسعة أيام استغرقتها في الوصول إلى هنا لم يزل بحوزتي الكثير من عبوات الاسباحتي بولونيز.»

– «بحوزتك الكثير من ماذا؟» وكانت تعبيرات وجه شاي تدل على حيرتها الشديدة وتابعت قائلة: «عما تتحدثين بحق السماء؟»

– «أنتذكرين عندما قدمت إلى هنا؟ لقد أخبرت الجميع أن ...» أخذ صوت تالي يخفت، فقد لاحظت لتوها للمرة الأولى أن عيني شاي كان بهما خطوط حمراء وكأنها لم تنم. قالت تالي: «انتظري لحظة، ما الأمر الذي كنتِ تظنين أنني أحدثك عنه؟» بسطت شاي إحدى يديها وفرجت أصابعها وقالت: «هذا.»

– «ماذا؟»

– «ابسطي يديك.»

فتحت تالي إحدى يديها، فبدت كانعكاس لصورة يد شاي في مرآة. قالت شاي: «إنها بالحجم نفسه» ثم رفعت راحتي يديها الاثنتين وقالت: «وحتى القروح نفسها أبطًا.»

نظرت تالي لأسفل وطرفت عينيها. في الواقع كانت يدا شاي في حال أسوأ إذ كانت حمراء وجافة وملبئة بالشقوق الخشنة الناجمة عن القروح؛ فلطالما كانت شاي تضني نفسها في العمل، وتبادر إلى العمل بكد واجتهاد ودائمًا تضطلع بأصعب المهام.

ذهبت أصابع تالي لتتحسس القفاز المطوي بحزامها، وقالت: «شاي، أنا على يقين من أن ديفيد لم يقصد ...»

– «لا، أنا على يقين من أنه كان يقصد ذلك. فالناس في منطقة الضباب يفكرون مليًا ولوقت طويل بشأن الهدايا.»

عضت تالي شفتها، لقد كان هذا الأمر حقيقيًا. أخرجت تالي القفازات من حزامها وقالت: «ينبغي أن تأخذها.»

– «أنا ... لا ... أريدها.»

عادت تالي بظهرها إلى الورااء وهي مذهولة، في البداية كان الموقف العصيب مع كروي والآن موقف آخر.

أسقطت تالي زوج القفازات وقالت: «لا، أظنك لا تريدنيها. لكن يا شاي، أما يجدر بك أن تتحدثني إلى ديفيد عن هذا الأمر قبل أن تتوري بشأنه؟»  
قضمت شاي ظفر إصبعها وهي تهز رأسها ثم قالت: «لم يعد يتحدث إلي كثيراً، منذ أن ظهرت. لا يتحدث بشأن أي شيء جدير بالاعتبار، ويقول إن ثمة أمراً يشغله.»

قالت تالي وهي تكز على أسنانها: «أنا لم ... قط، أقصد لم أحب ديفيد، لكن ...»  
- «أعرف أنه ليس خطأك، لا بأس.» حينئذ دنت شاي من تالي ونقرت قلاذتها التي تأخذ شكل قلب بإصبعها، ثم أردفت شاي قائلة: «إضافة إلى أنه قد يظهر حبيبك الغامض، ولن يهم هذا على كل حال.»

أومأت تالي برأسها، ما قالته صحيح إلى حد ما، فبوصول السلطات الخاصة إلى هنا، لن يكثر أبداً أي شخص ب حياة شاي الرومانسية.

قالت شاي: «هل أخبرت ديفيد بشأن حبيبك؟ يبدو أنه أمر قد يثير الاهتمام.»  
- «لا لم أخبره.»

- «لم لا؟»

- «لم يُطرح الأمر.»

أطبقت شاي فمها ثم قالت: «هذا بالأمر اليسير يمكنك أن تخبريه.»

تنهدت تالي ثم قالت: «لكن حسبما سبق أن ذكرت بنفسك يا شاي: لم يكن من المفترض بي أن أفشي أمر الاتجاهات المؤدية إلى منطقة الضباب. أشعر بالندم تجاه الأمر برمته، أنا لا أنوي المجاهرة بهذا الأمر.»

- «مع أنك تعلنين عنه من خلال هذا الشيء الذي ترتدينه حول عنقك، والذي

لم يفد في شيء على ما يبدو لأن ديفيد لم يلحظه.»

تنهدت تالي وقالت: «أو ربما لم يلحظه لأنه لا يأبه بالأمر، لأن الأمر برمته يدور في ذهنك ...» لم تستطع تالي أن تكمل كلامها، فالأمر لم يكن يدور في ذهن شاي فحسب، بل هي تراه الآن وتشعر به أيضاً؛ عندما أراها ديفيد كهف مسار السكة الحديدية وأخبرها عن سره بشأن والديه، لقد وثق بها حتى عندما لم يكن يجدر به أن يفعل ذلك. والآن هذه الهدية. هل يمكن ألا يكون الأمر سوى رد فعل مبالغ فيه من شاي؟



- في الجزء غير التائر من ذهنها، أدركت تالي أنها ترجو ألا يكون الأمر هكذا. أخذت تالي نفسًا عميقًا وهي تطرد الفكرة من ذهنها وقالت: «شاي، ماذا تريدني أن أفعل؟»
- «أخبره فحسب.»
- «عما أخبره؟»
- «أخبره عن السبب وراء ارتدائك لهذا القلب. أخبره عن حبيبك الغامض.»
- لقد فات الأوان، وشعرت تالي بأن تعبيرات وجهها تعكس هذه الحقيقة. أومأت شاي وقالت: «أنت لا تريدين أن تخبره، أليس كذلك؟ هذا واضح للغاية.»
- «لا، بل سأفعل، حقًا.»
- قالت شاي: «بالطبع ستفعلين.» ثم استدارت بعيدًا وأخذت قطعة خبز كبيرة من حسائها وقضمتها بقسوة.
- لمست تالي كتف صديقتها وقالت: «سأفعل.» وبدلاً من أن تبتعد شاي بعيدًا عن صديقتها التفتت إليها وعكست تعبيراتها شعورها بالرجاء.
- ازدرت تالي ريقها وقالت: «سأخبره بكل شيء، أعدك.»



## الفصل التاسع والعشرون

# الشجاعة

في تلك الليلة تناولت تالي وجبة العشاء بمفردها. والآن، وبعد أن قضت يومها في قطع الأشجار بنفسها لم تعد الطاولة الخشبية بقاعة الطعام تبدو مرعبة لها. وبدا السطح المحبب للخشب صلبًا على نحو مطمئن، وكان تتبع عينيها لثنياته أسهل من التفكير.

ولأول مرة، شعرت تالي بتشابه الطعام، فها هو ذا الخبز مرة أخرى واليخني أيضًا. ومنذ يومين، كانت شاي قد شرحت لها أن قطع اللحم المغمورة في اليخني هي لحم أرانب. وليس المكون الأساسي لهذا اللحم هو فول الصويا مثل اللحم المجفف المضاف إلى الاسباجتي بولونيز، فاللحم هنا هو لحم حيوانات حقيقية من الحظيرة المكتظة بالحيوانات عند حافة منطقة الضباب. وقد وافقت فكرة ذبح الأرانب وسلخها وطبخها حالتها المزاجية؛ فمثل سائر أحداث اليوم، كان مذاق هذه الوجبة جادًا.

لم تتحدث إليها شاي منذ وقت الغداء، ولم يكن لدى تالي أدنى فكرة عما ينبغي أن تقوله لكروي، لذا عملت بقية اليوم في صمت. وبدأت قلادة دكتورة كابل تزداد ثقلاً أكثر فأكثر، وهي تطوق عنقها بإحكام مثل النباتات المعترشة والشجيرات والجدور التي تحكم قبضتها على قضبان السكة الحديدية. لقد بدا الأمر وكأن كل شخص في منطقة الضباب يستطيع أن يعرف ماهية القلادة: رمز لخيانتها.

تساءلت تالي عما إذا كان بمقدورها أن تمكث في ذلك المكان، فقد ارتاب كروي في أمرها، وبدأت المسألة مسألة وقت فحسب قبل أن يعرف الجميع. وطوال اليوم، ظلت فكرة مريعة تراودها: ربما منطقة الضباب هي المكان الذي تنتمي إليه بالفعل، لكنها فقدت فرصتها في هذا الانتماء لأنها ذهبت إلى هناك بوصفها جاسوسة.

وها هي الآن أصبحت تقف حائلًا بين ديفيد وشاي، وخانت أفضل صديقاتها. لقد دمرت كل شيء شأنها في ذلك شأن السم الذي يسري في الجسم.

حينئذ جالت بخاطرها أزهار السحلبية التي كانت تنتشر عبر السهول، وتنتزع الحياة من النباتات الأخرى وتضيق عليها الخناق من داخل التربة نفسها، فهي أنانية ولا يمكن ردها. لقد كانت تالي يانج بلود عشبة ضارة، وعلى عكس أزهار السحلبية، لم تكن جميلة مثلها.

وعندما فرغت من تناول طعامها، جلس ديفيد أمامها وقال: «مرحبًا».

ابتسمت تالي بشق النفس وأجابته: «مرحبًا». فمع كل هذا شعرت بالارتياح لرؤيته. لقد ذكرها تناول الطعام منفردة بتلك الأيام التي تلت يوم عيد ميلادها، وهي محتجزة كقبيحة عندما علم الجميع أنه كان ينبغي أن تصير حسناء. واليوم هو أول يوم تشعر فيه بكونها قبيحة منذ مجيئها إلى منطقة الضباب.

دنا ديفيد منها وأمسك بيدها وقال: «أنا آسف يا تالي».

– «عن أي شيء أنت آسف؟»

فتح ديفيد راحة يدها لكي يريها أصابعها المصابة بالقروح منذ وقت قليل.

– «لاحظت أنك لم ترتدي القفازات. لم ترتديها بعدما تناولت الغداء مع شاي،

ولم يكن من الصعب علي تخمين السبب».

– «آه، أجل. أنا لم أردتها ليس لأنها لا تروقني، لكنني لم أستطع فحسب».

– «بالطبع، أنا أعلم ذلك، الخطأ خطئي» ثم نظر في أرجاء القاعة المكتظة

بالناس وقال: «هل يمكننا الخروج من هنا؟ أود أن أخبرك بشيء ما».

أومأت تالي برأسها وهي تشعر بالقلادة الباردة حول عنقها، وتتذكر وعدها

لشاي، فقالت: «نعم، أنا أيضًا أود أن أخبرك بشيء ما».

سارا عبر منطقة الضباب، ومرا بنيران الطهي التي كانت تُخمد بملء جواريف من التراب، والنوافذ المضاءة بالشموع والمصابيح الكهربائية، ومجموعة من القباء الصغار الذين كانوا يطاردون دجاجة هاربة. تسلقا إلى حيث كانت قمة الجبل التي شاهدت منها تالي للمرة الأولى المستوطنة، ثم قادها ديفيد إلى نتوء صخري مسطح هادئ، حيث كان المنظر هناك يكشف عن كل شيء بين الأشجار. ومثلما هو الحال دومًا، لاحظت تالي كم كان ديفيد رشيقًا، وكيف بدا لها أنه يعرف كل خطوة في الطريق معرفة وثيقة. ولا يباريه في ذلك التنقل السلس أحد حتى الحسان الذين تشهد أجسادهم توازنًا مثاليًا لا تشوبه شائبة سعيًا وراء الأناقة في كل الملابس التي يرتدونها.

أدارت تالي عينيها بعيدًا عنه عن عمد. وفي الوادي أسفلهما كانت أزهار السحلبية تتوهج تحت ضوء القمر بخبث واهن، كبحر متجمد أمام شاطئ الغابة المظلمة. كان ديفيد أول من استهل الحديث: «أتعلمين أنك أول هارب يأتي إلى هنا بمفرده تمامًا؟»

– «حقًا؟»

أومأ ديفيد برأسه إيجابًا وهو لا يزال يحدق إلى أسفل في المساحة الشاسعة لزهور السحلبية البيضاء، ثم قال: «أنا أحضرهم معظم المرات.»

تذكرت تالي ما أخبرتها به شاي في الليلة الأخيرة التي تقابلها فيها في المدينة حول ديفيد مجهول الهوية الذي سوف يأخذها إلى منطقة الضباب. وجدت تالي آنذاك صعوبة في أن تصدق أن مثل هذا الشخص موجود بالفعل. أما الآن فهو يجلس إلى جانبها وبدا حقيقيًا للغاية. لقد كان يأخذ الحياة مأخذ الجِدِّ أكثر من أي قبيح آخر التقت به في حياتها. في الواقع هو أكثر جدية من الحسان متوسطي العمر أمثال والديها. ومن الغريب أن عينيه حملتا نفس حدة أعين الحسان ذوي الملامح القاسية، لكن دون ذلك الفتور الذي يشوبها.

قال ديفيد: «كانت أُمِّي هي التي تفعل ذلك في الماضي، لكنها تقدمت في العمر الآن.»

ازدرت تالي ريقها؛ لقد كانوا يشرحون لها دومًا في المدرسة كيف يصير القبحاء الذين لم يخضعوا لعملية التجميل واهنين في نهاية المطاف. قالت تالي: «أشعر بالأسى الشديد، ما عمرها؟»

ضحك وقال: «إنها تتمتع بوافر الصحة، لكن القبحاء يثقون أسرع في شخص مثلي، شخص يماثلهم في العمر.»

قالت تالي: «آه، بالطبع.» وتذكرت ردة فعلها تجاه الرئيس في ذلك اليوم الأول لوصولها إلى المنطقة، ولم تصبح أكثر اعتيادًا على مختلف أشكال الوجوه باختلاف العمر إلا بعد مرور أسبوعين.

– «أحيانًا، يأتي عدد قليل من القبحاء وحدهم، متبعين بعض الاتجاهات المشفرة مثلما فعلت، لكنهم دائمًا ما يكونون ثلاثة أشخاص أو أربعة معًا في مجموعة واحدة. لم يأت أحد وحده قط.»

– «لا بد أنك تظنني حمقاء.»

- «كلا البتة». ثم أمسك بيدها وتابع حديثه قائلاً: «أظن أنك كنت شجاعة حقاً.»

هزت تالي منكيها وقالت: «لم تكن الرحلة بهذا السوء فعلاً.»

- «لا يتطلب السفر التحلي بالشجاعة يا تالي، فلقد قمت برحلات أطول كثيراً بمفردتي، لكن الشجاعة تكمن في ترك الوطن.» وأخذ يتحسس خطأً في يديها المتفرحة بإصبعه وقال: «لا يمكنني أن أتخيل أنه بمقدوري أن أرحل بعيداً عن منطقة الضباب، بعيداً عن كل شيء عرفته، وأنا أدرك أنه يُحتمل ألا أعود مطلقاً.»

ازدردت تالي ريقها، فالأمر لم يكن سهلاً، وبالطبع لم يكن الخيار متروكاً لها في هذا الأمر.

أردف ديفيد قائلاً: «لكنك تركتِ مدينتك، المكان الوحيد الذي عشت فيه بمفردك ولم تغادريه قط. أنتِ حتى لم تلتقي بأحد الضبابيين، بشخص يقنعك أنه مكان حقيقي، لقد قمت بالأمر برمته بناء على الثقة، لأن صديقتك طلبت منك ذلك. أظن أنه لهذا السبب أشعر أنني أستطيع الثقة فيك.»

نظرت تالي بعيداً نحو الأعشاب الضارة، وشعورها يزداد سوءاً مع كل كلمة كان ديفيد يفصح بها. لو أنه عرف السبب الحقيقي وراء وجودها هناك.

قال ديفيد: «عندما أخبرتني شاي لأول مرة أنك قادمة، غضبت منها بالطبع.» - «لأنني ربما أفشيت سر منطقة الضباب؟»

- «هذا أحد الأسباب، والسبب الآخر هو أن الأمر خطير حقاً أن تعبر فتاة تبلغ من العمر ستة عشر عاماً وترعرعت في المدينة مئات الأميال بمفردها، لكنني ظننت في الغالب أنها مخاطرة لا جدوى منها، لأنك قد لا تجربئين حتى على الخروج من نافذة عنبرك.»

نظر إليها وهو يضغط على يدها برقة وقال: «لقد شعرت بالذهول عندما رأيتك تهولين إلى أسفل هذا التل.»

ابتسمت تالي: «كنت في حال يرثى له ذاك اليوم.»

وبينما بدا وجه ديفيد مشرقاً تحت ضوء القمر الخافت قال لها: «على الرغم من الخدوش التي كست وجهك، وشعرك وملابسك التي سفعتها النيران، كانت هناك ابتسامة عريضة على وجهك.»

أغمضت تالي عينيها وهزت رأسها. رائع، هي على وشك أن تحصل على وسام الشجاعة في الوقت الذي كان ينبغي أن تُطرد فيه فعلياً من منطقة الضباب بسبب خيانتها.

قال ديفيد برقة: «لكن لا تغمرك السعادة البالغة الآن..»

– «لا يعتقد الجميع أن مجيئي إلى هنا كان أمراً رائعاً.»

ضحك وقال: «أجل، لقد أخبرني كروي عن اكتشافه الكبير.»

فتحت تالي عينيها وقالت: «هل أخبرك بذلك؟»

– «لا تصغي إليه؛ فمئذ لحظة ووصولك إلى هنا وهو مرتاب في أمر مجيئك بمفردك. فهو يظن أنه لا بد أن تكوني قد حصلت على مساعدة طوال الطريق، مساعدة من المدينة، لكنني أخبرته أنه مجنون.»

– «أشكرك.»

هز ديفيد كتفيه وقال: «عندما تلاقيتما، أنتِ وشاي، كنتِ غاية في السعادة،

فعرفت أنكِ افتقدتها حقاً.»

– «أجل، لقد استبد بيّ القلق من أجلها.»

– «بالطبع كنتِ قلقة من أجلها، وقد كنتِ شجاعة حينما أتيت بحثاً عنها

بنفسك، حتى لو كان معنى ذلك أن تتركي كل ما تعرفينه وراءك وتخوضي الرحلة بمفردك. أنتِ لم تأتِ لأتلكِ أردت العيش في منطقة الضباب، أليس كذلك؟»

– «ماذا تقصد؟»

– «لقد أتيت لكي تطمئنني إلى أن شاي بخير.»

نظرت تالي في عيني ديفيد، فحتى لو كان مخطئاً تماماً بشأنها، فقد كان

شعوراً جميلاً أن تنعم بكلماته؛ فحتى هذه الآونة، كان اليوم بأكمله مشوباً بالشكوك والارتياب في أمرها، لكن وجه ديفيد كان يشرق بالإعجاب بما فعلته. فاجتاحها شعور بالدفء أطاح بالرياح الباردة التي كانت تهب على قمة الجبل بعيداً.

عندئذ سرت قشعريرة في طيات بدنهما، وهي تدرك ماهية هذا الشعور؛ لقد كان

الدفء نفسه الذي شعرت به وهي تتحدث إلى بريس بعدما خضع للعملية، أو عندما

كان ينظر إليها مدرسوها باستحسان. هو شعور لم تختبره قط مع أي من القبحاء

من قبل، فدون العيون الواسعة المرسومة ببراعة، لا يمكن لوجوههم أن تشعرك بهذا

الدفء. لكن ضوء القمر والمكان، أو ربما الكلمات فقط التي كان ينطق بها ديفيد،

حولته بطريقة ما إلى واحد من الحسان. لقد حولته للحظة واحدة فحسب.

لكن هذا السحر والانجذاب كانا معتمدين تمام الاعتماد على الأكاذيب، وهي لا تستحق تلك النظرة التي تطالعها في عيني ديفيد.

التفتت تالي لتواجه محيط الأزهار الضارة مرة أخرى وقالت: «أراهن أن شاي تتمنى لو لم تكن قد أخبرتني عن منطقة الضباب مطلقًا.»

رد ديفيد: «ربما يكون ذلك في الوقت الحالي، وربما لبعض الوقت، لكن ليس إلى الأبد.»

- «لكنك أنت وهي ...»

- «أنا وهي» ثم تنهد ديفيد واسترسل قائلاً: «إنها متقلبة بشدة، حسبما تعلمين.»

- «ماذا تقصد؟»

- «في الربيع كانت المرة الأولى التي أرادت فيها أن تأتي إلى منطقة الضباب، عندما حضر كروي وآخرون.»

- «لقد أخبرتني بذلك. أظنها فقدت الشجاعة للقيام بذلك، صحيح؟»

أوماً ديفيد برأسه ثم قال: «كنت أتوقع ذلك دومًا؛ فهي أرادت أن تهرب فحسب لأن أصدقاءها كانوا يفعلون ذلك. فإن مكثت في المدينة، فستترك بمفردها تمامًا.»

تذكرت تالي الأيام التي قضتها دون أصدقاء بعد عملية التجميل التي خضع لها بيريس وقالت: «أجل، أعرف هذا الشعور.»

- «لكنها لم تصل في تلك الليلة، كما هو متوقع، ولقد اندهشت بشدة عندما رأيتها في مدينة الأطلال منذ أسابيع قلائل، فقد اقتنعت فجأة أنها أرادت أن تترك المدينة إلى الأبد. وقد كانت تتحدث بالفعل عن إحضار صديقة، مع أنها لم تكن بعد قد ذكرت لك الأمر.» هز ديفيد رأسه ثم استرسل قائلاً: «لقد أخبرتها تقريبًا أن تنسى الأمر، وأن تمكث في المدينة وتتحول إلى حسناء.»

أخذت تالي نفسًا عميقًا، لو كان ديفيد قد فعل ما قاله بالضبط، لكانت كل الأمور تسير على ما يرام الآن؛ لباتت تالي الآن إحدى الحسنات الموجودات أعلى أحد أبراج الاحتفالات مع بيريس وشاي وزمرة من الأصدقاء الجدد في اللحظة نفسها. لكن تلك الصورة المرسومة في ذهنها لم تمنحها السعادة التي عادة كانت تمنحها إياها، لم تكن براقا وكأنها أغنية فقدت رونقها من كثرة سماعها مرارًا وتكرارًا.

ضغط ديفيد على يديها وقال: «لكنني سعيد بأنني لم أفعل.»



وثمة شيء حمل تالي على أن تقول: «وأنا كذلك.» حتى إن هذه الكلمات أدهشتها هي نفسها؛ لأنها بدت صادقة إلى حد ما. نظرت تالي إلى ديفيد عن كثب، فوجدت أن شعور الدفء لا يزال يلزمها. وعندما نظرت إليه عن كثب وجدت أن جبهته كانت مرتفعة للغاية وأن ندبًا صغيرًا كان قد ترك علامة بيضاء في حاجبه، وابتسامته كانت ابتسامة معوجة إلى حد ما فعلًا، لكن يبدو وكأن شيئًا ما قد تبدل بداخل رأس تالي، شيئًا جعل وجهه يبدو جميلًا في عينيها، وكان دفء جسمه يزيل برودة الخريف، فدنت منه أكثر.

قال ديفيد: «لقد بذلت شاي قصارى جهدها كي تعوض أمر تراجعها عن القدوم في المرة الأولى وإعطائها إياك الاتجاهات في الوقت الذي وعدتني فيه أنها لن تعطيهما لأي شخص. والآن، قررت أن منطقة الضباب هي أروع مكان في العالم، وأنتي أفضل شخص في العالم لأنني أحضرتها إلى هنا.»

– «إنها تحبك حقًا يا ديفيد.»

– «وأنا أحبها بالفعل، لكنها ليست ...»

– «ليست ماذا؟»

– «ليست جادة، ليست مثلك.»

التفتت تالي بعيدًا، وهي تشعر بالدوار. لقد علمت أنها يجب أن تفي بوعداها الآن، وإلا لن تفي به قط. وذهبت أصابعها تتحسس القلادة وقالت: «ديفيد ...»

– «أجل، لقد لاحظت القلادة. لقد كانت ثاني شيء لاحظته فيك بعد ابتسامتك.»

– «هل تعلم أن شخصًا ما قد أعطاني إياها.»

– «هذا ما خمنت.»

– «وقد ... أخبرته بشأن منطقة الضباب.»

أومأ ديفيد برأسه وقال: «وقد خمنت ذلك أيضًا.»

– «ألست غاضبًا مني؟»

هز ديفيد كتفيه وقال: «أنتِ لم تعديني بشيء، بل إنني لم أرك من قبل.»

– «لكنك ما زلت ...» كان ديفيد يحدق في عينيها بوجه مشرق ثانية، ونظرت

تالي بعيدًا في محاولة لأن تُغرق مشاعرها الغريبة في بحر الأعشاب الضارة البيضاء.

تنهد ديفيد بهدوء وقال: «بمجيئك إلى هنا تركت وراءك الكثير من الأشياء:

تركت والديك، ومدينتك، وحياتك كلها، وبدأت تحبين منطقة الضباب، ويمكنني

أن أستشف هذا؛ فأنتِ تستجيبين لما نقوم به هنا بطريقة لا يستجيب لها معظم الفارين.»

- «أحب نمط الحياة هنا. لكنني قد لا ... أمكث.»

ابتسم ديفيد وقال: «أعلم ذلك، أصغي إليّ، أنا لا أتعجلك. قد يأتي من أعطاك هذا القلب، وقد لا يأتي، وقد تعودني إليه، لكن في هذه الآونة هل يمكنك أن تسدي لي خدمة؟»

- «بالطبع، أقصد، ما هذه الخدمة؟»

نهض ديفيد ومد إليها يده وقال: «أريدك أن تلتقي بوالدي.»

## الفصل الثلاثون

# السر

نزلا من على قمة الجبل تجاه الجانب البعيد المؤدي إلى طريق ضيق شديد الانحدار، وقادها ديفيد بسرعة في الظلام، وهو يقطع خطاه دون تردد في الطريق شبه المحجوب عن النظر، وما كان من تالي إلا أن تبعته.

وطوال اليوم بأكمله كانت تالي تتلقى الصدمة تلو الأخرى، والآن تأتي على رأسها جميعاً صدمة مقابلة والدي ديفيد. لقد كان ذلك آخر شيء توقعته بعد أن أرته قلاذتها وأخبرته أنها أفشت سر منطقة الضباب. كانت ردود فعله تختلف عن ردود أفعال أي شخص التقت به في حياتها؛ وربما ذلك لأنه شبَّ هنا بالخارج، بعيداً عن عادات المدينة. أو ربما لأنه مختلف ... فحسب.

تركا قمة الجبل المألوف وراءهما، وارتفع الجبل شاهقاً بجانبهما.

سألت تالي: «ألا يعيش والداك في منطقة الضباب؟»

- «لا، فهذا يمثل خطورة شديدة عليهما.»

- «كيف ذلك؟»

- «هذا جزء من الأمر الذي كنت قد أخبرتك به يوم مجيئك إلى هنا في كهف

مسار السكة الحديدية.»

- «بخصوص سرك؟ وكيف ترعرعت في البرية؟»

توقف ديفيد لحظة، ثم التفت إلى الوراء نحوها في الظلام وقال: «بل هناك ما

هو أكثر من ذلك.»

- «ماذا؟»

- «سأدعها يخبرك به، هيا بنا.»

بعد مرور بضع دقائق، ظهر مربع صغير يخرج منه ضوء خافت يتأرجح في

الظلام جانب الجبل. أدركت تالي أن هذا المربع هو نافذة، ينبعث من داخلها ضوء

يتوهج باللون الأحمر الداكن عبر ستار منسدل. بدا المنزل شبه مدفون وكأنه مثبت بوتد في الجبل.

وعندما كانا لا يزالان على بعد مرمى حجر من المنزل توقف ديفيد وقال: «لا أريد أن أفاجئهما، فربما يشعران بالفزع.» ثم صاح قائلًا: «مرحبًا!»  
بعد لحظة فُتح باب المدخل، مما سمح بهروب بصيص من الضوء من الداخل. تردد صوت امرأة: «ديفيد؟» وفتح الباب أكثر فأكثر حتى انبعث الضوء كاملًا، فقالت المرأة: «إنه ديفيد يا آز.»

عندما اقترب ديفيد وتالي منهما أكثر، وجدت تالي أن المرأة عجوز قبيح. ولم تستطع تالي أن تُقدر هل هي أكبر من الرئيس سنًا أم أصغر، لكن بلا ريب لم يكن النظر إليها مرعبًا. وكانت عيناها تومضان كعيني الحسان، واختفت تجاعيد وجهها في ابتسامة ترحيب وهي تحضن ابنها.

قال ديفيد: «مرحبًا يا أمي.»

قالت المرأة: «لا بد أنك تالي.»

أجابت تالي: «سعيدة بلقائك.» ولم تعرف تالي هل كان ينبغي لها أن تصافحها أو أن تفعل شيئًا من هذا القبيل؛ ففي المدينة لا يُسمح للمرء بقضاء الكثير من الوقت مع آباء القبحاء الآخرين، إلا عندما يقيم في منازل الأصدقاء أثناء العطلات المدرسية.

كان المنزل أكثر دفئًا من مبيت العمال، ولم تكن الأرضيات الخشبية خشنة بالدرجة الكبيرة وكأن والدي ديفيد قد عاشا هنا فترة طويلة، حتى إنه من كثرة احتكاك قدميهما بالأرض صارت ناعمة. وبدا المنزل لسبب ما أكثر صلابة من أي مبنى في منطقة الضباب؛ لقد كان محفورًا بالفعل في الجبل، حسبما رأت بعينها الآن، فأحد جدرانها كان عبارة عن صخور مكشوفة مطلية بطبقة لامعة من مادة شفافة عازلة ضد الماء.

ردت والدة ديفيد: «أنا سعيدة بلقائك أيضًا يا تالي.» وتساءلت تالي عن اسم والدته، فديفيد دائمًا يشير إليهما بصفتي «ماما» و«بابا»، وهما الصفتان اللتان لم تستخدمهما تالي قط مع سول وإيلي منذ أن كانت صغيرة.

ظهر رجل صافح ديفيد قبل أن يتجه نحوها ثم قال: «سعيد بلقائك يا تالي.» طرفت تالي بعينها، ثم لهت لحظة عاجزة عن التحدث، فقد بدا ديفيد والده إلى حد ما ... متماثلين.

هذا غير معقول بالمرّة، فلا بد أن يزيد الفارق بين عمريهما عن ثلاثين عامًا، ربما كان والده طبيبًا بالفعل عندما وُلد؛ لكن فكيفما وجبهتيهما وحتى ابتسامتهما المعوجة قليلًا كانوا متشابهين تشابهًا شديدًا.

قال ديفيد: «تالي؟»

أجابته: «أنا أسفة، أنتما ... تبدوان صورة طبق الأصل فحسب!»  
انفجر والدا ديفيد ضحكًا، وشعرت تالي بوجهها يحمر خجلًا.

قال والده: «كثيرًا ما نصادف ذلك، فأنتم يا أطفال المدينة دائمًا ما ترونه أمرًا مُصدّمًا. لكنك تعرفين علم الوراثة، أليس كذلك؟»

- «بالطبع، أعرف كل شيء عن الجينات الوراثة. وأعرف أختين من القبحاء تكاد كل منهما تكون صورة طبق الأصل من الأخرى. لكن يحدث ذلك بين الآباء والأبناء؟ هذا أمر غريب.»

تعمدت والدة ديفيد أن ترسم تعبيرًا جادًا على وجهها، لكن الابتسامة لم تفارق عينيها وقالت: «الملامح التي نأخذها من والدينا هي السمات التي تميزنا؛ الأنف الكبير، والشفاة الرفيعة والجبهة العالية، كل الأشياء التي تمحوها عملية التجميل.»  
قال والده: «حيث الأفضلية للاعتدال.»

أومأت تالي برأسها، متذكّرة الدروس المدرسية وما علمته عن ملامح الوجه البشري العادية التي كانت قالب الرئيسي الذي تستعين به العملية، فقالت: «بالطبع، الملامح العادية في المظهر هي أحد الأشياء التي يتطلع إليها الناس في وجوههم.»

قال والد ديفيد: «لكن العائلات تورث ملامح غير عادية للمظهر مثل أنوفنا الكبيرة.» ثم قرص الرجل أنف ابنه، فقلب ديفيد عينيه. لاحظت تالي أن أنف ديفيد كانت أكبر كثيرًا من أنف أي من الحسان. لماذا لم تلاحظ هذا قبل الآن؟

قالت والدته: «هذه واحدة من الأشياء التي تتخلين عنها عندما تصبحين حسناء، أنف عائلتك.» ثم قالت لزوجها: «آز، لماذا لا تزيد من درجة الحرارة.»

انتبعت تالي إلى أنها كانت لا تزال ترتجف، ليس من برودة الجو بالخارج، لكن هذا الموقف كان شديد الغرابة عليها، ولم تستطع أن تتناسى أمر التشابه بين ديفيد ووالده. قالت تالي: «حسنًا، المكان هنا لطيف يا ...؟»

قالت المرأة: «مادي. تفضلوا بالجلوس.»

بدا واضحًا أن آز ومادي كانا يتوقعان مجيئهما؛ فقد كان هناك في الغرفة الأمامية من المنزل أربعة فناجين عتيقة موضوعة على صحن صغير. وبعد قليل أخذت

غلاية شاي موضوعة على سخان كهربائي تصدر صغيراً خفيفاً، وصب آز الماء المغلي في قدر عتيق، بعث في الحجرة رائحة عطرية خاصة بالأزهار.

نظرت تالي حولها، فوجدت المنزل يختلف عن أي منزل آخر بمنطقة الضباب؛ لقد كان مثل بيت عادي، ممتلئ بأشياء غير عملية؛ إذ كان يقف في أحد أركانه تمثال رخامي صغير، واعتلت الجدران أبسطة غنية بالألوان أضفت على ضوء الحجرة قدرًا من ألوانها. لا بد أن مادي وآز قد جلبا الكثير من الأشياء من المدينة عندما هربا منها. وعلى عكس القباء الذين لم يأخذوا معهم سوى ملابس العنبر وبعض المقتنيات الأخرى التي تُستعمل مرة واحدة، قضى الاثنان بالفعل نصف عمرهما يجمعان أشياء قبل أن يهربا من المدينة.

استرجعت تالي في ذاكرتها عندما نشأت في بيت سول وأحاطت بها الأعمال الخشبية الخاصة به وهي تلك الأشكال التجريدية المصنوعة من الأغصان المتساقطة التي كانت تقوم هي بتجميعها من الحدائق وهي صغيرة. ربما لم تختلف طفولة ديفيد عن طفولتها اختلافًا كبيرًا. قالت تالي: «كل هذه الأشياء تبدو مألوفة.»

قالت مادي: «ألم يخبرك ديفيد؟ لقد أتينا أنا وآز من المدينة نفسها التي أتيت منها. ولو كنا مكننا فيها، ربما كنا نحن من سنحولك إلى حسناء.»  
دمدمت تالي: «أظن ذلك.» لو كانا قد مكثا في المدينة، لما كان هناك منطقة الضباب، ولما هربت شاي قط.

قالت مادي: «يقول ديفيد إنك قطعيت كل الطريق إلى هنا بمفردك.»  
أومأت تالي برأسها إيجابًا وقالت: «أتيت في أعقاب صديقة لي. وقد تركت لي الاتجاهات التي أتبعها.»

– «وقد قررت أن تأتي بمفردك؟ ألم تستطعي الانتظار حتى يأتي ديفيد مرة أخرى؟»

فسر ديفيد الأمر قائلاً: «لم يكن هناك وقت للانتظار. لقد رحلت في الليلة التي سبقت عيد ميلادها السادس عشر.»

قال آز: «تلك عادة ترك الأشياء حتى اللحظة الأخيرة.»  
قالت مادي باستحسان: «لكن هذا أمر مثير للغاية.»

– «في الواقع، لم يكن أمامي الكثير من الخيارات. لم يتردد إلى مسامعي أي ذكر عن منطقة الضباب حتى أخبرتني شاي، صديقتي، أنها راحلة. كان هذا قبل عيد ميلادي بحوالي أسبوع.»

قال آز: «شاي؟ لا أظن أننا التقينا بها.»

نظرت تالي إلى ديفيد الذي هز منكبيه. إنه لم يحضر شاي قط إلى هنا؟ وتساءلت تالي لحظة عما جرى بالفعل بين ديفيد وشاي.

قالت مادي: «إذن لقد عزمت الأمر سريعًا بالطبع.»

رجعت تالي بذهنها إلى الحاضر وقالت: «كان لا بد أن أفعل؛ إذ لم يكن أمامي سوى فرصة واحدة فحسب.»

وبينما صب آز سائلًا أسود من غلاية الشاي في الفناجين قال لها: «تتكلمين كواحدة من الضبابيين الحقيقيين.» ثم سألتها: «أتريدين أن تتناولوا كوبًا من الشاي؟» - «من فضلك.» أخذت تالي صحن الفنجان وشعرت بشدة السخونة في مادة الفنجان البيضاء، ولأنها كانت تدرك أن هذه واحدة من وصفات الضبابيين شديدة السخونة التي قد لا يحتملها اللسان، ارتشفت الشاي بحذر، فالتوى وجهها من مذاقه المر، وقالت: «آه، أقصد ... أنا أسفة. في الحقيقة لم أتناول الشاي من قبل قط.»

اندھش آز وقال: «حقًا؟ لكنه كان شائعًا للغاية عندما كنا نعيش هناك.»

- «لقد سمعت به، لكنه شائع أكثر باعتباره مشروب الحسان كبار السن، أقصد أنه لا يشربه غالبًا سوى الحسان الطاعنين في العمر.» وتماسكت تالي كيلا يحمر وجهها خجلًا.

ضحكت مادي وقالت: «حسنًا، نحن حسان طاعنون في العمر، إذن أظن هذا مناسبًا لنا.»

قال آز: «تحدثي عن نفسك يا عزيزتي.»

قال ديفيد: «جربي هذا.» ثم وضع مكعبًا أبيض في شاي تالي، فكان مذاقه حلواً في المرة التالية التي ارتشفته فيها؛ إذ زالت مرارته فأصبح ممكنًا أن ترتشف المشروب الآن دون أن يعبس وجهها.

قالت مادي: «لقد أخبرك ديفيد القليل عنا على ما أظن.»

- «أجل، لقد ذكر أنكما قد هربتما منذ وقت طويل قبل أن يولد.»

قال آز: «هل ذكر هذا؟» وكان التعبير الذي اعتلى وجهه هو التعبير نفسه الذي يرتسم على وجه ديفيد عندما يقوم أحد أفراد طاقم العمل بالسكة الحديدية بفعل طائش أو ارتكاب شيء خطير باستخدام المنشار الهزاز.

قال ديفيد: «لم أخبرها بكل شيء يا والدي، لقد أخبرتها أنني ترعرعت في البرية

فحسب.»

قال آز بنبرة يشوبها بعض القسوة: «وقد تركت الباقي لنا لنذكره؟ يا لبراعتك!»  
 ثبت ديفيد عينيه في عين والده الذي كان ينظر إليه شزراً وقال: «لقد جاءت  
 تالي إلى هنا لكي تتيقن من سلامة صديقتها. جاءت كل الطريق إلى هنا بمفردها،  
 لكنها قد لا ترغب في البقاء.»

قالت مادي: «نحن لا نرغم أحدًا على العيش هنا.»  
 قال ديفيد: «ليس هذا ما أعنيه، أعتقد أنه ينبغي أن تعلم بالأمر قبل أن تقرر  
 العودة إلى المدينة.»

أخذت تالي تنظر إلى ديفيد والديه في زهول تام، فالطريقة التي كانوا يتواصلون  
 بها معًا كانت غاية في الغرابة، فهي ليست مثل الطريقة التي يتواصل بها القبحاء مع  
 كبار السن البتة، ولكنها كانت أشبه بحوار يدور فيما بين القبحاء، كحوار الأنداد.  
 تساءلت تالي بهدوء: «ما الذي ينبغي أن أعرفه؟»

تطلعوا جميعهم إليها، وكان وآز مادي ينظران إليها نظرة فاحصة.  
 أجابها آز: «السر الكبير الذي جعلنا نهرب منذ حوالي عشرين سنة.»  
 قالت مادي في هدوء وعيناها مثبتتان على ديفيد: «إنه سر عادة نحتفظ به  
 لأنفسنا.»

قال ديفيد وعيناها لا تفارقان عيني والدته: «تستحق تالي أن تعرف، وستتفهم  
 أهمية الأمر.»

– «إنها طفلة، طفلة من المدينة.»  
 – «لقد شقت طريقها إلى هنا بمفردها بلا عون سوى مجموعة من التعليمات  
 الإرشادية المبهمة.»

عبس وجه مادي وقالت: «أنت لم تذهب قط إلى أي مدينة يا ديفيد، وليس  
 لديك أدنى فكرة كم هم مدللون، إنهم يعيشون حياتهم كلها في وهم.»  
 – «لقد نجت بنفسها دون مساعدة أي شخص على مدار تسعة أيام يا أمي،  
 وشقت طريقها عبر نيران الأجمة المحترقة.»

قاطعهما آز قائلاً: «كفاكما، إنها تجلس هنا. أليس كذلك يا تالي؟»  
 قالت تالي بهدوء: «نعم، أنا هنا. وأود أن تخبروني عما تتحدثون.»  
 قالت مادي: «أنا آسفة يا تالي، لكن هذا السر غاية في الأهمية والخطورة.»  
 أومأت تالي برأسها، ثم نظرت إلى أسفل نحو الأرضية وقالت: «كل شيء بالخارج  
 هنا غاية في الخطورة.»



ساد الصمت بينهم جميعاً لحظة، وكل ما سمعته تالي هو صوت إذابة السكر في كوب الشاي الذي كان يحدثه آز.  
 أخيراً نطق ديفيد وقال: «أصغيا إلي؟ إنها تفهم. يمكنكما أن تثقا فيها. من حقها أن تعرف الحقيقة.»

قالت مادي في هدوء: «في النهاية، هذا من حق الجميع.»  
 قال آز: «حسنًا.» ثم توقف ليرتشف رشفة من الشاي واسترسل قائلاً: «أظن أننا يجب أن نخبرك بالحقيقة يا تالي.»  
 - «تخبراني بماذا؟»

أخذ ديفيد نفساً عميقاً وقال: «الحقيقة الكامنة وراء أن تصيري من الحسنات.»



## عقول جميلة

استهل آز حديثه قائلاً: «كنا طبيبين.»

واصلت مادي الحديث: «كنا جراحي تجميل على وجه التحديد، وكلانا أجرى عملية التجميل مئات المرات. وعندما التقينا كان قد وقع عليّ الاختيار لتوي لأنضم إلى لجنة المعايير المورفولوجية.»

فغرت عينا تالي وقالت: «لجنة الحسان؟»

ابتسمت مادي لدى سماعها الاسم المستعار الذي كان يُطلق على اللجنة وقالت: «لقد كنا نعد لمؤتمر حول علم المورفولوجيا الذي تتبادل فيه كل المدن بياناتها حول عملية التجميل.»

أومأت تالي برأسها؛ فالمدن كانت تعمل جاهدة كي تبقى مستقلة بعضها عن بعض، بيد أن لجنة الحسان كانت عبارة عن هيئة عالمية من شأنها أن تضمن تماثل جميع الحسان إلى حد ما. فالهدف المرجو من العملية سيتلاشى إذا انتهى الحال بكون أناس إحدى المدن أكثر حسناً من الباقين.

وعادة كانت تالي، شأنها في ذلك شأن سائر القبحاء، تجمع بخيالها وتنغمس في أحلام اليقظة لتحلم بأنها ستصير في يوم ما أحد أعضاء هذه اللجنة، وتساعد في تحديد شكل الأجيال القادمة. وبالطبع نجحوا في المدرسة دومًا في جعل هذا الأمر مملًا عند النظر إلى الرسومات البيانية والمتوسطات وقياسات حدقات العيون حينما تختلف الوجوه بعضها عن بعض.

قال آز: «وفي الوقت نفسه، كنت أجري بحثًا مستقلًا عن التخدير، في محاولة لجعل العملية أكثر أمانًا.»

سألت تالي: «أكثر أمانًا؟»

أجابها آز: «ما زال هناك القليلون الذين يموتون سنويًا، مثلما هو الحال في أي جراحة. وأكثر الأمور تسببًا في ذلك هو البقاء دون وعي فترة طويلة.»

عضت تالي شفتها وقالت: «يا إلهي!» إذ لم تسمع عن ذلك الأمر قط.

- «واكتشفت أن هناك مضاعفات تترتب على المخدر المستخدم في العملية، إذ يسبب تلفًا طفيفًا في المخ لا يكاد يكون مرئيًا حتى باستخدام أفضل الأجهزة.»

قررت تالي أن تخاطر بأن تبدو غبية أمامهم بسؤالها: «ما معنى تلف؟»

- «التلف في الأساس هو عبارة عن مجموعة من الخلايا التي لا تقوم بعملها بالطريقة الصحيحة؛ كجرح أو سرطان، أو شيء غريب يغزو المخ.»

قال ديفيد: «لكنكما لم تستطعا أن تشرحا جيدًا.» ثم حول عينيه ناحية تالي وأكمل قائلاً: «هما طبيبان.»

تجاهلت مادي قول ابنها وأكملت قول زوجها: «عندما عرض عليّ آز النتائج التي توصل إليها، بدأت في البحث. فقد كان لدى اللجنة المحلية ملايين من الصور المقطعية في قاعدة بياناتها، ليس كتلك البيانات التي يضعونها في كتب التدريس في مجال الطب، وإنما بيانات أولية واردة من الحسان من كل أنحاء العالم. فقد ظهر التلف في كل مكان.»

عبس وجه تالي: «أتقصد أن الناس كانوا مرضى؟»

أجابت مادي وهي تشير إلى جزء أعلى رأسها: «لم يظهر عليهم المرض. ولم يكن التلف سرطانيًا لأنه لم ينتشر. يكاد يكون الجميع مصابين بهذا التلف، الذي دائمًا ما يصيب المكان نفسه بالضبط.»

قال آز وهو يضع مكعبًا أبيض في كوب الشاي الخاص به: «إلى اليسار قليلًا يا عزيزتي.»

امتثلت مادي لكلامه ثم استرسلت قائلة: «أهم ما في الأمر هو أن كل فرد على مستوى العالم يكاد يكون مصابًا بهذا التلف. وإذا كان هذا التلف يمثل خطرًا على الصحة، فإن تسعًا وتسعين بالمائة من سكان العالم قد يظهرون شكلًا ما من الأعراض.»

سألت تالي: «لكن لم ينشأ هذا التلف فطريًا أليس كذلك؟»

قال آز: «لا، فهو لا يظهر إلا في حسان ما بعد العملية، أقصد الحسان الذين خضعوا للعملية. فالقبحاء لا يعانون منه، لذا فهو حتمًا نتيجة للعملية.»

تلوت تالي في مقعدها، ففكرة أن يكون هناك شيء غامض طفيف في مخ الجميع جعلتها تشعر بالقلق. سألت تالي: «وهل اكتشفتما ما الذي يسبب هذا التلف؟»  
 تنهدت مادي وقالت: «فعلنا ذلك بقدر ما، لقد فحصنا أنا وآز عن كُتب كل العينات السالبة – أي الحسان القليلين الذين لم يظلمهم التلف – وحاولنا أن نكتشف لِمَ هم مختلفون، وما الذي حصنهم ضد التلف؟ فاستبعدنا فصيلة الدم، والنوع، وحجم الجسم، وعوامل الذكاء والمؤشرات الجينية، فلم يعلل أي شيء سبب عدم إصابة هذه العينات بالتلف. إذ لم نجدهم مختلفين في شيء بعينه عن أي شخص آخر.»

قال آز: «إلى أن واجهتنا مصادفة غريبة.»

قالت مادي: «وظائفهم.»

– «وظائفهم؟»

قال آز: «كل فرد صاحب عينة سالبة كان من ضمن من يعملون في مهن معينة: جنود المطافئ والحراس والأطباء والسياسيون وأي شخص يعمل لحساب السلطات الخاصة. كل شخص يعمل في واحدة من هذه المهن لم يكن مصاباً بأي تلف. فيما عدا ذلك كان كل الحسان الآخرين مصابين بهذا التلف.»

– «إذن أنتما لم تصابا بسوء؟»

أوماً آز برأسه وقال: «لقد فحصنا أنفسنا ووجدنا أن عيناتنا كانت سالبة.»

قالت مادي بهدوء: «وإلا ما كنا لنجلس هنا الآن.»

– «ماذا تقصدين؟»

تحدث ديفيد بصوت عال وقال: «ليس التلف صدفة يا تالي، بل هو جزء مقصود من العملية شأنه في ذلك شأن نحت العظام وإزالة الجلد. إنه جزء من الطريقة التي تتغيرين بها لكي تكوني حسناء.»

– «لكنك قلت إن الجميع لا يصابون بهذا التلف.»

أومات مادي برأسها وقالت: «لا يظهر هذا التلف في بعض الحسان، أو يُعالج عمدًا لدى أولئك الذين تتطلب منهم مهنتهم ردود أفعال سريعة، مثل العمل في غرفة الطوارئ أو إطفاء الحرائق، أولئك الذين تنطوي مهامهم على صراع وخطر.»

قال ديفيد: «الأناس الذين يجابهون التحديات.»

زفرت تالي زفيرًا بطيئًا، وتذكرت رحلتها إلى منطقة الضباب وقالت: «وماذا عن

حراس الغابة؟»

أوماً آز برأسه وقال: «أظن أنه كان هناك القليل من حراس الغابة في قاعدة بياناتي، وجاءت عيناتهم جميعاً بالسلب.»

تذكرت تالي النظرات التي كانت تعلق وجوه حراس الغابة الذين أنقذوها، لقد كانوا يتمتعون بثقة غير مألوفة كتلك التي يحظى بها ديفيد، ويختلفون تمام الاختلاف عن الحسان الجدد الذين كانت تسخر منهم هي وبيريس دوماً.

بيريس ...

ازدرت تالي ريقها، فقد تذوقت في حلقتها مرارة أكثر من تلك التي استشعرتها عند تناول الشاي. حاولت أن تتذكر كيف تصرف بيريس عندما اقتحمت حفل جاربو مانشون. كل ما تذكرته هو أنها كانت في منتهى الخجل من وجهها، ويشق عليها أن تتذكر شيئاً بعينه بشأن بيريس، وإن كان لها أن تتذكر شيئاً عنه فهو أنه بدا مختلفاً للغاية، في حقيقة الأمر بدا بيريس أكبر سنّاً وأكثر نضجاً.

لكنهما لم يتفهّما ويتوصلا معاً بطريقة أو بأخرى ... كان الأمر وكأنه قد صار شخصاً مختلفاً، هل يرجع هذا فحسب إلى أن كليهما بات يعيش في عالم مختلف منذ خضوعه للعملية؟ أم أن الأمر أكبر من هذا؟ وحاولت أن تتخيل بيريس وهو يناضل للعيش هنا في منطقة الضباب، يعمل بيديه ويحيك ملابسه بنفسه. كان بيريس القبيح في سابق عهده يستمتع بهذا التحدي. لكن ماذا عن بيريس الجميل؟ شعرت تالي بدوار في رأسها وكأن المنزل مثبت في مصعد يتحرك بسرعة إلى أسفل.

سألت تالي: «ما عواقب هذا التلف؟»

قال آز: «لا نعرفها على وجه التحديد.»

قال ديفيد: «لكننا توصلنا إلى بعض الأفكار الجيدة الرائعة.»

قالت مادي: «إنها مجرد شكوك.» ونظر آز بانزعاج إلى أسفل في كوب الشاي.

قالت تالي: «لقد كننا مرتابين حتى إنكما فررتما.»

ردت مادي: «لم يكن أمامنا خيار آخر؛ إذ لم يمض وقت طويل على اكتشافنا حتى زارنا أفراد السلطات الخاصة، فأخذوا بياناتنا وأصدروا أوامرهم بالأمر نمضي قدماً في بحثنا، وإلا فسنفقد رخصة عملنا. فكان لنا أن نختار إما أن نهرب، أو ننسى كل ما اكتشفناه ونمضي قدماً في الحياة.»

قال آز: «ولم يكن هذا بالشيء الذي يمكن أن ننساه.»

استدارت تالي نحو ديفيد الذي جلس إلى جانب والدته، عابس الوجه، أمامه فنجان الشاي الخاص به دون أن يمسه. وكان والداه لا يزالان مترددين بشأن المجاهرة بكل ما ارتابا بشأنه، لكنها لاحظت أن ديفيد يرى أنه لا حاجة للحيلة منها، فسألته: «وما رأيك أنت؟»

- «حسنًا، أنت تعرفين جيدًا كيف عاش سكان العصر القديم، أليس كذلك؟ وكيف عاشوا في حروب وجرائم وما إلى ذلك؟»

- «بالطبع، لقد كانوا مجانين، كانوا على وشك أن يدمروا العالم.»

سرد ديفيد حديثه قائلًا: «وهذا أقنع الناس بأن يبنوا مدنهم بعيدًا عن البرية، حتى يدعوا الطبيعة وشأنها. والآن يعيش الكل في سعادة، فالجميع لهم الشكل نفسه: جميعهم حسان. لا مزيد من سكان العصر القديم، ومن ثم لا مزيد من الحروب، أليس كذلك؟»

قالت تالي: «أجل، يقولون في المدرسة إن الأمر شديد التعقيد فعلاً، لكن هذا هو المحور الرئيسي للقصة.»

ابتسم ديفيد بتجاهم وقال: «ربما ليس الأمر شديد التعقيد. لعل سبب زوال الحروب وما إلى ذلك هو أنه لم يعد هناك المزيد من الشجار أو الخلافات أو لم يعد هناك أناس يسعون للتغيير. فقط حشود من الحسان المبتسمين وأناس قليلون ينهضون بإدارة الأشياء.»

تذكرت تالي عبورها النهر إلى نيو برتي تاون، ومشاهدتها الحسان وهم يحظون بمتعة لا نهاية لها. وقد اعتادت هي وبيريس أن يتفاخرا بأن الحال لن ينتهي بهما أبدًا، وهما غاية في الحمق والسطحية مثل الباقين. لكن عندما التقت ببيريس ... قالت تالي: «التحول إلى الحسن لا يغير فقط من مظهر المرء.»

أجابها ديفيد: «نعم إنه يغير الطريقة التي يفكر بها.»





## الفصل الثاني والثلاثون

# حرق الجسور

ظل ديفيد وتالي مستيقظين حتى وقت متأخر من الليل وهما يتحدثان مع آز ومادي حول اكتشافاتهما، وهروبهما إلى البرية، وبناء منطقة الضباب. أخيراً، لم تجد تالي مفراً من أن تطرح السؤال الذي جال بخاطرها منذ اللحظة الأولى للقائهما: «إذن، كيف استعدتما شكليكما مرة أخرى؟ أعني، أنكما كنتما جميلين والآن أنتما...»

ابتسم آز وأكمل قولها: «قبيحان! كان هذا الجزء بسيطاً، فنحن خبيران في الجانب الطبي من العملية. عندما يقوم الجراحون بنحت وجه جميل، نستخدم نوعاً خاصاً من البلاستيك اللدن لتشكيل العظام. وعندما نغير الحسان الجدد إلى حسان شبان متوسطي العمر أو حسان طاعنين في العمر، نضيف إلى هذا البلاستيك مادة كيميائية محفزة من شأنها أن تجعله أكثر مرونة مثل الصلصال.»

صاحت تالي: «يا للهول!» إذ أخذت تتخيل وجهها ينعم ويرق فجأة حتى يمكنها أن تشكله بشكل مختلف.

استرسل آز: «باستخدام جرعات يومية من هذه المادة الكيميائية المحفزة، يذوب البلاستيك تدريجياً ويمتصه الجسم. ويعود وجهك إلى حالته الأولى إلى حد قريب أو بعيد.»

رفعت تالي حاجبيها وتعجبت قائلة: «إلى حد قريب أو بعيد؟»  
- «نحن نريد تقريب المواضع التي أزيلت عندها العظام، لكننا لا يمكننا دون التدخل الجراحي أن نحدث تغييرات كبيرة مثل طول الفرد. ونتمتع أنا ومادي بكل المزايا غير التجميلية التي تعود من العملية: الأسنان المنيعة، والرؤية الثاقبة، والمقاومة الذاتية للأمراض. لكننا نبدو قريبين جداً إلى الشكل الذي ينبغي أن نكون عليه دون

العملية. ومهما كان قدر الدهون التي جرى شطفها» ربت أز على معدته ثم استرسل قائلاً: «ثبت أنه يمكن أن يحل محلها دهون أخرى بسهولة.»

– «لكن لماذا؟ لماذا أردتما أن تصيرا قبيحين؟ لقد كنتما طبيبين، لذا لم يكن هناك مشكلة في المخ فيما يتعلق بكما، أليس كذلك؟»

أجابتها مادي: «ما من ضرر لحق بمخ أي منا، لكننا أردنا أن نؤسس مجتمعاً يتألف من أناس غير مصابين بالتلف، أناس متحررين من التفكير في الجمال الجسدي. وكانت هذه هي الطريقة الوحيدة لكي نرى الفرق الذي يحدثه التلف فعلياً. وكان معنى ذلك أنه ينبغي لنا أن نجمع مجموعة من القبحاء، شباباً مجندين من المدن.» أومأت تالي برأسها وقالت: «إذن، كان عليكما أيضاً أن تصيرا قبيحين، وإلا من سيثق بكما؟»

قالت مادي: «لقد عدلنا المادة الكيميائية المحفزة وقمنا بتحضير حبة دواء تؤخذ مرة واحدة يومياً. وفي غضون أشهر قلائل، عاد إلينا وجهانا القديمان.» نظرت مادي إلى زوجها وقد بدا الإشراق واضحاً في عينيها ثم استرسلت قائلة: «لقد كانت عملية مذهلة حقاً.»

قالت تالي: «لا بدّ أنها كانت كذلك، لكن ماذا عن التلف؟ أيمكنكما أن تتوصلا إلى حبة دواء لعلاجها؟»

ظل الاثنان صامتين لحظة، ثم هزت مادي رأسها وقالت: «لم نصل إلى أي إجابة قبل أن يتدخل أفراد السلطات الخاصة في الأمر. أنا وآز لسنا إخصائين في أمراض المخ. لقد اجتهدنا لحل هذه القضية على مدار عشرين عاماً دون أن نحرز أي نجاح، لكننا رأينا هنا في منطقة الضباب الفرق الذي يحدثه الإبقاء على القبح.» قالت تالي وهي تفكر في مدى الاختلاف بين بيريس وديفيد: «لقد رأيت هذا بنفسني.»

رفع آز حاجبه وقال: «إذن لقد فطنتِ إلى الأمر سريعاً.»

قال ديفيد: «لكننا نعرف أن ثمة علاجاً للتلف.»

– «كيف؟»

قالت مادي: «لا بد أن يكون هناك علاج. لقد أظهرت البيانات المتاحة لدينا أن الجميع يصابون بالتلف بعد العملية الأولى. وعندما يتول بأحدهم المطاف إلى العمل في مهنة تنطوي على قدر من التحدي، فإن السلطات تعالجه بشكل ما. ويُزال التلف سرّاً دون أن يدري أحد، وربما يُعالج باستخدام حبة دواء مثلما هو الحال

مع البلاستيك المستخدم مع العظام، وعندئذ يعود المخ إلى طبيعته. لا بدّ أن هناك علاجًا بسيطًا.»

قال ديفيد بهدوء: «سوف تكتشفانه يومًا ما.»

قالت مادي وهي تتنهد: «ليس لدينا الأجهزة الطبية المطلوبة، وليس لدينا حتى شخص من الحسان لنخضعه للدراسة.»

قالت تالي: «لكن انتظرا قليلاً، لقد اعتدتما العيش في مدينة تعج بالحسان، وعندما صرتما طبيبين وزال التلف، ألم تلاحظا أنكما كنتما تتغيران؟»

هزت مادي منكبيها وقالت: «بالطبع لاحظنا ذلك، فنحن كنا نتعلم كيف يعمل جسم الإنسان، وكيف ننهض بالمسئولية الضخمة التي تتعلق بإنقاذ حياة الأفراد، لكن الأمر لم يبد وكأن مخ أي منا يتغير ويتبدل، لقد شعرنا وكأننا ننضج.»

– «لكن عندما تابعتما الآخرين، كيف لم تلاحظا أن ... مخ أي منهم مصاب بتلف؟»

ابتسم آز وقال: «لم نقابل الكثيرين لكي نقارن إخواننا المواطنين بهم، فقط تعاملنا مع عدد قليل من الزملاء الذين بدوا مختلفين عن معظم الناس. وذلك عندما تفاعلنا معهم عن كُتب، لكن هذا لم يكن أمرًا مفاجئًا؛ فالتاريخ سوف يشير إلى أن أغلبية الناس كانوا دومًا جزءًا من قطع. فقبل العملية كانت الحروب، والكره الجماعي، وإزالة الغابات. وأيًا كان ما يفعله بنا هذا التلف، فهو لا يختلف كثيرًا عن الوضع الذي كانت عليه البشرية في عهد سكان العصر القديم. كل ما هنالك هو أننا في هذه الأيام قد صرنا أكثر ... طواعية وأيسر في تعاملاتنا.»

أضافت مادي: «وصار من الطبيعي الآن أن نُصاب بالتلف، ولقد اعتدنا على آثاره.»

أخذت تالي نفسًا عميقًا، وهي تتذكر زيارة سول وإيلي لها. فمع أن والديها كانا واثقين من أنفسهما ثقة شديدة، فقد ظهرا جهولين تمامًا بالعالم من حولهما، لكنهما كان يبدوان دومًا على ذلك النحو: يتصفان بالحكمة والثقة بالنفس، وفي الوقت نفسه يبدوان معزولين تمامًا عن كل مشكلات القبعاء الواقعية التي كانت تالي تجابهها. هل كان هذا مظهرًا من مظاهر تلف المخ الذي ألمَّ بالحسان؟ لكن تالي كانت تعتقد دومًا أن هذا هو الحال الذي يُفترض أن يكون عليه الوالدان.

وفي ضوء ذلك، كانت السطحية والتمركز حول الذات من الخصال التي يُفترض أن يتصف بها الحسان الجدد. فلما كان بيريس قبيحًا، كان يسخر منهم، لكنه لم

يتردد لحظة بشأن الانضمام إليهم. ولم يفعل أي شخص ذلك قط. إذن، كيف لك أن تدرك تبعات العملية، وتبعات عدم خروج الناس عن مجرى التيار الذي كانت كل الأشياء تسير دومًا باتجاهه؟  
 لن يتحقق ذلك إلا بتأسيس عالم جديد كامل، وهو بالضبط ما شرعت مادي وآز في القيام به.

وتساءلت تالي: أيهما يقع أولًا: العملية أم التلف؟ وهل الحسن هو فقط طعم يجذب الجميع لكي يؤتى بهم تحت المشرط الجراحي؟ أم أن التلف هو فقط لمسة أخيرة تُضفي على عملية التجميل؟ لعل النتيجة المنطقية لأن يبدو الجميع بالشكل نفسه هي أن يفكر الجميع بالطريقة نفسها.

عادت تالي بظهرها إلى الورا في مقعدها، والرؤية الضبابية تغشي عينيها، ومعدتها تنقبض كلما فكرت في بيريس ووالديها وكل الحسان الذين التقت بهم في حياتها. تساءلت تالي: كم كانوا مختلفين؟ ما الشعور الذي ينتاب المرء حينما يصير من الحسان؟ ما الذي يكمن بحق وراء هذه العيون الواسعة والملامح الفاتنة؟  
 قال ديفيد: «تبدين متعبة».

ضحكت تالي في هدوء. لقد بدا الأمر وكأن أسابيع قد مرت منذ وصولها هي وديفيد إلى هناك، لقد تغير عالمها بعد ساعات معدودة من الحوار معهم. ثم قالت: «ربما قليلًا».

– «أظن أنه من الأفضل أن نرحل يا أمي».  
 – «بالطبع يا ديفيد، لقد صار الوقت متأخرًا، ولدى تالي الكثير لتستوعبه».  
 نهض آز ومادي لتوديعها، وساعد ديفيد تالي في أن تنهض من مقعدها. ودعتهما تالي وهي في حالة الدوار، ترتعد من داخلها عندما لمحت على وجهيهما القبيحين الطاعنين في العمر تعبيرًا يوحي بشعورهما بالأسى حيالها. لقد اعتراهما الحزن لأنها كانت لا بد أن تعرف الحقيقة، ولأنهما من أخبراها بها. فبعد مرور عشرين عامًا ربما اعتادا الفكرة، لكنهما لا يزالان يدركان أنها فكرة مريعة على آذان سامعيها.  
 ثمة شيء ما حدث في أمخاخ تسعة وتسعين بالمائة من البشر، ولا يعلم ماهية هذا الشيء بالضبط سوى أناس قليلين فقط في العالم.

قال ديفيد: «هل تدركين الآن لم أردتِك أن تلتقي بوالدي؟»  
 – «أجل، أظنني أدركت».

سار ديفيد وتالي في الظلام، وتسلفا قمة الجبل في طريقيهما للعودة إلى منطقة الضباب، تعلوهما السماء التي غمرتها النجوم بعد أن غاب القمر.  
- «ربما كنت ستعودين إلى المدينة دون أن تعرفي.»

ارتعدت فرائص تالي؛ حينما أدركت كيف كانت على وشك العودة إلى المدينة في مرات عديدة؛ فلقد فتحت القلادة بالفعل في المكتبة، وأوشكت أن تضعها أمام عينيها. ولو كانت قد فعلت هذا، لوصل أفراد السلطات الخاصة في غضون ساعات.  
قال ديفيد: «لم أستطع تحمل هذا.»

- «لكن بعض القبياء سيعودون حتمًا إلى المدينة، أليس كذلك؟»

- «بالطبع، لقد سئموا التخيم بالخارج، ولا يمكننا أن نجبرهم على البقاء.»

- «هل ستدعهم يرحلون؟ وهم لا يعرفون ما تعنيه العملية بالفعل؟»

توقف ديفيد وأمسك بكتف تالي، والشجن يخيم على قسمات وجهه، ثم قال: «ولا نعرف نحن أيضًا، وماذا لو أخبرنا الجميع عن شكوكنا؟ معظمهم لن يصدقونا، لكن آخرين سيتدافعون للعودة إلى المدينة لإنقاذ أصدقائهم. وفي آخر المطاف، قد تكتشف المدن ما كنا نقوله، فتبذل كل ما في وسعها للقبض علينا.»

قالت تالي لنفسها: «هي تفعل ذلك بالفعل.» وتساءلت تالي عن عدد الجواسيس الآخرين الذين ابتزتهم السلطات الخاصة للبحث عن منطقة الضباب، وكم مرة كانت فيها على وشك العثور عليها. وأرادت تالي أن تخبر ديفيد ما الذي يدبره أفراد السلطات الخاصة، لكن كيف؟ فهي لم تستطع أن توضح له أنها جاءت إلى هنا جاسوسة، ولو فعلت فلن يثق بها ديفيد مرة أخرى.

تنهدت تالي؛ فقد تكون تلك هي الطريقة المثلى التي تمنع بها نفسها من الوقوف حجر عثرة بينه وبين شاي.

- «لا تبدين سعيدة.»

حاولت تالي أن تبتسم. لقد باح لها ديفيد بأهم أسرارها، وهي بدورها ينبغي أن تبوح له بأهم أسرارها، لكنها لم تكن شجاعة بالدرجة الكافية التي تمكنها من فعل ذلك. أجابته تالي: «كل ما هنالك أنها كانت ليلة طويلة فحسب.»

ابتسم لها ديفيد أيضًا وقال: «لا تقلقي، فهي لن تدوم إلى الأبد.»

تساءلت تالي عما تبقى من وقت على انبلاج الفجر؛ فبعد ساعات قليلة ستتناول وجبة الإفطار إلى جانب شاي وكروي، وكل شخص آخر كادت أن تخونه، كل شخص كاد أن يُحكَم عليه بالعملية. ارتعدت فرائصها لأنها فقط تذكرت الفكرة.

قال ديفيد وهو يرفع ذقنها براحة يده: «بالله عليك، لقد أحسنتِ الليلة، أظن أن والديّ انبهرا بك.»

– «هه؟ انبهرا بي أنا؟»

– «بالطبع يا تالي، لقد أدركتِ على الفور ما يعنيه كل هذا، فمعظم الناس لا يصدقونه في البداية. ويقولون إن السلطات لم تكن بهذه القسوة مطلقاً.»

ابتسمت تالي ابتسامة قاسية وقالت: «لا تقلق، أنا أصدقه.»

– «تماماً مثلما ظننت. لقد رأيت الكثير من أطفال المدينة يأتون إلى هنا، وأنتِ مختلفة عنهم. يمكنك أن تري العالم بوضوح، مع أنك نشأت طفلة مدللة، لهذا كان عليّ أن أخبرك، ولهذا...»

نظرت تالي في عينيه ورأت وجهه يشرق مجدداً، وهو يلمسها ويغدهقها بمشاعر جميلة كتلك التي شعرت بها من قبل.

– «ولهذا أنتِ جميلة يا تالي.»

أمام وقع هذه الكلمات على مسامعها وقعت تالي أسيرة لشعور بدوار دام لحظة، مثل شعور الانجذاب الذي يصيب المرء عندما ينظر في عيني أحد الحسان الجدد. تعجبت تالي قائلة: «أنا؟»

– «أجل.»

ضحكت تالي وهي تهز رأسها بشدة في محاولة لاستيضاح ما قاله: «ماذا تقول، كيف لي أن أكون جميلة بهاتين الشفتين الرفيعتين والعينين المتقاربتين؟»

– «تالي...»

– «وشعري المجعد، وأنفي المبتورة المتدلية إلى أسفل.»

– «لا تقولي هذا.» وأخذ يداعب بيديه وجنتها التي كانت خدوشها على وشك أن تلتئم، ثم لامس شفثيها بلمسات حانية. ومع أنها كانت تعلم كم كانت أنامله غليظة، وصلبة وخشنة كالخشب، فإن لمستها الحانية ناعمة ومترددة.

قال ديفيد: «هذا أسوأ ما فعلوه بكِ وبأي منكم. وأياً كان ما يدور حوله أمر تلف المخ برمته، فإن أسوأ ضرر قد حل بكم قبل أن يمسكوا بالمشروط الجراحي هو غسل أمخاخكم تماماً بإقناعكم بأنكم قبحاء.»

– «نحن بالفعل قبحاء، والجميع قبحاء.»

– «إذن أنتِ تعتقدين أنني قبيح؟»

حولت تالي نظرها بعيداً وقالت: «هذا سؤال لا طائل منه. الأمر لا يتعلق بالأفراد.»

- «هو حقًا كذلك يا تالي.»

- «أقصد، أن لا أحد يمكن أن يكون حقًا ... مثلما تعلم، من الناحية البيولوجية، هناك أشياء معينة جميعنا ...» تعثرت الكلمات في حلق تالي، ثم تابعت حديثها: «هل تعتقد أنني جميلة فعلاً؟»

- «أجل.»

- «أجمل من شاي؟»

تجمد كلاهما في مكانهما، وهما فاغرا الأفواه. لقد تفوهت تالي بسؤالها بسرعة قبل أن تفكر فيه. كيف لها أن تنطق بأمر مريع كهذا؟ قالت تالي: «أنا آسفة.»

هز ديفيد منكبیه، واستدار بعيدًا وقال: «إنه سؤال عادي. نعم أنا أرى ذلك.»  
- «ماذا ترى؟»

- قال ديفيد بنبرة خالية من المشاعر وكأنه يتحدث عن حالة الطقس: «أرى أنك أجمل من شاي.»

ارتخى جفنا تالي، وقد تجمع فيهما إعياء النهار كله مرة واحدة ساحقًا إياهما. رأت في خيالها وجه شاي - وهو نحيل للغاية، وذو عينين متباعدتين جدًا - وتأجج في نفسها شعور سيئ، حتى إنه سحق الدفء الذي أشعرها به ديفيد.

ففي كل يوم من حياتها كانت تهين القبحاء الآخرين، وتُهان هي أيضًا بدورها: إذ كان القبحاء بكل الحماس ودون تحفظ ينادي بعضهم بعضًا بألقاب مثل البدين، ذي عيني الخنزير، النحيل، ذي البثور، غريب الأطوار. لكنهم جميعًا كانوا يفعلون هذا بلا استثناء، من ثم لم يشعر أحد بأنه في منأى عنها بسبب سوء حظ أو طالع غير ذي صلة وقع عند ولادته. ولم يُنظر لأحد على أنه جميل أو مميز ولو حتى بدرجة طفيفة بسبب تطور عشوائي غير عشوائي في جيناته. لهذا السبب هم جعلوا الجميع حسانًا في المقام الأول.

لم يكن هذا عدلاً.

قالت تالي: «أرجوك، لا تقل هذا.»

- «أنت من سأل هذا السؤال.»

جحظت عينا تالي وقالت: «لكن هذا مريع! هذا خطأ!»

- «أصغ إلي يا تالي، ليس هذا ما يهمني، وإنما ما يهمني أكثر هو ما بداخلك.»

- «لكن وجهي هو أول ما تراه، وتتفاعل مع تناسق الملامح ودرجة لون البشرة وشكل العينين، ثم تقرر ما بداخلي بناء على كل ردود أفعالك. لقد برمجت لأن تفعل هذا!»

- «لم أبرمج. أنا لم أنشأ في مدينة.»

- «الأمر لا يتعلق بالثقافة فحسب، ولكنه يتعلق بالتطور!»

هز ديفيد منكبيه وقال بنبرة يتدفق منها الغضب وتعكس عجزه عن رد الحجة «قد يكون بعض ما قلته صحيحاً.» ثم ضحك ضحكة خيم عليها شعوره بالإجهاد واسترسل قائلاً: «لكن أتعلمين ما أول شيء جذبني إليك؟»

أخذت تالي نفساً عميقاً في محاولة لتهدئة نفسها وقالت: «ماذا؟»

- «الخدوش التي تظهر بوجهك.»

طرفت تالي بعينيها وقالت: «ماذا؟»

قال: «هذه الخدوش» ثم لمس وجنتها برقة مرة أخرى.

نفضت تالي عن ذهنها المشاعر المثيرة التي خلفتها أصابعه وقالت: «هذا جنون، فالبشرة ذات العيوب هي أمانة على ضعف الجهاز المناعي.»

ضحك ديفيد: «إنها أمانة على أنك كنتِ قد خضتِ مغامرة يا تالي، وشققت طريقك عبر البرية كي تصلي إلى هنا. ومن وجهة نظري، هي علامة على أنه كان لديك قصة جيدة لترويها.»

تلاشى غضبها وقالت: «قصة جيدة؟» هزت تالي رأسها، وبدأ الضحك يتسلل إلى داخلها ثم استرسلت قائلة: «في الواقع، لقد خُذش وجهي هناك في المدينة، عندما كنت أحلق باللوح الطائر بين الأشجار، بسرعة عالية.»

- «ومع ذلك هي تحكي قصة ما. أنتِ شخصية مغامرة حسبما تراءى لي في المرة الأولى التي رأيتكِ فيها.» ثم لف أصابعه بخصلة من شعرها المحترق وتابع حديثه قائلاً: «أنتِ ما زلتِ تواجهين المخاطر.»

قالت تالي: «أظن ذلك.» فوقفها هنا في الظلام مع ديفيد بدا وكأنه مخاطرة في حد ذاته، وكأن كل شيء قد أوشك على التغير مرة أخرى. وهو لا يزال يحتفظ بتلك النظرة في عينيه، نظرة الحسان.

لعل ديفيد يرى بالفعل ما يخفيه وجهها القبيح، فربما يهمه ما بداخلها أكثر من أي شيء آخر.



اعتلت تالي حجرًا يماثل قبضة اليد في حجمه ووجدت صعوبة في أن تحافظ على اتزان جسدها فوقه، فباتت قريبة للغاية من ديفيد وصارا الآن ينظر كل منهما في عيني الآخر.

ازدردت تالي ريقها وقالت: «هل تراني جميلة حقًا».

– «نعم، أفعالك وطريقة تفكيرك تجعلانك جميلة».

حينئذ تبادرت إلى ذهنها فكرة غريبة وقالت: «وأنا كنت سأشعر بالاستياء لو كنت قد خضعت للعملية» لم تصدق تالي أنها تفوهت بهذه الكلمات، ثم استرسلت قائلة: «أقصد، حتى لو لم يتلفوا مخك».

ابتسم ديفيد ابتسامة سطعت في الظلام وقال باندهاش: «أشكر».

قالت تالي: «لا أريدك أن تبدو مثل أي شخص آخر».

– «كنت أظن أن هذا هو الهدف من وراء التحول إلى الجمال».

– «وأنا أيضًا كنت أظن ذلك» ثم لمست الخط الأبيض الذي قطع حاجبه وسألته:

«كيف أصبت بهذا الندب؟»

أجابها: «إحدى المغامرات. إنها قصة جيدة. سأرويها لك يومًا ما».

– «أتعدني بذلك؟»

– «أعدك».

– «حسنًا» مالت تالي إلى الأمام فوقع عليه ثقل جسدها، ولما انزلت قدمها

تدريجياً من على الحجر التقت شفتاهما، فطوقها ديفيد بذراعيه وجذبها نحوه، وكان

جسده دافئاً في البرد الذي ساد المكان قبل بزوغ الفجر، وشكل جسده شيئاً راسخاً

وحقيقياً في واقع تالي المضطرب. عانقته تالي بشدة، والذهول يغمرها من شدة القبلة

التي جمعتها.

بعد لحظة دفعت تالي جسدها بعيداً عنه لتلتقط أنفاسها، وهي تفكر لوهلة

في غرابة ما حدث؛ فالحقبةاء يتبادلون القبلة، بل ويجمعهم أكثر من ذلك، لكنهم

كانوا يشعرون دومًا بأن كل هذا لا يُعتد به حتى يصير المرء جميلاً.

لكن ما جرى بينهما كان أمرًا يُعتد به.

جذبت تالي ديفيد نحوها مرة أخرى، وغاصت أصابعها في جلد معطفه؛ حيث

ساهمت برودة الجو، وعضلاتها التي تنتفض ألمًا، والحقيقة المريعة التي عرفتتها

لتوها في ازدياد هذا الشعور الذي غلبها قوة.

وعندئذ لامست يده مؤخرة عنقها وتحسس القلادة الرفيعة التي التفت حول عنقها حتى وصل إلى الحلية الباردة المعدنية الثقيلة التي تدلت منها. تصلب جسد تالي، وانفصلت شفثاهما.

قال ديفيد: «ماذا عن هذه؟»

أطبقت تالي بيدها على القلب المعدني بينما كان ذراعها الآخر لا يزال يطوق جسده. لقد كان من المستحيل أن تخبر تالي ديفيد عن الدكتوراة كابل الآن، فربما كان سيبتعد عنها، ربما إلى الأبد. تلك القلادة كانت لا تزال تقف حائلاً بينهما.

وفجأة التمعت فكرة في ذهن تالي، لقد كانت فكرة رائعة. قالت تالي: «اتبعني.»

– «إلى أين؟»

– «إلى منطقة الضباب، لا بد أن أريك شيئاً ما.»

جذبه إلى أعلى المنحدر، مندفعين بسرعة حتى وصلا إلى قمة الجبل.

سألها ديفيد لاهتاً: «هل أنت بخير؟ أنا لم أقصد أن ...»

– «أنا بخير تماماً.» وابتسمت له ابتسامة عريضة ثم حدقت أسفل إلى منطقة

الضباب؛ حيث كانت هناك نيران مخيم مضطربة بالقرب من مركز المدينة، اجتمع عندها أفراد الحراسة الليلية للتدفئة. قالت تالي: «هيا بنا.»

فجأة بدا وصولها إلى هناك سريعاً أمراً غاية في الأهمية، قبل أن يزول يقينها بالأمر، وقبل أن يفسح الإحساس الدافئ بداخلها مجالاً للشكوك التي توارقها. هرولت إلى أسفل بين الأحجار المطلية الخاصة بمسار الألواح الطائفة، وبذل ديفيد قصارى جهده كي يلحق بها. وعندما وطئت قدمها الأرض المستوية ركضت غير مبالية بالظلام والأكواخ التي يغلفها السكون على جانبي الطريق، فلا ترى أمامها سوى ضوء ألسنة اللهب. كانت تسرع بلا عناء وكأنها تحلق بلوح طائر في طريق مستقيم مفتوح.

ركضت تالي حتى بلغت النيران، ووقفت فجأة أمام هالة الدخان والحرارة التي

أحاطت بها، ثم مدت يدها لأعلى كي تنزع عنها القلادة.

ركض ديفيد وراءها لاهتاً ثم صاح والحيرة تلعو وجهه: «تالي؟» وحاول أن

ينطق بالمزيد وهو يلهث.

قالت: «لا، انظر فحسب.»

تأرجحت الحلية بقلادتها في قبضة يدها، وهي تتوهج باللون الأحمر في ضوء

النيران، وصبت تالي عليها كل شكوكها وكل مخاوفها من أن ينفضح أمر منطقة

الضباب، وكذلك رعبها من تهديدات الدكتوراة كابل. أحكمت تالي قبضتها على القلادة، وأخذت تضغط على المعدن الصلب حتى تألمت عضلاتها، وكأنها تجبر ذهنها على التفكير في الحقيقة غير المطروحة للتفكير وهي أنها ربما تظل فعلاً قبيحة إلى الأبد. لكن بطريقة ما، قد تكون غير قبيحة بالمرّة.

فتحت تالي يدها وألقت بالقلادة في منتصف النيران.

وعلى قطعة من الحطب تطقطع من النيران استقرت القلادة، فاحترق القلب وتحول لونه في لحظة إلى اللون الأسود ثم تبدل تدريجياً إلى اللون الأصفر والأبيض وسط سخونة النيران. وأخيراً، انطلق صوت طقطقة خفيض من داخلها، وكأن شيئاً كان محتجزاً بالداخل قد انفجر، ثم انزلت القلادة من على قطعة الحطب واختفت بين ألسنة اللهب.

التفتت تالي نحو ديفيد، وقد شابت رؤيتها ومضات تتلوى علقت بعينيها بسبب تحديقها في النيران. سعل ديفيد من الدخان وقال: «كان هذا مثيراً.»

شعرت تالي فجأة بحماقتها وقالت: «نعم، أظن ذلك.»

دنا ديفيد منها وقال: «لقد قصدت أن تفعل ذلك حقاً. أياً كان الشخص الذي أعطاك إياها...»

– «لم يعد أمره يهم بعد الآن.»

– «ماذا لو جاءوا إلى هنا؟»

– «لن يأتي أحد، أنا على يقين من هذا.»

ابتسم ديفيد وحضن تالي، وهو يجذبها بعيداً عن حافة النار وقال: «حسنًا يا تالي يانج بلود. أنت بالطبع تعرفين كيف تثبتين ما تريدونه. كان يكفي أن تخبريني فحسب وكنت سأصدقك.»

– «لا، كان لا بدّ أن أفعلها بهذه الطريقة، كان لا بدّ أن أحرقتها؛ لتعرف يقيناً.»

قبّل ديفيد جبينها ثم ابتسم وقال: «أنت جميلة.»

همست تالي قائلة: «عندما تقول هذا، أكاد...»

فجأة اجتاح تالي شعور شديد بالإعياء، وكأن آخر ما تبقى من طاقتها قد التهمته النيران مع القلادة. لقد تعبت من الركض الشديد، والليلة الطويلة التي قضتها مع مادي وآز، والعمل الشاق طوال النهار. وغداً سيكون عليها أن تواجه شاي مرة أخرى، وتشرح ما دار بينها وبين ديفيد. وبالطبع، ما إن تلاحظ شاي أن القلادة قد اختفت من عنق تالي، حتى تعرف ما جرى.

لكنها لن تعرف الحقيقة على الأقل، فالقلادة تفحمت حتى إنه لا يمكن التعرف عليها، ودفن الغرض الحقيقي من وجودها إلى الأبد. انهارت تالي بين يدي ديفيد وأغمضت عينيها، وتراءت أمام عينيها صورة القلب المتقد.

لقد صارت حرة، ولن تستطيع دكتورة كابل مطلقاً أن تأتي إلى هنا الآن، ولن يستطيع أحد أبداً أن يأخذها بعيداً عن ديفيد أو منطقة الضباب، أو يمس مخها أيّاً كان ما تحدّثه عملية التجميل للحسان. لم تعد جاسوسة. أخيراً صارت تنتمي إلى هذا المكان.

شعرت تالي بها.

قادها ديفيد في صمت حتى وصل بها إلى مبيتها. ولما مال ليقبلها عند الباب، ابتعدت عنه وهزت رأسها بالرفض؛ إذ كانت شاي بالداخل، وسيتعين على تالي أن تتحدّث إليها في الغد، لن يكون الأمر هيئاً، لكنها علمت أنها تستطيع الآن أن تواجه أي شيء.

أوماً ديفيد برأسه، وقبل إصبعه ثم تحسس آثار أحد الخدوش بعنقها، وهمس قائلاً: «أراك غداً.»

– «أين ستذهب؟»

– «سأسير قليلاً، أنا بحاجة للتفكير.»

– «ألا تنام أبداً؟»

ابتسم وقال: «ليس الليلة.»

قبلت تالي يده ثم تسللت إلى الداخل، حيث ركلت حذاءها وزحفت إلى فراشها دون أن تخلع ملابسها وفي غضون ثوان قليلة راحت في سبات عميق وكأن حمل العالم قد رفع عن كاهلها.

في الصباح التالي استيقظت تالي على أصوات فوضى، وأصوات ركض وصراخ وجلبة الماكينات الدائرة التي غزت أحلامها. وخارج نافذة المبيت، كانت السماء مليئة بالعربات الطائرة.

لقد وصلت السلطات الخاصة.

الجزء الثالث

## إلى النيران

الجمال هو رأس الإلهة ميدوسا  
الذي تسلح الرجال للسعي وراءه وقطعه.  
هي أفعى مميتة حينما قضت على معظمهم  
ومنها سيحرق الموت بهم ويهددهم إلى الأبد.

أرشيبالد ماكليش — قصيدة الجمال



## الفصل الثالث والثلاثون

# الغزو

استدارت تالي لتتظر حولها ولم تر شيئاً سوى أسرة خالية. لقد كانت وحدها في المبيت.

هزت رأسها التي كانت مشوشة من النوم وعدم القدرة على تصديق ما يدور حولها. شعرت تالي بالأرض ترتجف تحت قدميها العاريتين، والمبيت يرتعد من حولها. وفجأة تحطمت الإطارات البلاستيكية بإحدى النوافذ، واندفعت إلى الداخل الجلبة الصاخبة بالخارج التي كانت تكتمها الإطارات البلاستيكية لتصم أذنيها. وكان المبنى بأكمله يهتز وكأنه سينهار.

أين الجميع؟ هل فروا بالفعل من منطقة الضباب، تاركين إياها هناك لتواجه الغزو بمفردها؟

ركضت تالي نحو الباب وفتحته باندفاع، لتجد أمامها عربة طائرة تهبط على الأرض، وتعمي عينيها لحظة بالتراب الذي أثارته وغطى وجهها بالكامل. أدركت تالي أن الماكينة الطائرة تشبه العربات الطائرة قاسية الشكل، من ذكري عربة السلطات الخاصة التي أقلتها من قبل لمقابلة دكتورة كابل. لكن هذه الماكينة الطائرة كانت مزودة بأربع ريش — كل واحدة تستقر مكان عجلة من عجلات العربات الأرضية — لقد كانت هذه الماكينة مزيجا بين العربات الطائرة العادية ومروحية حراس الغابة.

أدركت تالي أن هذه العربات يمكنها أن تسافر إلى أي مكان، داخل المدينة أو خارجها في البرية. وتذكرت كلمات دكتورة كابل: سنكون هناك في غضون ساعات قلائل. نفضت تالي الفكرة عن ذهنها فلا يمكن أن يكون لهذا الهجوم أي صلة بها. اصطدمت العربة الطائرة بالأرض الترابية بصوت مكتوم. ولكن لم يكن هذا بالوقت الملائم كي تقف هناك وتتساءل عما يجري، فاستدارت تالي وركضت.

كان المخيم في فوضى عارمة انتشر فيها الدخان والأشخاص الهاربون. لقد تطايرت نيران الطهي، وأضرمت الجمرات النيران في كل الأرجاء، واشتعلت النيران في اثنين من المباني الكبيرة بالمخيم، وفر الدجاج والأرانب تحت الأقدام، والتفت الأتربة والرماد في زواجع ثائرة، وهول عشرات من الضبايين، بعضهم يحاولون أن يطفئوا النيران، والبعض الآخر يحاولون الفرار، وآخرون مذعورون فحسب.

ووسط كل هذا كان الحسان ذوو الملامح القاسية يتحركون، كانوا يملون بزيتهم رمادي اللون كالظلال العابرة عبر هذه الفوضى، وهم يتحركون برشاقة وتأن وكأنهم غير مدركين للفوضى التي تكتنفهم. شرعوا في قمع الضبايين المذعورين، وكانوا يتحركون بلا هدف، دون أن يكون في حوزتهم أي أسلحة تستطيع تالي رؤيتها، تاركين الجميع في أعقابهم مستلقين على الأرض مقيدين في ذهول.

كانوا يتمتعون بسرعة وقوة تفوق قدرات البشر. فالعملية الجراحية التي تُجرى خصوصاً لأفراد السلطات الخاصة كانت تدمهم بما يفوق الوجوه المريعة بكثير.

وبالقرب من قاعة الطعام، كان هناك ما يقرب من أربعة وعشرين ضبايياً يقيمون حائطاً دفاعياً ويمسكون بعدد قليل من أفراد السلطات الخاصة مستعينين بالفئوس وبعض الأدوات التي استخدموها مؤقتاً ككراوات. شقت تالي طريقها، وعلى نحو غير لائق استنشقت رائحة طعام الإفطار وسط السديم الخانق للضباب، فتقلبت معدتها وأصدرت أصواتاً تنم عن شدة جوعها.

وأدركت تالي أن النوم كان قد غلبها أثناء نداء الإفطار؛ إذ كانت متعبة بشدة حتى إنها لم تستطع أن تنهض من النوم مع الباقيين. لا بدّ أن أفراد السلطات الخاصة قد انتظروا حتى تجمع معظم الضبايين في قاعة الطعام قبل شن غارتهم.

بالطبع أرادوا أن يأسروا أكبر عدد ممكن من الضبايين مرة واحدة. لم يهاجم أفراد السلطات الخاصة المجموعة الكبيرة الموجودة بقاعة الطعام، وإنما كانوا ينتظرون بصبر وهم يحيطون بالمبنى إلى أن تزايدت أعدادهم عبر المزيد من العربات الطائرة التي كانت تهبط كل دقيقة. وإن حاول أي شخص أن يعبر هذا الحصار، كانوا يتصرفون بسرعة؛ وكانوا ينزعون أسلحة من يجرؤ على الهرب ويشلون حركته. لكن معظم الضبايين كانوا مصعوقين حتى إنهم لم يستطيعوا المقاومة، فلقد شلت حركتهم من وقع منظر الوجوه المرعبة لأعدائهم، فحتى هنا في هذا المكان لم يسبق لمعظم الناس أن رأوا أحدًا من الحسان ذوي الملامح القاسية.



التصقت تالي بجدار أحد المباني في محاولة للاختفاء إلى جانب كومة من الحطب، وأخذت تبحث عن طريق للهرب، لكن لم يكن هناك طريق مؤد إلى مركز منطقة الضباب، حيث كانت تضع لوحها الطائر على سطح المركز التجاري الفسيح كي يحصل على شحنات كهربائية من أشعة الشمس. كانت الغابة هي المخرج الوحيد. كانت هناك بقعة ممتدة من الأشجار غير المقطوعة عند أقرب حافة للمدينة، والوصول إليها لا يحتاج أكثر من عشرين ثانية تقطعها ركضًا، لكن ثمة امرأة من أفراد السلطات الخاصة تقف بينها وبين حافة الأشجار الكثيفة والأجمة، تنتظر كي تعترض طريق أي من الضبابيين المنتشرين في الأرجاء. كانت عينا المرأة تمسحان الطريق إلى الغابة، ورأسها تتحرك من جانب لآخر بحركة منتظمة على نحو غريب، مثل متفرج يشاهد بشغف مباراة تنس تسير بإيقاع بطيء.

زحفت تالي مسافة أكثر لتصير أكثر قربًا منها وهي لا تزال تخفي نفسها بالمبنى. ولما مرت عربة طائرة فوقها، تسببت في هبوب عاصفة عنيفة من التراب ونشارة الخشب ودخولها في عينيها.

وعندما صار باستطاعة تالي أن ترى مجددًا، وجدت رجلًا قبيحًا طاعنًا في السن يزحف إلى جانبها بجانب الجدار.

همس الرجل قائلًا: «مرحبًا!»

تعرفت تالي على صاحب ملامح الوجه المتهدلة، وتعبير الوجه القاسي. إنه الرئيس.

قال بصوت أجش اخترق صخب الغارة: «نحن في ورطة يا أنستي.»

نظرت تالي ناحية المرأة المنتظرة وقالت: «نعم، أعلم.»

عج الهواء بدوي عربة طائرة أخرى حلقت فوقهما، فجذبها الرئيس حول المبنى وشدها إلى أسفل وراء برميل كان يستخدم لجمع مياه الأمطار من المزاريب.

وبابتسامة عريضة كشفت عن سقوط إحدى أسنانه قال الرجل: «هل لاحظتها

أنتِ أيضًا؟ ربما إذا ركض أحدنا فسينجو؛ إذا اختلق الآخر شجارًا.»

ازدردت تالي ريقها وقالت: «أظن ذلك.» ثم حدقت في المرأة التي كانت تقف

بهدوء وكأنها عجوز تنتظر قاربًا من قوارب الترفيه. أردفت تالي قائلة: «لكنهم يركضون بسرعة شديدة.»

– «ليس ذلك حتميًا.» ثم أنزل حقيبته المصنوعة من الصوف عن كتفه وقال:

«هناك شيئان أحفظ بهما للطوارئ.»

فتح الرئيس الحقيبة وأخرج وعاءً بلاستيكيًا يتسع بشكل كاف للاحتفاظ بساندويتش وقال: «هذا واحد منها.» ثم فتح إحدى زوايا الغطاء العلوي لهذا الوعاء، فانبثقت منه نفخة من تراب وردي اللون. بعدها بلحظة، شعرت تالي بموجة من الالتهابات تجتاح رأسها. فغطت وجهها ودمعت عيناها وحاولت أن تسعل الرائحة اللاذعة التي زحفت إلى حلقها.

ضحك الرئيس وقال: «لا بأس به، أليس كذلك؟ هذا فلفل هابانيرو نقي مجفف ومطحون إلى مسحوق ناعم. وهو جيد إلى حد ما عند تناوله مع الفول، لكنه جسيم لعينيك.»

طرفت عينا تالي بعيدًا حتى تتخلص من دموعها واستطاعت أن تتكلم بشق النفس وقالت: «أجنتت؟»

قال الرجل: «الشيء الثاني هو هذه الحقيبة التي تحتوي على عينة نموذجية تصور مائتي سنة من الثقافة المرئية لعهد سكان العصر القديم. إنها إحدى روائع الأعمال الفنية للإنسان التي لا تقدر بثمن والتي لا يعوض عنها شيء. إذن أي منهما تريدين؟»

– «هه؟»

– «أتريدين الحصول على فلفل الهابانيرو، أم حقيبة المجلات؟ أتريدين أن يُقبض عليكِ وأنت تقاتلين صديقتنا من أفراد السلطات الخاصة؟ أم أن تحفظي قطعة نفيسة من التراث البشري من أولئك البرابرة؟»

سعلت تالي مرة أخرى وقالت: «أظنني ... أريد الهروب.»

ابتسم الرئيس وقال: «حسنًا، لقد سئمت الركض، وسئمت فقد شعري أيضًا، وقصر نظري. لقد أديت رسالتي، وأنتِ تبدين سريعة إلى حد ما.» أعطاهما الرجل الحقيبة المصنوعة من الصوف. لقد كانت ثقيلة للغاية لكن تالي زادت قوةً منذ أن وصلت منطقة الضباب، فوزن المجلات لا شيء مقارنة بوزن الخردة المعدنية.

استرجعت تالي في ذاكرتها ذكرى أول يوم لوصولها إلى هناك، إذ رأت مجلة لأول مرة في حياتها في المكتبة، وأدركت كيف بدت البشرية قديمًا. لقد أعيتها الصور في يومها الأول، والآن ها هي نبي مستعدة لأن تنقذها.

قال الرئيس: «إليك الخطة: أذهب أنا أولاً وعندما تقبض المرأة عليّ، فسألقي بالفلفل في وجهها. وأنت تركضين في الحال بسرعة ولا تنظرين إلى الوراء. أفهمت؟»

- «نعم.»

- «إذا حالفنا الحظ، قد ينجح كلانا. ومع ذلك أنا لا أمانع الخضوع لعملية جراحية تجميلية. هل أنت مستعدة؟»

شدت تالي الحقيبة إلى أعلى على كتفها وقالت: «هيا بنا.»

قال الرئيس: «واحد ... اثنان ...» ثم توقف وقال: «آه، يا عزيزتي. هناك مشكلة ما يا أنستي.»

- «ما هي؟»

- «لست ترتدين حذاءً.»

نظرت تالي إلى أسفل؛ فوسط حيرتها سارت تالي باضطراب إلى خارج المبيت وهي حافية القدمين. وكان من السهل عليها المشي بهما على أرض منطقة الضباب المقدسة بالأتربة، لكن في الغابة ...

- «لن تستطيعي أن تركضي مسافة عشرة أمتار يا صغيرتي.»

شد الرئيس الحقيبة الصوف منها وأعطاهم الوعاء البلاستيكي وقال لها: «انطلقى الآن.»

قالت تالي: «لكنني ... لا أريد العودة إلى المدينة.»

- «نعم يا أنستي، وأنا لا أمانع الحصول على بعض الرعاية الطبية لأسناني، لكن علينا جميعًا أن نقوم ببعض التضحيات. ابدئي الآن!» وبينما كان ينطق كلمته الأخيرة دفعها بقوة من وراء البرميل.

سارت تعثرت تالي للأمام، وصارت مكشوفة في منتصف الشارع بلا حماية مطلقًا وبدا صوت دوي إحدى العربات الطائرة فوقها وكأن العربة فوقها مباشرة، فسارعت تلقائيًا إلى الغابة.

استدارت المرأة ناحية تالي، ثم طوت ذراعيها في هدوء، وعبس وجهها وكأنها معلمة ضبطت صغارًا يلعبون حيث لا ينبغي لهم أن يلعبوا.

تساءلت تالي عما إذا كان الفلفل يمكن أن يؤثر في المرأة، فلو فعل الفلفل بالمرأة ما فعله بتالي، ربما لا يزال بمقدورها أن تشق طريقها نحو الغابة، حتى لو كان من المفترض أن تصير هي الطعام، وحتى وإن كانت حافية القدمين.

وحتى لو اتضح أن ديفيد قد قبض عليه بالفعل ولن تراه مرة أخرى ...

أطلقت هذه الفكرة موجة عارمة من الغضب بداخلها، وركضت نحو المرأة مباشرة وهي ممسكة بالوعاء بكلتا يديها.

ارتسمت ابتسامة على وجه المرأة ذات الملامح القاسية.

وقبل أقل من ثانية على اصطدامهما، اختفت المرأة التابعة للسلطات الخاصة، وتوارت عن النظر كالعملة في يد الساحر. حينئذٍ شعرت تالي في خطواتها التالية أن شيئاً صلباً يلتصق بقصبة رجلها وألم يتدافع بسرعة إلى قدمها، ثم تعثرت، فبسطت يديها كي تقلل من حدة سقطتها، وفلت الوعاء من قبضة يدها.

ارتطمت تالي بالأرض بشدة، وسقطت على راحتي يديها، وبينما كانت تتدحرج في الأتربة، لمحت المرأة وهي جاثمة وراءها. فالمرأة بسهولة انحنت بسرعة كبيرة لا يمكن رؤيتها، فتعثرت تالي فوقها كصغيرة حمقاء تشتبك في شجار.

وبعد أن هزت تالي رأسها وبصقت الأتربة من فمها، رأت الوعاء بعيداً عن متناول يدها. فزحفت نحوه، لكن انهار ثقل شديد للغاية عليها فجأة، ودفع بوجهها نحو الأرض. وشعرت بالمرأة وهي تشد معصمها إلى وراء ظهرها وتكبلهما بالقيود، فشعرت بأصفاة بلاستيكية تكبلها بعنف. قاومت تالي لكنها لم تقو على الحراك.

عندئذٍ زال من فوقها الثقل المريع، وبدفعة صغيرة من حذاء المرأة عالي الساق قلبت المرأة تالي على ظهرها بلا عناء، ثم وقفت عند رأسها وهي تبتسم ابتسامة فاترة، ممسكة بالوعاء. قالت المرأة التي تتمتع بجمال قاس: «والآن أيتها القبيحة، كل ما عليك هو أن تهدئي. نحن لا نريد أن تؤذيكي، لكننا سنفعل إن اضطررنا إلى ذلك.»

همت تالي بالحديث لكن شدة الألم أطبقت فكيتها معاً بإحكام، فقد ارتطما بالأرض عندما سقطت.

سألته المرأة وهي تهز الوعاء وتحاول أن تنعم النظر عبر مادته البلاستيكية نصف الشفافة: «ما الذي يجعل هذا الشيء مهماً للغاية هكذا؟» ومن طرف عينيها لمحت تالي الرئيس وهو يشق طريقه نحو الغابة. كان يركض ركضاً بطيئاً بشق النفس؛ فقد كانت الحقيبة ثقيلة عليه للغاية.

قالت تالي بألم: «افتحها وانظري.»

ردت المرأة وهي لا تزال تبتسم: «سأفعل، لكن الأولوية للأشياء الأهم.» واستدارت المرأة نحو الرئيس، وفجأة تحولت في هيئتها إلى هيئة تماثل الحيوان المفترس، لقد جثمت والتفتت ناحيته مثل قطة تتأهب للقفز.

استدارت تالي للوراء مستندة إلى كتفيها، وهي تضرب بقدميها ضرباً عنيفاً، فركلت الوعاء ففتح واندفع منه مسحوق لونه أخضر مائل إلى البني تبعثر على المرأة التابعة للسلطات الخاصة.

للحظة، اعتلى الذهول وجه المرأة، وأصدرت أصواتاً مكتومة، وارتعد جسدها بأكمله، ثم أغمضت عينيها بشدة وأحكمت قبضة يدها وصرخت.

لم يكن صوتها صوتاً بشرياً، قد وقع على أذني تالي كصوت المنشار الهزاز وهو يخترق المعدن، وصارعت كل عضلة في جسد تالي كي تتخلص من الأصفاذ بينما كانت رغباتها الفطرية تطالبها بسد أذنيها. وبركلة عنيفة أخرى، تمكنت من قلب نفسها، وتعثرت حتى وقفت على قدميها وأخذت تترنح باتجاه الغابة.

شعرت تالي بوخز خفيف في حلقها إذ انتشر مسحوق الفلفل مع الريح. وأخذت تسعل وهي تعدو، واغرورقت عيناها بالدموع وهما تشعران بالألم حتى كادت أن تصاب بالعمى. ولما كانت يداها موثقتين خلف ظهرها، ركضت مترنحة نحو الأجمة فاقدة التوازن، وسقطت بسرعة على الأرض حينما تعثرت قدمها العاريتان في شيء ما وسط الخضرة الكثيفة.

ناضلت من أجل التحرك إلى الأمام في محاولة لمواراة نفسها بعيداً عن الأنظار. أغمضت تالي عينيها كي تتخلص من دموعها، وأدركت أن الصرخة غير البشرية التي أطلقتها المرأة ما هي إلا إنذار، وقد استجاب لها ثلاثة آخرون من الحسان ذوي الملامح القاسية، فأخذ أحدهم بيد المرأة التي يغشيها الفلفل وقادها وهو مبتعد عنها على نحو ذراع، أما الاثنان الآخران فقد قصدا الغابة.

تجمدت تالي في مكانها، فالأجمة تكاد تخفيها. بعدئذ شعرت بوخز خفيف في حلقها محدثاً هياجاً يزداد تدريجياً. كتمت تالي أنفاسها وأغمضت عينيها، لكن صدرها أخذ يرتجف، وجسدها ينتفض، في حاجة لأن تطرد آثار الفلفل من رتتيها.

كان لا بد أن تسعل.

لكنها أخذت تزرد ريقها مراراً وتكراراً على أمل أن يقضي اللعاب على التهاب حلقها. كانت رتتاها في حاجة إلى الأكسجين، لكنها لم تجرؤ على التنفس، فقد كان أحد فردي السلطات الخاصة على بعد مرمى حجر منها، يمسح الغابة بعينيها، وعيناه تبحثان في الأشجار الكثيفة.

وبالتدرّيج وبعناء شديد، بدأ الالتهاب يضمحل داخل صدر تالي، وأخذ السعال يتلاشى تدريجياً. استرخت تالي، وأخيراً أطلقت أنفاسها.

ورغم صوت الرعد الشديد الصادر عن العربات الطائرة وصوت طقطقة المباني المحترقة وصخب العراك الدائر، سمع الرجل زفيرها الهادئ. استدار رأس الرجل بسرعة وضاعت عيناه، وفيما بدأ كحركة واحدة، وقف إلى جانبها واضعاً يده على مؤخرة رأسها وقال: «يا لك من مخادعة.»

حاولت أن تجيبه، لكن انتهى بها الحال وهي تسعل بشدة، ودفع هو بدوره رأسها في الطين قبل أن تتمكن من التقاط نفسها التالي.

## حظيرة الأرانب

قادوها إلى حظيرة الأرانب حيث قبع حوالي أربعين ضبابياً مصفدين بالأغلال داخل السور المصنوع من الأسلاك، وأحاط بهم سياج بشري ضم ما يقرب من اثني عشر فرداً من السلطات الخاصة، يراقبون أسراهم بوجوه اعتلتها تعبيرات خاوية. وعند مدخل الحظيرة كان هناك عدد قليل من الأرانب تتقفز بلا هدف في حيرة من إطلاق سراحها المفاجئ.

قاد الرجل الذي ألقى القبض على تالي أسيرته إلى الطرف البعيد عن البوابة، حيث تكسدت عدد قليل من الضبابيين كانت الدماء تنزف من أنوفهم، وتكسو الكدمات عيونهم.

قال الرجل لاثنين من الحسان ذوي الملامح القاسية اللذين كانا يحرسان هذا الطرف من الحظيرة: «هذه مُقاومة مسلحة.» ثم دفعها بقوة على الأرض وسط الآخرين.

تعثرت تالي وسقطت على ظهرها، فضغطت الأغلال بشدة على رسيها بسبب ثقل جسمها الذي ارتمى على الأرض. وبينما كانت تبذل قصارى جهدها كي تستدير لتنهض، وجدت قدمًا تستقر أسفل ظهرها وتدفعها إلى أعلى. ظنت تالي لحظة أنه حذاء أحد أفراد السلطات الخاصة، لكنه كان حذاء أحد الضبابيين الآخرين حاول أن يساعدها على النهوض بالطريقة الوحيدة التي استطاع بها أن يقدم العون، فتمكنت من أن تجلس جلسة القرفصاء.

ابتسم الضبابيون المجروحون من حولها بتجهم، وهم يومئون برءوسهم تعبيراً عن تقديرهم لشجاعته.

همس أحدهم بصوت غاضب: «تالي.»

اجتهدت تالي كي تلتفت إلى مصدر الصوت. إنه كروي وقد برز على وجهه جرح فوق عينيه أسال الدماء على وجنته، وكست الأتربة والوحل أحد جانبي وجهه. دفع كروي نفسه بسرعة بالقرب منها وقال: «أنت قاومتهم، أليس كذلك؟ يا للهول! أعتقد أنني أسأت الظن بك.»

لم يكن بوسع تالي سوى أن تسعل، حيث بدا أن آثار الفلفل المجفف ما زالت عالقة برئتيها كجمرات النار التي لا تخبو، وكانت عيناها لا تزالان تذرفان الدمع. قال كروي: «لاحظت أنك كنت نائمة أثناء نداء الإفطار هذا الصباح. وبعدها عندما جاءت السلطات الخاصة، ظننت أنك اخترت الوقت المناسب تمامًا كي تختفي.» هزت تالي رأسها وأجبرت الكلمات على الخروج عبر نيران الالتهاب المشتعلة بحلقها وقالت: «كل ما هنالك هو أنني كنت مع ديفيد بالخارج حتى وقت متأخر.» وتألم فكها الموجوع بعد محاولتها التحدث بهذه الكلمات.

عبس وجه كروي ثم قال: «لم أره على الإطلاق هذا الصباح.»

طرفت تالي بعينيهما وأزاحت دموعها وقالت: «حقًا؟ لعله هرب.»

أشار كروي بذقنه نحو بوابة الحظيرة وقال: «لا أظن أن أحدًا استطاع الهرب.» وفي تلك الأثناء، كانت هناك مجموعة كبيرة من الضبايين قادمة تحرسها فرقة من السلطات الخاصة. ومن بين هؤلاء الوافدين الجدد تعرفت تالي على وجوه البعض إذ كان من بينهم عدد من الذين كانوا يشكلون حائطًا دفاعيًا عند قاعة الطعام.

قال كروي: «هم يطهرون المنطقة الآن.»

– «هل رأيت شاي؟»

هز كروي منكبيه وقال: «لقد كانت موجودة أثناء وجبة الإفطار عندما شنوا

هجومهم لكنني فقدت أثرها.»

– «وماذا عن الرئيس؟»

نظر كروي حوله وقال: «لم أره.»

– «أظنه هرب، لقد هربنا معًا.»

ارتسمت ابتسامة عابسة على وجه كروي وقال: «لطالما كان يقول إنه لا يمانع

إذا ألقى القبض عليه، وكان يقول إنه لا يمانع الخضوع لعملية تجميل.»

أجبرت تالي نفسها على الابتسام، لكنها عندئذ تذكرت تلف المخ الذي يصاحب عملية التجميل فاقشعر بدنهما، وتساءلت في نفسها عن يعلم من أولئك الأسرى عما سيحل بهم فعلاً.



قالت تالي: «أجل، لقد كان الرئيس عاجزاً على أن يضحى بنفسه كي يساعدني على الهرب لكنني لم أستطع أن أشق طريقي عبر الغابة.»  
- «ولماذا لم تستطعي ذلك؟»

حركت تالي أصابع قدميها وقالت: «لم يكن لدي حذاء.»  
رفع كروي حاجبه وقال: «لم تحسني اختيار اليوم الذي تنامي فيه حتى وقت متأخر.»

- «أظن ذلك.»

وخارج حظيرة الأرناب المكتظة بالضبابيين، كان الحراس ينظمون الوافدين الجدد في مجموعات. وتحرك اثنتان من أفراد السلطات الخاصة بداخل الحظيرة تسلطان قارئاً لبصمات العين على أعين الضبابيين المكبلين بالقيود، ويسحبانهم إلى الخارج واحدًا تلو الآخر.

قال كروي: «لا بدّ أنهما تفرزان الأشخاص تبعاً لمدنهم.»

- «لماذا؟»

قال بفتور: «لتأخذانا إلى الوطن.»

كررت تالي الكلمة في أعقابه: «الوطن.» فلم يتغير مفهوم هذه الكلمة في ذهنها إلا في الليلة المنصرمة فحسب، وأصبح وطنها الحقيقي الآن مدمراً، فهو يحيط بها الآن كأنقاض تحترق ويُجرى الاستيلاء عليه.

مسحت تالي بعينيها كل الأسرى بحثاً عن شاي وديفيد. وبدت لها الوجوه المألوفة لها بين الحشد المجتمع وجوهاً شاحبة وموحلة أضنتها الصدمة والهزيمة، لكن تالي أدركت أنها لم تعد تنظر إليها باعتبارها وجوهاً قبيحة. فما بات يهولها الآن هو التعبيرات الفاترة التي تكسو وجوه أفراد السلطات الخاصة مع أنهم كانوا حسائاً.

حينئذ وقعت جلبة استرعت انتباهها؛ إذ دخل ثلاثة من الغزاة عبر الحظيرة وهم يحملون شخصاً مقاوماً موثق اليدين والقدمين، وساروا به مباشرة باتجاه ركن المقاومين، وألقوا به على الأرض،  
لقد كانت شاي.

- «راقبا هذه جيداً.»

حدق فردا السلطات الخاصة اللذان كانا يحرسانهم في الفتاة التي كانت لا تزال تتلوى ألماً، وسأل أحدهما: «هل هي مقاومة مسلحة؟»

ساد الصمت لحظة، ورأت تالي أن أحد أفراد السلطات الخاصة كان لديه جرح يشوه وجهه الجميل.

رد الرجل: «غير مسلحة لكنها خطيرة».

ترك الرجال الثلاثة أسيرتهم، وقد امتزجت خفة حركتهم بشيء من التعجل.

همس كروي قائلاً: «شاي!»

استدارت شاي ناحيته، وقد تلون وجهها باللون الأحمر بسبب الدماء، وكانت شفتاها منتفختين وتنزفان. بصقت شاي على الأرض لعاباً تبدل إلى سائل دموي غروي من فمها.

تمالكت شاي نفسها لتجيبه بلسان ثقيل: «كروي».

عندئذ وقعت عيناها على تالي.

– «أنت!»

همّ كروي بالكلام: «شاي...»

قاطعته شاي وجسدها كله يتلوى من الألم كثعبان يتلوى عند موته: «أنت من

فعل هذا! ألم تكتفي بسرقة حبيبي؟ أكان لا بدّ أن تخوني الضبابيين كلهم!»

أغمضت تالي عينيها وهزت رأسها. لا يمكن أن يكون هذا حقيقياً، فقد دمرت

القلادة والتهمتتها النيران تماماً.

قال كروي: «شاي! اهدئي. انظري إليها، لقد قاومتهم».

– «هل أنت أعمى يا كروي، انظر حولك! هي من فعل هذا!»

أخذت تالي نفساً عميقاً وأجبرت نفسها على النظر إلى شاي؛ فكانت عينا صديقتها

تتقدان بالكراهية.

قالت تالي: «أقسم لك يا شاي، أنا لم أفعل هذا، قط لم أفعل...» ثم كسا التردد

صوتها.

– «من غيرك قادهم إلى هنا؟»

– «لا أعرف».

قال كروي: «لا يمكن أن يلوم بعضنا بعضاً يا شاي. ربما وصلوا إلينا عن

طريق القمر الصناعي، أو عن طريق بعثة استكشافية كانت تقتفي أثرنا.»

قالت شاي: «أو عن طريق جاسوسة.»

صاح كروي: «هل من الممكن أن تنظري إليها يا شاي؟ إنها موثقة بالقيود

مثلنا جميعاً. لقد قاومت!»

أغمضت شاي عينيها بقوة وهزت رأسها.

وصل فردا السلطات الخاصة اللتان كانتا تحملان قارئ بصمات العين إلى ركن المقاومين بالحظيرة، ووقفت إحدهما بعيداً عنهم في حين تقدمت الأخرى بحذر وقالت: «نحن لا نريد أن تؤذيكم لكننا سنفعل إن اضطررنا لذلك.»

جذبت المرأة الجميلة ذات الملامح القاسية ذقن كروي، وسلطت القارئ على عينيها، ثم نظرت إلى القراءة التي ظهرت على شاشة القارئ.

قالت المرأة: «ها هو شخص آخر تابع لنا.»

رفعت المرأة الأخرى أحد حاجبيها باندهاش وقال: «لم أكن أعلم أنه لدينا كل هذا العدد من الفارين.»

سحبت الاثنتان كروي على قدميه وقادته نحو أكبر مجموعة من الضبابيين خارج الحظيرة. عضت تالي شفرتها إذ كان كروي أحد أصحاب شاي القدامى، إذن هاتان المرأتان التابعتان للسلطات الخاصة هما من مدينتها، ولعل كل الغزاة من مدينتها.

لا بدّ أن الأمر برمته محض مصادفة ومستحيل أن يكون خطأها، فقد رأت القلادة تحترق بأمر عينيها!

همست شاي قائلة: «إذن لقد أخذت كروي أيضاً في صفك الآن حسبما أرى.»  
اغرورقت عينا تالي بالدموع لكن ليس من الفلفل هذه المرة، وقالت: «انظري إليّ يا شاي!»

قالت شاي: «لقد ارتاب كروي في أمرِك منذ البداية، لكنني كنت أقول له في كل مرة «لا، تالي صديقتي. ولن تفعل أبداً أي شيء يؤذي.»»  
- «شاي، أنا لا أكذب.»

- «كيف استطعت أن تغيري رأي كروي فيك يا تالي؟ هل كان ذلك بالطريقة نفسها التي غيرت بها رأي ديفيد؟»

- «شاي، أنا لم أقصد قط أن يحدث هذا.»

- «إذن، أين كنتما الليلة الماضية؟»

ازدردت تالي ريقها، في محاولة أن تحتفظ بثبات صوتها وقالت: «كنا نتحدث فحسب، لقد أخبرته عن قلادتي.»

- «وهل استغرق هذا الليل كله؟ أم أنك قررت أن تقومي بمناورتك قبلما تصل السلطات الخاصة؟ لقد قررت أن تقومي بلعبة أخيرة معه، ومعى.»

خفضت تالي رأسها وقالت: «شاي...»  
حينئذ جذبت يد ما ذقنها بقوة إلى أعلى، فطرفت عيناها وتوهج ضوء أحمر شديد السطوع في عينيها.  
نظرت المرأة التابعة للسلطات الخاصة إلى الجهاز القارئ لبصمات العين عن كذب وقالت: «إنها هي.»  
هزت تالي رأسها وقالت: «لا.»  
نظرت المرأة الأخرى التابعة للسلطات إلى القارئ فأومأت برأسها تأكيداً وقالت:  
«تالي يانج بلود؟»

لم تجبها تالي، فأوقفها على قدميها ونفضا عنها التراب.  
- «تعالى معنا، دكتورة كابل تريد رؤيتك على الفور.»  
قالت شاي باستهجان: «كنت أعلم هذا.»  
قالت تالي: «لا!»

جذبت المرأتان تالي باتجاه باب الحظيرة، وأدارت تالي رأسها للخلف كي تنظر وراءها وهي تحاول أن تفكر في الكلمات التي تفسر بها ما يحدث.  
حملت شاي فيها غاضبةً، من حيث كانت ملقاة على الأرض، وهي تكز على أسنانها التي تنزف، ثم وقعت عيناها على معصمي تالي الموثقين. وبعدها بلحظة، شعرت تالي بانقشاع ضغط قيودها، وانفصلت يداها إحداها عن الأخرى؛ إذ قطعت المرأتان التابعتان للسلطات الخاصة أصفادها.  
قالت تالي بهدوء: «لا.»

فضغطت إحداها على كتفها وقالت: «لا تقلقي يا تالي، سوف نعيدك إلى الوطن في وقت لا يذكر.»  
أضافت الأخرى: «لقد كنا نبحث عن هذه الزمرة منذ سنوات.»  
- «أجل، أحسنتِ صنيعاً.»

## في حال تحطمها

قادت المرأتان التابعتان للسلطات الخاصة تالي إلى المكتبة التي تحولت إلى مركز قيادة للغزاة، وامتلت طاولاتها الطويلة بشاشات عمل يقوم أفراد السلطات الخاصة بعملهم عليها، وتحول هدوءها المعتاد إلى ضوضاء أوجدتها الأحاديث والأوامر المقتضبة. وكانت الأصوات الحادة التي تبادل بها أفراد السلطات الخاصة أحاديثهم تثير أعصاب تالي.

كانت دكتورة كابل تنتظرها عند إحدى الطاولات الطويلة وهي تقرأ إحدى المجلات القديمة، وقد بدا عليها الاسترخاء بعيدًا عن كل الأنشطة التي تدور من حولها.

قالت دكتورة كابل وهي تكشف عن أسنانها في محاولة للابتسام: «آه، تالي، جيد أن أراك. اجلسي.»

تساءلت تالي عما يكمن وراء تحيتها لها. لقد كان أفراد السلطات الخاصة يعاملون تالي باعتبارها شريكًا في الجريمة، فهل وصلت إليهم إشارة ما من القلادة قبل أن تتخلص منها؟

على أي حال، لن تتمكن من الهرب ما لم تجاريهم. جذبت تالي مقعدًا من مقاعد المكتبة وجلست عليه.

قالت دكتورة كابل: «يا إلهي! انظري إلى نفسك. أنت دومًا تبدين قبيحة بما يجعلك تريدين أن تصيري حسناء.»

– «لقد مررت بوقت عصيب هذا الصباح.»

– «يبدو أنك كنتِ في ورطة.»

هزت تالي منكبيها وقالت: «كنت أحاول أن أنزوي بعيدًا فحسب.»

وبينما وضعت دكتورة كابل المجلة بالمقلوب على الطاولة قالت: «حقاً، يبدو أنك لا تجيدين فعل هذا الشيء.»

سعلت تالي مرتين، وتركت آخر ذرة من الفلفل المجفف رثتها. قالت تالي: «لا أظن ذلك.»

حملت دكتورة كابل في شاشة العمل الخاصة بها وقالت: «أراك مدرجة ضمن الأفراد المقاومين؟»

– «لقد ارتاب في أمري بالفعل بعض الضبايين، لذا عندما سمعت أنكم قادمون، حاولت أن أبتعد عن المدينة. لم أرد أن أكون في الجوار عندما أدرك الجميع ما يحدث، تحسباً لئلا يصبوا جم غضبهم عليّ.»

– «كنوع من الحفاظ على النفس. حسناً، على الأقل أنتِ تجيدين شيئاً ما.»  
 – «أنا لم أطلب منكم أن تبعثوا بي إلى هنا.»  
 – «لا، ولكنك أخذتِ كفايتك من الوقت أيضاً للتفكير في الأمر.» عادت الدكتورة كابل بظهرها إلى الوراء، ووضعت أصابع يديها الطويلة الرفيعة بعضها أمام بعض. ثم سألتها: «كم قضيت من الوقت هنا بالضبط؟»

أجبرت تالي نفسها على أن تسعل مرة أخرى، وهي تتساءل عما إذا كان لديها الجرأة على الكذب. وقد كان مستبعداً أن يفضحها صوتها الذي كان لا يزال أجش ومتقطعاً من الفلفل الذي استنشقتها. ومع أن مكتب الدكتورة كابل في المدينة قد يكون في حد ذاته جهازاً ضخماً لكشف الكذب، فإن هذه الطاولة وهذا المقعد مصنوعان من الخشب الصلب ويخلوان تماماً من أي أجهزة خادعة.

لكن تالي راوغت قائلة: «ليس منذ وقت طويل.»  
 – «أنتِ لم تصلي إلى هنا بالسرعة التي رجوتها.»  
 – «كدت أفشل تماماً في الوصول إلى هنا، وعندما نجحت كان قد مر وقت طويل على عيد ميلادي، لهذا ارتابوا في أمري.»

هزت دكتورة كابل رأسها وقالت: «أظن أنه كان يجدر بي أن أقلق بشأنك، فقد كنت وحدك تماماً في البرية أيتها المسكينة.»

– «أشكرك على اهتمامك.»  
 – «لقد كنت واثقة من أنك سوف تستخدمين القلادة إذا وقعت في أي مشكلة حقيقية. فالمهارة الوحيدة التي تملكينها هي الحفاظ على النفس.»

قالت تالي بسخرية: «إلا إذا وقعت من على شفا جرف ما، وهو ما كاد أن يحدث بالفعل.»

- «كنا سنأتي إليك أيضًا. فلو تحطمت القلادة، كانت سترسل ذاتياً إشارة لنا.»

بدأت الكلمات تصل إلى ذهنها بالتدرّيج: لو أن القلادة تحطمت ... أمسكت تالي بحافة الطاولة في محاولة أن تخفي مشاعرها.

ضيقَت دكتورَة كابل عينيها. ربما لا تملك الآلات التي تمكنها من قراءة صوت تالي وضربات قلبها وتحسس عرقها، لكن قدرتها على الملاحظة كانت إنذاراً في حد ذاته. فلقد انتقت هذه الكلمات كي تثير رد فعل معين من قبل تالي. قالت دكتورَة كابل: «بمناسبة التحدث عن القلادة، أين هي؟»

ذهبت أصابع تالي نحو عنقها. وبلا ريب لاحظت دكتورَة كابل على الفور غياب القلادة، وكانت أسئلتها ترمي إلى الوصول إلى هذه اللحظة. تسارع ذهن تالي من أجل الوصول إلى الإجابة. فها هي ذي الآن غير مكبلَة، ولا بدّ أن تخرج من هذا المكان وتذهب إلى المركز التجاري. وكانت تأمل أن يكون لوحها الطائر لا يزال موجوداً على السطح منبسّطاً يحصل على شحناته الكهربائية من أشعة شمس الصباح. أجابت تالي: «لقد أخفيتها. لقد كنت مذعورة.»

- «ومم كنتِ مذعورة؟»

- «في الليلة الماضية، بعدما تأكد لي أن هذه هي منطقة الضباب بالفعل شغلت القلادة، لكن كان بحوزتهم ذلك الجهاز الذي يكشف أجهزة التتبع وقد عثروا على جهاز التتبع في لوح الطائر، ذلك الجهاز الذي وضعتموه دون علمي.»

ابتسمت دكتورَة كابل وهي تبسط يديها بطريقة تنم على أنها غير قادرة على الدفاع عن نفسها.

استرسلت تالي قائلة: «هذا ما أوشك أن يفسد الأمر برمته. لذا بعد أن شغلت القلادة، خفت من أن يكونوا قد علموا أن بثاً ما قد أُرسل. لذا أخفيتها تحسباً لثلاثا يتقصوا الأمر.»

- «أنفهم الأمر. أحياناً يصاحب قدر معين من الذكاء حاسة قوية للحفاظ على الذات. أنا سعيدة أنكِ قررت أن تساعدينا.»

- «تتحدثين وكأن لي الحق في الاختيار؟»

– «أنتِ دائماً مخيرة يا تالي، لكنكِ اخترتِ الاختيار الصائب؛ فقد قررتِ أن تأتي إلى هنا وتعثري على صديقتك كي تنقذها من أن تحيا حياتها قبيحة. يجدر بك أن تكوني سعيدة بهذا.»

– «أنا سعيدة للغاية.»

– «أنتم عدوانيون أيها القبحاء. حسناً، قريباً ستنضجون.»

اقشعر بدن تالي لدى سماعها هذه الكلمات؛ فكلمة «النضج» من وجهة نظر دكتورة كابل تعني تغيير المخ.

استرسلت دكتورة كابل في حديثها: «هناك شيء آخر فحسب عليك أن تفعليه من أجلي يا تالي. هل تمانعين في إحضار القلادة من حيث خبأتها؟ لا أحب أن أنهي عملي بنهايات غير واضحة.»

ابتسمت تالي وقالت: «يسرني أن أفعل هذا.»

أشارت دكتورة كابل بإصبعها فظهر أحد أفراد السلطات الخاصة إلى جانبها وقالت: «سيصطحبك هذا الضابط، وكبي نحافظ على سلامتك من أصدقائك الضبابيين سنجعل الأمر يبدو وكأنك مقاومة شجاعة.»

قام رجل السلطات الخاصة بجذب يدي تالي معاً وراء ظهرها وشعرت بوخز الأصفاد البلاستيكية على معصمها مرة أخرى.

تنفست تالي، وفي ظل نبضات تخفق بشدة وقوة في رأسها، أجبرت نفسها على أن تقول: «ليكن ما يكون.»

– «من هذا الاتجاه.»

قادت تالي رجل السلطات الخاصة نحو المركز التجاري، كقائدة تتسلح بالخداع. وكان الصمت قد ساد منطقة الضباب، وتُرك العنان لألسنة النيران لتتحرق ما تشاء، ولما التهمت النيران بالفعل بعض ما طالته، كانت سحب الدخان لا تزال تتصاعد من الخشب المتفحم في شكل دوامات عبر المخيم.

استدارت بعض الوجوه لتتنظر إلى تالي في ريبة، فهي الضبابية الوحيدة التي لا تزال تتجول والجميع منبطح على الأرض مصفداً بالأغلال وتحت الحراسة، وتجمع معظمهم بالقرب من حظيرة الأرانب.

حاولت تالي أن تبتسم لأولئك الذين نظروا إليها ابتسامة متجهة آملة أن يلاحظوا أنها مكبلة تماماً مثلهم.



وعندما وصلا إلى المركز التجاري، رفعت تالي بصرها وقالت: «لقد خبأتها على السطح.»

نظر رجل السلطات الخاصة إلى المبنى بريية وقال: «حسنًا، انتظري أنتِ هنا. اجلسي ولا تقفي.»

هزت تالي كتفها بلا مبالاة ثم جثت بحذر.

صعد الرجل إلى أعلى السطح بسهولة اقشعر لها بدن تالي، فكيف لها أن تتغلب على هذا الرجل الحسن نبي الملامح القاسية؟ وحتى ولو لم تكن موثقة اليدين، فهو أكبر وأقوى وأسرع منها.

بعد لحظة ظهرت رأسه من حافة السطح وسألها: «أين هو؟»  
أجابته تالي: «تحت الرابشك؟»

– «ماذا؟»

– «الرابشك، هذا الشيء عتيق الطراز الذي تتصل عنده حافة السطح

بالأبرسناتش.»

– «عم تتحدثين بحقك؟»

– «أظن أن هذه هي المصطلحات التي يستخدمها الضبايون بلغتهم الدارجة.

دعني أريك.»

ظهر تعبير خاطف على وجه رجل السلطات الخاصة جامد الملامح، تعبير جمع ما بين الضيق والريبة، لكنه وثب إلى أسفل مرة أخرى ووضع صندوقين أحدهما فوق الآخر وقفز عليهما وسحب تالي إلى أعلى ووضعها على حافة السطح وكأنها معدومة الوزن، وهددها الرجل من غير قصد: «إن لمستِ أحد تلك الألواح الطائرة، فسوف أعتقلك على الفور.»

– «هل هناك ألواح طائرة بأعلى هنا؟»

قفز الرجل وراءها وساقها عبر السطح. وقال: «لتجدي لوحك الطائر.»

قالت تالي: «لا بأس.» ثم سارت بحذر شديد فوق السطح المنحدر، وهي تبالغ في التعبير عن الصعوبة التي تجدها في اتزان جسدها دون يديها الطليقتين. كانت الخلايا الشمسية الخاصة بالألواح الطائرة التي تعيد الشحن تسطع سطوعًا شديدًا في الشمس. وكان لوح تالي بعيدًا للغاية على الجانب الآخر من السطح، وأجزاؤه الثمانية منبسطة، ويحتاج طيه إلى دقيقة كاملة، لكن تالي رأت لوحًا قريبًا، يخص كروي على الأرجح، وقد انبسط منه جزء واحد فحسب، وانبتق منه ضوء التشغيل

ذو اللون الأخضر. لن يحتاج منها سوى ركلة واحدة لغلقه وسيكون قيد الاستعمال وجاهزًا للطيران.

لكن تالي لا تستطيع الطيران بيدين موثقتين؛ فسوف تسقط عند أول منعطف. أخذت تالي نفسًا عميقًا، متجاهلة ذاك الجزء من مخها الذي لا يرى سوى المسافة نحو الأرض أسفل المركز. وما دام الرجل سريعًا وقويًا ... كذبت تالي على نفسها لطمأنتها وقالت: «أنا أرتدي سترة مطاطية، ولا يمكن أن يصيبني شيء.»

جعلت تالي قدميها الحافيتين تتعثران، وسقطت على السطح المنحدر. سحقت الألواح الخشبية الخشنة ركبتي تالي ومرفقيها وهي تتدحرج على السطح، فأطلقت تالي صرخة ألم، وبذلت قصارى جهدها كي تبقى على السطح، وهي تحاول أن تجعل قدميها تتشبثان بالخشب كي تبطئ من سرعتها. وما إن بلغت تالي الحافة حتى أمسكت قبضة حديدية بكتفها، وتدلت تالي في الهواء ورأت الأرض أسفلها. لكنها تشبثت، وقد انزع ذراعها من مكانه، وسمعت الصوت الحاد لرجل السلطات الخاصة وهو يستنزل عليها اللعنات. تأرجحت لحظة، وقد سيطر رجل السلطات الخاصة على سقوطها، ثم بدأ كل منهما ينزلق.

وكان بإمكانها أن تسمع صوت أصابع الرجل وقدميه وهي تحفر طريقها من أجل أن تحكم قبضتها على شيء ما. فعلى الرغم من القوة التي قد تمتع بها، لم يكن هناك ما يمسك به. وكانت تالي على وشك السقوط. لكنها على الأقل كانت ستأخذه معها.

عندئذ أصدر الرجل صوتًا أجش، وشعرت تالي بأنها تُسحب إلى أعلى بقوة، وأُلقيت على ظهرها على السطح، ثم عبر ظل أعلاها وارتطم شيء ما بالأرض أسفلها؛ لقد ألقي الرجل بنفسه من فوق السطح كي ينقذها!

التفت جائمةً، ثم نهضت ورفعت نصف لوح كروي بإحدى قدميها فأغلقته. عندئذ جاء صوت جلبة من ناحية حافة السطح، فخطت تالي بعيدًا عن لوح كروي. ظهرت أصابع الرجل ثم جسده؛ فوجدت أنه لم يُصاب بأي أذى على الإطلاق. سألته تالي: «هل أنت بخير؟ يا للهول! يا لكم من أقوياء. أشكرك لإنقاذي.» نظر الرجل إليها في فتور وقال: «فقط أحضري ما أتينا من أجله. وحاوولي ألا تقتلي نفسك.»

قالت تالي: «حسنًا». ثم استدارت ونجحت في أن تشبك قدمها في لوح خشبي وترنحت مرة أخرى. فأمسكها الرجل بين ذراعيه على الفور. وأخيرًا، سمعت نبرة غضب حقيقية في صوته عندما قال: «أنتم أيها القبحاء غير أكفاء ... بالمرّة.» أجابته: «حسنًا، ربما لو أنك ...»

وقبل أن تخرج الكلمة من فمها، شعرت بالقيود التي ضغطت على يديها تزول. وحكت منكبيها ثم قالت: «أشكرك.»

قال الرجل وصوته القاسي أكثر حدة من أي وقت مضى: «أنصتي إليّ جيدًا، أنا لا أريد أذيتك، لكن ...»

ابتسمت تالي وأكملت جملته: «لكنك ستفعل إن اضطررت إلى ذلك.» وكان الرجل يقف في المكان المناسب تمامًا.

قال الرجل: «أحضري فحسب ما طلبته منك الدكتورة كابل. وإياك أن تلمسي أحد هذه الألواح الطائرة.»

- «لا تقلق. لست مضطرة إلى ذلك.» ثم طقطقت أصابع يديها الاثنتين بأعلى صوت تمكنت من إصداره.

حينئذ قفز لوح كروي في الهواء فضرب قدم الرجل من أسفله، فترنح الرجل ليسقط من على السطح مرة أخرى. وقفزت تالي على اللوح.



## الهروب

لم يسبق لتالي أن ركبت لوحًا طائرًا وهي عارية القدمين. ومع أن الضبايين الشباب خاضوا كل أنواع المسابقات، مثل حمل الأثقال أو ركوب شخصين للوح طائر واحد، فلم يكن أحد بالحماقة لأن يفعل هذا الأمر.

لقد كادت أن تسقط من عليه عند أول منعطف، حينما اندفعت بسرعة إلى أسفل عبر طريق جديد كان قد ثبت فيه الركام المعدني منذ أيام قلائل فحسب. وفي اللحظة التي مال فيها اللوح على جانبه انزلقت قدماها المتسختان على سطحه. لكنها تمكنت بطريقة ما من أن تحتفظ بموطئ قدميها على اللوح وهي تحلق بسرعة عبر مجمع المباني وفوق حظيرة الأرانب.

وارتفع أسفلها تهليل شابه الإعياء؛ إذ رآها الأسرى وهي تحلق باللوح أعلاهم وأدركوا أن أحدهم كان يهرب. ولم تنظر تالي إليهم، فقد كان شغلها الشاغل هو البقاء على اللوح.

ولما استعادت توازنها، أدركت أنها لم تكن ترتدي أساور الصدمات، وأي سقطة سوف تؤدي بحياتها. تشبثت أطراف أصابعها باللوح، وعزمت على أن تأخذ المنعطف التالي ببطء أكثر. لو كانت السماء ملبدة بالغيوم هذا الصباح، ما كانت الشمس لتتمكن من تجفيف الندى من على سطح لوح كروي بعد، ولكانت تمكث الآن في كومة المقهورين في الحظيرة، وربما بعنق مكسور. لقد كانت محظوظة للغاية لأنها نامت وهي ترتدي جهاز الاستشعار مثلما يفعل معظم الضبايين الشباب.

وبالفعل كان صوت طنين العربات الطائرة الآخذة في الإقلاع يأتي من ورائها بالفعل.

لم تكن تالي تعرف سوى مخرجين من منطقة الضباب يمكن للألواح الطائرة أن تسلكهما. وبالفطرة، اتجهت نحو مخرج خطوط السكة الحديدية حيث كانت

تعمل كل يوم، وكان الوادي قد انحدر وراءها، وتمكنت من أن تسلك طريقها في المنعطف الضيق المتجه نحو النهر ذي المياه الثائرة ذات الزبد دون أن تسقط. ولكن دون حقيبة كتفها وأساور الصدمات الثقيلة كانت تالي تشعر أنها عارية بالفعل. ولم تكن سرعة لوح كروي تماثل سرعة لوحها، وكذلك هو لا يعرف أسلوبها في الطيران؛ فكان ركوب هذا اللوح يشبه ارتداء حذاء جديد، في الوقت الذي تهرب فيه كي تنجو بحياتها.

وفوق مياه النهر، كان الرذاذ يضرب وجهها ويديها وقدميها. جثت تالي على ركبتيها وأمسكت بحافة اللوح بيديها المبللتين، وهي تطير على أقل ارتفاع جرّوت على الطيران فيه. وعلى الرغم من أن الرذاذ يجعل الطيران هنا على هذا الارتفاع المنخفض أكثر صعوبة، فإن حاجز الأشجار جعلها متوارية عن الأنظار. ولما تملكتهما الجرأة على النظر خلفها، لاحظت أنه لم تظهر أي عربات طائرة تلاحقها بعد.

وبينما كانت تنطلق عبر الينابيع المتعرجة وتنحني مع المنعطفات شديدة الانعطاف المألوفة لها، أخذت تتذكر كل الأوقات التي كانت تتسابق فيها مع ديفيد وشاي في طريقهم إلى مكان العمل. وتساءلت عن المكان الذي كان يوجد به ديفيد؛ هل هو هناك في المخيم موثق اليدين والقدمين ومستعد لكي يُؤخذ إلى مدينة لم يرها قط؟ هل سيخضع لعملية تجميل تزيل جلده ليحل محله قناع وجه حسن، وفيها يتحول مخه إلى أي شكل مبتدع تقرر السلطات أنه يناسب ذاك المرتد الذي شب في البرية؟

هزت تالي رأسها، وهي تنفض الصورة عن ذهنها، فلم يكن ديفيد بين المقاومين الذين أُلقي القبض عليهم. لو كان قد أُلقي القبض عليه، فإنه قطعاً قد حارب ببسالة. لا بدّ أنه هرب.

حينئذ سمعت تالي صوت دوي عربة طائرة وهي تمر فوق رأسها، وكادت هزة مرورها السريعة أن تطيح بتالي من على اللوح. ولم يمض سوى بضع لحظات حينما أدركت تالي أن هذه العربة الطائرة حددت مكانها؛ فقد دوى في السماء صوت انعطافها عبر الغابة وهي تقطع طريقها عائدة إلى النهر.

حينئذ مرت ظلال فوق رأس تالي، فحدقت إلى أعلى لترى عربتين طائرتين تتبعانها، وريشهما المعدني يسطع كنصل السكين في شمس منتصف الصباح. وبينما كانت العربات الطائرة للسلطات الخاصة تستطيع أن تذهب أينما تريد، كانت تالي مقيدة بالروافع المغناطيسية، من ثم كانت مقيدة بمسار السكة الحديدية.

تذكرت تالي المرة الأولى التي ركبت فيها العربة الطائرة للسلطات الخاصة حينما ذهبتم لمقابلة الدكتور كابل، ومدى السرعة العنيفة التي أظهرتها العربة الطائرة بقيادة سائقها الحسن ذي الملامح القاسية. فعندما تسير العربة الطائرة باتجاه مستقيم تكون أسرع من أي لوح طائر. والميزة الوحيدة التي حظت بها تالي الآن هي أنها تعرف هذا الطريق إلى الأمام وإلى الخلف.

ومن حسن الحظ أن المسار نادرًا ما كان في شكل خط مستقيم.

أحكمت تالي قبضتها على اللوح بيديها الاثنتين وقفزت من جانب النهر حتى حافة الجبل. وكانت العربات الطائرة قد اختفت في الفضاء بعيدًا، حيث تخطتها تالي أثناء مرورها بطبقات الحديد. لكن تالي كانت في هذه الأثناء بالخارج في الفضاء المفتوح، والسهول تنبسط تحتها مترامية الأطراف كالمعتاد.

وعلى نحو خاطف لاحظت سريعًا أنه كان يومًا رائعًا، إذ لم تكن هناك سحب في السماء.

جثمت تالي شبه منبطحه على اللوح كي تقلل من مقاومة الرياح، وحاولت أن تنتزع من لوح كروي أي قدر ضئيل من السرعة يمكنه تقديمه؛ إذ لم يبد لها أنها قد تتمكن من الوصول إلى غطاء الأشجار التالي قبل أن تحيط بها العربتان الطائرتان. وتساءلت تالي عن مخطط هاتين العربتين للقبض عليها. هل ستستخدمان صاعقة؟ أم ستلقيان عليها شبكة؟ أم ستطرحانها أرضًا باستخدام هزاتها الزلزالية؟ ودون أساور الصدمات وفي ظل السرعة التي تطير بها تالي، كانت تالي ستفقد بحياتها إذا حاول أي شيء أن يزيحها عن اللوح.

لعل هذه الأمور كانت مناسبة لهما.

وفي تلك الأثناء ازدادت حدة دوي الريش المعدنية الحادة للعربات عن يمينها أكثر فأكثر.

وقبل أن يصل الصوت إليها مباشرة، دفعت نفسها كي تنزلق باللوح إلى أسفل، وأدت قوتها الدافعة إلى ملاصقتها للوح بشدة، فمرت العربتان إلى الأمام فوقها، وتجاوزتاها بنحو ميل، لكن الرياح الشديدة الناجمة عن مرورهما جعلتها تلتف في دوائر، فانقلب اللوح رأسًا على عقب، ثم اعتدل مرة أخرى، وما كان من تالي إلا أن تتشبث باللوح بكلتا ذراعيها بينما كان العالم يدور بعنف حولها.

استعادت تالي التحكم في اللوح ودفعتها إلى الأمام مرة أخرى، وأعادته إلى أقصى سرعة له قبل أن تستدير العربتان الطائرتان في طريقهما إلى العودة. وعلى الرغم

من أن أفراد السلطات الخاصة قد يكونون أكثر سرعة، فلوحها الطائر أكثر طواعية للقيام بالمناورات.

ومع اقتراب تالي من المنعطف التالي، كانت العربتان الطائرتان تتجهان نحوها مباشرة وتتحركان بسرعة أقل الآن، إذ أدرك سائقاهما أن السرعة الكبيرة تجعلهما يتجاوزانها في كل مرة.

ومع ذلك هيهات أن يحاولا الطيران على مستوى منخفض أقل من مستوى الأشجار.

ها هي تالي الآن تطلق وهي جاثية على ركبتيها على اللوح، محكمة قبضتها عليه بكلتا يديها، وانعطفت في المنعطف التالي وانخفضت كي تمر بسرعة فوق الأرض الترابية المشققة لقاع النهر الجاف. سمعت تالي طنين العربات الطائرة الذي كان يزداد بثبات.

لقد كانتا تتعقبانها بسهولة ويسر، فربما كانتا تستخدمان درجة حرارة جسدها كي تستدلان عليها من بين الأشجار، مثلما كانت تفعل أجهزة الإشراف في مدينتها. وتذكرت تالي المدفأة المحمولة الصغيرة التي اعتادت أن تستخدمها كي تتسلل من العنبر مرات عديدة. ليبتها كانت بحوزتها الآن.

عندئذ تذكرت تالي الكهوف التي أراها ديفيد إياها في يومها الأول في منطقة الضباب؛ فقد تخطفي حرارة جسدها تحت الصخور الباردة للجبل.

تجاهلت تالي صوت ملاحقيها، وتجاوزت النهر ثم مرت بنتوء صخري من المعدن الخام ثم إلى خط السكك الحديدية. مالت تالي باللوح فوق المياه بطول النهر، وظلت العربتان الطائرتان فوق مستوى الأشجار تنتظران انتهاء غطاء الأشجار الذي تستعين به.

ولما بلغت تالي الطريق الجانبي المؤدي إلى خط السكة الحديدية، زادت من سرعتها، ومرت فوق الماء بأقصى سرعة لديها، وانحنى مع المنعطف إلى أسفل بأقصى سرعة ممكنة ثم انطلقت بسرعة عبر مسار السكة الحديدية.

أما العربتان الطائرتان فقد انجرفتا بعيداً عبر النهر. لعل فردي السلطات الخاصة توقعاً أن تنعطف إلى نهر آخر، لكن الظهور المفاجئ لمسار سكة حديدية قديم أدهشهما. فإن تمكنت من الوصول إلى الجبل قبل أن تجتاز العربتان الطائرتان المنعطفات التي تسيران فيها ببطء، فإنها ستكون بمأمن.



وفي الوقت المناسب، تذكرت تالي البقعة التي كانوا يقتلعون عندها القضبان للحصول على الركام المعدني، ثم مالت بلوحها لتجتاز لحظة مرعبة من السقوط الحر، ولتطلق فيها أعلى فجوة القضبان الخالية من المعادن في شكل قوس مرتفع. ومرة أخرى وجدت الروافع المغناطيسية للوح معدناً تستدل به، وبعد مضي ثلاثين ثانية انزلت تالي إلى أن توقفت تماماً في نهاية المسار.

قفزت تالي من على اللوح الطائر، ودفعته بقوة نحو النهر. ودون أساور الصدمات التي تعيده، سوف ينساق اللوح على طول مسار السكة الحديدية المستقيم إلى أن يصل إلى الفجوة حيث سيسقط اللوح على الأرض. لقد كانت تأمل أن يعتقد فردا السلطات الخاصة أنها سقطت ويأخذان في البحث عنها هناك.

زحفت تالي أعلى الصخور الضخمة إلى الكهف، وتسلمت بسرعة نحو الظلام، وذهبت إلى أبعد مكان قدر المستطاع، آملة أن تخبئها أطنان الصخور التي تعلوها من أفراد السلطات الخاصة. وعندما تقلص منفذ الضوء الصغير القادم من فتحة الكهف ليماثل في حجمه حجم العين نزلت تالي على الصخر لاهتة، ويدها لا تزالان ترتجفان من التحليق، وظلت تذكر نفسها مرارًا وتكرارًا أنها نجحت.

لكن فيما نجحت؟ فليس لديها حذاء، ولا لوح طائر، ولا أصدقاء، ولا حتى جهاز لتنقية المياه أو عبوة من الاسباجتي بولونيز، ولا وطن لترجع إليه. لقد أضحت تالي وحيدة تماماً. قالت تالي بصوت مرتفع: «أنا ميتة لا محالة.»  
جاء صوت من الظلام.  
«تالي، هل هذا أنتِ؟»



## الفصل السابع والثلاثون

### تالي المدهشة

نزلت يدان على كتفي تالي في الظلام لتمسك بهما.  
«لقد نجحت!» تردد إلى مسامعها صوت ديفيد.  
لم تستطع تالي في دهشتها أن تنبس ببنت شفة، لكن جذبته نحوها ودفنت رأسها في صدره.

«من معك أيضًا؟»

هزت تالي رأسها بالنفي.

همس ديفيد: «آه.» ثم أحكم قبضته عليها عندما اهتز الكهف حولهما، وسمعا صوت دوي عربية طائرة تمر فوقهما ببطء، وتخلت تالي الماكينات الطائرة للسلطات الخاصة وهي تنقب في كل شق من شقوق الصخور بحثًا عن أي أمانة تقودهم إلى فريستهم.

هل قادتهم إلى ديفيد؟ يا للروعة، ها هي خيانتها الأخيرة تتوج الأمر برمته!  
سمعا مرة أخرى فوقهما الصوت المنخفض الصادر عن دوي مرور العربات التي تتعقبها، فجذبها ديفيد إلى أسفل نحو الظلام عبر ممر منحني طويل كان أكثر برودة وظلمة. وبينما ساد السكون حولها، في جو من الكآبة والبرودة، أخذت تالي تتخيل مجددًا وجود ملء حمولة قطار من جثث سكان العصر القديم المدفونين بين الصخور.

انتظرا في صمت طوال وقت بدا وكأنه ساعات، يمسك كل منهما بالآخر، دون أن يجروا على التحدث إلى أن مر وقت طويل على تلاشي صوت العربات.

أخيرًا همس ديفيد: «ماذا يحدث هناك في منطقة الضباب؟»

– «جاء أفراد السلطات الخاصة هذا الصباح.»

- «أعلم، لقد رأيتهم». ثم ضمها إليه أكثر واسترسل قائلاً: «لم أستطع النوم الليلة الماضية، لذا أخذت لوحى إلى أعلى الجبل كي أشاهد شروق الشمس. وقد عبروا فوقى مباشرة، فى عشرين عربة طائرة دفعة واحدة مرت عبر قمة الجبل. لكن ما الذى يحدث الآن؟»

- «لقد وضعوا الجميع فى حظيرة الأرانب، وأخذوا يفصلوننا إلى مجموعات. وذكر كروى أنهم يعتزمون إعادةتنا جميعاً إلى مدننا.»

- «كروى؟ ومن رأيت أيضاً؟»

- «شاي، واثنين من أصدقائها. ولعل الرئيس تمكن من الفرار، فقد هربنا معاً.»

- «وماذا عن والدى؟»

- «لا أعلم.» كان الخوف الذى بدا فى صوت ديفيد مؤلماً بما فيه الكفاية؛ فوالداه هما مؤسساً منطقة الضباب، وكانا يعرفان سر عملية التجميل. ومهما كان العقاب الذى ينتظر الضبابيين الآخرين، فسينزل بهما عقاب أسوأ مائة مرة.

قال ديفيد بهدوء: «لا أصدق أن هذا حدث فى آخر المطاف.»

حاولت تالى أن تفكر فى شيء تقوله ليهدئ من روعه. وكل ما استطاعت أن تراه فى الظلام هو ابتسامة دكتورة كابل الساخرة.

سألها ديفيد: «وكيف هربت؟»

جذبت تالى يديه كي تجعله يتحسس معصمها حيث ما زال السوار البلاستيكي للأصفاذ فى يديها. ردت تالى: «لقد قطعت هذه، وذهبت إلى سطح المركز التجارى وسرقت لوح كروى.»

- «تحت حراسة أفراد السلطات الخاصة؟»

عضت تالى شفتها ولم تنبس ببنت شفة.

قال ديفيد: «مدهش. لقد قالت أُمى إنهم خارقو القوى. فالعملية الجراحية الثانية تقوى كل عضلاتهم وتعيد تدعيم جهازهم العصبى. وكذلك مظهرهم مربع، فكثيرون من الناس يرتاعون فقط لرؤية أحدهم للمرة الأولى.» ثم ضمها إليه أكثر وتابع قائلاً: «كان ينبغى لى أن أكون واثقاً من أنكِ ستهربين.»

أغمضت تالى عينيها، الأمر الذى لم يضيف جيداً فى هذا الظلام الحالك. وتمنت تالى أن يمكثا هنا إلى الأبد، ولا يضطرا أبداً إلى مجابهة ما كان بالخارج. قالت تالى:

«لقد حالبنى الحظ الطيب فحسب.»

تعجبت تالي من أنها تكذب ثانية، فلو أنها قد أفصحت عن حقيقة أمرها حينما قدمت إلى هنا، لعرف الضبابيون ماذا يفعلون بالقلادة. ربما كانوا سيربطونها بطائر مهاجر، ولكانت دكتورة كابل في طريقها الآن إلى أمريكا الجنوبية بدلاً من جلوسها الآن في المكتبة تشرف على دمار منطقة الضباب.

لكن تالي علمت أنها لا تستطيع أن تخبره الحقيقة، ليس الآن؛ فديفيد لن يثق فيها مرة أخرى ولا سيما بعد أن دمرت وطنه وأسرته. لقد فقدت بالفعل بيريس وشاي ووطنها الجديد، ولا تستطيع تحمل فقد ديفيد أيضاً.

وما فائدة الاعتراف الآن؟ ستكون النتيجة أن يصير ديفيد وحده وكذلك هي، في الوقت الذي يحتاج فيه كلاهما للآخر.

تحسس ديفيد بيديه وجهها وقال: «ما زلتِ تدهشينني يا تالي.»

ارتعدت تالي، فكلماته تشق طريقها في جسدها كالكسكين.

في هذه اللحظة توصلت تالي لاتفاق ما مع نفسها؛ ففي آخر الأمر سوف تخبر ديفيد بما فعلته عن غير قصد. ليس الآن، لكن يوماً ما. عندما تتحسن الأمور وتصلح جزءاً مما دمرته، ربما قد يتفهم آنذاك. قالت تالي: «سوف نتتبعهما وننقذهما.»

– «ننقذ من؟ والدَيّ؟»

– «لقد قدما إلى هنا من مدينتي، أليس كذلك؟ إذن سيأخذونهما إلى هناك،

وكذلك شاي وكروي. سننقذهم جميعاً.»

ضحك ديفيد ساخراً ثم قال: «أنا وأنتِ؟ ضد مجموعة من أفراد السلطات

الخاصة؟»

– «لن يتوقعوا مجيئنا.»

– «لكن كيف سنعثر عليهم؟ أنا لم أذهب إلى مدينة قط، لكنني أسمع أن عدد

سكانها ضخمة جداً، ما يزيد عن مليون شخص.»

أخذت تالي نفساً بطيئاً، وتذكرت مرة أخرى رحلتها الأولى إلى مكتب الدكتور كابل. تذكرت البنائيات منخفضة الارتفاع المطلية بلون بني مائل للأصفر التي تقع عند حافة المدينة ووراء الحزام الأخضر بين المصانع وبالقرب من التل الضخم غريب الشكل. قالت تالي: «أعرف أين نعثر عليهم.»

ابتعد ديفيد عن عناقها وقال: «تعرفين ماذا؟»

– «لقد ذهبت إلى هناك، إلى مقر قيادة السلطات الخاصة.»

سادت لحظة من الصمت ثم قال ديفيد: «لقد ظننت أن مقر قيادتهم خفي عن الجميع، حتى إن معظم صغار السن الذين يقدمون إلى هنا لا يعتقدون في وجودهم.»

استرسلت تالي، وهي مرتاعة لأن أكذوبة أخرى طرأت ببالتها بهذه السهولة: «منذ فترة طويلة، قمت بخدعة سيئة حقًا، خدعة من تلك الخدع التي تجذب إليك الأنظار بشدة.» أمالت رأسها على ديفيد مرة أخرى وهي مسرورة لأنها لم تر تعبير الثقة في وجهه واسترسلت قائلة: «لقد تسللت إلى مدينة نيو برتي تاون، المكان الذي تعيش فيه بعد أن تخضع للعملية، حيث تعيش في متعة طوال الوقت.»

– «لقد سمعت بها. وسمعت أيضًا أنه غير مسموح للقبحاء الذهاب إلى هناك، أليس كذلك؟»

– «أجل، فتلك خدعة غاية في الخطورة. على أي حال، ارتديت قناعًا ما وتسللت إلى حفل من الحفلات. وكانوا على وشك الإمساك بي، لذا جذبت سترة مطاطية.»

– «وما السترة المطاطية؟»

– «شيء أشبه باللوح الطائر لكنك ترتديها، وقد صممت من أجل الفرار من المباني شاهقة الارتفاع أثناء نشوب حريق، لكن الحسان الجدد يستخدمونها في المقام الأول لكي يعبثوا بها. لذا جذبت واحدة، وأطلقت إنذار الحرائق وقفزت من السطح، مما أربع الكثير من الناس هناك.»

– «هذا صحيح، فقد أخبرتني شاي القصة بأكملها ونحن في طريقنا إلى منطقة الضباب، وذكرت أنك ألطف القبحاء الموجودين في العالم. لكن كل ما ظننته هو أن الأشياء لا بد أن تكون حقًا مملة في المدينة.»

– «نعم، أظن ذلك.»

– «لكن، هل قبض عليك؟ شاي لم تذكر هذا.»

أخذت الكذبة تتشكل أثناء حديثها، وهي تغزل خيوطها من الحقائق التي تطولها يداها. أجابته تالي: «نعم، لقد ظننت أنني نجوت من فعلتي، غير أنهم عثروا على الحامض النووي الخاص بي أو شيء من هذا القبيل. وبعد أيام قلائل أخذوني إلى السلطات الخاصة، وقدموني إلى هذه المرأة المرعبة. أعتقد أنها كانت المسئولة هناك. وكانت هذه هي المرة الأولى التي أرى فيها السلطات الخاصة.»

– «هل هم سيئون فعلاً بهذه الدرجة عند التعامل معهم عن كثب؟»

أومأت تالي برأسها في الظلام وقالت: «هم يبلغون من الجمال غايته، لكن بطريقة قاسية ومرعبة. وأسوأ مرة تراهم فيها هي المرة الأولى. لكنهم أرادوا أن يشعروني بالذعر فحسب، فقد حذروني من أنني سأواجه ورطة كبيرة إن قبض عليّ مرة أخرى، أو إن أخبرت أي شخص بهذا الأمر، لهذا لم أخبر شاي بهذا الأمر قط.»

- «هذا يفسر الكثير.»

- «عن ماذا؟»

- «عنك. لقد بدا عليك دوماً أنك تدركين مدى خطورة البقاء هنا في منطقة الضباب. لقد أدركت بشكل ما حقيقة المدن، حتى قبل أن يخبرك والداي بحقيقة العملية. من ثم كنت الهارب الوحيد الذي التقيت به وأدرك الأمر حقاً.»

أومأت تالي برأسها، هذا الأمر كان حقيقياً. قالت تالي: «لقد أدركته.»

- «وما زلتِ تودين الذهاب إلى هناك من أجل والداي وشاي؟ وتخطرين بالقبض عليك؟ وتخطرين بمخك؟»

قالت بصوت اعتراه الشجن: «عليّ أن أفعل هذا.» كي تصلح ما دمرته.

ضمها ديفيد إليه بشدة، وحاول أن يقبلها. ولكن كان عليها أن تدير وجهها بعيداً، وأخيراً اغرورقت عيناها بالدموع.

- «تالي، أنتِ مدهشة.»





## الأطلال

لم يترك ديفيد وتالي الكهف حتى صباح اليوم التالي. حدقت تالي بعينيها أعلاها على ضوء الفجر، فمسحت عيناها السماء بحثًا عن فيلق من العربات الطائرة التي تبزغ فجأة فوق الأشجار، لكنهما لم يسمعا أي صوت لعمليات بحث طوال الليل. ربما الآن وبعد أن دُمرت كل منطقة الضباب، لم يعد الإمساك بالهاربين القلائل الآخرين أمرًا يستحق العناء.

كان اللوح الطائر الخاص بديفيد قد قضى الليل كله في الكهف، ولم يتعرض على الإطلاق لضوء الشمس على مدار يوم بأكمله الآن، لكن لا يزال به من الشحنات الكهربائية ما يكفي للصعود إلى أعلى الجبل. ركبا اللوح وحلقا باتجاه النهر. وجاءت أصوات معدة تالي لتعلن عن تدميرها من شدة الجوع بعدما قضت تالي يومًا كاملًا دون طعام، لكن أول شيء كانت في أمس الحاجة إليه هو الماء، فقد كان حلقها جافًا للغاية حتى إنها كانت تتحدث بصعوبة.

جثا ديفيد على ركبتيه عند ضفة النهر وغمس رأسه في الماء المتلجج. ارتجفت تالي عند رؤيته؛ إذ شعرت طوال الليل بالبرد الشديد وتجمدت دون بطانية أو حذاء في الكهف، مع أنها كانت ساكنة بين ذراعي ديفيد. لقد أرادت طعامًا دافئًا قبل أن تجابه أي شيء أكثر برودة من نسيم الصباح.

سألت تالي: «ماذا لو أن منطقة الضباب ما زالت محتلة؟ من أين سنحصل على

الطعام؟»

– «لقد قلت إنهم وضعوا السجناء في حظيرة الأرانب؟ أين ذهب الأرانب

إنذن؟»

– «في كل مكان.»

– «هذا هو بيت القصيد، ينبغي أن تكون في كل الأثناء الآن، ولا يصعب الإمساك بها.»

عبس وجهها اشمئزًا وقالت: «حسنًا، لنفعل ذلك، ما دمنا سنقوم بطهوها.»  
ضحك ديفيد وقال: «بالطبع.»

قالت تالي وهي تفصح عن حقيقة: «في الواقع، لم أضرم أي نيران من قبل.»  
صعد ديفيد على لوحه وبسط يده لها وقال: «لا تقلقي، أنتِ إنسانة طبيعية.»  
لقد كان ركوب اثنين معًا لوحًا طائرًا واحد شيئًا لم تفعله تالي من قبل، ولقد وجدت نفسها سعيدة لأن هذا الأمر يحدث مع ديفيد وليس مع أي شخص آخر. وقفت تالي أمامه، وجسدها يلامس جسده، وذراعاها منبسطان بينما التف ذراعاها حول خصرها. اجتازا المنعطفات دون التفوه بكلمة، إذ كانت تالي تبذل ثقلها بالتدرج وتنتظر حتى يفعل ديفيد مثلها. وبعدما عرفا ببطء كيفية القيام بالأمر، بدأ جسدهما يتحركان معًا، وأخذوا يحركان اللوح عبر الدرب المألوف وكأنهما شخص واحد.  
وقد نجح الأمر، ما دام يسيران ببطء، لكن تالي ظلت متنبهة لأي أصوات تنم عن تعقبهما. فإن ظهرت عربة طائرة، فسيكون الهروب بأقصى سرعة أمرًا يتطلب براعة شديدة.

واشتم ديفيد وتالي رائحة منطقة الضباب عن بعد قبل أن يبصراها.

من ارتفاع عال أعلى الجبل، بدت المباني في منطقة الدخان كمخيم منهار محترق يتصاعد منه الدخان ومتفحم عن آخره بعد أن دمرته النيران. كان كل شيء بلا حراك في مجمع المباني فيما خلا بعض الأوراق التي دارت في دوامات بفعل الريح.  
قالت تالي: «يبدو وكأن النيران قد التهمت كل شيء طوال الليل.»  
أومأ ديفيد برأسه عاجزًا عن الكلام، فأمسكت تالي بيده، وهي تتساءل في نفسها عما يكون شعور المرء عندما يرى موطن طفولته وقد صار أطلالًا ينبعث منها الدخان ليس إلا.

قالت تالي: «أنا أسفة للغاية يا ديفيد.»

– «علينا أن ننزل. أحتاج أن أرى ما إذا كان والداي ...» ولم يستطع ديفيد أن يتفوه بالكلمات.

بحثت تالي عن أي أمارات تشير إلى وجود أي شخص باق في منطقة الضباب، لكنها بدت مهجورة بالكامل، لكن ربما يكون هناك عدد قليل من أفراد السلطات

الخاصة، مختبئين في انتظار أن يعاود الضالون الظهور، فقالت: «يجدر بنا أن ننتظر.»

– «لا أستطيع، إن منزل والداي في الجهة المقابلة من قمة الجبل. ربما لم يراه أفراد السلطات الخاصة.»

– «لو لم يلحظوه، فإن مادي وآز ما زالا هناك.»

– «لكن ماذا لو كانا قد هربا؟»

– «عندئذ سوف نجدهما. لكن في الوقت نفسه لا داعي لأن يُلقى القبض علينا.»  
تنهد ديفيد وقال: «حسنًا.»

أمسكت تالي يده بقوة. بسطا اللوح الطائر وانتظرا طلوع الشمس، وأخذا يبحثان عن أي أمانة على وجود أي إنسان بالأسفل. وكانت جمرات النار تتقد بين الفينة والأخرى بفعل نسيمات الهواء، لتنهار آخر أعمدة خشبية قائمة واحد تلو الآخر وتتحول إلى رماد.

وكان هناك عدد قليل من الحيوانات التي تبحث عن طعام، وشاهدت تالي في زعر صامت أحد الأرناب الضالة وقد أمسك به فم ذئب، ولم يخلف الصراع القصير بينهما سوى بقعة دم وفرو. كان هذا ما تبقى من الطبيعة؛ البدائية والقسوة، بعد مرور ساعات فحسب على انهيار منطقة الضباب.

سأل ديفيد بعد ساعة: «هل أنت مستعدة للنزول؟»

أجابته تالي: «لا، لكنني لن أكون مستعدة أبدًا.»

اقتربا من المنطقة ببطء، وكانا على أهبة الاستعداد لأن يستديرا ويحلقا عاليًا إن ظهر أي من أفراد السلطات الخاصة. لكن عندما وصلا حافة المدينة، شعرت تالي بأن قلقها يتحول لما هو أسوأ: يقين مرعب بأنه لم يتبق أي شخص هناك.  
لقد راح موطنها ولم يتبق منه سوى بعض الحطام المتفحم.

وفي حظيرة الأرناب، أظهرت آثار الأقدام الأماكن التي كانت مجموعات الضبابيين تؤخذ إليها وتخرج منها عبر البوابات، لقد تحول مجتمع بأسره إلى قطيع في حظيرة. وكان لا يزال هناك عدد قليل من الأرناب التي كانت تقفز في الأتربة.

قال ديفيد: «حسنًا، على الأقل لن نتضور جوعًا.»

ردت تالي: «لا أظن ذلك.» على الرغم من أن منظر منطقة الضباب قد سَكَّن جوعها. وتساءلت عن السبيل الذي كان ديفيد يتمكن به دومًا من التفكير

بطريقة عملية، بصرف النظر عن الرعب الذي يجابهه. سألت تالي: «انظر، ما هذا؟»

في أحد أركان الحظيرة، خارج السور مباشرة، كان هناك مجموعات من أشكال صغيرة ملقاة على الأرض.

اقتربا منها أكثر باللوح، وحملق ديفيد فيها عبر جدار منساق من الدخان وقال: «إنها تبدو مثل ... الأحذية.»

طرفت تالي بعينيها، لقد كان محققاً. خفضت تالي اللوح وقفزت من عليه وركضت إلى تلك البقعة.

نظرت تالي حولها في ذهول، فوجدت ما يقرب من عشرين حذاءً مبعثرًا حولها، بكل المقاسات.

نزلت على ركبتيها كي تنظر عن كثب، لقد كانت أربطة الأحذية لا تزال مربوطة وكأن الأحذية قد خلعتها أناس أيديهم مكبلة وراءهم ...  
تمتت تالي: «لقد تعرف كروي علي عندما هربت.»  
- «ماذا؟»

التفتت تالي لديفيد وقالت: «عندما هربت، حلقت مباشرة فوق الحظيرة. لا بد أن كروي قد رأى أنني من كنت أخلق عاليًا. وهو كان يعرف أنه ليس لدي حذاء، لقد كنا نمزح بهذا الشأن.»

أخذت تالي تتخيل الضبابيين وهم ينتظرون مصيرهم بلا حول ولا قوة وهم يظهرون آخر تحد يستطيعون القيام به. ربما ركل كروي حذائه ثم همس لكل من استطاع أن يهمس له قائلًا: «تالي طليقة وهي عارية القدمين.» لقد تركوا لها مجموعة مكونة من عشرين زوجًا من الأحذية كي تنتقي من بينها ما يناسبها، فهذه هي الطريقة الوحيدة التي يستطيعون بها أن يساعدوا الضبابي الوحيد الذي شاهده يهرب.

كانت تتلعثم وهي تقول: «لقد علموا أنني سوف أعود إلى هنا.» أما ما لم يعلموه فهو من الذي خانهم.

التقطت تالي زوج الحذاء الذي بدا مقاسه مناسبًا لها، والذي كان له نعل محبب مانع للانزلاق كي يلائم التحليق باللوح الطائر، ثم ارتدته. لقد كان مناسبًا أكثر من ذلك الذي أعطاه إياه حراس الغابة.

وبعدما قفزت تالي مرة أخرى على اللوح الطائر كان عليها أن تخفي تعبير الألم الذي علا وجهها. هذا ما ستكون عليه من الآن فصاعدًا، فأى نظرة عطف من ضحاياها سوف تشعرها بالسوء. قالت تالي: «حسنًا، دعنا نذهب.»

شق اللوح الطائر طريقه عبر المعسكر الذي انبعث منه الدخان، فوق ما تبقى من الشوارع بين الأطلال المحترقة. وإلى جانب مبنى طويل، أصبح الآن لا يزيد كثيرًا عن كونه قمة عالية من الأنقاض المنفحمة، أوقف ديفيد اللوح وقال: «هذا ما كنت أخشاه.»

حاولت تالي أن تتخيل ما الذي كان قائمًا في هذا المكان، لكن معرفتها بمنطقة الضباب قد تبخرت، فقد اختزلت الشوارع المألوفة لها إلى رقعة كبيرة من الجمرات والرماد لا يمكن التعرف عليها.

عندئذ رأت حفنة من الورق المحترق تطير في الهواء، إنها المكتبة.

صرخت تالي: «لم يخرجوا الكتب خارج المكتبة قبل أن ... لكن لماذا؟»

– «لم يرغبوا في أن يعرف الناس كيف كان الحال قبل إجراء عملية التجميل. هم يريدون أن تظلوا تكرهون أنفسكم على الدوام، وإلا فسوف تعتادون بسهولة على الوجوه القبيحة، أي الوجوه الطبيعية.»

التفتت تالي كي تنظر في عيني ديفيد وقالت: «البعض منهم، على أي حال.»  
ابتسم ديفيد ابتسامة حزينة.

عندئذ جال بخاطرها فكرة ما، فقالت: «عندما هرب الرئيس كان بحوزته بعض المجلات القديمة. لعله تمكن من الهروب.»

قال ديفيد بارتياح: «هرب سيرًا على الأقدام؟»

أجابته تالي: «أتمنى ذلك.» ثم مالت، فتحرك اللوح باتجاه حافة المدينة. وكانت لا تزال هناك بقعة من الفلفل المجفف تميز الأرض في المكان الذي صارت فيه المرأة التابعة للسلطات الخاصة. قفزت تالي، وحاولت أن تتذكر المكان الذي هرب منه الرئيس متجهًا إلى الغابة تحديدًا.

قال ديفيد: «إن هرب، فحتمًا سيكون قد قطع مسافة طويلة.»

شقت تالي طريقها عبر الأجمة، بحثًا عن أمارات لحدوث عراك. وكانت أشعة شمس الصباح تتسلل بين أوراق الشجر، ويقطع الغابة درب من الأجمة المقطوعة. ولم يكن الرئيس يتمتع بالقدر الكبير من الرشاقة لذا خلف مسارًا كان يمشي فيه كفيل محمل بثقل كبير.

عثرت تالي على الحقيبة المصنوعة من الصوف شبه مخبأة، مدفوعة تحت شجرة ساقطة كستها الطحالب. فتحت تالي الحقيبة فوجدت أن المجلات لا تزال بها، وكل واحدة منها ملفوفة بعناية بغطاء بلاستيكي خاص بها. علقت تالي الحقيبة على كتفها، وقد شعرت بالفرح لأنها قد أنقذت شيئاً ما من المكتبة، مما يمثل انتصاراً ضئيلاً على الدكتوراة كابل.

بعد لحظة عثرت على الرئيس.

كان مستلقياً على ظهره، ورأسه مائل بزاوية أدركت تالي على الفور أنها زاوية خاطئة تماماً. كانت أصابعه مطبقة، وأظافره ملوثة بالدماء نتيجة خدشها لشخص ما. لا بدّ أنه قاومهم كي يلهيهم، ربما ليمنعهم من العثور على حقيبة المجلات، أو لعله كان يلهيهم عن تالي عندما رأى أنها وصلت الغابة أيضاً.

وتذكرت تالي ما ذكره لها أفراد السلطات الخاصة أكثر من مرة: لا نريد أن نوذيك، لكننا سنفعل إن اضطررنا لذلك.

لقد كانوا جادين بشأن هذا الأمر. هم جادون دوماً.

تعثرت تالي في طريقها خارج الغابة، مذهولة، والحقيبة لا تزال تتدلى من كتفها. سألتها ديفيد: «هل عثرتِ على شيء ما؟»  
لم تجبه.

رأى ديفيد التعبير الذي علا وجهها، فقفز من على اللوح وهو يقول: «ماذا حدث؟»

- «لقد قبضوا عليه، لقد قتلوه.»

نظر ديفيد إليها فاغراً فاه، ثم أخذ نفساً بطيئاً وقال: «هيا بنا يا تالي. لا بدّ أن نذهب.»

طرفت تالي بعينيها. لقد بدا ضوء الشمس وكأن ثمة شيئاً خاطئاً ألم به، لقد بدا مختلفاً عن شكله المألوف، مثل عنق الرئيس. لقد بدا الأمر وكأن العالم أصبح مشوهاً بشكل مخيف وهي وسط الأشجار. دمدت تالي متسائلة: «إلى أين؟»

- «ينبغي أن نذهب إلى منزل والدي.»

## الفصل التاسع والثلاثون

# مادي وآز

حلق ديفيد باللوح أعلى قمة الجبل بسرعة رهيبية حتى إن تالي ظنت أنهما سوف يسقطان. غرست تالي أناملها في معطف ديفيد كي تحتفظ بوضع ثابت لنفسها، وكانت سعيدة بالنعل المانع للانزلاق الذي تميز به الحذاء الجديد. قالت تالي: «اسمع يا ديفيد، لقد قاومهم الرئيس لذلك قتلوه.»

- «كان والداي سيقاومان أيضاً.»

عضت تالي شفتها، وصبت تركيزها بالكامل على البقاء على سطح اللوح. وعندما وصلا أقرب مدخل لطريق الألواح الطائرة يقود إلى منزل والديه، قفز ديفيد من على اللوح وركض عبر المنحدر بسرعة.

لاحظت تالي أن اللوح غير كامل الشحن، فقضت لحظة في بسطه في الشمس قبل أن تلحق بديفيد، إذ لم تكن في عجلة من أمرها كي تكتشف ما الذي حلّ بمادي وآز. لكن عندما فكرت في أن ديفيد سوف يكتشف أمر والديه وحده، أسرعت وراءه. استغرقت تالي دقائق طويلاً في اكتشاف الطريق المؤدي إلى المنزل وسط الأجمة الكثيفة. فقد جاء إلى هذا المكان منذ ليلتين في الظلام، ومن اتجاه مختلف. أنصتت تالي لكي تسمع صوت ديفيد، لكنها لم تستطع أن تسمع أي شيء، وعندئذ تغير اتجاه الريح وجاءت محملة برائحة الدخان عبر الأشجار.

لم يكن حرق البيت بالأمر الهين.

فلما كان منشأً في الجبل، لم توفر جدران الصخرية وسقفه الوقود الذي يساعد النيران على الاشتعال. لكن من الواضح أن الغزاة قد ألقوا شيئاً ما بالداخل يحتوي على وقود. كانت النوافذ منفجرة للخارج، والزجاج مبعثر بين العشب أمام المنزل، ولم يتبق شيء من الباب سوى بعض آثاره المحترقة تتأرجح من المفصلات في الهواء.

وقف ديفيد أمام المنزل غير قادر على أن يعبر عتبة.

قالت تالي: «ابق هنا».

خطت تالي عبر المدخل، لكن الهواء غلبها وسيطر عليها للوهلة الأولى. ولما تسللت أشعة ضوء الصباح إلى الداخل أبرزت جزيئات الرماد المتطايرة في الجو. لقد كانت تدور حول تالي، وكانت تالي بمرورها تحت مجرات حلزونية صغيرة حولها. تهشمت ألواح أرضية المنزل المحترقة تحت قدميها، وتفحمت تمامًا في بعض الأماكن حتى إنها كشفت عن الصخر الموجود تحتها. ومع ذلك نجت بعض الأشياء من النيران؛ ومن بينها التمثال الرخامي الذي تذكرته تالي من زيارتها الأولى للمنزل، وكذلك ظلت إحدى البساط التي كانت معلقة على الجدار كما هي دون أن يطولها أذى، وهو الأمر الذي كان يتعذر تعليقه. وفي غرفة الاستقبال، حافظ عدد قليل من فناجين الشاي على لونه الأبيض وسط الأثاث الذي احترق تمامًا. التقطت تالي أحدها، مدركة أنه إذا استطاعت بعض الأكواب أن تنجو من النيران، فإن الجسد البشري قد يترك بعض الآثار.

ازدردت تالي ريقها؛ فلو كان والدا ديفيد هنا أثناء الحريق، سيسهل العثور على أي شيء متبقي منهما.

وبالتعمق أكثر في المنزل، وتحديدًا في المطبخ الصغير، دخلت تالي لترى أواني وأوعية من صنع المدينة تدلت من السقف، وكان معدنها المعوج والمحترق لا يزال يومض في بقع قليلة منه. لاحظت تالي وجود عبوة دقيق، وقطع قليلة من الفاكهة المجففة التي أثارت شكوى معدتها الخاوية. كانت غرفة النوم آخر غرفة في المنزل.

كان السقف الصخري لها منخفضًا ومائلًا، وكان طلائها مشققًا متفحمًا من جراء تأجج الحريق المستعر. شعرت تالي بحرارة الحريق التي كانت لا تزال تنبعث من الفراش، حيث وجدت النيران الهائلة وقودًا لها في المرتبة المحشوة بالقش واللحاف السميك.

هزت تالي رأسها وهي تخطو عبر الباب.

لكن آز ومادي لم يكونا هناك. لم يكن هناك شيء بالغرفة يمكن أن يكون بقايا أجساد بشرية. تنفست تالي الصعداء وشقت طريقها عائدة إلى الخارج، وفي طريقها كانت تعيد تفقد كل غرفة مرة أخرى.

هزت تالي رأسها وهي تخطو عبر الباب وقالت: «ربما أخذتهما السلطات الخاصة، أو ربما لاذا بالفرار».



أوماً ديفيد برأسه ثم اندفع ليتجاوزها. وقعت تالي على الأرض وسعلت، فأخيراً ثارت رثتها على الدخان والجزيئات الدقيقة التي استنشقتها. وأدركت أن يديها وذراعيها قد كساهما اللون الأسود من جراء سخام الحريق.

وعندما خرج ديفيد من الغرفة، كان ممسكاً بسكين طويل. قال ديفيد: «ابسطي يديك.»

– «ماذا؟»

– «الأصفاة، لا أستطيع تحمل رؤيتها.»

أومأت تالي برأسها ثم بسطت يديها. أدخل ديفيد بحذر نصل السكين بين البلاستيك ويدها، ممرراً إياها نهاباً وإياباً كي يقطع الأصفاة.

بعد مرور دقيقة كاملة، أخرج السكين وهو يائس وقال: «إنها غير مجدية.» نظرت تالي عن كثب فوجدت أن السكين لم يترك حتى علامة على البلاستيك. هي لم تر كيف فصل رجل السلطات الخاصة أصفاةها وراء ظهرها، لكنه لم يستغرق سوى لحظة. لعلهم يستخدمون محفزاً كيميائياً.

قالت تالي: «ربما يكون نوعاً من البلاستيك المستخدم في الطائرات، فبعض هذه المواد أقوى من الفولاذ.»

عبس وجه ديفيد: «إذن كيف فصلتِهما؟»

فغرت فاه تالي، وأرادت الحديث لكنها لم تقو على الكلام؛ إذ لا يمكنها أن تخبره بالطبع أن فرد السلطات الخاصة هو الذي فك لها الأصفاة بنفسه.

– «ولماذا لديك اثنان من الأصفاة في كل معصم؟»

نظرت تالي إلى أسفل نحو يديها في صمت، متذكراً أنهم كبلوها أولاً عندما أسرت، ثم كبلوها مرة أخرى أمام دكتورة كابل قبل أن يأخذوها للبحث عن القلادة. نطقت تالي بشق النفس قائلة: «لا أعرف، أظن أنهم ضاعفوا الأصفاة، لكن فصلها كان سهلاً، لقد فصلتها على صخرة حادة.»

قال: «لا يبدو هذا منطقياً.» ثم نظر ديفيد للسكين وأردف قائلاً: «كان والذي يقول دوماً إن هذه هي أكثر الأشياء التي أحضرها من المدينة نفعاً. إنها مصنعة من خليط معدني ذات تقنية عالية ويدخل فيها خيوط أحادية.»

هزت تالي منكبها وقالت: «قد يكون الجزء الذي ربط الأصفاة معاً مصنوعاً من مادة مختلفة.»

هز ديفيد رأسه، وهو غير مقتنع تمامًا بقصتها. وأخيرًا هز كتفيه وقال: «آه، حسنًا، سيتعين علينا أن نتعايش معها فحسب. لكن الشيء الوحيد الأكيد هو أن والداي لم يهربا.»

- «كيف عرفت ذلك؟»

رفع ديفيد السكين وقال: «لو كان والدي قد تلقى أي تحذير، ما كان ليغادر البتة دون هذا السكين. لا بدّ أن أفراد السلطات هجموا عليهما على حين غرة.»

- «آه. أنا آسفة يا ديفيد.»

- «على الأقل هما لا يزالان على قيد الحياة.»

نظر ديفيد في عينيها، فرأت تالي أن رعبه قد زال. قال ديفيد: «حسنًا يا تالي، هل ما زلتِ ترغبين في اللحاق بهما؟»

- «نعم، بالطبع.»

ابتسم ديفيد وقال: «هذا جيد.» ثم جلس إلى جانبها، وهو ينظر إلى الورا نحو المنزل وهو يهز رأسه ثم أردف قائلاً: «لقد حذرتني أُمي دومًا من أن هذا سوف يحدث. لقد حاولا أن يعداني لهذا الأمر طوال الوقت الذي كنت أنضج فيه. ظل ذلك وقتًا طويلًا كنت فيه أصدق ما كانا يقولانه، لكن بعد كل هذه السنوات بدأت أتشكك في الأمر؛ ربما كان والداي مصابين بجنون الشك؛ ربما لم تكن السلطات الخاصة حقيقية مثلما كان يقول الفارون دائمًا.»

أومأت تالي برأسها في صمت.

استرسل ديفيد: «والآن، وبعد أن وقع ما وقع، يبدو لي الأمر وكأنه غير حقيقي تمامًا.»

قالت تالي: «أنا آسفة يا ديفيد.» لكنه لم يعرف بالضبط لماذا هي آسفة. لن يعرف قبل أن تساعد في إنقاذ والديه على الأقل. قالت تالي: «لا تقلق، سنعتز عليهما.»

- «سنعرج على مكان ما أولاً.»

- «أين؟»

- «حسبما قلت لك، كان والداي متأهبين لهذا الأمر، حتى منذ أن أسسا منطقة الضباب. لقد أعدا العدة للأمر.»

قالت تالي وهي تلمس الجلد الناعم لمعطفه ذي الصناعة اليدوية: «مثل أن يتيقنا من أنك سوف تستطيع الاعتناء بنفسك.»

ابتسم لها ديفيد وأخذ يفرك السخام من وجنتها بأحد أصابعه وقال: «لقد فعلا أكثر من ذلك. تعالي معي.»

في كهف قريب من المنزل، كانت فتحته غاية في الصغر حتى إن تالي اضطرت لأن تزحف على بطنها، أراها ديفيد مخبأً للعدة والمؤن التي كان والداه يوليانها عنايتهما على مدار عشرين عامًا.

كان هناك أجهزة لتنقية المياه وأجهزة لتحديد الاتجاهات وملابس خفيفة الوزن، وحقائب نوم تخضع لمقاييس الضبابيين، كانت هذه الأشياء ثروة مؤكدة مختزلة في معدات النجاة. أما الألواح الطائرة الأربعة الموجودة هناك فقد كانت عتيقة الطراز، لكنها كانت مزودة بالإمكانات الموجودة في اللوح الذي أعطته دكتورة كابل لتالي للقيام برحلتها إلى منطقة الضباب، وكانت هناك أيضًا مجموعة من أجهزة الاستشعار التي توضع في حزام حول الخصر، وقد غُلّفت بإحكام لحمايتها من الرطوبة. كان كل شيء يتمتع بأعلى جودة.

– «يا إلهي، لقد أعدا العدة مسبقًا.»

– «دائمًا ما كانا يعدان لهذا.» ثم التقط مصباحًا وسلط شعاعه الضوئي على صخرة كي يختبره وقال: «كل مرة أتيت فيها لأتفقد هذه الأشياء، كنت أتخيل هذه اللحظة. لقد خططت ملايين المرات لما سأحتاج إليه بالضبط. فمن كثرة تخيله بدا الأمر وكأنه لا بد أن يحدث.»

– «إنها ليست غلطتك يا ديفيد.»

– «لو كنت هنا ...»

– «لكنك الآن في إحدى العربات الطائرة التابعة للسلطات الخاصة مكبلاً، بالطبع غير قادر على إنقاذ أي شخص.»

قال: «نعم، لكن بدلًا من ذلك، أنا هنا الآن.» ثم نظر إليها وقال: «لكن على الأقل أنت هنا أيضًا. أنتِ الشيء الوحيد الذي لم أتخيله في كل هذه المرات التي كنت أتخيل فيها انهيار منطقة الضباب. حليفٌ غير متوقع.»

ابتسمت تالي بصعوبة.

أخرج ديفيد حقيبة كبيرة مصنوعة من جلد مقاوم للماء وقال: «أنا أتضور جوعًا.»

أومأت تالي برأسها، ثم شعرت بدوار في رأسها للحظة؛ فهي لم تتناول أي طعام منذ وجبة العشاء التي تناولتها منذ ليلتين.

أخذ ديفيد يبحث داخل الحقيبة وقال: «هناك الكثير من الطعام الجاهز. لنرى: أرز بالخضراوات، مكرونة بالكاري، كرات اللحم السويدي، والأرز التايلاندي ... ماذا تفضلين؟»

أخذت تالي نفسًا عميقًا. ها هي تعود إلى حياة البرية مرة أخرى.  
أجابت تالي: «أي شيء فيما عدا الاسباجتي بولونيز.»

## وباء البترول

غادر ديفيد وتالي منطقة الضباب عند مغيب الشمس.

ركب كل واحد منهما لوحين من الألواح الطائرة. ولأن اللوحين كانا مضغوطين معًا مثل الساندويتش، كان باستطاعة هذه الألواح المزدوجة أن تحمل وزنًا مضاعفًا تمثل معظمه في الحقائق التي تتدلى على جانبي اللوح. حزم ديفيد وتالي كل شيء نافع طالته أيديهما، بالإضافة إلى المجلات التي أنقذها الرئيس. أيا كان ما سيحدث، فلا فائدة من الرجوع إلى منطقة الضباب مرة أخرى.

شقت تالي طريقها بحذر عبر النهر أسفل الجبل، وكان الوزن الزائد يتأرجح تحتها مثل الكرة. على الأقل هي الآن ترتدي أساور الصدمات من جديد.

هذه المرة سوف تتخذ رحلتها مسارًا مختلفًا تمامًا عن ذلك الذي اتخذته تالي؛ فهو مصمم كي يسهل اتباعه، وجزء منه يشمل ركوب طائرة مروحية مع حراس الغابة. لن تكون هذه الرحلة رحلة مباشرة. ونظرًا لأنهما كانا محملين بحمولة زائدة، فلن يستطيعا حمل السير على الأقدام حتى وإن كان ذلك لمسافة قصيرة. ففي كل بوصة من الرحلة لا بد أن يمر بأرض أو مياه قابلة للتخليق فوقها، مهما أدى ذلك إلى ابتعادهما عن طريقهما الأصلي. وبعد حدوث الغزو، قد يرفض المكوث في أي مدينة.

ولحسن الحظ كان ديفيد قد ارتحل من مدينة تالي وإليها عشرات المرات، بمفرده وبمعية القبعاء قليلي الخبرة تحت قيادته. لقد صار ملماً بدرجة كبيرة بالأنهار وخطوط السكك الحديدية، والأطلال وأماكن تواجد المعدن الخام الطبيعي، والعشرات من طرق الهروب التي ابتدعها تحسبًا لأن يكون هناك من يتعقبه من سلطات المدن.

قال ديفيد عندما شرعا في رحلتهم: «سوف تستغرق الرحلة عشرة أيام، إذا حلقنا طوال الليل ومكثنا على الأرض أثناء النهار.»

قالت تالي: «يبدو هذا رائعًا.» لكنها تساءلت عما إذا كانت هذه المدة ستتيح لهما السرعة الكافية لإنقاذ أي شخص من العملية.

وفي منتصف ليل الليلة الأولى لسفرهما، تجنبنا الجدول المؤدي إلى التل ذي الرأس الأضلع، وتبعنا قاع النهر الجاف عبر الأزهار البيضاء، الذي قادهما إلى حافة صحراء مترامية الأطراف.

- «كيف سنجتاز ذلك؟»

أشار ديفيد إلى أشكال سوداء بارزة من الرمال، اختفى صف كامل منها. قال ديفيد: «كانت هذه تستخدم يومًا ما كأبراج تربطها معًا أسلاك فولاذية.»

- «وما الغرض منها؟»

- «لقد كانت تنقل الكهرباء من إحدى محطات توليد الكهرباء عن طريق الرياح إلى إحدى المدن القديمة.»

عبس وجه تالي وقالت: «لم أكن أعلم أن سكان العصر القديم كانوا يستخدمون طاقة الرياح.»

- «لم يكونوا كلهم مجانين تمامًا، معظمهم فحسب.» ثم هز منكبيه واسترسل قائلاً: «عليك أن تتذكرني أننا في المقام الأول ننحدر من سكان العصر القديم، وأنا ما زلنا نستخدم تقنياتهم الأساسية. لا بد أن بعضهم كان لديه أفكار صائبة.»

كانت الأسلاك لا تزال مطمورة في الصحراء، تحميها الرمال المتحركة وغياب سقوط الأمطار شبه التام. وفي بعض البقاع كانت الأسلاك مُقطعة أو صدئة، لذا كان على تالي وديفيد أن يطيرا بحذر، وعيونهما مثبتتان على أجهزة كشف المعادن التي زُودت بها الألواح. وعندما وصلا إلى إحدى الفجوات لم يستطيعا القفز، بل كان عليهما أن يبسطا قطعة طويلة من السلك كان ديفيد يحملها، ثم يمررا اللوحين عليها، ويرشدا إياهما مثل البهائم النافرة عبر جسر مشاة ضيق قبل أن يطويا قطعة السلك مرة أخرى.

ولم يسبق لتالي أن رأت صحراء حقيقية في حياتها قط. لقد درست في المدرسة أنها كانت مفعمة بالحياة، لكن هذه الصحراء كانت تشبه تلك الصحاري التي كانت تتخيلها وهي صغيرة، فهي عبارة عن روابٍ بلا ملامح تمتد في الفضاء واحدة تلو

الأخرى، ولا شيء يتحرك فيها سوى تموجات الرمال البطيئة التي تحملها الرياح والتي تماثل الأفعى في حركتها.

لم تكن تالي تعلم من أسماء الصحاري سوى اسم واحد لصحراء كبيرة مترامية الأطراف في القارة، فسألت ديفيد: «هل هذه هي صحراء موييف؟»  
 هز ديفيد رأسه بالنفي وقال: «قد لا تصل هذه الصحراء إلى المساحة الشاسعة التي لصحراء موييف، وكذلك هي صحراء غير طبيعية المنشأ. نحن نقف في المكان الذي بدأت فيه الأعشاب الضارة البيضاء في النمو.»  
 أصدرت تالي صوت صفير. لقد بدت الرمال وكأنها تمتد إلى ما لا نهاية. قالت تالي: «يا لها من كارثة.»

- «عندما تلاشت الشجيرات، وحلت محلها أزهار السحلية، لم يكن هناك شيء يحفظ التربة الجيدة من الضياع، لذا ذهبت أدراج الرياح ولم يتبق سوى الرمال.»  
 - «هل يمكن أن يكون هناك أي شيء آخر بخلاف الصحراء؟»  
 - «بالطبع، في غضون ألف سنة تقريبًا. ربما يتوصل شخص ما آنذاك إلى طريقة تمنع عودة العشب الضارة مرة أخرى. إن لم نستطع نحن تحقيق ذلك الأمر، فستتكرر عملية الإحلال وضياع التربة مرة أخرى.»

ومع قرب بزوغ الفجر وصلا إلى إحدى مدن العصر القديم، التي برزت فيها مجموعة من المباني العادية المهجورة في بحر الرمال.  
 ولقد غزت الصحراء المكان على مدار قرون من الزمان، وتدفقت الكثبان الرملية عبر الشوارع كالنهر، ولكن المباني كانت بحال أفضل من غيرها من مباني الأطلال الأخرى التي شاهدها تالي. لقد برت الرمال حواف الأشياء، لكنها لم تكن تهدمها مثلما تفعل الأمطار والنباتات.

ومع أنهما لم يشعرًا بالإجهاد بعد، لم يستطيعا الترحال أثناء النهار؛ فالصحراء لم تقدم أي حماية من الشمس، أو ستارًا يحجب الهواء. لذا خيم ديفيد وتالي في الطابق الثاني من بناية منخفضة لأحد المصانع التي كانت لا تزال تحتفظ بمعظم سقفها، ووقفت حولهما في سكون ماكينات طائرة قديمة ماثلت العربة الطائرة في ضخامة حجمها.

سأله تالي: «فيما كان يستخدم هذا المكان؟»

أجابها ديفيد: «أعتقد أنهم كانوا يصنعون الصحف هنا، أشياء تشبه الكتب، لكنك تتخلصين منها وتحصلين على واحدة جديدة كل يوم.»  
- «لا بد أنك تمزح.»

- «لا أمزح مطلقًا. وأنتِ كنتِ تظنين أننا كنا نهدر الأشجار في منطقة الضباب!»  
وجدت تالي رقعة تسللت فيها أشعة الشمس من السقف في المكان المنهار، فبسطت الألواح الطائرة كي يُعاد شحنها، وأخرج ديفيد عبوتين من البيض الملح. سألت تالي وهي تشاهد ديفيد وهو يضع بحذر القطرات القليلة الأخيرة من الماء المعبأ في زجاجات في أجهزة تنقية المياه: «هل سنجتاز الصحراء الليلة؟»  
- «لا بأس، سوف نصل إلى النهر التالي قبل منتصف الليل.»

تذكرت تالي شيئًا ما كانت قد أخبرتها شاي إياه منذ وقت طويل، في أول مرة أررتها فيها معدات النجاة، فسألت ديفيد: «هل من الممكن فعلاً أن نتبول في جهاز التنقية؟ ثم نشرب الماء، أqvصد؟»  
- «نعم، لقد فعلتها.»

اقشعر وجه تالي اشمئزازًا ونظرت من النافذة وقالت: «حسنًا، ما كان يجدر بي أن أسأل.»

وقف ديفيد وراءها وهو يضحك ضحكة رقيقة ثم وضع يديه على كتفيها وقال: «من المذهل ما يفعله الناس من أشياء غريبة كي ينجوا بحياتهم.»  
تنهدت تالي وقالت: «أعلم ذلك.»

كانت النافذة تطل على شارع جانبي، مستتر جزئيًا عن الصحراء التي غزت المكان، وفيه وقفت بعض العربات الأرضية المتفحمة شبه مطمورة في الأرض، وقد تصلبت إطاراتها المحترقة في الرمال البيضاء.

فركت تالي أساور الأصفاد التي ما زالت تلتف حول معصمها وقالت: «بالطبع أراد سكان العصر القديم النجاة، وكذلك كل تلك العربات المنتشرة في كل الأرجاء، لكن لم يبد أن النجاح قد حالفهم قط.»

- «لقد حالف النجاح بعضهم، لكن ليس في عرباتهم.»  
مالت تالي إلى الورا نحو دفته المظمن؛ وكان قد بقي بضع ساعات على بزوغ شمس الصباح التي من شأنها أن تطيح ببرودة الصحراء.

- «يا له من أمر غريب. ففي المدرسة، لم يتطرقوا بالحديث كثيرًا لما حدث وكيف حدث، لحظات الرعب الأخيرة، عندما انهار عالم سكان العصر القديم. كانوا



يهزون منكبيهم ويقولون إن كل ما هنالك هو أن أخطأهم أخذت تتراكم إلى أن انهيار كل شيء كالبيت المبني من أوراق اللعب.»

- «هذا صحيح إلى حد ما، فالرئيس لديه بعض الكتب القديمة التي تحدثت عن هذا الأمر.»

- «ماذا قالت؟»

- «حسنًا. لقد عاش سكان العصر القديم بالفعل في بيت مبني من أوراق اللعب، لكن أحدهم، دفعه دفعة قوية للغاية، ولم يستطع أحد على الإطلاق أن يكتشف من الذي فعلها. لعله سلاح من أسلحة سكان العصر القديم الذي خرج عن السيطرة، أو أناس عاشوا في بلدة فقيرة لم تعجبهم الطريقة التي تدبر بها سكان العصر القديم الأمور، أو ربما لم تكن إلا حادثة كحادثة الأزهار، أو عالم منعزل أراد أن يفسد الأمور.»

- «لكن ما الذي حدث؟»

- «لقد تفشى وباء، لكنه لم يصب الإنسان. لقد أصاب البترول.»

- «أصاب البترول؟»

أوماً ديفيد برأسه بالإيجاب ثم أردف قائلاً: «أجل، فالبتترول عبارة عن مادة عضوية، مستخرجة من النباتات القديمة والديناصورات وما إلى ذلك. لقد صنع أحدهم جرثومة قضت عليه. لقد انتشرت الجراثيم عبر الهواء، وعندما هبطت على البترول، سواء أكان مكرراً أم خاماً، تكاثرت بسرعة كبيرة، مثل العفن أو ما شابهه، وغيرت هذه الجرثومة بدورها التركيب الكيميائي للبتترول. هل رأيت عنصر الفوسفور من قبل؟»

- «هذا عنصر كيميائي، أليس كذلك؟»

- «نعم، وهو يشعل النيران عندما يتصل بالهواء.»

أومات تالي برأسها، فقد تذكرت ما جرى من عبث به في فصل الكيمياء، وهي ترتدي نظارات الأمان الواقية وتحدث عن الحيل التي يمكن فعلها به. لكن لم يجلب خاطر أحد قط خدعة من شأنها أن تؤدي بحياة الآخرين.

استرسل ديفيد قائلاً: «أصبح البترول الذي أُصيب بهذه الجرثومة في حالة غير ثابتة مثل الفوسفور. لقد انفجر عندما اتصل بالأكسجين، وحينما اشتعل، انطلقت الجراثيم في الدخان ثم انتشرت مع الرياح إلى أن وصلت الجراثيم العربة المجاورة أو الطائرة القريبة أو بئر البترول وأخذت في التفشي من جديد.»

– «يا للهول! هم كانوا يستخدمون البترول في كل شيء، أليس كذلك؟»  
 أوما ديفيد برأسه بالإيجاب ثم استطرد قائلاً: «مثل تلك العربات الموجودة  
 بالأسفل. لا بد أن الجراثيم طالتها وأصحابها يحاولون الخروج من المدينة.»  
 – «لماذا لم يتركوا سياراتهم ويترجلون فحسب؟»

– «غباء منهم على ما أظن.»  
 ارتجفت تالي مرة أخرى، لكن ليس من البرد هذه المرة. لقد كان يصعب عليها  
 أن تتصور سكان العصر القديم كأناس حقيقيين، وليسوا قوى تاريخية حمقاء  
 خطيرة وأحياناً هزلية. لكن لقد كان هناك أناس بالأسفل، وأياً كان ما تبقى منهم  
 بعد مرور مائتي عام، هم لا يزالون جالسين في عرباتهم المتفحمة وكأنهم لا يزالون  
 يحاولون أن يلوذوا بالفرار من قدرهم.

– «من العجب أنهم لم يخبرونا بهذا في فصل التاريخ، فهم يحبذون عادة أي  
 قصة تجعل من سكان العصر القديم أناساً مثيرين للشفقة.»  
 خفض ديفيد صوته وقال: «ربما لم يريدوا أن تدركوا أن لكل حضارة نقاط  
 ضعفها. دائماً ما يكون هناك شيء واحد يُعتمد عليه، وكل ما يتبقى هو قصة تُحكى  
 في فصل تاريخ.»

– «هذا لا ينطبق علينا؛ فنحن نستعين بالطاقة المتجددة، والموارد المستدامة،  
 وتتميز بثبات عدد للسكان.»

أصدر جهازاً تنقية المياه صفيراً للتعبير عن انتهاء مهمتهما، فسمح لها ديفيد  
 أن تحضرهما، ثم قال وهو يجلب الطعام: «ليس بالضرورة أن يتعلق الأمر بالأحوال  
 الاقتصادية. من الممكن أن يكمن الضعف في فكرة.»

استدارت تالي كي تأخذ وجبة البيض المالح الخاصة بها، واستدفأت بحرارتها  
 بين يديها، ولاحظت كيف بدا ديفيد جاداً فقالت: «إذن يا ديفيد، هل كان ذلك أمراً  
 من الأمور التي شغلت تفكيرك طوال هذه السنوات، عندما كنت تتخيل غزو منطقة  
 الضباب؟ هل تساءلت عما قد يحول المدن إلى مجرد تاريخ؟»

ابتسم ديفيد وأخذ قضمة كبيرة من البيض المالح.

– «إنه يتضح أكثر فأكثر كل يوم.»

## مناظر مألوفة

وصل ديفيد وتالي إلى حافة الصحراء الليلية التالية حسبما هو مخطط ثم تبعاً مجرى أحد الأنهار على مدار ثلاثة أيام، في طريقهما إلى البحر. وأخذهما هذا بعيداً نحو الشمال، وقد شعرت تالي ببرودة شهر أكتوبر/تشرين الأول مثل برودة أي شتاء مر عليها من قبل. لذا أخرج ديفيد سترة ثقيلة من البوليستر الفضي اللامع صنعت في المدينة، وارتدتها تالي أعلى معطفها المصنوع يدوياً، وهو الشيء الوحيد الذي تبقى لها من منطقة الضباب. فلقد شعرت تالي بالسعادة لأن النوم قد غلبها وهي ترتديه في الليلة التي سبقت غزو السلطات الخاصة، لذا هي لم تفقده في هذا اليوم مثل سائر أشيائها.

وفي رحلتها بدت الليالي المنقضية في التحليق باللوح وكأنها تمر سريعاً. ففي هذه الرحلة، لم يكن هناك مفاتيح لغز مشفرة وضعتها شاي لتحيورها، ولم يكن هناك حرائق تشتعل في الأجمة تهرب منها، وكذلك لم يكن هناك ماكينات طائرة عتيقة الطراز لسكان العصر القديم تهب وتخيفها حتى الموت. لقد بدا العالم خالياً من كل شيء باستثناء بعض الأطلال التي تعترض طريقهما بين الفينة والفينة، وكأن ديفيد وتالي هما آخر أناس على قيد الحياة.

وزاد ديفيد وتالي من نظامهما الغذائي بإضافة السمك الذي قاما باصطياده من النهر، وكذلك قامت تالي بشي أرنب على نيران أشعلتها بنفسها، وراقبت تالي ديفيد وهو يصلح ملابسه الجلدية فوجدت أنها لن تكون قادرة أبداً على التحكم في استخدام الإبرة والخيط استخداماً جيداً. وبينما تعلمت من ديفيد كيف تعرف الوقت والاتجاهات من خلال النجوم، أرشدته هي بدورها إلى كيفية تشغيل برنامج الأداء المتميز في الألواح كي يزيد من كفاءتها للسفر ليلاً.

وعند وصولهما إلى البحر، استدارا جنوبًا، متجهين إلى أسفل ناحية الأطراف الشمالية لمسار السكك الحديدية الممتد بمحاذاة الساحل، وهو نفسه الذي اتبعته تالي في طريقها إلى منطقة الضباب. وذكر ديفيد أن هذا المسار للسكك الحديدية كان في وقت من الأوقات ممتدًا بلا فجوات طوال الطريق إلى مدينة تالي وإلى ما ورائها. لكن الآن صارت هناك فجوات واسعة في المسار، وبُنيت مدن جديدة على البحر، لذا كان عليهما أن يسافرا بعيدًا عن البحر في كثير من الأحيان. لكن لما كان لدى ديفيد معرفة جيدة بالأنهار، وحواف السكة الحديدية والطرق الأخرى ذات المعادن التي خلفها سكان العصر القديم وراءهم، سجل ديفيد وتالي وقتًا قياسيًا في رحلتها للوصول إلى هدفهما.

ولم يكن من عائق لتقدمهما سوى الطقس؛ فبعد بضعة أيام من السفر بطول الساحل، ظهر جبل قاتم من السحب فوق المحيط. في بادئ الأمر بدت العاصفة وكأنها نافرة عن الهبوب على الشاطئ، وأنها تكثف من حدتها على مدار أربع وعشرين ساعة مرت ببطء، وتغير ضغط الجو بطريقة جعلت الألواح الطائرة هائجة بشكل يصعب معه الطيران. صحيح أن العاصفة قد وجهت لهما الكثير من التحذيرات، لكنها عندما هبت في آخر المطاف، جلبت طقسًا أسوأ بكثير مما توقعته تالي. فلم يسبق لها على الإطلاق أن واجهت القوة الكاملة لإعصار. وهنا تجلى درس آخر عن القوة الوحشية للطبيعة.

على مدار ثلاثة أيام، جثم ديفيد وتالي في خيمة مصنوعة من البلاستيك، مستترين ببروز صخري، يشعلان أعوادًا متوهجة كيميائية يستقيان منها الحرارة والضوء، أملين ألا يتسبب المغناطيس الموجود بالألواح الطائرة في حدوث صاعقة برق. وللأسعادات الأولى، أذهلتها مأساة العاصفة، وانبهرا بقوتها، وتساءلا عن القصف التالي للرعء الذي سيهز الجروف الصخرية. بعد ذلك صار هطول المطر يسير على وتيرة واحدة، فقضيا يومًا كاملًا وهما يتحدثان عن أي شيء وكل شيء، لكنهما ركزا على وجه الخصوص على طفولتهما، إلى أن صارت تالي على يقين تام بأنها تفهم ديفيد أكثر من أي شيء عرفته في حياتها. وفي اليوم الثالث لمكوتهما في الخيمة، وقع شجار رهيب بينهما — لا تتذكر تالي سببه البتة — انتهى باندفاع ديفيد إلى الخارج ووقوفه بمفرده في الرياح الثلجية مدة ساعة كاملة. وعندما عاد أخيرًا إلى الخيمة، غلبه الارتجاف ساعات طويلة حتى وهي تضمه بين ذراعيها. قال ديفيد في النهاية: «نحن نضيع الكثير من الوقت.»

ضمته تالي إليها بشدة أكبر؛ فتأهيل الأفراد الذين سيخضعون للعملية يستغرق بعض الوقت، ولا سيما إن كانوا قد تجاوزوا السادسة عشرة من عمرهم. لكن دكتورة كابل لن تنتظر إلى الأبد حتى تحول والديّ ديفيد إلى حسان. وبانقضاء كل يوم يتأخران فيه عن هدفهما بسبب العاصفة، تزداد احتمالية وقوع مادي وآز تحت مشرط الجراحة. أما فيما يخص شاي، فقد كان سنها هو السن المثالي للتحول، لذا كانت احتمالات خضوعها للعملية أكثر ترجيحًا.

قالت تالي: «سوف نصل إلى هناك، لا تقلق. لقد كانوا يحددون القياسات المطلوبة لي على مدار عام كامل قبل الوقت الذي يُفترض أن تجرى فيه العملية، فإجراء العملية بطريقة صائبة يستغرق بعض الوقت.»

سرت قشعيرة هزت بدنه.

– «ماذا لو لم يكلفوا أنفسهم عناء إجرائها بطريقة صائبة؟»

انتهت العاصفة في صباح اليوم التالي، وخرج ديفيد وتالي من مخبئهما ليريا العالم وقد تبدلت ألوانه، فقد تلونت السحب باللون الوردى الزاهي، وصار العشب بلون أخضر خارق للطبيعة، وصار لون المحيط داكنًا بدرجة أكبر من أي مرة رآته فيه تالي، ولا يميزه سوى قمم الموجات ذات الزبد، وانتشار الخشب الطافي الذي تسوقه الرياح إلى البحر. وطوال النهار حلق ديفيد وتالي كي يعوضا الوقت الضائع مذهولين من أن العالم لا يزال موجودًا حولهما بعد هذه العاصفة العاتية.

بعدئذ اتجه مسار السكة الحديد بعيدًا عن البحر. وبعد بضع ليال، وصلا إلى مدينة الأطلال الصدئة.

بدت الأطلال أصغر حجمًا، وكأن قمم الأبراج قد انكشفت منذ أن تركتها تالي وراءها منذ ما يزيد عن شهر، عندما اتجهت إلى منطقة الضباب بلا شيء سوى ورقة الاتجاهات التي أعطتها إياها شاي وحقيبة مملوءة بالاسباغتي بولونيز. وبينما كانت تعبر هي وديفيد الشوارع المظلمة، لم تعد تالي ترى أشباح مدينة الأطلال مروعة وهي تطل من النوافذ.

قالت تالي: «لقد شعرت حقًا بالذعر الشديد من هذا المكان في المرة الأولى التي جئت فيها إلى هنا ليلاً.»

أوماً ديفيد برأسه: «إن رعبها يكمن في كيفية احتفاظها بكيانها حتى الآن. فعلى عكس كل الأطلال التي رأيتها، هذه الأطلال تبدو الأكثر حداثة.»  
 - «لقد رشوها بمادة ما للحفاظ على آثارها من أجل الرحلات المدرسية.»  
 وأدركت تالي أن هذا هو حال مدينتها بكلمات موجزة؛ إذ لم يُترك شيء لحاله، فكل شيء تحول إلى رشوة، أو تحذير، أو درس.

وأخفى ديفيد وتالي معظم عدتهما في بناية منهاره بعيداً عن مركز المدينة، في مكان منهار يتجنبه القبحاء حتى أولئك الذين يتغيّبون عن المدرسة، ولم يأخذا معهما سوى أجهزة تنقية المياه، ومصباح، والقليل من عبوات الطعام. ولأن ديفيد لم يقترب من المدينة لأبعد من حدود مدينة الأطلال، تولت تالي القيادة من هذا الموضع، متتبعه مسار الحديد الخام الذي أرتها شاي إياه منذ أشهر.

سألت تالي وهما يترجلان نحو النهر ويحملان ألواحهما لأول مرة في رحلتها:  
 «أتظن أننا سنكون صديقين من جديد؟»  
 - «أتقصدين أنتِ وشاي؟ بالطبع.»  
 - «حتى بعدما صرنا ... أنا وأنت؟»  
 - «عندما ننقذها من السلطات الخاصة، أتوقع أنها سوف تسامحك على كل شيء.»

صمتت تالي؛ فقد خمنت شاي بالفعل أن تالي قد خانت أهل منطقة الضباب. ويراود تالي الشك في أنه يمكن لأي شيء أن يعوض هذا الأمر.  
 ما إن وصلا إلى النهر، حتى اندفعا أعلى المياه ذات الزبد بأقصى سرعتهما، مسرورين لأنهما قد تخلصا أخيراً من الأمتعة الثقيلة. ومع تناثر رذاذ المياه على وجه تالي، وانتشار خريز المياه حولها، كادت أن تتخيل هذه الرحلة كإحدى رحلاتها الاستكشافية التي قامت بها عندما كانت طفلة خالية البال من أطفال المدينة وليست ...

من هي الآن؟ فهي لم تعد جاسوسة، ولا تستطيع أن تطلق على نفسها مسمى ضبابية بعد. تكاد تكون جميلة، لكنها لم تعد تشعر أيضاً أنها قبيحة. لم تعد شيئاً بعينه، لكن على الأقل هي تحيا الآن من أجل غرض.  
 بزغت المدينة في الأفق.

صاحت تالي لديفيد عبر المياه الهائجة: «ها هي، لكنك رأيت مدناً من قبل، أليس كذلك؟»

« لقد اقتربت بهذه الدرجة إلى عدد قليل من المدن، لكن ليس أقرب من هذا. »  
 حدثت تالي في الأفق المؤلف، كانت الآثار الرفيعة للألعاب النارية تلقي بظلالها على أبراج الاحتفالات والقصور. شعرت تالي بوخز في صدرها، فلقد انتابها شعور أشبه بشعور الحنين إلى الوطن، بل أسوأ. فمنظر نيو برتي تاون غلبها بالحنين. والآن صار الأفق أشبه بصدفة خاوية لا ديبب للحياة فيها، وتلاشت كل وعودها. فشأنها شأن ديفيد، لقد فقدت تالي موطنها. لكن على خلاف منطقة الضباب، مدينتها لا تزال في حيز الوجود، تراها بأعينها الآن، لكنها خاوية من كل المعاني التي كانت تعنيها يوماً ما. قالت تالي: « لا يزال أمامنا بضع ساعات قبل شروق الشمس. أتريد أن تلقي نظرة على مبنى السلطات الخاصة؟ »

أجابها ديفيد: « كلما أسرعنا كان أفضل. »

أومأت تالي برأسها، وعيناها تتبعان الأنماط المألوفة للأضواء والظلام الذي يكتنف المدينة. لقد كان لديهم متسع من الوقت يتيح الذهاب إلى هناك ثم العودة مرة أخرى قبل انبلاج الفجر.  
 قالت تالي: « هيا بنا. »

تتبعا مجرى النهر الممتد بطول حزام الأشجار والأجمات التي تفصل آجلي فيل عن الضواحي. وكان الحزام الأخضر هو أفضل مكان للتنقل دون أن يراهما أحد، ومكان جيد للتخليق فيه أيضاً.

همس ديفيد من ورائها وهي تنطلق عبر الأشجار: « لا تسرعني! »

أبطأت تالي من سرعتها وقالت: « لست مضطراً لأن تهمس، لا يأتي أحد إلى هنا ليلاً. تلك منطقة تابعة للقبحاء، وجميعهم نائمون الآن، إلا إذا كانوا يقومون بخدع. »  
 أجابها: « حسناً. لكن ألا يجدر بنا أن نكون أكثر اهتماماً بتقصي الطرق الخاصة بالألواح الطائرة؟ »

« طرق الألواح الطائرة؟ الألواح الطائرة تعمل في كل مكان بالمدينة دون الحاجة إلى دروب خاصة بها يا ديفيد، فهناك شبكة معدنية تبطن كل المدينة. »  
 « آه، حسناً. »

ابتسمت تالي. لقد اعتادت العيش في عالم ديفيد، لذا كان من الجيد أن تشرح له بعض الأشياء ولو لمرة واحدة. قالت بنبرة ساخرة: « ما الخطب؟ ألا تستطيع أن تلحق بي؟ »

ابتسم ديفيد ابتسامة عريضة وقال: «لتختبريني».

استدارت تالي وانطلقت بلوحها إلى الأمام واتخذت مسارًا متعرجًا بين شجر الحور الطويل، تاركة ردود أفعالها تقودها.

تذكرت تالي الزيارتين اللتين ركبت فيهما العربات الطائرة إلى مقر قيادة السلطات الخاصة، فلقد حلقوا عبر الحزام الأخضر في الجانب الأقصى من المدينة، ثم اتجهوا إلى الخارج نحو حلقة النقل وهي المنطقة الصناعية التي تقع بين الضواحي التي يعيش فيها الحسان متوسطو العمر والجزء الخارجي من كرامبلي فيل. وكانت الصعوبة تكمن في عبور الضواحي، إذ تعد مكانًا خطيرًا لأن تتواجد فيه وجوه قبيحة، لكن من حسن الحظ أن الحسان متوسطي العمر يخلدون إلى النوم مبكرًا، فذلك هو الحال مع معظمهم.

وتسابقت مع ديفيد إلى منتصف الطريق حول الحزام الأخضر، إلى أن ظهرت أمامهما مباشرة أضواء المستشفى الكبير عبر النهر. تذكرت تالي الصباح المرعب لأول يوم اجتذبت فيه فجأة بعيدًا عن العملية الموعودة، وأخذت بعيدًا لاستجوابها، ونزع بساط مستقبلها من تحت قدميها. تجهم وجهها، فقد أدركت أنها كانت ذاهبة فعلاً هذه المرة لمراقبة السلطات الخاصة.

شعرت تالي بوخز خفيف في جسمها حينما تركا الحزام الأخضر، فقد كان جزء ضئيل جدًا منها لا يزال يتوقع أن يحذرهما خاتم الاتصال الخاص بها أنها كانت على وشك مغادرة آجلي فيل. كيف تحملت أن ترتدي هذا الشيء الأحمق على مدار ستة عشر سنة؟ لقد بدا الأمر وكأنها قد عادت لوعيتها، ولكن فكرة أن شيئًا ما يتعقبها ويراقبها وينصحها في كل دقيقة من اليوم أثارت النفور في نفسها.

قالت تالي لديفيد: «ابق على مقربة مني. هذا هو المكان الذي يجدر بك فيه أن تهمس».

كطفلة صغيرة، عاشت تالي في تلك الضواحي التي يقطنها الحسان متوسطو العمر مع سول وإيلي، لكن حينها كان عالمها عالمًا صغيرًا صغيرًا يثير الشفقة، تمركز حول عدد قليل من الحداثق، ودرّب مؤد لمدرسة الصغار، وركن واحد من الأشجار حيث يمكنها أن تتسلل كي تتلصص على القبحاء. ومثل مدينة الأطلال الصدئة، بدت المنازل والحداثق الأنيقة المتراسة أصغر كثيرًا في عينيها الآن، وكأنها قرية لا نهاية لها من بيوت الدمى.



مر ديفيد وتالي سريعًا بقمم بأسقف المنازل، وهما منحنيان لأسفل؛ فلقد كان يأملان ألا يبدوا جليين لناظري أي شخص من سكان المدينة ظل مستيقظًا إما للركض في وقت متأخر من الليل أو للخروج في نزهة من أجل كلبه. ولما كانت ألواحها على ارتفاع ذراع فوق قمم المنازل، مرا بأشكال عديدة من الألواح الخشبية المتراسة بطريقة مثيرة للنعاس. كل ما صادفاه هو فقط طيور تطير بجوارهما أو عدد قليل من القطط التي كانت تندفع مذعورة في طريقهما في دهشة.

فجأة وصلا إلى نهاية الضواحي، فقد تلاشت آخر مجموعة من الحداثق وسط المنطقة الصناعية، التي برزت فيها المصانع، ومرت شاحنات لنقل الحمولات في طرق خرسانية ليلاً ونهارًا. رفعت تالي لوحها وزادت من سرعتها.

همس ديفيد: «تالي! سيرونا!»

– «اطمئن. هذه الشاحنات تعمل ذاتيًا. لا أحد يأتي إلى هنا بالخارج، ولا سيما

ليلاً.»

حدق ديفيد في توتر إلى أسفل نحو المركبات التي كانت تتحرك بخطى متثاقلة. أشارت تالي بيدها نحو إحدى المقطورات الضخمة التي كانت تمر أسفلهما وقالت: «انظر، هي لا تحتوي حتى على مصابيح أمامية.» فقد كان الضوء الوحيد المنبعث منها هو فقط وميض أحمر خافت يأتي من أسفلها، والذي يرتبط ضوءه بجهاز الملاحة الذي يعمل بالليزر لقراءة شفرات القضبان المرسومة على الطريق.

حلقا فوقها، ولا يزال ديفيد قلقًا من منظر المركبات التي تتحرك أسفلها.

وبعد قليل، ظهر معلم مألوف فوق أرض المصانع القاحلة الخالية من المعالم.

قالت تالي: «أترى هذا التل؟ يقع مقر السلطات الخاصة أسفلها مباشرة. سنتسلق

التل إلى أعلى ونلقي نظرة على المقر.»

كان هذا التل شديد الانحدار بما جعل من الصعب أن يبني مصنع فوقه، وعلى

ما يبدو كان ضخماً وصلبًا بما يجعل من الصعب أن يسوى بالأرض بواسطة

المتفجرات والجرارات، لذا وقف التل بارزًا على السهل المسطح مثل هرم مائل؛ إذ

كان شديد الانحدار في أحد جانبيه، ومائلًا ميلًا طفيفًا في جانبه الآخر، وتكسوه

الأشجار القصيرة والعشب البني. مر ديفيد وتالي سريعًا أعلى الجانب المائل، وحاولا

أن يتفاديا عددًا قليلًا من الصخور الضخمة والأشجار القاحلة حتى بلغا قمة التل.

ومن هذا الارتفاع، استطاعت تالي أن ترى كل طريق العودة إلى نيو برتي تاون،

وكان الإطار الخارجي المضيء لجزيرة السلطات الخاصة يماثل في كبر حجمه طبق

العشاء. لقد كان الجزء الخارجي من المدينة يغشيه الظلام، وداخلها كانت مباني السلطات الخاصة منخفضة الارتفاع المطلية باللون البني مضاءة بإضاءة متوهجة ومزعجة للغاية لدواعٍ أمنية. قالت تالي وتالي وصوتها ينخفض إلى حد الهمس: «مقر السلطات الخاصة هناك بالأسفل.»

– «إلى حد كبير لا يبدو أن هذا هو مقر السلطات الخاصة.»  
– «معظمه تحت الأرض. ولا أعلم إلى أي مدى يمتد عمقه.»

حدقا في مجمع المباني في صمت. ومن هناك بأعلى استطاعت تالي بوضوح أن ترى السلك الخارجي الذي يمتد حول المباني في شكل مربع تام تقريبا، وهو ما يعني أنه شديد التأمين. فلم يكن هناك الكثير من الحواجز بالمدينة، ليست حواجز ما، يمكنها أن تراها على أي حال؛ فما لم يكن من المفترض وجود أي شخص بمكان ما، يندرك خاتم الاتصال بأسلوب مهذب بضرورة مواصلة المسير.

– «يبدو هذا السور منخفضًا للغاية بما يتيح لنا أن نحلق فوقه.»

هزت تالي رأسها وقالت: «هذا ليس سورًا، لكنه سلك استشعاري؛ فإذا اجتزته بما يصل إلى عشرين مترًا، ستعرف السلطات بوجودك. الشيء نفسه يحدث إذا لمست الأرض التي يحيط بها.»

– «عشرين مترًا؟ هذه مسافة عالية جدًا لا يمكننا اجتيازها بالألواح؟ إذن ماذا سنفعل، هل سنقرع البوابة؟»

– «ليس هناك بوابة يمكنني رؤيتها. لقد دخلت إلى هناك وخرجت بعربة طائرة.»

أخذ ديفيد ينقر بأصابعه على لوحه وقال: «ماذا لو سرقنا إحدى العربات الطائرة؟»

همست تالي: «عربة طائرة؟ يا لها من حيلة بارعة إلى حد كبير. لقد كنت أعرف بعض القبحاء الذين اعتادوا سرقة عربات طائرة للتنزه بها، لكن ليس في عربة من عربات السلطات الخاصة.»

– «للأسف لا نستطيع أن نقفز إلى أسفل فحسب.»

ضيقَت تالي عينيها وتساءلت: «نقفز؟»

– «نقفز من هنا. نعم نحلق بألواحنا الطائرة إلى الورا عند قاع التل، وننطلق بأقصى سرعتنا، ثم نبدأ في القفز من هذه البقعة تقريبًا، قد نرتطم على الأرجح على نحو مميت بمركز هذه البناية الضخمة.»

- «أنت محق في أن هذا سيكون مميتاً، سنرتطم بشدة.»

- «نعم، على ما أظن. حتى مع وجود أساور الصدمات، قد تنخلع أكتافنا بعد سقطة مثل هذه. قد نحتاج إلى مظلة هبوط.»

نظرت تالي إلى أسفل، وأخذت ترصد المسارات من قمة التل، وأسكتت ديفيد عندما همّ بالحديث مجدداً، فقد أخذت تروس مخرها تدور، وتذكرت حفل جاربو مانشون، الذي بدا لها وكأنه قد أُقيم منذ سنوات.

وأخيراً سمحت لنفسها بالابتسام.

- «لسنا بحاجة إلى مظلات هبوط يا ديفيد، بل نحتاج إلى سترات مطاطية.»



## الفصل الثاني والأربعون

# شركاء في الجريمة

«سيكون لدينا ما يكفيننا من الوقت إذا أسرعنا.»

- «لأي شيء سيكون الوقت كافيًا؟»

- «للنزول سريعًا إلى مدرسة آجلي فيل للفنون، حيث توجد سترات مطاطية في

الدور الأرضي، ثمّة رف مليء بالسترات الاحتياطية.»

أخذ ديفيد نفسًا عميقًا وقال: «حسنًا.»

- «أنت لست خائفًا، أليس كذلك؟»

تجهم ديفيد وقال: «أنا لست ... كل ما هنالك أنني لم أر كل هذا الحشد من

الناس من قبل.»

- «أناس؟ نحن لم نر أي شخص.»

- «نعم، لكن كل هذه المنازل التي مررنا بها في طريقنا إلى هنا. لقد ظللت

أتخيل الأفراد الذين يقطنون في كل منزل، جميعها يكتظ بالأفراد.»

ضحكت تالي: «أتظن أن الضواحي مزدحمة؟ انتظر حتى نصل إلى آجلي فيل.»

عادا أدراجهما، وحلقا فوق أسطح المنازل بأقصى سرعة. كانت السماء حالكة السواد،

لكن تالي كانت تستطيع الآن أن تقرأ النجوم بما فيه الكفاية بما يساعدها في أن

تدرك من خلال العلامات الأولى للفجر أنه لم يتبق على بزوغه سوى ساعتين.

وما إن وصلا إلى الحزام الأخضر، حتى رجعا أدراجهما في الطريق الذي جاء

منه، وقد خيم الصمت عليهما؛ إذ كان ينصب تركيزهما على التحليق عبر الأشجار.

وقادهما هذا المنحنى من حزام الأشجار إلى حديقة كليوباترا، حيث تالي تشق طريقها

بحذر في السباقات المتعرجة في الأيام الخوالي، وانتفضت غرائزها بقوة داخلها حينما

مرًا بالطريق المؤدي إلى عنبرها القديم. ولجزء من الثانية، شعرت وكأنها ستستدير وتتسلل إلى غرفتها عبر النافذة وتخلد إلى فراشها.

ولم يمر وقت طويل قبل أن تبرز في الأفق القمم المستدقة غير المنتظمة لمباني مدرسة آجلي فيل للفنون، فأشارت تالي لديفيد بالتوقف وكذلك فعلت.

وكان هذا الجزء من المهمة سهلاً. لقد بدا وكأنه قد مر مليون عام على اليوم الذي استعارت فيه تالي وشاي سترات مطاطية من المدرسة للقيام بخدعتهما الأخيرة، عندما قفزت شاي على القبحاء الجدد في المكتبة. استرجعت تالي في ذاكرتها خطواتها إلى النافذة نفسها التي كانت قد اجتازتها، تلك النافذة التي كانت عبارة عن لوح زجاجي متسخ تخفيه شجيرات تجميلية، ووجدت أنها لا تزال مفتوحة.

هزت تالي رأسها. فمنذ شهرين كان هذا النوع من السطو يبدو لها خدعة جريئة للغاية، فحينها كانت خدعة المكتبة هي أكثر الخدع تهورًا التي كان يمكن لها ولشاي أن تحلما بتنفيذها. والآن هي ترى الخدع على حقيقتها: منفذ عن طريقه يُخرج القبحاء الطاقة المكتومة بداخلهم إلى أن يصلوا إلى سن السادسة عشرة، فهي لا شيء سوى إلهاء خال من المعنى إلى أن يمحو البلوغ والعملية الجراحية طبيعتهم المتمردة.

- «أعطني الصباح، وانتظر هنا.»

تسللت تالي إلى الداخل عبر النافذة، ووجدت رف السترات الاحتياطية، وجذبت سترتين مطاطيتين، واستطاعت التسلل إلى الخارج خلال أقل من دقيقة. وعندما دفعت نفسها خارج النافذة، وجدت ديفيد يحرق فيها وهو جاحظ العينين. فسألته: «ما الخطب؟»

- «أنت رائعة ... في كل هذا، أنت واثقة من نفسك للغاية، وأنا أشعر بالتوتر

لكوني داخل حدود المدينة فحسب.»

ابتسمت تالي ابتسامة عريضة وقالت: «هذه الأشياء ليست بالأمر الجلل؛ فالجميع

يقوم بها.»

ومع ذلك كانت تالي تشعر بالسعادة لأنها أبهرت ديفيد بمهاراتها في التسلل كاللصوص. لقد علمها ديفيد على مدار الأسابيع القليلة الأخيرة كيف تشعل النيران، وتزيل قشر السمك، وتنصب خيمة، وتقرأ خريطة ثلاثية الأبعاد، فكان من الجيد أن تتخذ دور الشخص الكفاء على سبيل التغيير.

تسلل ديفيد وتالي للعودة إلى الحزام الأخضر ووصلا إلى النهر قبل أن تعتلي السماء خطوط وردية اللون. واجتازا بسرعة المياه الثائرة ذات الزبد وطبقات المعدن الخام، ولحا الأطلال من بعيد حينما أخذت السماء تتبدل لتلائم البروغ. وفي أثناء انحدارهما سيرًا على الأقدام تساءلت تالي: «هل سنقوم بالأمر ليلة الغد؟»

– «لا فائدة من الانتظار.»

– «لا.» بل كان من المنطقي جدًّا أن يقوما بعملية الإنقاذ على الفور؛ فقد مر على غزو منطقة الضباب ما يزيد عن أسبوعين. تنحج ديفيد وقال: «في رأيك ما عدد أفراد السلطات الخاصة الموجودين بالداخل؟»

– «حينما كنت هناك، كان هناك عدد كبير. لكن كان ذلك أثناء النهار. أظن أنهم يضطرون للنوم أحيانًا.»

– «إذن، سيكون المبني خاليًا ليلاً.»

– «أشك في ذلك. ربما قد يكون هناك عدد قليل من الحراس فحسب.» ولم تقل تالي أكثر من هذا؛ ففرد واحد من السلطات الخاصة قد يفوق في قوته اثنين من القبحاء. ولا يمكن أن يكون عنصر المفاجأة عوضًا عن القوة المتميزة التي يتمتع بها الحسان ذوو الملامح القاسية وردود أفعالهم التلقائية. أردفت تالي قائلة: «كل ما علينا هو أن نتأكد فحسب من أنهم لا يروننا.»

– «بالطبع، أو نرجو أن يكونوا منهمكين في شيء آخر هذه الليلة.»

ترجلت تالي إلى الأمام بخطى متثاقلة، وبدأ الإنهاك يستبد بها الآن وهما لا يزالان في مأمن بعيدًا عن المدينة، وأخذت ثققتها تنحسر مع كل خطوة من خطواتها. لقد سافرا كل هذا الطريق دون أن يفكرا تفكيرًا مليًّا في المهمة التي كانا بصدها؛ فإنقاذ الأتاس من أيدي السلطات الخاصة ليس فقط خدعة أخرى من الخدع التي يقوم بها القبحاء مثل سرقة سترة مطاطية أو التسلسل عبر النهر، إنما هو صنيع خطير. ومع أنه من المحتمل أن يكون كروي وشاي ومادي وآز جميعًا سجناء في هذه البنايات المريعة الواقعة تحت الأرض، ظلت هناك دومًا احتمالية أن يكون أفراد السلطات الخاصة قد أخذوا الضبايين إلى مكان آخر. حتى وإن لم يفعلوا هذا الأمر، فليس لدى تالي أدنى فكرة عن المكان الذي يمكن أن يكونوا فيه بالضبط داخل جحر الأروقة المطلية باللون البني المقرز.

قالت تالي بنبرة هادئة: «أتمنى فقط أن نحصل على بعض المساعدة..»

وضع ديفيد يده على كتفها ليوقفها ثم قال: «ربما قد نحصل عليها..»

نظرت تالي إليه متعجبة، ثم لاحقت عينيه اللتين كانتا تنظران إلى أسفل نحو الأطلال. وفي قمة أعلى برج، كانت الومضات القليلة الأخيرة للألعاب النارية الآمنة تخدم محدثة ضجة خفيفة.

لقد كان هناك بعض القبحاء بالأسفل هناك.

قال ديفيد: «إنهم يبحثون عني.»

– «إذن ماذا سنفعل؟»

سأل ديفيد تالي: «ألا يوجد أي طريق آخر للعودة إلى المدينة؟»

– «لا، سوف يأتون سيرًا على الأقدام في هذا الممر.»

– «إذن، لننتظر.»

حدقت تالي بعينين نصف مغمضتين إلى حيث وقعت عيناه وحملت في الأطلال. لقد خدمت الإشارات الضوئية، ولم يكن هناك شيء مرئي في ضوء الفجر الذي أخذ ينبلع عبر السماء. فأى شخص كان بالأسفل انتظر حتى آخر دقيقة قبل أن يتجه إلى منزله.

بالطبع، لو كان أولئك القبحاء يبحثون عن ديفيد، فهم هاربون على الأرجح،

هم من القبحاء الكبار المتمردين، الذين لا يعبتون بأن تفوتهم وجبة الإفطار.

التفتت تالي إلى ديفيد وقالت: «إذن، أظن أن القبحاء لا يزالون يبحثون عنك.

وليس هنا فحسب.»

قال ديفيد: «بالطبع، سوف تستمر الشائعات على مدار أجيال، في المدن من كل

حذب وصوب، سواء أكننت في الجوار أم لا. فلا يأتي إشعال الإشارات الضوئية عادةً

بالإجابة، لذا سيمضي وقت طويل قبل أن يكتشف القبحاء، حتى أولئك الذين التقيت

بهم، أنني لن أظهر. فمعظمهم بالفعل لا يعتقدون أن منطقة الضباب ...»

انزوى صوت ديفيد، وأمسكت تالي بيده؛ فلقد نسي للحظة أن منطقة الضباب

في الحقيقة لم تعد موجودة بعد.

انتظرا في صمت، إلى أن تردد صوت وقع أقدام زاحفة عبر الصخور. لقد بدت

وكأنها تخص ما يقرب من ثلاثة قبحاء، يتحدثون بنبرة منخفضة وكأنهم لا يزالون

حذرين من أشباح مدينة الأطلال الصدئة.



قال ديفيد هامسًا وهو يخرج مصباحه الضوئي من جيبه: «انظري هذا.» ثم نهض وصوب المصباح نحو وجهه وهو يضيئه.

قال ديفيد بصوت قوي مرتفع: «أتبحثون عني؟»

تجمد القبعاء الثلاثة في أماكنهم، فاغري الأفواه وجاحظي العيون. عندئذ أسقط الفتى لوحه، فتحطم على الصخور المجاورة، ليأتي ارتطامه لينهي تجمدهم في أماكنهم.

استطاعت فتاة منهم أن تتفوه بالسؤال التالي بشق النفس: «من أنت؟»

– «أنا ديفيد.»

– «أتعني أنك ...»

أطفأ ديفيد المصباح وابتسم ابتسامة عريضة ثم قال: «حقيقي؟ بلى، لطالما جال هذا السؤال بخاطري.»

سوسي وأن وديكس هي أسماء القبعاء الثلاثة، وكانوا يأتون إلى الأطلال على مدار شهر الآن؛ لقد سمعوا شائعات عن منطقة الضباب منذ سنين، منذ أن هرب أحد القبعاء من عنبرهم.

قالت سوسي: «لقد انتقلت لتوي إلى آجلي فيل، وكان هوو القبيح حينها من القبعاء الأكبر سنًا. وعندما اختفى، تداول الجميع أفكارًا خارقة عن المكان الذي ذهب إليه.»

أومأ ديفيد برأسه وتساءل: «هوو؟ أتذكره. لقد مكث لأشهر قلائل ثم عدل عن رأيه وعاد مرة أخرى، وهو من الحسان الآن.»

تساءلت آن: «لكنه فعلها بالفعل؟ هل شق طريقه إلى منطقة الضباب؟»

– «نعم، لقد أخذته إلى هناك.»

– «يا إلهي. إذن منطقة الضباب حقيقية.» ثم تبادلت آن نظرات الانبهار مع صديقيها واسترسلت قائلة: «نحن نريد أن نراها أيضًا.»

فغر ديفيد فاه ليتكلم ثم أطبقه. وحادت عيناه إلى الجانب الآخر.

قالت تالي: «لا يمكنكم. ليس الآن.»

سألها ديكس: «ولم لا؟»

توقفت تالي عن الحديث؛ لقد بدت حقيقة أن غزوًا مسلحًا دمر منطقة الضباب حقيقة بعيدة الاحتمال. منذ بضعة أشهر، لم تكن لتصدق أن مدينتها قادرة على

ارتكاب مثل هذا الصنيع. وإن أقرت بأن مدينة الضباب قد ذهب مع الريح، فستشق الشائعة طريقها عبر أجيال من القباء، وعندئذ ستكون الدكتوراة كابل قد أتمت مهمتها تمامًا، حتى وإن تمكن بعض الضبابيين الذين سيتم إنقاذهم من إنشاء مجتمع آخر في البرية. استهلت تالي كلامها: «حسنًا، ينبغي في بعض الأحيان أن تنتقل منطقة الضباب من حين لآخر، كي تبقى سرًا. الآن، هي غير موجودة بالفعل. الجميع تشتتوا، لذا نحن لا نجد أناسًا جدًّا».

قال ديكس: «المكان بأكمله ينتقل؟ على رسلك!»

عبس وجه آن وقالت: «انتظري لحظة. إن لم تكونا تجدان أناسًا جدًّا، لماذا أنتما هنا الآن؟»

قالت تالي: «كي نقوم بحيلة. حيلة كبيرة حقًا. ربما يمكنكم أن تساعدونا، وعندما تستعيد منطقة الضباب مكانتها مرة أخرى آنذاك ستكونون أول أناس يعلمون بذلك الأمر.»

سأل ديكس: «تريدان أن نساعدكما؟ كوسيلة من وسائل الانضمام؟»

قال ديفيد بصرامة: «لا، نحن لا نجعل أي شخص يقوم بأي عمل كي ينضم إلى الضبابيين. لكن إن كنتم تريدون مساعدتنا، سنقدر أنا وتالي هذا الصنيع.»

قالت تالي: «كل ما نريده هو تشتيت انتباههم.»

قالت آن: «يبدو الأمر ممتعًا.» ثم نظرت إلى صديقها الآخرين وهزوا رؤوسهم.

دار في ذهن تالي أنهم كانوا مستعدين لعمل أي شيء، تمامًا مثلما اعتادت هي نفسها. وهم قطعًا كانوا من القباء الأكبر سنًا، لكن يبدو عليهم أنهم يصغرونها بفارق عمر لا يتجاوز العام، لكنها انبهرت بصغر السن الذي بدا على مظهرهم. حدق ديفيد في تالي مثل الآخرين، في انتظار أن تسرد بقية فكرتها. عليها أن تخلق فكرة لتشتيت الانتباه على الفور. لا بد أن تكون فكرة جيدة. لا بد أن تخلق شيئًا يمكن أن يأسر اهتمام السلطات الخاصة بالدرجة التي تجعلهم يتقصون الأمر.

شيء يلفت نظر دكتوراة كابل نفسها.

– «حسنًا، سوف تحتاجون إلى الكثير من الألعاب النارية.»

– «ليس ذلك بالأمر الصعب.»

– «أنتم تعرفون كيف تصلون إلى نيو برتي تاون، أليس كذلك؟»

نظرت آن إلى صديقها وتساءلت: «نيو برتي تاون؟ لكن ألا تفشي الجسور عن أي شخص يعبر النهر؟»  
ابتسمت تالي، فهي دومًا تشعر بالسعادة عندما ترشد أي شخص إلى خدعة جديدة.



## الفصل الثالث والأربعون

# مكتبة فوق الحافة

t.me/t\_pdf

انتظر الاثنان، ديفيد وتالي، طوال النهار في مدينة الأطلال الصدئة، وكانت الرقع الشمسية تزحف على الأرضية عبر السقف المنهار، وكأنها ضوء كشاف بطيء يميز انقضاء الساعات. واستغرقت تالي وقتاً طويلاً جداً حتى تغط في النوم، وقد انشغل ذهنها بصورة القفز من قمة التل إلى المجهول. وأخيراً راحت في النوم وهي متعبة للغاية إلى الحد الذي يصعب معه أن تغوص في الأحلام.

ولما استيقظت تالي عند الغسق، وجدت أن ديفيد قد عبأ بالفعل حقيبتين بكل شيء قد يحتاجا إليه أثناء عملية الإنقاذ. بعد ذلك حلقا بالألواح الطائرة إلى حافة الأطلال، كل منهما يركب لوحين مزدوجين كالساندويتش. فحسبما كانا يأملان، قد يحتاجان إلى الألواح الطائرة الزائدة عندما يخرجان من مقر السلطات الخاصة، بحيث يترافق الهاربون.

ولما تناولا إفطارهما بجوار النهر، استغرقت تالي الوقت الكافي للاستمتاع بمذاق طبق كرات اللحم السويدية الخاص بها. ولو قبض عليهما الليلة، على الأقل هما قد لا يتناولان الطعام المجفف مرة أخرى. أحيانا كانت تالي تشعر أنها قد تقبل تلف المخ إن كان هذا يعني الحياة دون المكرونة المحفوظة.

وبحلول الظلام، وصل ديفيد وتالي إلى مياه النهر الثائرة ذات الزبد، واجتازا الحزام الأخضر في اللحظة نفسها التي غاب فيها الضوء عن آجلي فيل. وبحلول منتصف الليل، سيكونان أعلى قمة التل يراقبان مقر السلطات الخاصة.

أخرجت تالي منظرها وضبطته لمراقبة ما يجري داخل نيو برتي تاون، في المكان الذي توهمت فيه الأضواء من أبراج الاحتفالات.

نفخ ديفيد في يديه، فبدت أنفاسه مرثية وسط برودة شهر أكتوبر/تشرين الأول، ثم سألتها: «أتظنين أنهم سيفعلون هذا حقاً؟»  
أجابته تالي وهي تراقب الظلام في أكبر حديقة من حدائق المتعة بالمدينة: «ولم لا؟ يبدوون مهتمين بالمهمة.»

- «نعم، لكنهم يجازفون مجازفة كبيرة، أليس كذلك؟ أقصد، لقد قابلونا لتوهم.»  
هزت تالي منكبها وقالت: «الخدع هي هدف حياة القبحاء. ألم يسبق لك وأن قمت بشيء فقط لأن شخصاً غريباً مجهولاً أثار اهتمامك له؟»  
- «ذات مرة أعطيت قفازي لشخص ما، لكن هذا ورطني في شتى أنواع المشكلات.»

أنزلت تالي منظارها فرأت ديفيد باسمًا، فقالت له: «أنت لا تبدو متوترًا الليلة.»  
- «أنا مبتهج لأننا وصلنا أخيرًا إلى هنا، وأخيرًا أصبحنا مستعدين للقيام بشيء ما. وبعدها وافق أولئك الصغار الثلاثة على مساعدتنا أشعر وكأن...»  
- «وكان هذا سيفلح بالفعل؟»

- «لا، أشعر بما هو أفضل من هذا.» ثم نظر ديفيد لأسفل نحو مجمع مباني السلطات الخاصة واسترسل قائلاً: «لقد كانوا على أهبة الاستعداد لمساعدتنا، لإحداث شغب، للقيام بخدعة. في بادئ الأمر قتلتنى كلماتك وأنت تتعاملين وكأن منطقة الضباب ما زالت موجودة، لكن إذا كان هناك عدد كاف من القبحاء أمثال هؤلاء، فربما تعود منطقة الضباب من جديد.»

قالت تالي بنبرة رقيقة: «بالطبع ستعود.»  
هز ديفيد منكبها وقال: «ربما تعود وربما لا. لكن حتى لو أفسدنا الأمر الليلة، وانتهى بنا الحال تحت المشرط الجراحي، فسيظل هناك على الأقل شخص يحارب، ويثير المشكلات. هل تفهميني؟»

- «أتمنى أن نكون نحن من يحدث الاضطرابات.»  
- «وأنا أيضًا.» ثم جذبها نحوه وقبلها. وعندما تركها، أخذت نفسًا عميقًا وأغمضت عينيها. لقد كان شعورًا جيدًا أن تقبله، شعورًا أكثر واقعية، ولا سيما أنها الآن على وشك أن تصلح ما أفسدته.

قالت تالي: «انظر يا ديفيد.»  
ثمة شيء كان يحدث في المساحات المظلمة لمدينة نيو برتي تاون.  
رفعت تالي منظارها على عينيها.

لقد قطع خط متلائي طريقه عبر الامتداد الفسيح لحديقة الاستمتاع وكأنه شق ساطع في الأرض. بعد ذلك ظهرت المزيد من الخطوط، واحد تلو الآخر، والأقواس والدوائر المهتزة تجتاح الظلام. وبدأت الأجزاء المتعددة للأقواس والدوائر وكأنها تتوهج في ترتيب عشوائي، لكنها في نهاية المطاف كوَّنت حروفًا وكلمات.

وفي النهاية، اكتمل هذا الشيء المتوهج، وقد توهجت بعض أجزائه لتوها، أما الخطوط القليلة الأولى التي توهجت فقد أخذت تختف بالفعل لأن الألعاب النارية تخبو ذاتيًا. لكن على مدار لحظات معدودة، استطاعت تالي أن تقرأ الرسالة بأكملها حتى دون استخدام منظارها؛ إذ بدت لها تلك الحروف المتقدمة في آجلي فيل، التي لا بد أنها كانت ضخمة للغاية حتى إن أي شخص يستطيع أن يراها عندما يحرق بشدة من نافذته، لقد كانت تقول: «تحيا منطقة الضباب.»

وبينما كانت تالي تريه هذه الحروف وهي تتلاشى — وتنزوي في شكل خطوط وأقواس عشوائية مرة أخرى عندما كانت الألعاب النارية تخبو — تساءلت عما إذا كانت الكلمات حقيقية بالفعل أم لا.

قال ديفيد: «سيذهبون إلى هناك.»

أسفلهما ظهرت فتحة كبيرة مستديرة في سطح أضخم مبنى للسلطات الخاصة، وخرجت منها ثلاث عربات طائرة في تتابع سريع، تطلق صفيحها وهي تتجه باتجاه المدينة. حينئذ أملت تالي أن تكون آن وديكس وسوسي قد عملوا بنصيحتها وابتعدوا بالقدر الكافي عن مدينة نيو برتي تاون. قالت تالي لديفيد: «هل أنت مستعد؟» أجابها بأن ربط أحزمة السترة المطاطية وقفز على لوحه الطائرين.

حلقا أسفل التل، وانعطفا ثم اتخذا اتجاهًا عكسيًا لأعلى التل. وللمرة العاشرة، تفقدت تالي الضوء بياقة سترتها. فلا يزال يظهر باللون الأخضر، وكذلك كان بإمكانها أن ترى الضوء يومض بياقة ديفيد بجانبها. لا سبيل لاختلاق أعذار عن المهمة.

وبينما كانا يرتفعان نحو السماء المظلمة ازدادت سرعتهما، وبدأ التل بأكمله كمنحدر عملاق يواجههما. ودفعت الرياح شعر تالي إلى الوراء، وطرفت عيناها حينما أخذت حشرات البق تطن أمام وجهها. مالت تالي بحذر ناحية مقدمة اللوحين المزودجين، وتجاوزت مقدمة حذاءها المحبب حدود سطح اللوح.

عندئذ، بدا الأفق وكأنه يختفي ببطء أمامها، وجثمت تالي استعدادًا للقفز. لقد اختفت الأرض.

انطلقت تالي بكل ما أُوتيت من قوة، ودفعت بلوحها الطائرين نحو الجزء المنحدر من التل، حيث كانا سيقفان. وأطفأت هي وديفيد أساور الصدمات بألواحهما، إذ لم يريد أن تتبعهما الألواح.

علت تالي في الجو، وهي لا تزال تعتلي التل خلال بضع لحظات أخرى، فكان الجزء الخارجي من المدينة يقع تحتها، والذي بدا كرقعة مترامية الأطراف يمتزج فيها الضوء بالظلام. بسطت تالي ذراعيها وقدميها.

وفي قمة مسارها قوسي الشكل، بدا الصمت وكأنه يغلف كل شيء، وأثار انعدام الوزن معدتها واجتاحها مزيج من الإثارة والرعب، واصطدمت الرياح بوجهها. أبعدت تالي عينيها عن الأرض التي تنتظر هبوطهما في صمت، وتجرات على النظر إلى ديفيد. ولما كان ديفيد يبعد عنها بالكاد بذراع، نظر إلى الوراء إليها ووجهه يتقد بالحماس والسعادة.

ابتسمت له ابتسامة عريضة، ثم استدارت لتجد أن الأرض قد اقتربت الآن وأن سرعة سقوطها أخذت تزيد بالتدريج. وفقًا للحسابات والقياسات التي حددتها تالي هما كانا يهبطان في منتصف السياج ذي السلك الاستشعاري. وبدأت تالي تتوقع الارتجاج المسبب للدوار الذي سيحدث عندما توقفها السترة المطاطية عن الارتطام بالأرض.

لم يحدث شيء على مدار بضع لحظات، فيما عدا أن الأرض أخذت تقترب منها، وتساءلت تالي مرة أخرى عما إذا كانت السترة المطاطية تستطيع أن تتعامل مع محاولة السقوط من كل هذا الارتفاع. وتوالى على ذهنها وابل من توقعات مختلفة لما يماثل ما يمر به المرء عند الهبوط العنيف. وبالطبع من الممكن ألا يشبه الهبوط أي شيء.

في أي وقت في المستقبل.

أخذت الأرض تقترب أكثر فأكثر، إلى أن تيقنت تالي أن ثمة شيئاً خطأ قد حدث. وعندئذ، وبعنف مفاجئ، عادت أحزمة السترة للعمل، فأحكمت قبضتها بقسوة على فخدي تالي وكتفيها، ودفعت الهواء من رثتيها، وأخذ الضغط يتزايد وكان شريطاً مطاطياً ضخماً يلتف حول جسدها، في محاولة لإيقافها. وأخذت الأوساخ الضئيلة



جدًا لمجمع المباني تندفع بعجلة نحوها، قاومت السترة القوة الدافعة لتالي بيأس، ساحقة إياها وكأنها تحكم قبضتها عليها.

أخيراً، ومع انبساط الأربطة المطاطية غير المرئية حتى نقطة انحلالها، أبطأت تالي من سرعتها لتقف وقفة مرتجفة على مسافة قريبة للغاية من الأرض، وأرجعت يديها إلى الوراء كي تحول دون ملامستها للأرض، وكذلك برزت مقلتا عينيها للخارج وكأنهما تريدان أن تخرجا من جمجمتها.

عندئذ انعكس سقوطها، فارتدت إلى الخلف وإلى أعلى، وانقلبت في الهواء رأسًا على عقب، ودارت حولها السماء والأفق وكأنها في نزهة في أحد الملاعب. ولم يكن لدى تالي أدنى فكرة عن المكان الذي وقع فيه ديفيد، أو ما الذي من المفترض أن يكون أعلاها وأسفلها. لقد كانت قفزتها هذه المرة تعادل في ارتفاعها عشرة أضعاف سقوطها من قصر جاريو مانشون. كم عدد المرات التي سترتد فيها في الهواء إلى أن تصل إلى وضع الوقوف؟

وها هي تسقط الآن مرة أخرى، ولكن بدلاً من الأوساخ الضئيلة التي ظهرت أمامها، رأت تالي هذه المرة أحد المباني أسفلها. وعندما كانت إحدى قدميها على وشك أن تلمس سطح هذا المبنى ارتدت تالي لأعلى مرة أخرى، وهي لا تزال تنطلق بسرعة من جراء القوة الدافعة الناجمة عن قفزتها من التل.

تمكنت تالي من أن توجه نفسها، وهي تتخير اتجاهاتها إلى أعلى وإلى أسفل في الوقت المناسب لترى حافة السطح وهي تقترب منها. لقد كانت تتجاوز حد المبنى ... وبعد أن وقعت في قبضة السترة، وأخذت تطير وهي لا حول لها ولا قوة إلى أعلى وإلى أسفل مجددًا، تجاوزت حافة السطح. لكن يدها الممتدة أمسكت بمزrab لتجميع مياه المطر، مما أوقف تالي على حين غرة. تأففت تالي وهي تنظر إلى أسفل. لم يكن المبنى طويلًا، وإذا سقطت تالي، فسترتد في سترتها المطاطية، لكن ما إن تطأ قدمها الأرض، حتى يطلق السياج إنذارًا، لذا أمسكت تالي بالمزrab بكلتا يديها.

لكن الأمر كان مختلفًا فيما يخص السترة المطاطية، فبعدما اقتنعت بأن تالي توقفت عن السقوط، أخذت توقف تشغيل نفسها، لتستعيد تالي بعدها وزنها الطبيعي تدريجيًا. ناضلت تالي كي ترفع نفسها إلى أعلى سطح المبنى، لكن حقيبة الكتف الثقيلة المليئة بمعدات الإنقاذ كانت تجذبها إلى أسفل. فكان الأمر أشبه بمحاولة الارتفاع إلى أعلى وهي ترتدي حذاءً من الرصاص.

علقت تالي هناك، وذهنها خال من الأفكار، في انتظار السقوط.  
سمعت تالي صوت أقدام تتجه نحوها فوق السطح، وظهر وجه لها. لقد كان  
ديفيد.

- «أتواجهين مشكلة؟»

تمتت تالي بصوت، فمد ديفيد يده وجذب حزام حقيبة الكتف، فُرفِع الحمل  
عن كتفها برأفة، ورفعت تالي نفسها فوق الحافة.

استرخى ديفيد على السطح وقال وهو يهز رأسه: «إذن، تالي، لقد اعتدتِ أن  
تفعلي هذا على سبيل اللهو والمتعة؟»

- «ليس بصفة يومية.»

- «لم أظن ذلك. أيمكننا أن نستريح دقيقة؟»

مسحت تالي السطح بعينيها. فلم تر أي شخص قادمًا، ولم تسمع صوت  
إنذارات. يبدو أن السياج لم يُصمم بحيث يستشعر وجودهما هناك. ابتسمت تالي.

أجابت تالي: «بالطبع، استرح دقيقتين إن أردت. يبدو أن السلطات الخاصة لم  
تتوقع أن يقفز أي أحد من السماء.»

## بداخل مبنى السلطات الخاصة

عند النظر إلى مبنى السلطات الخاصة من أعلى قمة التل بدا مسطحًا وبلا معالم، لكن بعد الوقوف عليه، استطاعت تالي أن ترى فتحات التهوية، والأجهزة الهوائية، والأبواب الأرضية لأقسام الصيانة، وبالطبع الباب الدوار الكبير الذي تدخل منه العربات الطائرة والذي كان مغلقًا. لم تتمكن هي أو ديفيد من التصرف.

سألها ديفيد: «إذن، كيف سنصل لداخل المبنى؟»

قالت تالي وهي تشير إلى باب العربة الطائرة: «يجدر بنا أن نبدأ بهذا.»

– «ألا ترين أنهم سوف يلاحظوننا إن اجتزنا هذا المسار ونحن لا نركب عربات طائرة؟»

– «أتفق معك. لكن ماذا لو عبثنا بالباب؟ فإذا ظهر المزيد من أفراد السلطات

الخاصة، فنحن لا نريد أن نيسر عليهم اللحاق بنا.»

– «فكرة جيدة.» ثم أخذ ديفيد يبحث في حقيبة كتفه، ثم أخرج ما بدا وكأنه

أنبوب لمثبت الشعر. ضغط ديفيد على الأنبوب فخرجت منه مادة لزجة بيضاء ووضعها بطول حواف الباب، وكان حريصًا ألا تلمس المادة أصابعه.

– «ما هذا؟»

– «غراء. شديد الفعالية. يمكنك أن تلصقي حذاءك بالسقف وتبدلي منه رأسًا

على عقب.»

جحظت عيناها من فرط الدهشة. لقد سمعت إشاعات من القبحاء عن الحيل

التي يمكن القيام بها باستخدام هذا الغراء شديد الفعالية، لكنه لم يكن مسموحًا

للقبحاء الحصول عليه. قالت تالي: «لا أصدق أنك فعلت ذلك.»

ابتسم ديفيد وقال: «لا بد أن أبقى عليهم هناك. سأهدر أحذية عالية الجودة. والآن، كيف يمكننا أن ننزل؟»  
أخرجت تالي مدار طاقة من حقيبتها وأشارت نحو المصعد وقالت: «سوف نستقل المصعد.»

وبدا الصندوق المعدني الكبير الناتئ من السقف وكأنه كوخ تخزين، لكن الأبواب المزدوجة وقارئ بصمة العين غيروا هذه الصورة. حدثت تالي بعينين نصف مغمضتين لتتأكد من أن قارئ بصمة العين لا يرسل ضوءاً في عينيها، ثم أدخلت مدار الطاقة بين الأبواب. صارت الأبواب لينة مثل الرقائق المعدنية. وعبر الأبواب رأت تالي ممرًا عمودياً مظلمًا ممتدًا ولا قرار له. طقطقت تالي بلسانها، وأشارت أصداء الصوت إلى أن الممر يمتد مسافة طويلة لأسفل، فهو قناة المصعد. رمقت تالي ضوء ياقعة سترتها المطاطية، ولاحظت أن الضوء الأخضر بها لا يزال مضيئًا.

التفتت تالي لديفيد وقالت: «انتظرنى حتى أصدر صفيراً لك.»  
قفزت تالي في الهواء ضيق الأطراف.

كان السقوط بطول هذه القناة أسفل المصعد أمرًا أكثر رعبًا من القفز من فوق قصر جاربو مانشون أو حتى القفز في الفضاء من أعلى قمة التل؛ فلقد طمس الظلام كل المعالم التي من شأنها أن توضح مدى عمق هذا الممر، وبدا الأمر لتالي وكأنها ستظل تسقط إلى الأبد.

شعرت تالي بالجدران تتسارع وراءها، وتساءلت هل تنجرف تجاه أحد جانبي الممر أثناء سقوطها، وهل هي على وشك أن ترتطم به. وتخيلت نفسها وهي ترتد من جدار لآخر طوال الطريق إلى أسفل، إلى أن تهبط هبوطاً سهلاً لكن مكسرة الضلوع مكسوة بالدماء.

أبقت تالي على ذراعيها إلى جانبيها.

على الأقل كانت متأكدة من أن السترة سوف تقوم بعملها هنا؛ فالمصاعد كانت تستخدم الروافع المغناطيسية نفسها المستخدمة في باقي المركبات الطائرة، لذا كان هناك دائماً طبقة معدنية صلبة في القاع.

بعد أن عدت حتى الرقم خمسة خلال وقت ليس بقصير، أحكمت السترة قبضتها على تالي. وارتدت مرتين إلى أعلى وإلى أسفل في خط مستقيم، ثم استقرت

على سطح صلب ووجدت نفسها في سكون وظلام مدلهم. وعندما بسطت يديها، شعرت بالجدران الأربعة حولها. ولم يشر أي شيء إلى ما يقع في حيز هذه الأبواب المغلقة. وعادت يداها ملوثتين بالشحم.

حدقت تالي إلى أعلى، فوجدت بصيص ضوء صغير مسلط فوقها ولم تستطع سوى أن تتبين وجه ديفيد الذي كان يطل إليها من أعلى. فتحت تالي فمها كي تصفر لديفيد، لكنها توقفت.

لقد جاء صوت مكتوم من تحت قدميها، شخص ما يتحدث. جثمت تالي إلى أسفل في محاولة لتمييز الكلمات، لكن كل ما استطاعت تالي سماعه هو الصوت الحاد للحسان نوي ملامح الوجه القاسية. وقد ذكرتها نبرة الصوت الساخرة بدكتورة كابل.

ودون سابق إنذار، وجدت الأرضية تتحرك من تحتها. بذلت تالي قصارى جهدها كي تحفظ موطن قدميها. وعندما توقف المصعد مرة أخرى، التوى أحد كاحليها بشدة تحت ثقل جسمها، لكنها تمكنت أن تحافظ على توازنها وحفظت نفسها من السقوط.

تلاشى الصوت تحتها، وأضحى هناك شيء واحد أكيد: لم يكن مجمع المباني خاليًا من أفراد السلطات الخاصة.

رفعت تالي رأسها وصفرت، ثم ربضت في أحد أركان الممر، ويدها تغطيان رأسها وهي تعد.

وبعد مرور خمس ثوان، تدلى زوج من الأقدام إلى جوارها، وارتد على الأرض إلى أعلى، ثم أخذ الشعاع الخارج من مصباح ديفيد يتراقص بترنح في أركان المكان. استقر ديفيد إلى جوارها بالتدريج وقال: «يا للهول، المكان شديد الظلام هنا.»

همست تالي: «شبههه.»

هز ديفيد رأسه وهو يسلط مصباحه في أرجاء الهوة، فما وراء الأبواب المغلقة وقع فوقهما. بالطبع، بوقوفهما على سقف المصعد، وقفوا في المساحة الواقعة في المنتصف بين الطوابق.

شبكت تالي أصابعها، وأحكمت غلق يديها كي ترفع ديفيد لأعلى إلى حيث يمكنه أن يحشر مدوار الطاقة بين الأبواب، انفتح الباب وأصدر صوتًا اقشعر له بدنهما. رفع ديفيد نفسه إلى أعلى ثم مد يده إلى أسفل كي يجذبها، أمسكت تالي بيده وصعدت إلى أعلى، وكان حذاؤها المانع للانزلاق يصدر صوت صرير عند احتكاكه بجدران قناة المصعد مثل سرب من الفئران المذعورة.

كل شيء أصدر جلبة.

كان المدخل إلى الطابق مظلماً. وحاولت تالي أن تقنع نفسها أنه لم يسمعها بعد أي شخص. ربما كان هذا الطابق بأكمله خالياً في الليل. أخرجت تالي الكشاف الخاص بها من حقيبتها، وأخذت تسلطه على الأبواب وهما يسيران عبر الردهة. وكان ملصقاً على كل باب بطاقة بنية صغيرة تميزه. كانت تالي تقرأ في هدوء: «علم الأشعة. علم الجهاز العصبي. التصوير المغناطيسي. مسرح العمليات ٢.»

نظرت تالي إلى ديفيد، فهز منكبيه ثم دفع الباب دفعة خفيفة فانفتح. قال ديفيد في هدوء: «أظن أنك عندما تكونين في غرفة محصنة تحت الأرض، لا فائدة من غلق الأبواب وراءك. لتتقدمي أنت أولاً.»

زحفت تالي إلى الداخل. كانت الغرفة كبيرة، واصطفت على جدرانها آلات ساكنة كساها الظلام. ففي منتصف الحجرة وقف خزان تشغيل، تقاطر منه السائل، وتدلت منه بارتخاء أنابيب وأقطاب كهربائية في حوض صغير في القاع، وكذلك تلالآت طاولة معدنية بما اعتلاها من أشكال قاسية للمشارط والمناشير الهزازة.

قال ديفيد: «تبدو هذه الأشياء مثل ما رأيته في الصور التي أرنتني أمي إياها. هم يقومون بالعملية الجراحية هنا.»

أومأت تالي برأسها بالإيجاب؛ فالأطباء لا يضعون أحدًا في الخزان سوى أولئك الذين سيخضعون لعمليات جراحية مهمة.

قالت تالي: «ربما هذا هو المكان الذي يجعلون فيه الأفراد أفرادًا للسلطات الخاصة.» ولم تبهجها هذه الفكرة.

عادا إلى الردهة. وبعد عدة أبواب وجدا حجرة مكتوب عليها: «مشرحة.»

وهمت تالي بالسؤال: «أظن ...»

هز ديفيد رأسه وقال: «لا.»

بحثا في باقي الطابق. وكان ما يميز هذا الطابق في المقام الأول أنه مستشفى صغير معد إعدادًا جيدًا. ولم يكن هناك غرف تعذيب أو زنانات، أو ضبابيين.

سأل ديفيد: «إلى أين نتجه الآن؟»

أجابت تالي: «حسنًا. لو كنت أنت الدكتورة كابل الشريرة، أين كنت ستضع سجناءك؟»

— «دكتورة من؟»

– «هذا هو اسم المرأة التي تدير هذا المكان. أتذكر هذا من المرة التي قُبض عليّ فيها.»

تجهم ديفيد، فتساءلت تالي عما إذا كانت قد قالت الكثير. عندئذ هز ديفيد منكبيه وقال: «أظنني كنت سأضعهم في زنزانة تحت الأرض.»

– «حسنًا. إذن لنتجه إلى أسفل.»

عثرا على مجموعة من درج سلم حرائق يؤدي إلى أسفل، لكن السلم انتهى بعد مجموعة واحدة من الدرج. فلقد وصلا على ما يبدو أنه الطابق السفلي من مقر السلطات الخاصة.

همست تالي: «احترس. لقد سمعت صوتًا قادمًا من أسفل لبعض أناس يخرجون من المصعد عندما كنت في قناة المصعد. لا بدّ أنهم في مكان ما هنا بأسفل.»

كان هذا الطابق مضاءً بضوء متوهج هادئ يمر بمنتصف المر على شكل شريط. انخلع قلب تالي عندما قرأت البطاقات التي ميزت الأبواب.

همست تالي: «غرفة التحقيقات رقم ١. غرفة التحقيقات رقم ٢. غرفة العزل رقم ١.» وكان كشفها يومض فوق الكلمات مثل حشرة اليراعة. استرسلت تالي قائلة: «غرفة تشويش الذهن رقم ١. لا بدّ أنهم في مكان ما هنا يا ديفيد.»

أوماً ديفيد برأسه ثم دفع أحد الأبواب دفعة خفيفة، لكنه لم يتزحزح، فتحسس بأصابعه حافة الباب بحثًا عن مكان يمكن أن يحشر فيه مدوار الطاقة.

حذرت تالي ديفيد في هدوء وهي تشير إلى كاميرا صغيرة إلى جانب الباب: «لا تدع قارئ بصمة العين يلتقط صورة لعينيك.» ثم استرسلت قائلة: «لو ظننت الكاميرا أنها ترى عينًا، ستسجل بيانات حدقة عينيك وتبحث عنها في الحاسب الآلي الكبير.»

– «لن تجد أي سجلات عني.»

– «وهذا سوف يزعجهم للغاية، لا تقترّب منها فحسب، إنها تعمل ذاتيًا.»

قال ديفيد وهو يومئ برأسه: «حسنًا، على كل حال هذه الأبواب ملساء للغاية، ولا مكان لإدخال المدوار. دعينا نستمر في البحث.»

وبينما واصلوا السير في المر، جذبت إحدى البطاقات انتباه تالي، وهمست تالي بفحواها: «الاحتجاز طويل المدى.» وكان لباب هذه الحجرة جزء إضافي طويل مكون من جدار يخلو من أي فتحات في أي من جانبيه، وكأن الحجرة الواقعة وراءه أكبر من الحجرات الأخرى. وضعت تالي أذنها على الباب كي تنصت إلى أي صوت بالداخل.

سمعت تالي أصواتاً مألوفة كانت تقترب أكثر فأكثر من أذنها. همست تالي وهي تبتعد عن الباب وتلقي بنفسها على الجدار: «ديفيد!» نظر ديفيد حوله في هياج شديد بحثاً عن مكان للاختباء؛ لقد كان كلاهما في مكان جلي.

فُتح الباب، وجاء عبره صوت الدكتورة كابل الخبيث.

– «كل ما هنالك أنك لا تحاولين بما فيه الكفاية. عليك أن تقنعيها فحسب أن ...»  
قالت تالي: «دكتورة كابل.»

استدارت المرأة كي تلتف ناحية تالي، وتبدلت ملامح وجهها التي تشبه ملامح الصقر إلى ملامح خيمت عليها الدهشة.

قالت تالي: «أريد أن أسلم نفسي.»

ردت الدكتورة كابل: «تالي يانج بلود؟ كيف ...»

ومن الخلف، ضرب مدوار الطاقة الخاص بديفيد جانب رأس الدكتورة كابل، فسقطت على الأرض.

تلعثم ديفيد قائلاً: «أظنن أنها ...» وكان وجهه شاحباً.

انحنت تالي وحركت رأس الدكتورة كابل كي تفحص الجرح. لم يسلم منه دماء، لكنها كانت فاقدة الوعي. فمهما كانت درجة الرعب التي يثيرها الحسان ذوو ملامح الوجه القاسية في نفوس الآخرين، لا يزال لعنصر المفاجأة تأثيره عليهم.  
أجابت تالي: «ستكون بخير.»

– «دكتورة كابل؟ ما الذي يحدث؟»

التفتت تالي نحو الصوت وانشغلت عيناها بالمرأة الصغيرة الواقفة أمامها.

لقد كانت امرأة طويلة القامة وأنيقة، ملامحها كلها كاملة الجمال، ومن الدهشة علت وجهها نظرة مضطربة اتسعت لها عيناها الغائرتان والمفعمتان بالعاطفة، والمرقطتان بالنحاس والذهب، وتباعدت شفثاها الممتلئتان إحداها عن الأخرى دون أن تنبس ببنت شفة، ورفعت يداً رشيقة في الهواء. لقد كان قلب تالي على وشك التوقف عن عمله لدى رؤيتها لهذا الجمال الذي علا ملامحها الحائرة.

عندئذ جاء إدراك المرأة لمن تراه أمامها ليغير ملامح وجهها، وأضاءت ابتسامتها العريضة الظلام، وشعرت تالي بنفسها تبتسم لها في المقابل. من الجيد أن نجعل هذه المرأة سعيدة.

صاحت المرأة: «تالي، إنه أنتِ بالفعل.»

لقد كانت شاي. وكانت حسناء.



## الإنقاذ

«شاي ...»

- «لقد فعلتها!» حينئذ تلاشت الابتسامة المندهشة من وجه شاي عندما نظرت إلى أسفل إلى الدكتورة كابل الواقعة على الأرض. سألت شاي: «ما الذي حل بها؟»

طرفت تالي بعينيها، جزعة تجاه التحول الذي خضعت له صديقتها. وبدا من الواضح أن جمال شاي أطفأ كل شيء بداخلها: خوفها، وشعورها بالمباغثة، وحتى شعورها بالإثارة. لم يترك شيء بداخلها سوى الدهشة. قالت تالي: «لقد ... تحولت..» - «هذا جلي، هذا أنت يا ديفيد! كلاكما بخير!»

قال ديفيد: «مرحبًا.» كان حلقه جافًا، ويده ترتعشان وهما ممسكتان بمدوار الطاقة، ثم قال: «نريد مساعدتك يا شاي.»

- «نعم، أظن ذلك.» ثم نظرت إلى الدكتورة كابل مرة أخرى وتنهدت وأردفت قائلة: «ما زلتما تعرفان كيف تثيران المشاكل، أستطيع أن أفهم ذلك..» حولت تالي عينيها بعيدًا عن جمال شاي، في محاولة لتركيز أفكارها وقالت: «أين الباقون؟ والدا ديفيد؟ كروي؟»

- «هنا بالضبط.» وأومات برأسها أعلى أحد منكبيها ثم تابعت قائلة: «الجميع محتجزون. لم تكن الدكتورة كابل صادقة تمامًا معنا.»

قال ديفيد: «لنبقها هنا.» ثم اندفع وراء شاي عبر الباب. رأت تالي صفاً من الأبواب الصغيرة بداخل الغرفة الطويلة، وبكل باب نافذة صغيرة. ابتسمت شاي لها وقالت: «أنا مسرورة أنكما بخير يا تالي. لقد كانت فكرة كونك بمفردك تمامًا في البرية ... بالطبع، لم تكوني وحدك، أليس كذلك؟»

تلاقت عينا تالي بعيني شاي، وقد علت مشاعر الحيرة والارتباك وجه تالي مرة أخرى. قالت تالي: «ما الذي فعلوه بك؟»

ابتسمت شاي وقالت: «تقصدين ما الذي فعلوه بي إلى جانب ما تريينه؟»  
 - «نعم. أقصد، لا.» هزت تالي رأسها، وهي لا تعرف كيف تسأل شاي عما إذا كانوا قد أتلفوا مخها، ثم تساءلت: «هل تحول أي من الباقين إلى ...»  
 - «حسان؟ لا. لقد بدءوا بي، لأنني كنت أكثرهم إثارة للمشاكل. كان يجب أن تريني وأنا أرفسهم وأعضهم.» ثم ضحكت شاي ضحكة خافتة.  
 - «لقد أجبروك.»

- «نعم، يمكن لدكتورة كابل أن تكون مصدرًا كبيرًا للألم. ومع ذلك هي تشكل نوعًا من الراحة أيضًا.»

ازدردت تالي ريقها وقالت: «راحة ...»  
 - «نعم، لقد كرهت هذا المكان. والسبب الوحيد لوجودي هنا هو أن دكتورة كابل أرادت أن أحضر إلى هنا وأتحدث إلى الضبابيين.»  
 قالت تالي بنبرة هادئة: «إن، أنتِ تعيشين في نيو برتي تاون.» وحاولت تالي أن تنظر إلى ما وراء الجمال، كي تكتشف أيًا ما كان وراء عيني شاي الواسعتين اللتين لا تشوبهما شائبة.

- «نعم، لقد جئت من أفضل حفل.»  
 أخيرًا أدركت تالي كيف كانت كلمات شاي غير واضحة. لقد كانت ثملة. ربما لهذا كانت تتصرف بطريقة غريبة. لكنها أطلقت على الآخرين مسمى «الضبابيين.» لم تعد واحدة منهم.

- «أتذهبين للحفلات يا شاي؟ بينما الجميع محبوسون هنا؟»  
 ردت شاي بلهجة دفاعية: «حسنًا، أظن ذلك. أقصد أنهم سيخرجون من هنا عندما يتحولون، عندما تتغلب الدكتورة كابل على عثرة السلطة الحمقاء التي تعاني منها.» ثم نظرت إلى الجسد فاقد الوعي الملقى على الأرض، وهزت رأسها واسترسلت قائلة: «ومع ذلك سيكون مزاجها سيئًا غدًا، بفضلكما.»

جاء صوت المعدن المتبرم من غرفة الاحتجاز. وسمعت تالي المزيد من الأصوات.  
 قالت شاي: «بلا ريب، يبدو أن لا أحد بالجوار هنا ليرى ما يحدث. على أي حال كيف حالكما؟»

فتحت تالي فمها، ثم أغلقتها، ثم تمكنت من أن تجيبها بشق النفس:  
 «نحن ... بخير.»

- «هذا رائع. أصغي إلي يا تالي. أنا آسفة لأنني كنت مصدر إزعاج في كل هذا. أنتِ تعرفين كيف يبدو القبحاء.» ثم ضحكت وقالت: «حسنًا، بالطبع أنتِ تعرفين ذلك!»

- «إذن، أنتِ لا تكرهينني؟»

- «لا تكوني سخيفة يا تالي!»

- «أنا سعيدة لسماع ذلك.» بالطبع كانت مباركة شاي لها بلا معنى، إذ لم يكن هذا غفرانًا بل تلقًا بالمخ ليس إلا.

- «لقد أسديتِ إلي صنيعةً كبيرًا حينما أخرجتني من منطقة الضباب هذه.»

- «لا يمكنكِ حقًا أن تصدقي هذا يا شاي.»

- «ماذا تقصدين؟»

- «كيف عدلتِ عن رأيك بهذه السرعة؟»

ضحكت شاي ثم قالت: «لقد تطلب الأمر بالضبط حمام ماء ساخن واحد كي أعدل عن رأيي.» ثم دنت من تالي ولمست شعرها المتشابك كثير العقد بعد أسبوعين من التخيم بالخارج والتحليق طوال النهار. فقالت: «بمناسبة الحديث عن الاستحمام، أنتِ متسخة تمامًا.»

طرفت تالي بعينها، وشقت الدموع الساخنة طريقها بعنف في عينها. لقد أرادت شاي دومًا أن تحتفظ بوجهها الحقيقي، وأن تعيش حياتها بطريقتها الخاصة خارج المدينة، لكن هذه الرغبة خمدت.

قالت تالي بنبرة رقيقة: «لم أقصد أن ... أخونك.»

رمقت شاي بعينها أعلى كتفها، ثم استدارت للخلف وابتسمت. وهمست وهي تضع أحد أصابعها الأنيقة على شفتيها قائلة: «هو لا يعلم أنكِ كنتِ تعملين لمصلحة الدكتورة كابل، أليس كذلك؟ لا تقلقي يا تالي، سرك الصغير القبيح معي طي الكتمان.»

ازدردت تالي ريقها، متسائلة عما إذا كانت شاي قد اكتشفت القصة بأكملها. ربما قد أخبرتهم دكتورة كابل بكل ما فعلته.

جاء صوت طنين من جانب دكتورة كابل؛ ففي لوحة العمل التي كانت تحملها، ثمة ضوء يشير إلى مجيء مكالمة تطلب أمرًا ما.

التقطت تالي اللوحة وأعطتها لشاي وقالت: «ردي عليهم!»

غمزت شاي بعينها ثم ضغطت على زر وقالت: «مرحبًا، معكم شاي. أنا آسفة، دكتورة كابل مشغولة. بما هي منشغلة؟ حسنًا، إنه أمر معقد...» ثم ضغطت على زر كتم الصوت وقالت لتالي: «ألا يجدر بك أن تنقذي أناس أو أشياء؟ هذا هو الغرض من هذه الخدعة الصغيرة، أليس كذلك؟»

- «هل ستبقي هنا؟»

- «عجبًا. هذا يبدو مثيرًا. كوني حسناء لا يعني أنني مملة للغاية.»

انطلقت تالي بخفة من ورائها إلى داخل الغرفة. وكان ديفيد قد شق بابين وفتحهما وحرر والدته وضبابيًا آخر، والاثنتان كانا يرتديان سترات قفز برتقالية اللون، وتعلو وجهيهما الدهشة وأمارات النعاس. وكان ديفيد يعمل على فتح باب آخر، وهو يحشر مدوار الطاقة في شق صغير في الأرضية.

رأت تالي وجه كروي وهو يحدق مندهشًا عبر واحدة من النوافذ الصغيرة، وغرست مدوار الطاقة الخاص بها تحت الباب، فأصدر مدوار الطاقة صوتًا قويًا للغاية، وأصدر المعدن السميك صوتًا مرتفعًا وهو ينثني إلى أعلى. نادى تالي ديفيد وقالت: «ديفيد، هم يعلمون أن شيئًا ما يحدث.»

- «حسنًا، لقد أوشكنا على الانتهاء من العمل هنا.»

أحدث المدوار فجوة صغيرة في المعدن، ولم تكن كبيرة بما فيه الكفاية، فأعدت تالي ضبط الآلة، وأصدر المعدن صوتًا قويًا متدمرًا مرة أخرى. لقد آتت الأيام التي كانت تقطلع فيها روابط خط السكة الحديدية بثمارها على الفور، فقد أحدث المدوار فتحة في حجم باب بيت الكلب الصغير.

ظهر ذراع كروي، ثم رأسه، ثم ستر القفز التي كانت تتمزق لدى احتكاكها بالحواف المسننة للمعدن وهو يشق طريقه ملتويًا كالثعبان. جذبت مادي يديه وسحبته إلى الخارج وقالت: «هذا هو كل ما تبقى، دعونا ننتقل.»

صرخ ديفيد: «ماذا عن والدي؟»

ركضت مادي نحو الردهة وقالت: «لا يمكننا مساعدته.»

تبادل ديفيد وتالي نظرة قلقة، ثم تبعها.

كانت مادي تندفع بسرعة في الممر نحو المصعد، وهي تجر شاي من معصمها وراءها. ضغطت شاي على زر التحدث في اللوحة وقالت: «انتظر لحظة، أظن أنها عائدة الآن. انتظر من فضلك.» ثم قهقهت وكتمت الصوت مرة أخرى.

قالت تالي: «أحضروا الدكتورة كابل! نحن نحتاجها!»

- «أمي!» ثم ركض ديفيد وراءها.

نظرت تالي إلى كروي ثم إلى أسفل حيث كانت الدكتورة كابل لمقاة على الأرض. أوما كروي برأسه ثم أمسك كل منهما بأحد معصميهما، وجرا المرأة عبر الأرضية الملساء مهرولين، وكان حذاء تالي المحبب المانع للانزلاق يصدر صوت صرير حاد لدى احتكاكه بالأرض.

وعندما وصل الفريق الهارب إلى المصعد، جذبت مادي دكتورة كابل من ياقة سترتها إلى أعلى أمام قارئ العين. تأوهت المرأة برقة مرة واحدة، وفتحت مادي بحرص إحدى عينيها، فأصدر المصعد صوت طنين وانفتحت أبوابه.

شدت مادي خاتم الاتصال من يد الدكتورة بقوة وألقت بها على الأرض، ثم جذبت شاي إلى الداخل. تبعته تالي والضبابيون الآخرون، لكن ديفيد ظل مكانه وقال: «أمي، أين والدي؟»

- «لا يمكننا مساعدته.» ثم انتزعت مادي اللوحة من يد شاي وحطمتها على الجدار، ثم جذبت ديفيد إلى الداخل رغم اعتراضه. انغلقت الأبواب، وسأل المصعد: «أي طابق؟»

قالت مادي وخاتم الاتصال لا يزال بيدها: «السطح.»

أخذ المصعد في التحرك، وتألمت أذنا تالي من صوت صعوده السريع.

سألت مادي بصوت حاد: «ما خطة هروبنا؟» وقد اختفت النظرة الناعسة تمامًا من عيني مادي وكأنها قد خلدت للنوم الليلة المنصرمة متوقعة إنقاذها هذا الصباح. استطاعت تالي أن تجيئها بشق النفس: «عبر الألواح الطائرة.» ثم أردفت قائلة: «أربعة ألواح.» ولما أدركت أنها لم تقم بعد بضبط أساور الصدمات، عدلت أساور الصدمات كي تستدعي الألواح.

قالت شاي: «هذا رائع! أتعرفين أنني لم أخلق بالألواح الطائرة منذ أن غادرت منطقة الضباب؟»

قالت مادي: «نحن سبعة. أنت يا تالي سترافقين شاي. وأستريكس ورايدي سيركبان معًا. أما أنت يا كروي، اركب وحدك وضللمهم. وأنا سأركب مع ديفيد.»

قال ديفيد بنبرة مناشدة: «أمي... إذا صار من الحسان، ألا يمكنك أن تعالجه؟ أو على الأقل تحاولين؟»

أجابته بنبرة هادئة: «والدك لم يصر من الحسان يا ديفيد، لقد مات.»



## الفرار

«أعطني سكيناً.» بسطت مادي يديها متجاهلة الصدمة على وجه ابنها. اندفعت تالي بسرعة نحو حقيبة كتفها ومررت سكيناً متعددة الأنصال لمادي، التي أخرجت أحد أنصالها القصيرة وقطعت قطعة من ذراع سترة القفز الخاصة بها. وعندما وصل المصعد إلى السطح، انفتحت أبوابه حتى نصف المسافة ثم توقفت، كاشفة عن الفجوة غير المنتظمة التي كانت تالي قد شقتها كي تدخل منها. وتسللوا عبرها واجداً تلو الآخر، ثم ركضوا نحو حافة السطح.

على بعد مائة متر، رأت تالي الألواح الطائرة تطوف فوق مجمع المباني، فدعتها عن طريق أساور الصدمات. كانت الإنذارات تدوي حولهم في كل الأرجاء الآن. فلو أن السلطات الخاصة لم تلاحظ عملية الفرار حتى الآن بفضل معجزة ما، فإن تلك الألواح الطائرة التي تحلق في الهواء بلا ركاب كانت قد عبرت السياج فأثارت الإنذارات.

استدارت تالي بحثاً عن ديفيد. لقد كان يمشي متعثراً في مؤخرة المجموعة في حالة زهول. أمسكته تالي من كتفيه وقالت: «أنا آسفة بشدة.»

هز ديفيد رأسه، ليس لها وليس لأي شيء بعينه.

– «لا أعلم ماذا أفعل يا تالي.»

أخذت يده وقالت: «علينا أن نهرب. هذا هو كل ما في وسعنا الآن. اتبع والدتك.» نظر في عينيها، وكان وجهه مستسلماً للحزن. قال: «حسناً.» وهمّ ديفيد بأن يقول المزيد لكن كلماته تلاشت وسط ضوضاء تماثل صوت أظافر ضخمة تحك في سطح معدني. لقد كان باب العربات الطائرة يقاوم الغراء شديد الفعالية، مما جعل السطح بأكمله يهتز.

أبقت مادي، وهي آخر من غادر المصعد، على باب المصعد مفتوحًا باستخدام مدار الطاقة. وظل صوته يكرر: «المصعد مطلوب.»  
لكن كانت هناك مسارات أخرى فوق السطح يمكنهم الاستعانة بها، فالتفتت مادي إلى ديفيد وقالت: «ألصق هذه الأبواب الأرضية بالغراء حتى لا يتسنى لهم الخروج.»

هدأت نظرتة المحدقة للحظة ثم أوماً برأسه.  
قالت تالي وهي تستدير كي تنطلق نحو حافة السطح: «سوف أحضر الألواح.»  
وعندما وصلت الحافة، قفزت في الهواء، آملة أن تكون السترة المطاطية لا تزال محتفظة ببعض شحناتها.

وبعد وثبة واحدة في الهواء، كانت تالي تجري على الأرض. فشعرت الألواح بأساور الصدمات فأسرعت نحو تالي.  
- «احترسي يا تالي!»

نظرت تالي عبر كتفها تجاه صرخة كروي فرأت سريعًا من القوات الخاصة يتجه نحوها عبر مجمع المباني، وبابًا مفتوحًا وراءهم عند مستوى الأرض. كانوا يركضون بسرعة بشكل وحشي، يغطون الأرض بخطواتهم الطويلة.  
أخذت الألواح تحك ساق تالي من الخلف، كالكلاب المستعدة للعب. قفزت تالي فوقها، وهي تترنح للحظة وهي تضع قدمًا على كل زوج من الألواح المزدوجة؛ فهي لم تسمع قط عن أي شخص ركب أربعة ألواح مرة واحدة. لكن كان فرد السلطات الخاصة الأقرب إليها لا يبعد عنها سوى خطوات قليلة فحسب.  
طقطقت تالي أصابعها وارتفعت بسرعة في الهواء.

قفز رجل السلطات الخاصة بارتفاع مذهل حتى إن أصابع يديه الممدودتين لامست الحافة الأمامية للألواح، مما جعل الألواح تهتز تحت قدمي تالي. لقد كان الأمر أشبه بالوقوف على منصة البهلوان حال قفز شخص آخر عليها. أما باقي أفراد السلطات الخاصة فقد كانوا يشاهدون من أسفل، متوقعين سقوطها.  
غير أن تالي استعادت توازنها ومالت إلى الأمام، متجهة إلى الخلف نحو المبنى. وزادت من سرعة الألواح، وبعد لحظات قفزت تالي على السطح، وركلت زوجًا من الألواح ناحية كروي، ففصل كروي اللوحين بينما فصلت تالي الزوج الآخر.  
قالت مادي: «انطلقني الآن، وخذي هذه.»



وكانت قد أعطت تالي قطعة من قماش برتقالي اللون، عبارة عن جزء صغير من دائرة كهربائية. لاحظت تالي أن مادي قد قطعت أجزاء من سواعد كل سترات القفز.

قالت مادي: «هناك أجهزة تعقب في هذا القماش، ارميه في مكان ما كي تضليلهم.»

أومأت تالي وهي تبحث حولها عن ديفيد. لقد كان يركض نحوهم متجهم الوجه وهو يمسك في يده عبوة الغراء مسحوقة وفارغة. همّت تالي بالحديث: «ديفيد...» لكن مادي صرخت: «انطلقني!» ودفعت شاي على اللوح وراء تالي.

قالت شاي وقدهاها تهتزان: «ألا توجد أساور للصدمات؟ ليس هذا أول حفل لي الليلة، حسبما تعرفين.»

أجابت تالي: «أعرف. تشبثي.» ثم انطلقت بعيداً عن السطح. ترنحت كلتاها لحظة، وكانتا على وشك أن تفقدتا توازنهما. لكن تالي استعادت ثباتها، وشعرت بيد شاي تلتف بإحكام حول خصرها.

– «واو، تالي، أبطنّي السرعة!»

– «تشبثي فحسب.»

مالت تالي في منعطف، وقد أعياها بطء اللوح، ليس لأنه يحمل شخصين، بل كانت الحركات المترنحة لشاي تزعجه أيضاً.

– «ألا تتذكرين طريقة التحليق؟»

أجابت شاي: «بلى، كل ما هنالك أنه ينقصني التدريب فحسب أيتها الحولاء، علاوة على أنني احتسيت الكثير من الخمر الليلة.»

– «حاولي ألا تسقطي فحسب، ستصابين.»

– «انتظري! لم أطلب أن ينقذني أحد!»

– «لا، أظن أنك لم تفعلي.» نظرت تالي إلى أسفل عندما ارتفعتا فوق كرامبلي فيل، متجاوزتين الحزام الأخضر كي تتجها في خط مستقيم نحو النهر. لو ارتطمت

شاي بالأرض عند هذه السرعة، فسيكون الأمر أخطر من مجرد إصابة، سوف تموت. مثل والد ديفيد. وتساءلت تالي كيف مات. هل حاول أن يهرب من السلطات

الخاصة مثل الرئيس؟ أم فعلت الدكتوراة كابل له شيئاً ما؟ ولازمت تالي فكرة واحدة، وهي أنه مهما كان الذي حدث، فالخطأ خطؤها.

– «شاي، لو سقطت، خذيني معك.»

– «ماذا؟»

– «تشبثي بي فحسب ولا تفلتي يديك مهما بلغ الأمر فأنا أرتدي سترة مطاطية وأساور. ربما يجب أن نثب في الهواء.» ربما يحدث ذلك إلا إذا جذبتها السترة في اتجاه وجذبتها الأساور في الاتجاه الآخر أو كان إجمالي وزن تالي وشاي كبيراً جداً بالنظر إلى الروافع.

– «إذن أعطيني الأساور أيتها السخيفة.»

هزت تالي رأسها وقالت: «ليس لدينا وقت لنتوقف.»

– «لا أظن ذلك. أصدقاؤنا من أفراد السلطات الخاصة سيصيرون منزعجين للغاية.» وتشبثت شاي بتالي أكثر.

لقد كانتا على وشك الوصول إلى النهر دون أن تظهر أي أمارات تشير لوجود متعقبين وراءهما. لا بدّ أن الغراء شديد الفعالية قد أتاح قدرًا من العراك، لكن السلطات الخاصة لديها عربات طائرة أخرى – على الأقل العربات الثلاث التي شوهدت وهي تغادر منذ وقت قليل – والحراس الدائمون لديهم عربات أيضًا. وتساءلت تالي هل السلطات الخاصة ستطلب عون الحراس، أم أنها سوف تحتفظ بالموقف برمته سرًا. ترى ما رأي الحراس بشأن السجن الموجود تحت الأرض؟ هل كانت حكومة المدينة الدائمة تعلم بما فعلته السلطات الخاصة بالضبابيين أو بوالد ديفيد؟

اندفع ماء النهر تحت تالي، فألقت برقعة القماش برتقالية اللون وهي تنعطف، ففرقت بعيدًا إلى أسفل نحو النهر، وسوف يجرفها التيار إلى الوراء نحو المدينة، في الاتجاه المعاكس لطريق هروبهما.

وكان كل من ديفيد وتالي قد اتفقا على أن يلتقيا في الاتجاه المعاكس لمجرى النهر بعيدًا وراء الأطلال في المكان الذي اكتشف فيه ديفيد كهفًا منذ سنوات مضت. ذلك لأن مدخل هذا الكهف تغطيه الشلالات، لذا كان يمكنه أن يحميها من أجهزة استشعار درجة حرارة الجسم. ومن هناك يمكنهما أن يعودا سيرًا على الأقدام إلى الأطلال لاسترجاع بقية معدّاتهما، وعندئذ ...

هل سيعيدون عندئذ بناء منطقة الضباب؟ بقوة سبعة أفراد؟ وشاي بوصفها ضيفة شرف من الحسان؟ ولاحظت تالي أنهم لم يخططوا لما هو آت بعد هذه الليلة. ولم يبد المستقبل واقعًا حتى الآن.

وبالطبع لا تزال احتمالية القبض عليهم جميعًا قائمة.

صاحت شاي: «أتظنين أن ما قالته مادي حقيقي؟»

جرؤت تالي على الالتفات إلى الوراء كي تنظر نحو شاي، حيث بدا وجهها الجميل متوترًا.

تابعت شاي حديثها: «أعني أن آز كان بخير عندما زرتهم منذ بضعة أيام، وأظن أنهم كانوا يعتزمون تحويله إلى شخص من الحسان، وليس قتله.»  
- «لا أعلم.» فهو أمر يشق على مادي الكذب فيه. لكن لعلها مخطئة.

مالت تالي إلى الأمام، وحلقت بسرعة وعلى مستوى منخفض، في محاولة منها لترك إحساس البرودة الذي خالج معدتها وراءها. وكان رذاذ الماء يضرب وجهيهما عندما وصلتا إلى المياه الثائرة ذات الزبد. بدأت شاي تحلق تحليقًا صحيحًا، فأخذت تميل مع منحنيات النهر التدريجية. صاحت شاي: «هاي. أنا أتذكر هذا!»

صاحت تالي وسط خرير الماء: «أتتذكرين أي شيء آخر مررت به قبل العملية؟»  
جثمت شاي وراء تالي وهما تصطدمان بجدار من رذاذ الماء وقالت: «بالطبع أيتها السخيفة.»

- «لقد كنت تكرهينني، لأنني سرقت ديفيد منك، ولأنني خنت الضبابيين. أتتذكرين هذا؟»

صمتت شاي لحظة، ولم يحط بهما سوى صوت خرير المياه الثائرة ذات الزبد والريح التي تتدافع حولهما. وأخيرًا، مالت بالقرب من تالي، وتكلمت في أذنيها بصوت نم عن عمق التفكير: «نعم، أعرف ماذا تقصدين. لكن هذا كله كان أمرًا من أمور القبحاء؛ الحب الجنوني، والغيرة، والحاجة إلى التمرد على المدينة. كل الأطفال يحبون ذلك. لكنك تنضجين، حسبما تعلمين.»

- «هل نضجت بسبب عملية؟ ألا تشعرين بغرابة هذا الأمر؟»

- «لم يكن النضج بسبب العملية.»

- «إذن، لماذا نضجت؟»

- «لقد كان من الجيد فحسب أن أعود إلى الوطن يا تالي. لقد جعلني هذا أدرك

كم كان أمر منطقة الضباب برمته أمرًا جنونيًا.»

- «وماذا عن العض والرفس اللذين كنتِ تقومين بهما؟»

- «حسنًا، لقد استغرق الأمر بضع أيام لسبر غوره.»

- «وهل حدث هذا قبل أن تصيري حسان أم بعدها؟»

صمتت شاي مرة أخرى. وتساءلت تالي هل من الممكن أن تقنع شخصًا بالتلف الذي حدث له في مخه.

أخرجت تالي من جيبها جهاز تحديد الاتجاهات، وكانت الإحداثيات تشير إلى أنه لا يزال عليهما التحليق نصف ساعة للوصول إلى الكهف. ورمقت تالي بعينيها إلى الوراء من أعلى كتفها، فلم تجد أي عربات طائرة، ليس بعد. لو اتخذت الألواح الأربعة طرقًا مختلفة إلى النهر، وألقوا جميعهم أجهزة التعقب في أماكن مختلفة، فسيمضي أفراد السلطات الخاصة ليلة محيرة.

وكان هناك أيضًا ديكس وسوسي وأن الذين وعدوها بأن يطلبوا من كل القباء الذين يعرفونهم ممن يقومون بالحيل أن يحلقوا بالألواح الطائرة هذه الليلة. ومن ثم سيصير الحزام الأخضر مزدحمًا.

وتساءلت تالي عن عدد القباء الذين شاهدوا الحروف التي شكلها الثلاثة من الألعاب النارية في نيو برتي تاون، كم منهم عرفوا ما هي منطقة الضباب، أو كم منهم اختلقوا القصص كي يفسروا الرسالة الغامضة. وما الشخصيات الأسطورية الجديدة التي ابتكرتها هي وديفيد بحيلتهما الصغيرة المشتتة والمضللة؟

عندما وصلت تالي وشاي إلى جزء أكثر هدوءًا من النهر، تكلمت شاي مرة أخرى: «ماذا الآن يا تالي؟»

– «ماذا؟»

– «لماذا تريدني أن أكرهك؟»

تنهدت تالي وقالت: «أنا لا أريدك أن تكرهيني يا شاي، أو ربما أريد ذلك، لقد خنتك، وأشعر بشعور مريع حيال هذا.»

– «ما كانت منطقة الضباب لتدوم إلى الأبد يا تالي. سواء أكنت تشين بنا أم لا.»

صاحت تالي: «لم أشْ بكم! على أي حال، لم أتعمد فعل هذا. وما حدث مع

ديفيد كان حادثة. لم أقصد أن أجرحك.»

– «بالطبع لا، أنتِ مشوشة الذهن فحسب.»

تأوهت تالي وقالت: «أنا مشوشة؟ أنتِ من ...» فانزوى صوتها. كيف لا تدرك

شاي أن العملية هي التي غيرتها؟ فهي لم تُمنح وجهًا حسنًا فحسب، بل أيضًا ... ذهن

الحسان. لا يمكن لأي شيء آخر أن يعلل سبب التغيير المفاجئ الذي حدث لها، وهي

تتخلى عن الجميع من أجل الحفلات والاستحمام بالماء الساخن، تاركة جميع أصدقائها

وراءها مثلما فعل بريس منذ عدة أشهر.

سألت شاي: «هل تحبينه؟»

- «ديفيد؟ أنا، آه ... ربما.»

- «لطيف.»

- «هذا ليس لطيفًا. هذا واقع!»

- «إذن لم تشعرين بالخجل تجاه الأمر؟»

لفظت تالي بكلماتها بسرعة واختلاط: «أنا لا أشعر بالخجل ...» فقدت تالي تركيزها لحظة، ومالت مؤخرة اللوح إلى أسفل مما بعث بموجة من الماء خلفهما. شهقت شاي وتشبثت بتالي التي كزت على أسنانها وارتفعت باللوح إلى أعلى قليلًا. عندما توقفت شاي عن الضحك قالت: «وأنتِ تظنين أنني مشوشة الذهن؟»

- «اسمعيني يا شاي، ثمة شيء واحد لست مشوشة بشأنه. أنا لم أرد أن أخون الضبابيين. لقد جرى ابتزازي كي أذهب إلى هناك كجاسوسة. وعندما أرسلت في طلب السلطات الخاصة، كان هذا حادثًا وقع عن طريق الخطأ. لكنني آسفة يا شاي، آسفة لأنني قد دمرت حلمك.» وجدت تالي نفسها تجهش في البكاء، وساقت الريح دموعها إلى الورا. واندفعت الأشجار وراءهما في الظلام لحظة.

قالت شاي بهدوء وهي تتشبث أكثر بتالي: «أنا مسرورة لأنكما رجعتما للحياة المدنية. وأنا لست آسفة على ما حدث، لو أن هذا سيشعرك براحة.»

فكرت تالي في التلف الذي لحق بمخ شاي، الذي قد يكون عبارة عن خلايا سرطانية صغيرة أو جروح أو أيًا ما كان، وهي لا تدري أنها مصابة به. لقد كانت الإصابات في مكان ما، تغير من أفكار صديقتها، تضلل مشاعرهما، وتنخر في جذور كينونتها، وتجعلها تسامح تالي.

- «أشكرك يا شاي، لكن هذا لن يريحني.»



## وحيدة طوال الليل

كانت تالي وشاي هما أول من وصلا إلى الكهف. وصل كروي بعدهما ببضع دقائق، دون سابق إنذار، وهو يندفع بقوة هو ولوحه عبر الشلال في اندفاع مفاجئ جلب معه رذاذ المياه المتناثر واللغعات المتلاحقة. تعثر كروي في الظلام، وأخذ جسمه يتدحرج فوق الأرضية الصخرية في سلسلة من الارتطامات المؤلمة.

أسرعت تالي من مؤخرة الكهف، ممسكة بمصباح في إحدى يديها. هز كروي رأسه وقال متأوهًا: «لقد سبقتهم ولم يلحقوا بي.» نظرت تالي إلى مدخل الكهف، حيث بدت طبقة مياه الشلال كستار سميك ضد الظلام، قالت تالي: «أتمنى ذلك. أين الباقون؟» - «لا أدري. لقد طلبت منا مادي أن نسير في اتجاهات مختلفة. ولما كنت أخلق بمفردي، حلقت حول الحزام الأخضر كله أولاً كي أضللهم.» ثم ألقى برأسه إلى الوراء وهو لا يزال يلهث. ووقع جهاز من أجهزة تحديد الاتجاهات من إحدى يديه. - «لقد حلقت بسرعة كبيرة.»

- «فعلًا حلقت بسرعة كبيرة ودون ارتداء أساور الصدمات.» قالت تالي: «لقد جربتُ هذا الأمر. على الأقل أنت ترتدي حذاء. هل طاردك أحد؟» هز كروي رأسه وقال: «لقد تشبثت بقطعة القماش التي تحتوي على جهاز التعقب لأطول وقت ممكن، وقد جعلت معظم أفراد السلطات الخاصة يتعقبونني، لكن كان هناك مجموعة كاملة من ركاب الألواح الطائرة يلقون فوق الحزام الأخضر، لقد كانوا من أطفال المدينة، مما جعل من الصعب على أفراد السلطات الخاصة الذين كانوا يتعقبوننا أن يصلوا إلينا.» ابتسمت تالي. لقد قام كل من ديكس وأن وسوسي بعملهم على أكمل وجه.

– «هل ديفيد ومادي بخير؟»

أجابها بهدوء: «لا أعرف ما إذا كانا بخير أم لا. لكنهما انطلقا وراءكما مباشرة، ولم يبد أن أحداً يتعقبهما. لقد قالت مادي إنهما سيتجهان نحو الأطلال مباشرة. ومن المفترض أن نلتقي بهما ليلة غد.»

قالت تالي: «الغد؟»

– «لقد أرادت مادي أن تختلي بديفيد بعض الوقت.»

هزت تالي رأسها، لكن صدرها انقبض بداخلها. لقد كان ديفيد بحاجة إليها، على الأقل مثلما كانت ترجو، وفكرة أن يتعامل مع موت آز دونها زادت من البرودة التي شعرت بها في معدتها.

بالطبع كانت مادي بجانبه، وقد كان آز زوجها في النهاية، وتالي لم تلتق به سوى مرة واحدة. ولكن هذا لا يمنع وجودها!

تهدت تالي، وحاولت أن تتذكر آخر كلمات قالتها لديفيد، وتمنت لو كانت هذه الكلمات تمنحه قدرًا من الراحة والعزاء. لم يكن هناك متسع من الوقت كي تحضنه بين ذراعيها. فمذ الغزو الذي شنته السلطات الخاصة على منطقة الضباب وهي لم تنفصل عنه سوى في الساعة التي تركها فيها أثناء العاصفة، والآن هي لن تراه مدة يوم كامل.

– «ربما يجدر بي أن أذهب إلى الأطلال. يمكنني أن أسير إلى هناك الليلة.»

قال كروي: «لا تتصرفي بجنون. فالسلطات الخاصة لا تزال تبحث عنا بالخارج.»

– «سأذهب، تحسبًا لأن يكونوا بحاجة إلى أي شيء...»

– «لقد طلبت مني مادي أن أرفض زهابك إليهما.»

ظهر أستريكس ورايدي بعد مرور نصف ساعة، وقد جاءا إلى الكهف برشاقة تفوق تلك التي أبداها كروي ولكنهما حملا قصص الهروب من العربات الطائرة. لقد كان مطاردهما متحيرين، فقد صدمت السلطات الخاصة بكل ما جرى هذه الليلة.

قال أستريكس: «الأمر بلغ أنهم لم يقتربوا منا.»

هز رايدي رأسه وقال: «لقد كانوا منتشرين في كل الأرجاء.»

قال كروي: «الأمر يبدو وكأننا كسبنا معركة. لقد هزمناهم في عقر دارهم، مما

جعلهم يبدون كالحمقى.»

قال رايدي: «ربما لا يجدر بنا أن نختبئ بعد الآن. أذكر عندما كنا قبحاء نقوم

بالحيل، لا بد من إخبار المدينة بأكملها بالحقيقة.»



صاح كروي: «وإذا قُبض علينا، ستهرع تالي لإنقاذنا.»

حاولت تالي أن تبتسم لابتهاجهم، لكنها علمت أنها لن تشعر بالراحة حيال أي شيء إلا بعد أن ترى ديفيد مرة أخرى. ليس قبل ليلة الغد، لقد شعرت وكأنها منفية، محرومة من الشيء الوحيد الذي يهتمها حقًا.

كانت شاي قد غطت في سبات عميق في شق صغير بعدما تأففت من الرطوبة التي أضرت بشعرها، وهي تتساءل عن ميعاد اصطحابها إلى الوطن، وزحفت تالي إلى الوراء حيث رقدت صديقتها، ودنت إلى جانبها، محاولة أن تنسى التلف الذي ألحق بمخ شاي. على الأقل هي تتمتع بجسد جديد الآن ولم تعد نحيفة بدرجة مرضية، فقد بدت ملساء ودافئة وسط رطوبة الكهف وبرودته. ولما جثمت تالي أمامها استطاعت تالي أن تتوقف عن الارتجاف. لكنها استغرقت وقتًا طويلًا حتى غلبها النعاس.

استيقظت على رائحة الأرز التايلاندي.

لقد عثر كروي على عبوات الطعام وجهاز تنقية الماء في حقيبة كتفها وكان يعد الطعام مستخدمًا مياه الشلال، في محاولة لتهدئة شاي على ما يبدو. – «لقد وافقتكم على مساعدتكم في الهروب، لكنني لم أكن أعرف أنكم تعتزمون ملازمتي لكم كل الطريق إلى هنا. أنا لم أعد أعبأ بهذا التمرد برمته، أنا مصابة بدوار شديد من جرّاء الخمر وأريد أن أغسل شعري فعلاً.»

قال كروي: «هناك شلال بالخارج مباشرة.»

– «لكنه بارد! لقد ضقت ذرعًا بهذه الصورة الزائفة للتخيم بالخارج.» زحفت تالي إلى الخارج نحو الجانب الكبير من الكهف، وكل عضلاتها متيبسة، بعد أن تركت كل صخرة نامت عليها آثارًا مطبوعة على جسدها. وعبر ستارة مياه الشلال، كان الغسق يهبط. وتساءلت عما إذا كان يمكنها أن تنام في الليل مجددًا. كانت شاي تجلس القرفصاء على صخرة وتعبث في الأرز التايلاندي وتتأفف من أنه غير متبل بما فيه الكفاية، وعلى الرغم من أنها كانت متسخة في ملابس الحفل الرثة، وشعرها ملتصق بوجهها، فهي ما تزال فاتنة. وكان رايدي وأستريكس يراقبانها في صمت، ويشعران بقليل من الاندهاش بسبب نظراتها؛ فلقد كانا اثنين من أصدقاء شاي القدامى اللذين هربا إلى منطقة الضباب في الوقت الذي لم تجرؤ

فيه على ذلك، لذا لا بدّ أنه قد مرت شهور على رؤيتهما لوجه حسن. وبدا الجميع مستعدين لتحمل مواصلتها للتأفّف.

ثمّة شيء واحد يسم الحسان وهو أن الناس تحتمل عاداتهم المضجرة. قال كروي: «صباح الخير. أتريدين كرات اللحم السويدي أم أرز بالخضراوات؟» قالت تالي وهي تبسط عضلات جسمها: «الأسرع في إعداده»؛ فلقد أرادت أن تذهب إلى الأطلال في أسرع وقت ممكن.

وعندما حل الظلام زحف كروي وتالي وراء الشلال، ولم تكن هناك أي أمارات في السماء تشير إلى وجود السلطات الخاصة. وشكت تالي أنه يمكن لأي فرد أن يبحث في الخارج عند هذه المسافة البعيدة. فالابتعاد عن المدينة على متن لوح طائر سريع يقطع مسافة تستغرق أربعين دقيقة كان يشكل مسافة بعيدة.

أرسلوا إشارة زوال الخطر، ثم حلق كل واحد فيهم بعيداً عكس مجرى النهر إلى البقعة التي ينحني عندها مجرى النهر بالقرب من الأطلال. ثم تبع ذلك المشي سيراً على الأقدام مسافة طويلة، والقباء الأربعة يتشاركون حمل الألواح والمؤن. توقفت شاي عن التبرم، عابسة الوجه وصامتة من جراء آثار الإفراط في شراب الخمر. وبدا لها السير سهلاً. فلياقتها البدنية العالية التي اكتسبتها من العمل الشاق في منطقة الضباب لم تتلاشى في غضون أسبوعين، علاوة على أن العملية عملت فعلاً على تحسين لياقة عضلات الحسان الجدد، على الأقل فترة من الوقت. ومع أن شاي قد أعلنت ذات مرة عن رغبتها في العودة إلى الوطن، لم يبد أنها فكرت قط في العودة وحدها. وتساءلت تالي عما سيفعلونه معها. لقد كانت تعرف أن عملية الإصلاح ليست بالعملية السهلة. فقد دأب كل من مادي وآز على العمل في هذا الأمر على مدار عشرين سنة دون جدوى. لكن لا يمكن أن يتركوا شاي هكذا.

ومما لا شك فيه أنه في اللحظة التي ستُشفى فيها شاي، ستعود إليها كراهيتها لتالي.

إذن، أيهما أسوأ: صديقة مصابة بمخ تالف، أم صديقة تكرهك؟

وصلوا حافة مدينة الأطلال بعد منتصف الليل. وهبطوا بالأواحهم على المبنى المهجور الذي خيم ديفيد وتالي فيه من قبل. كان ديفيد بانتظارهم بالخارج.

بدا ديفيد متعباً، حتى إنه يمكن رؤية الخطوط السوداء تحت عينيه على ضوء النجوم، لكنه حزن تالي في اللحظة التي نزلت فيها من على اللوح، وطوقها بذراعيه بشدة، وحضنته هي أيضاً بشدة. همست تالي: «هل أنت بخير؟» ثم شعرت بالحمق لسؤالها هذا؛ فماذا عساه أن يقول ردّاً على مثل هذا السؤال؟ فقالت: «ديفيد، بالطبع أنت لست بخير. أنا آسفة، أنا ...»

- «لا تقولي شيئاً، أنا أعرف.» ثم رجع عن عناقها وابتسم. شعرت تالي بارتياح ثم ضغطت بشدة على يدي ديفيد حتى يتأكد لها أن وجوده إلى جانبها حقيقة وقالت: «لقد اشتقت إليك.» قال ديفيد: «وأنا أيضاً.» ثم قبلها. قالت شاي وهي تصفف شعرها بأصابعها بعد التحليق في الهواء العاصف: «أنتما الاثنان لطيفان للغاية.»

ابتسم ديفيد لها ابتسامة شابها الإجهاد وقال: «مرحباً شاي. تبدون جوعى يا رفاق.»

قالت شاي: «فقط إذا كان بحوزتك أي طعام حقيقي شهى.» - «للأسف ليس لدي سوى ثلاثة أنواع من الكاري المُعاد تركيبه.» تأوهت تالي واندفعت وراءه لتدخل إلى المبنى المنهار. لاحقتها عيناه لكن دون نظرات الاندهاش التي كانت لا تزال ترسم على وجهي رايدي وأستريكس. لقد كان الأمر وكأن ديفيد لم ير جمالها.

استدار ديفيد ثانية وقال: «أخيراً حالفنا بعض الحظ.» نظرت تالي إلى وجهه المتعب المكسو بالخطوط والتجاعيد وقالت: «فعللاً؟» - «لقد قمنا بتشغيل لوحة العمل، تلك التي كانت تحملها دكتورة كابل. نزعت أُمي الجزء الخاص بالهاتف حتى لا يمكنهم أن يتتبعونا عبره، وأخذت اللوح كي تطلع على بيانات العمل الخاصة بكابل.»

- «وبم تتعلق هذه البيانات؟» - «كل ملاحظاتها التي تتعلق بتحويل الحسان إلى أفراد تابعين لأفراد السلطات الخاصة، ليس فقط الجانب الجسدي،» ثم جذب تالي بالقرب منه وأردف قائلاً: «لكن أيضاً الطريقة التي يعمل بها تلف المخ، كل شيء لم يُخبر به والدائي عندما كانا طبييين!» ازدردت تالي ريقها وقالت: «شاي ...» أوماً ديفيد برأسه: «تظن أُمي أنه بمقدورها أن تجد علاجاً.»



## الفصل الثامن والأربعون

# مكتبة قسم أبقرات

t.me/t\_pdf

مكثوا عند حافة مدينة الأطلال الصدئة.

وكانت العربات الطائرة تمر فوق المدينة المنهارة بين الفينة والفينة، وهي تشق طريقها عبر السماء بحذر للبحث ببطء عن الفارين، لكن الضبابيين كانوا محنكين في الاختباء من الأقمار الصناعية والطائرات. لقد بسطوا مشتتات للانتباه عبر الأطلال — تمثلت في قضبان متوهجة كيميائية من شأنها أن تبعث جيوبًا حرارية في حجم جسم الإنسان — وغطوا نوافذ المبنى برقائق من مادة البوليمر السوداء. وبالطبع كانت الأطلال كبيرة للغاية؛ فالعثور على سبعة أفراد في مدينة كانت تسع من قبل الملايين لم يكن بالأمر الهين.

وكل ليلة كانت تالي تشاهد تأثير «مدينة الضباب الجديدة» يتزايد. فكثير من القبعاء قد شاهدوا الحروف المرسومة من وهج الألعاب النارية ليلة الهروب، أو سمعوا عنها. وتزايدت ببطء رحلات الهروب الليلية إلى الأطلال حتى إن الإشارات الضوئية للألعاب النارية كانت تومض فوق المباني شاهقة الارتفاع منذ منتصف الليل وحتى انبثاق الفجر. وبات كل من تالي ورايدي وكروي وأستريكس على اتصال بقبعاء المدينة، وروجوا لإشاعات جديدة، وعلموهم خدعًا جديدة، وعرضوا لمحات خاطفة من المجلات التي كان الرئيس قد أنقذها من منطقة الضباب. وإن أبدوا شكوكهم بشأن صحة وجود السلطات الخاصة، كانت تالي تريهم أساور الأصفاذ البلاستيكية التي ما زالت تطوق معصمها وتدعوهم لمحاولة قطع هذه الأصفاذ.

وثمة قصة جديدة توجت كل هذه القصص؛ فلقد قررت مادي ألا تحتفظ بأمر تلف المخ سرًا بعد الآن؛ فلكل قبيح الحق في أن يعرف تبعات العملية، فأشاعت تالي

والآخرون الأمر وسط أصدقائهم من المدينة: لن يغير المشرط وجهك فحسب. فستدفع شخصيتك — كيائك الحقيقي بداخلك — ثمنًا للجمال.

بالطبع، لم يصدق كل القباء مثل هذه القصة المريعة، لكن القليلين صدقوها. والبعض تسللوا عبر نيو برتي تاون في سكون الليل كي يتحدثوا إلى أصدقائهم القدامى وجهًا لوجه وقرروا مصيرهم بأنفسهم.

وحاولت السلطات الخاصة أحيانًا أن تقضي على هذه المجموعة المعارضة ونصبت فخاخًا للضبابيين الجدد، لكن كان هناك دائمًا شخص يحذرهم، ولم تستطع قط أي عربة طائرة أن تمسك بلوح طائر وسط الشوارع المتعرجة والأنقاض. لقد عرف الضبابيون الجدد كل ركن وزاوية في منطقة الأطلال وخباياها وكأنها شهدت مولدهم حتى إنهم كانوا يستطيعون أن يختبئوا في لحظة واحدة.

ودأبت مادي على العمل لإيجاد علاج للمخ، باستخدام مواد أنقذت من الأطلال أو مواد جلبها قبحاء المدينة الذين حصلوا عليها من المستشفيات أو فصول الكيمياء. وانعزلت مادي عن الجميع فيما عدا ديفيد. ولقد بدت لطيفة على وجه الخصوص تجاه تالي التي كانت تشعر بالذنب في كل لحظة تمضيها مع ديفيد، بعد أن أضحت أمه وحيدة الآن بسببها. ولم يتحدث أي منهما قط عن موت آز.

وظلت شاي معهم، تتأفف من الطعام والأطلال وشعرها وملابسها، وتتبرم من اضطرارها إلى النظر إلى الوجوه القبيحة من حولها. لكنها لم تبد عنيفة قط، لقد كانت متبرمة على الدوام فحسب. وبعد انقضاء الأيام القليلة الأولى لم يتحدث حتى عن الرحيل. لعل تلف المخ جعلها طيبة، أو ربما لأنها لم تعش في نيو برتي تاون مدة طويلة، فهي ما زالت تتذكرهم جميعًا بصفاتهم أصدقائها. وكانت تالي تتساءل أحيانًا عما إذا كانت تستمتع خفية بأنها الوحيدة التي تملك وجهًا جميلًا بين المتمردين القلائل. وقطعًا لم تكن تقوم بأي عمل يزيد عن ذلك الذي كانت تقوم به في المدينة، وكان رايدي وأستريكس يطيعان كل أوامرها.

كان ديفيد يساعد والدته، إذ كان يبحث في الأطلال عن الأشياء الثمينة، وكان يعلم خدع النجاة في البرية لأي قبيح راغب في التعلم. لكن بعد مرور أسبوعين على وفاة والده، وجدت تالي نفسها تفتقد الأيام الخوالي التي مرا بها عندما لم يكن هناك أحد سواهما.

وبعد مرور عشرين يومًا على النجاة، أعلنت مادي أنها اكتشفت علاجًا لتلف

المخ.

قالت مادي: «شاي، أريد أن أفسر لك هذا الأمر بعناية.»

أجابتها شاي: «بالطبع يا مادي.»

– «عندما خضعتِ للعملية، فعلوا شيئاً ما في مخك.»

ابتسمت شاي وقالت: «نعم، صحيح.» ثم نظرت إلى تالي وعلى وجهها تعبير

مألوف وتابعت كلامها: «هذا ما دأبت تالي على إخباري به، لكنكم لا تفهمون.»

طوت مادي يديها وقالت: «ماذا تقصدين؟»

قالت شاي بإصرار: «أقصد أنني أحب الطريقة التي أبدو عليها. أنا أسعد في هذا

الجسد. أما بشأن تلف المخ، فتأملوا أنفسكم وأنتم تهولون حول هذه الأطلال وأنتم

تمارسون دور الكوماندوز الفدائيين، أنتم مغرمون بالمؤامرات والعصيان، مهووسون

بالخوف وجنون الارتياح بل والحذر الشديد.» وأخذت عيناها تنتقلان جيئة وذهاباً

بين مادي وتالي ثم أردفت: «تلك عاقبة كونكم قبحاء.»

سألته مادي بهدوء: «وإم تشعرين أنتِ يا شاي؟»

– «أشعر أنني سعيدة ونشيطة. من الجيد ألا يهيج جسدي بالهرمونات. لا

ريب أن الوجود هنا بالخارج بدلاً من المدينة هو أمر غير ملائم.»

– «لا أحد يحتجك هنا يا شاي، لماذا لم تغادري؟»

هزت شاي منكبيها وقالت: «لا أعرف ... أظنني قلقة بشأنكم أيها الرفاق.

فالمكان هنا خطير، وإثارة المشكلات لأفراد السلطات الخاصة ليس بالأمر الجيد.

ينبغي أن تعرفي هذا الآن يا مادي.»

أخذت تالي نفساً هائجاً، لكن تعبيرات وجه مادي لم تتغير. سألتها مادي في

هدوء: «وأنتِ تعقدين العزم على أن تحميينا منهم؟»

هزت شاي كتفها وقالت: «كل ما هنالك هو أنني أشعر بالاستياء تجاه تالي،

لو لم أخبرها عن منطقة الضباب، لصارت حسناء الآن بدلاً من أن تعيش في هذا

المقلب للنفايات. وأظن أنها في النهاية سوف تقرر أن تنضج. سوف نعود معاً.»

قالت تالي: «لا يبدو أنكِ تودين أن تقررني لنفسك.»

تساءلت شاي: «أقرر ماذا؟» ثم حولت نظرها نحو تالي كي تؤكد على مدى

الضجر الذي يشوب الحديث. لقد خاضت كلتاها هذا الحديث عشرات المرات إلى أن

أدركت تالي أن ما من شيء يمكنه أن يقنع شاي بأن شخصيتها قد تغيرت. فشاي

ترى اتجاهها الجديد على أنه ثمرة نضجها، وأنها خطت خطوات إلى الأمام، تاركة

كل المشاعر المتأججة للقبح وراءها.

قال ديفيد: «أنتِ لم تكوني هكذا قط يا شاي.»

– «لا، لقد اعتدت أن أكون قبيحة.»

ابتسمت مادي بلطف وقالت: «لن تغير هذه الحبات مظهرك، ستؤثر في مخك؛ إذ ستبطل مفعول ما قد فعلته دكتورة كابل فيما يخص الطريقة التي يعمل بها مخك. عندئذ سوف تقررين لنفسك الشكل الذي ترغبين فيه.»

– «أقرر؟ بعد أن تكوني قد عبثت بمخي؟»

صاحت تالي فيها: «شاي!» وقد نست وعدھا بأن تظل صامتة. استرسلت تالي

قائلة: «لسنا من نعبث بمخك!»

قال ديفيد بهدوء: «تالي.»

حينئذ جاء صوت شاي مكسواً بنبرة التبرم اليومية وهي تقول: «أصبت، أنا من جُنّ، وليس أنتم من يعيشون في مبنى منهار في طرف مدينة مهدمة ويتحولون بالتدريج إلى أناس غريبى الأطوار في الوقت الذي يمكن لهم فيه أن يصيروا حساناً. نعم، أنا من جُنّ تمام الجنون ... لأنني حاولت أن أساعدكم!»

أعدت تالي ظهرها للوراء وضمت ذراعيها إلى صدرها بعد أن أسكتتها كلمات شاي. فكلما خاضت في هذا الحوار، تشوشت الحقيقة قليلاً، وكأنها والضبابيين الجدد الآخرين هم من جُنّوا حقاً. لقد كان الأمر أشبه بالأيام الأولى المريعة التي قضتها تالي في منطقة الضباب، عندما لم تكن تعرف إلى أي جانب تنتمي.

سألتها مادي في هدوء: «وكيف تساعدنا يا شاي؟»

– «أنا أحاول أن أجعلكم تفهمون.»

– «مثلما كنتِ تفعلين عندما اعتادت الدكتورة كابل أن ترسلك إلى زنانتني؟»

ضافت عينا شاي، واعتلت أمارات الحيرة والتشويش وجهها، وكأن ذكرياتها

عن السجن الموجود تحت الأرض لا تتواءم مع سائر أفكارها عن عالم الحسان.

– «أعلم أن الدكتورة كابل كانت مريعة لك. فأفراد السلطات الخاصة هم مرضى

نفسيون، انظري إليهم فحسب. لكن هذا لا يعني أنك مضطرة لأن تقضي حياتك بأكملها تهريين منهم. ما أريد أن أقوله هو أنه بتحولك إلى إحدى الحسنات، لن

يضايقك أفراد السلطات الخاصة.»

– «ولماذا لن يضايقونني؟»

– «لأنك لن تسببي أي متاعب بعد ذلك.»

– «ولماذا لن أسبب المتاعب؟»



- «لأنك ستكونين سعيدة!» ثم أخذت شاي نفسين عميقين وعادت إلى هدوئها المعتاد. ثم ابتسمت، وعادت جميلة مرة أخرى وقالت: «سعيدة مثلي.»  
التقطت مادي حبات العلاج من على الطاولة أمامها وقالت: «لن تتناولي هذه بإرادتك، أليس ذلك؟»

- «مستحيل. لقد قلت إنها غير آمنة.»

- «لقد قلت إن هناك احتمالاً ضئيلاً أن يفشل الأمر.»

ضحكت شاي وقالت: «لا بد أنك تظنين أنني مخبولة. وحتى لو نجحت هذه الحبات، ما الذي يُفترض أن تفعله بي. من وجهة نظري، كلمة «شفاء» تعني أن أكون فتاة مختالة عقلها ضعيف تعتد كثيراً بنفسها، إنها تعني الشعور بأنك تعرفين كل شيء.» ضمت شاي ذراعيها إلى صدرها وقالت: «ثمة أوجه تشابه كثيرة بينك وبين الدكتورة كابل. فكلتاكما على قناعة بأنها مكلفة تكليفاً شخصياً بتغيير العالم. حسناً، أنا لست في حاجة إلى هذا أو ذاك.»

قالت مادي: «حسناً.» ثم التقطت الحبات ووضعتها في جيبها وقالت: «هذا كل ما عليّ قوله.»

سألته تالي: «ما مقصدك؟»

ضغط ديفيد على يدها وقال: «هذا كل ما بوسعنا فعله يا تالي.»

- «ماذا؟ لقد قلت إنه بمقدورنا أن نعالجها.»

هزت مادي رأسها وقالت: «فقط في حال إن أرادت هي أن تُعالج. فهذا العلاج محل اختبار وتجربة يا تالي. لا يمكننا أن نرغم أحداً على تناوله ولا سيما عندما لا نعرف أنه سينجح.»

- «وماذا عن مخها ... لقد أصابه التلف!»

قالت شاي: «مرحباً، أنا أجلس هنا.»

قالت مادي بركة: «أنا آسفة يا شاي.» ثم توجهت إلى تالي وقالت: «تالي،»

سحبت مادي حاجز البوليستر الذي يغطي النافذة جانباً، وخطت إلى الخارج باتجاه ما يطلق عليه الضبابيون الجدد اسم شرفة. لقد كانت عبارة عن جزء من الطابق العلوي للبنية، حيث كان السطح منهازاً انهياراً تاماً، ويمكن من خلاله النظر إلى مناظر ممتدة من الأطلال.

تبعته تالي. كانت شاي تتحدث عما سيتناولونه على العشاء. ثم جاء ديفيد بعدها بلحظة.

همست تالي قائلة: «إذن، سوف نعطيها الحبات دون أن تدري، أليس كذلك؟»  
أجابتها مادي بحزم: «لا. لا يمكننا هذا، لا أنوي أن أجري تجارب طبية على شخص دون إرادته.»

ازدرت تالي ريقها وقالت: «تجارب طبية؟»  
أمسك ديفيد بيدها وقال: «لا يمكننا أن نعرف يقيناً مدى نجاح شيء مثل هذا، فنسبة الفشل ١٪، لكنه قد يتلف مخرجها إلى الأبد.»  
- «لقد تلف بالفعل.»

هز ديفيد رأسه وقال: «لكنها سعيدة يا تالي. ويمكنها أن تتخذ قراراتها بنفسها.»  
شدت تالي يدها بعيداً، وأخذت تحقّق في أفق المدينة، وكان ثمة شرارة لإحدى الألعاب النارية فوق برج شاهق الارتفاع، إذ أتى القباء للثرثرة والمقايسة. قالت تالي: «لماذا نحن مضطرون لاستئذانها؟ فهم لم يطلبوا إذننا عندما فعلوا هذا بها!»  
أجابتها مادي: «هذا هو الفرق بيننا وبينهم. عندما اكتشفنا أنا وآز ماهية العملية فعلاً، أدركنا أننا كنا متورطين في شيء مريع. فعقول الناس كانت تتغير دون علمهم. وبصفتنا طبيبين فقد أدينا ذاك اليمين القديم بألا نفعل شيئاً من هذا القبيل.»  
حملت تالي في وجه مادي وقالت: «لكن إن لم يكن لديكم نية مساعدة شاي، فلماذا كلفتم أنفسكم عناء اكتشاف العلاج؟»

- «لو كنا نعلم أن العلاج سينجح بأمان، لكننا أعطيناها لشاي ثم نلاحظ شعورها حياله فيما بعد. لكن لكي نجربه نريد شخصاً يخضع للتجربة بمحض إرادته.»  
- «ومن أين لنا أن نحصل على هذا الشخص؟ فكل شخص من الحسان سيرفض ذلك.»

- «ربما في الوقت الحالي يا تالي، لكن إن واصلنا هجماتنا على المدينة ربما نعثر على أحد الحسان الذين يريدون التحرر.»  
- «لكننا نعلم أن شاي مجنونة.»

قالت مادي: «هي ليست مجنونة. في الواقع، يبدو جدالها منطقيًا. هي سعيدة بحالها ولا تريد أن تخوض مخاطرة مهلكة.»  
- «لكنها ليست على طبيعتها، علينا أن نعيدها إلى ما كانت عليه.»  
قالت مادي بتجهم: «لقد مات آز لأن شخصاً ما فكر هكذا.»  
- «ماذا؟»

طوقها ديفيد بذراعه وقال: «أبي...» ثم تنحنح بينما انتظرت تالي في صمت. أخيراً سوف يخبرها كيف مات آز.

أخذ ديفيد نفساً بطيئاً قبل أن يسترسل قائلاً: «أرادت الدكتورة كابل أن تحولهم جميعاً، لكنها كانت قلقة من أن والديّ قد يتحدثان عن تلف المخ حتى بعد خضوعهما للعملية، لأنهما كانا يوليان هذا الأمر اهتماماً خاصاً فترة طويلة.» وارتعش صوت ديفيد ولكن صوته كان هادئاً ومتحفظاً، وكأن ديفيد لم يجروء على أن يضيف أي مشاعر على كلماته. أردف ديفيد قائلاً: «كانت الدكتورة كابل تعمل بالفعل على الوصول إلى طرق لتغيير الذاكرة، كطريقة لإزالة منطقة الضباب إلى الأبد من أذهان الناس. وعندما أخذوا والدي للعملية لم يعد.»

همست تالي: «يا له من أمر مريع.» ثم ضمت ديفيد إلى حضنها. قالت مادي: «لقد كان آز ضحية تجربة طبية يا تالي. ولا أستطيع أن أفعل الشيء نفسه بشاي، وإلا ستكون على حق فيما قالته بشأنني أنا والدكتورة كابل.»

- «لكن شاي هربت، فهي لم تشأ أن تصير حسناء.»

- «وهي لا تريد أن تخضع للتجربة أيضاً.»

أغمضت تالي عينيها. لقد كان بإمكانها أن تسمع عبر طبقة البوليستر صوت شاي وهي تخبر رايدي بشأن فرشاة الشعر التي صنعتها. فعلى مدار أيام، كانت تُظهر بزهو لأي شخص ينصت إليها تلك الفرشاة التي صنعتها من نشارة خشبية مغروسة في قطعة من الصلصال، وكأن تلك الفرشاة هي أهم شيء صنعته في حياتها قط.

لقد خاطروا بكل شيء من أجل إنقاذها، ومع ذلك ليس لديهم ما يزهون به. لن تعود شاي مثلما كانت أبداً.

كان الأمر برمته خطأ ارتكبته تالي. لقد حضرت إلى منطقة الضباب، وأحضرت معها السلطات الخاصة، تاركة شاي حسناء خاوية العقل، وآز ميتاً. أخذت تالي نفساً عميقاً وقالت: «حسناً، لديكم متطوع راغب في الخضوع للتجربة.»

- «ماذا تقصدين يا تالي؟»

- «أنا.»



## اعترافات

قال ديفيد: «ماذا؟»

قالت مادي: «تناولك حبات العلاج لن يثبت أي شيء يا تالي. فأنتِ غير مصابة بالثلف.»

- «لكنني سوف أُصاب به. سوف أعود إلى المدينة ويُقبض عليّ وتُخضعني الدكتورة كابل للعملية. وفي غضون أسابيع قليلة تعالي وخذيني وأعطيني العلاج. لقد وجدتِ المتطوع.»

وقف ثلاثتهم هناك في سكون. تدفقت كلمات تالي من فمها بمنتهى التلقائية، حتى إنها هي نفسها كادت لا تصدق أنها نطقت بهذه الكلمات.

هز ديفيد رأسه وقال: «تالي ... هذا جنون.»

- «هذا ليس جنوناً، أنتما تريدان متطوعاً يخضع للتجربة بإرادته، شخصاً يبدي موافقته على تلقي هذا العلاج قبل أن يصير من الحسان، سواء أكان العلاج تجريبياً أم لا. هذه هي الطريقة الوحيدة.»

صرخ ديفيد: «لا يمكنك أن تضحى بنفسك.»

التفتت تالي ناحية مادي وقالت: «لقد قلتِ إن نسبة نجاح هذه الحبات هي تسعة وتسعون بالمائة، أليس كذلك؟»

- «أجل، لكن نسبة الواحد بالمائة المتبقية قد تترك بليدة الذهن يا تالي.»

- «واحد بالمائة؟ هذه النسبة لا شيء مقارنة باقتحام السلطات الخاصة.»

أمسك ديفيد بكتفيها وقال: «كفى يا تالي، هذا أمر شديد الخطورة.»

- «شديد الخطورة؟ ديفيد، لن تواجهك مشاكل في العبور إلى نيو برتي تاون، فقبحاء المدينة يفعلون هذا طوال الوقت. كل ما هنالك أنك سوف تجذبني من قصري

وتلصقني بلوح طائر، وأنا سوف أحضر معك تمامًا مثلما فعلت شاي. وعندئذ تعالجانني.»

«وماذا لو قرر أفراد السلطات الخاصة أن يغيروا ذاكرتك، مثلما فعلوا بذاكرة والدي؟»

قالت مادي: «لن يفعلوا.»

حدق ديفيد في والدته مذهولًا.

استرسلت مادي: «هم لن يكلفوا أنفسهم عناء فعل هذا مع تالي. هي تتذكر منطقة الضباب جيدًا. لقد كنا أنا وآز مصدر القلق الوحيد لهم؛ لأننا ركزنا على مدار نصف عمرينا على تلف المخ، وقد توقعوا ألا نسكت بشأن هذا الأمر حتى عندما نصير حسانًا.»

صاح ديفيد: «أمي! تالي لن تذهب إلى أي مكان.»

استرسلت مادي في حديثها قائلة: «علاوة على أن الدكتورة كابل لن تفعل أي شيء يضر بتالي.»

«توقفي عن الحديث وكأن الأمر سيتحقق!»

نظرت تالي في عيني مادي، وأومأت المرأة رأسها، فهي تعرف.

قالت تالي: «ديفيد، يجب أن أفعل هذا.»

«لماذا؟»

«من أجل شاي، فهذه هي الطريقة الوحيدة التي ستُمكن مادي من علاجها.

أليس كذلك؟»

أومأت مادي برأسها.

بكلمات نطق بها ببطء وهدوء: «أنتِ لست مضطرة لأن تنقذي شاي. لقد قمتِ بما فيه الكفاية من أجلها. لقد تبعتها إلى منطقة الضباب، وأنقذتها من السلطات الخاصة!»

أخذت تالي نفسًا عميقًا وقالت: «أجل، لقد قمت بالكثير من أجلها. وأنا السبب في أنها أصبحت هكذا؛ حسناء وخاوية العقل.»

هز ديفيد رأسه وقال: «عم تتحدثين؟»

التفتت تالي إليه وأمسكت بيده وقالت: «ديفيد، أنا لم أحضر إلى منطقة الضباب لتأكد فقط من أن شاي بخير. لقد أتيت لكي أعود بها إلى المدينة.» تنهدت تالي ثم أردفت قائلة: «لقد أتيت كي أخونها.»

ما أكثر الأوقات التي ظلت فيها تالي تتخيل نفسها وهي تخبر ديفيد بسرها، إذ كانت تتمرن كل ليلة تقريبًا على هذا الحديث حتى إنها كانت تصدق بشق النفس أن هذا ليس كابوسًا جديدًا تُجبر فيه على قول الحقيقة. لكن بينما أخذت الحقيقة في هذه اللحظة تتبلور، وجدت الكلمات تتدفق كتيار جارف.

- «لقد كنت جاسوسة لمصلحة الدكتورة كابل، لهذا عرفت مكان السلطات الخاصة، ولهذا جاءت السلطات الخاصة إلى منطقة الضباب. لقد أحضرت جهاز تعقب معي.»

قال ديفيد: «كلامك لا يبدو منطقيًا، لقد حاربتِ عندما قدموا إلى المنطقة، وهربتِ، وساعدتِ في عملية إنقاذ والدتي...»

- «لقد عدلت عن رأيي. وبصدق، لم أقصد مطلقًا أن أشغل جهاز التعقب، وأردت أن أعيش في منطقة الضباب. لكن الليلة التي سبقت الغزو، بعدما اكتشفت أمر التلف...» أغمضت تالي عينيها ثم قالت: «بعدما قبل كل منا الآخر، شغلت جهاز التتبع دون قصد.»

- «ماذا؟»

- «قلادتي، لم أقصد أن أشغلها، لقد أردت أن أدمرها. لكنني أنا من أحضرت السلطات الخاصة إلى منقطة الضباب يا ديفيد. وأنا سبب تحول تالي إلى حساء. وموت والداك كان خطئي.»

- «أنتِ تخلقين هذه القصة! لن أدعكِ...»

قالت مادي بعنف، وهي تسكت ابنها: «ديفيد، هي لا تكذب.»  
شدهت تالي، لقد كانت مادي تنظر إليها نظرة حزينة.

- «لقد أخبرتني الدكتورة كابل بكل شيء عن استخدامها لك يا تالي. لم أصدقها في البداية، لكن في الليلة التي قمتما فيها بإنقاذنا، كانت قد أحضرت شاي لتوها لتؤكد لي ذلك.»

هزت تالي رأسها وقالت: «لقد عرفت شاي أنني كنت خائنة في النهاية.»

قالت مادي: «وما زالت تعرف، لكن هذا لم يعد ذا أهمية لها، لهذا يجدر بتالي أن تقوم بهذا الأمر.»

صرخ ديفيد: «كلتاكما مجنونة! أصغي إلي يا أمي، كل ما هو مطلوب هو أن تكفي عن عنادك وتعطي لشاي حبات العلاج.» ثم مد ديفيد يده وقال: «سأفعل هذا بدلًا منك.»

– «ديفيد، لن أدعك تتحول إلى وحش. تالي اختارت بنفسها.»

نظر ديفيد إلى كليهما، غير قادر على تصديق أي من هذا. أخيراً وجد الكلمات وقال: «أنتِ كنتِ جاسوسة؟»

– «نعم، في البداية.»

هز ديفيد رأسه.

خطت مادي إلى الأمام وحاولت أن تحضن ابنها وقالت: «ولدي.»

– «لا.» ثم استدار ديفيد وركض ممزقاً لوح البولبيستر تاركاً الآخرين بالداخل عاجزين عن الكلام، حتى إن الصمت قد خيم على شاي.

وقبل أن تستطيع تالي أن تلحق به، قبضت مادي يدها على ذراعها بإحكام وقالت: «يجدر بك أن تذهبي إلى المدينة الآن.»

– «الليلة؟ لكن ...»

– «وإلا سوف تقنعي نفسك بعدم الذهاب أو يقنعك ديفيد بذلك.»

تراجعت تالي إلى الوراء وقالت: «ينبغي أن أودعه.»

– «ينبغي أن تذهبي.»

حدقت تالي في مادي، وأدركت الحقيقة بالتدريج. فمع أن نظرة المرأة كانت تميل إلى الحزن أكثر منها إلى الغضب، كانت هناك نظرة باردة في عينيها. فقد لا يلومها ديفيد على موت آز، لكن مادي كانت تلومها.

قالت تالي بهدوء: «أشكرك.» مجبرة نفسها على تحمل نظرة مادي.

– «علام ذلك؟»

– «عدم إخباره منذ رجوعك، وتركي حتى اتخذت القرار بنفسي.»

هزت مادي رأسها وابتسمت لها بصعوبة ثم قالت: «لقد كان ديفيد بحاجة

إليك على مدار الأسبوعين الماضيين.»

ازدردت تالي ريقها وتراجعت إلى الوراء وهي تنظر إلى المدينة وقالت: «هو لا

يزال بحاجة إليّ.»

– «تالي ...»

– «حسناً، سوف أذهب الليلة، لكنني أعلم أن ديفيد هو من سيعيدني.»



## باتجاه مجرى النهر

قبل الرحيل، كتبت تالي خطابًا لنفسها.

لقد كانت فكرة مادي أن تقر بموافقتها كتابيًا. فبهذه الطريقة، عندما تصير تالي جميلة وغير قادرة على فهم السبب وراء خضوع مخها للعلاج، على الأقل ستقرأ كلماتها التي كتبتها بخط يدها وتعرف ما الذي على وشك الحدوث.

قالت تالي: «أيًا كان ما سيرحك، ما دمت ستعالجيني لا يُهم ماذا أقول. لا تتركيني مثل شاي.»

– «سأعالجك يا تالي، أعدك بهذا. أريد فقط موافقة كتابية.» ثم أعطتها مادي قلمًا وقطعة ورق صغيرة.

قالت تالي: «لم أتعلم مهارة التأليف قط، فهي لم تعد مطلوبة.»

هزت مادي رأسها في حزن وقالت: «حسنًا، أملي الكلام علي وأنا سوف أكتب.» – «ليست أنتِ بل شاي. شاي يمكنها أن تكتب هذا من أجلي، فقد درست ذلك من قبل عندما كانت تحاول أن تنتقل إلى منطقة الضباب.» تذكرت تالي خط شاي الرديء في ورقة الاتجاهات التي تؤدي إلى منطقة الضباب، لقد كان غير متقن لكن يمكن قراءته.

لم تستغرق كتابة الخطاب وقتًا طويلًا، وضحكت شاي على كلمات تالي النابعة من القلب، لكنها كتبتها حسبما وُجّهت. لقد غلب عليها قليلًا طابع الجدية في الطريقة التي كانت تضع بها القلم على الورقة، فكانت أشبه بطفل صغير يتعلم كيف يقرأ. وعندما فرغا من الأمر، لم يكن ديفيد قد عاد بعد، لقد ركب أحد الألواح الطائرة وطار باتجاه الأطلال. وبينما كانت تالي تتخلص من أغراضها، أخذت تحقق عبر النافذة على أمل أن يعود.

لكن ربما كانت مادي محقة، فإن رأته تالي مرة أخرى، فسوف تتراجع عن الأمر أو ربما يمنعها ديفيد.

أو الأسوأ من هذا وذاك: ربما لن يمنعها.

لكن أيًا كان ما يقوله لها ديفيد الآن، فإنه سوف يتذكر دائمًا ما فعلته والأرواح التي تسببت في خسارتها. والذهاب إلى هناك هو الطريقة الوحيدة التي سوف تؤكد لها أن ديفيد قد سامحها؛ إذا جاء لإنقاذها فسوف تتيقن من مسامحته لها.

قالت شاي عندما فرغا من الأمر: «إذن، لنتحرك.»

– «شاي، أنا لن أذهب إلى الأبد. وأرى أنكِ ...»

– «هيا بنا، لقد ضقت ذرعًا بهذا المكان.»

عضت تالي شفتها، فما الفائدة من تسليم نفسها إذا كانت شاي سوف ترحل أيضًا؟ بالطبع سوف يكون بمقدورهم دائمًا أن يخطفوها مرة أخرى أيضًا. فبثبوت فاعلية العلاج، يمكنهم أن يعطوه لأي فرد أو للجميع.

قالت شاي: «إن السبب الوحيد لتسكعي هنا في هذا المقلب للنفايات هو أن أحاول الرجوع بكِ.» ثم خفضت صوتها وقالت: «أتعرفين، إنه خطئي أنكِ لم تصبحي حسناء بالفعل. لقد أفسدت كل شيء بهروبي. أنا مدينة لكِ.»

– «يا إلهي، شاي.» ثم شعرت تالي بالدوار فأغمضت عينيها.

قالت شاي: «كانت مادي تقول دومًا إنه بإمكانني الذهاب في أي وقت. وأنتِ لا تريدني أن أعود كل هذا الطريق بمفردتي، أليس كذلك؟»

حاولت تالي أن تتخيل شاي وهي تسير إلى النهر بمفردها. ثم قالت تالي: «لا. لا أظن ذلك.» نظرت تالي في وجه صديقتها ورأت وميضًا في عينيها، فثمة شيء حقيقي قد اتقد بداخلها من فكرة أنها سوف تذهب في رحلة مع شاي.

قالت شاي: «من فضلك! لدينا حفل في نيو برتي تاون.»

بسطت تالي يديها وقالت: «حسنًا، أظن أنه ليس بمقدوري أن أمنعك.»

ركبتا معًا فوق لوح واحد. وركب كروي على لوح آخر كي يعيد اللوح عندما تصلان إلى حافة المدينة.

ولم يتحدث كروي طوال الطريق. لقد سمع الضبابيون الجدد الآخرون الشجار من خارج الشرفة وعرفوا في آخر المطاف ما فعلته تالي. ولا بدّ أن الأمر كان وقعه

على كروي أسوأ من الباقين، فهو قد ارتاب فيها، وهي كذبت عليه وجهاً لوجه. ولعله تمنى لو أوقفها بنفسه من البداية قبل أن تسنح لها الفرصة كي تخونهم جميعهم. ومع ذلك عندما وصلوا الحزام الأخضر أرغم نفسه على النظر إليها وقال: «على

كل حال ما الذي فعلوه بك كي يجعلوك تفعلين شيئاً مثل هذا؟»

– «لقد قالوا إنني لن أتحوّل إلى حسناء إلى أن أعثر على شاي.»

نظر كروي بعيداً عنها، وأخذ يحدق في أضواء نيو برتي تاون التي كانت تسطع في برد ليلة من ليال نوفمبر/ تشرين الثاني القارص وقال: «إذن أخيراً حصلتِ على مرادكِ.»

قالت تالي: «نعم. أظن ذلك.»

قالت شاي: «ستصير تالي حسناء!»

تجاهلها كروي ونظر إلى تالي مرة أخرى وقال: «مع ذلك أشكرك على إنقاذي. لقد أتممت هذه الخدعة بنجاح. أتمنى أن ...» ثم هز منكبيه ورأسه وقال: «أراكما لاحقاً.»

– «أتمنى ذلك.»

لصق كروي اللوحين معاً ثم رجع أدراجه باتجاه النهر.

قالت شاي: «سيكون هذا هو الوقت الأفضل على الإطلاق. لا أستطيع أن أنتظر

حتى تلتقي بأصدقائي الجدد. ويمكنك أخيراً أن تعرفيني ببيريس.»

– «بالطبع.»

انحدرتا نحو آجلي فيل حتى وجدتا أنفسهما في حديقة كليوباترا، حيث كانت الأرض صلبة تحت قدميهما في برودة أواخر فصل الخريف، وقد اقتربت إحداهما من الأخرى للغاية من شدة البرودة. وارتدت تالي سترتها المصنوعة في منطقة الضباب. وقد أرادت تالي أن تحتفظ مادي بهذه السترة لها حتى تعود، لكنها تركت معطفها المصنوع من النسيج الناعم بدلاً منها، فقد كانت الملابس المصنوعة في المدينة غالية على أن تضيع على فرد عائد للحياة الحضرية.

وكانت شاي تقول: «أتعرفين، لقد بدأ يذيع صيتي بالفعل، أن يكون لك تاريخ إجرامي هو الطريق الوحيد نحو الحفلات الجيدة. أقصد، لا أحد يريد أن يعرف شيئاً عن الحصص التي حضرتها في إحدى مدارس القبعاء.» ثم أخذت تقهقه.

قالت تالي: «سنكون مشهورتين هناك إذن.»

– «حقاً، عندما نخبر كل فرد عن خطفك إياي من مقر السلطات الخاصة،

وكيف أنني أقنعتك بالهروب من عصابة الحمقى، لكن سيتحتم علينا أن نخفف من حدة الحقيقة في الأمر، أيتها الحولاء، فلا أحد سيصدق الحقيقة!»

- «لا، أصبت في هذا.»

فكرت تالي في الخطاب الذي تركته مع مادي. هل ستصدق الحقيقة بعد أسابيع قلائل؟ فكيف ستبدو كلمات فتاة قبيحة هاربة يائسة تعسة في عيني إحدى الحسنات؟

وفي هذا الشأن، كيف سيبدو ديفيد بعدما تُحاط بوجوه الحسان الجدد على مدار أربع وعشرين ساعة في اليوم؟ هل ستصدق حقاً من جديد كل هذه الأمور عن القبح التي كانت تعتقد فيها من قبل، أم ستذكر أنه يمكن أن يكون الفرد جميلاً دون تدخل جراحي؟ وحاولت أن تتخيل وجه ديفيد، لكنه كان موجعاً أن تفكر في مدى طول الوقت الذي سيمر قبل أن تراه مرة أخرى.

وتساءلت تالي عن قدر الوقت الذي سيمر بعد العملية وقبل أن تستطيع أن تتوقف عن الحنين إلى ديفيد. ربما تمر بضعة أيام قبل أن يسيطر تلف المخ عليها بالتمام حسبما حذرتها مادي. لكن هذا لا يعني أن هذا هو عقلها الحقيقي، فهو يتغير من تلقاء ذاته.

ربما لو أنها قررت أن تستمر في الحنين إليه، سيتسنى لها أن تحفظ عقلها من التغير بغض الطرف عن أي شيء آخر. فعلى خلاف معظم الناس، هي تعرف عن تلف المخ. ربما يمكنها أن تتغلب عليه.

حينئذٍ مر شكل مظلم فوقهما، لقد كانت عربة طائرة لأحد الحراس، فتجمدت تالي في مكانها بالفطرة. لقد ذكر قباء المدينة أن ثمة المزيد من الدوريات هذه الأيام. فأخيراً لاحظت السلطات الدائمة أن الأمور كانت تتغير.

توقفت العربة الطائرة ثم هبطت بهدوء على الأرض إلى جوارهما. انفتح أحد الأبواب فسطع منه ضوء يغشي الأبصار. قال الحارس: «حسناً، أنتم أيها الأطفال ... آسف يا آنستي.»

لقد كان الضوء مسلطاً على وجه شاي، ثم سطع على وجه تالي.  
- «من أنتما ...» ثم تلعثم الحارس. ألا يتجاوز هذا كل حد؟ جميلة وقبيحة تنتزهان معاً. اقترب الحارس متوسط العمر إليها والحيرة تعلو وجهه.

ابتسمت تالي. فقد كانت تثير المتاعب بشدة.

قالت تالي: «أنا تالي يانج بلود. حولني إلى حسناء.»

يستطيع كل فرد  
أن يكون رائع الجمال.  
فما العيب في ذلك؟

أوشكت تالي على بلوغ السادسة عشرة من عمرها، ولم تعد تطيق صبراً؛ ليس من أجل استخراج رخصة القيادة، بل لتصير جميلة، ففي عالم تالي يخضع المرء عند بلوغه السادسة عشرة لعملية يتحول بها من القبح المنفر إلى الجمال الأخاذ، وينتقل إلى جنة صنعتها التكنولوجيا الحديثة حيث لا ينشغل إلا بالاستمتاع بوقته إلى أقصى درجة، وفي غضون بضعة أسابيع تنتقل تالي إلى هناك.

غير أن شاي صديقة تالي ليست على يقين من رغبتها في أن تصير جميلة، وتفضل المخاطرة بالعيش خارج تلك الجنة. تلوذ شاي بالفرار، ويظهر لتالي جانب جديد تماماً من مجتمع الجمال، جانب يخلو من الجمال. تعرض السلطات على تالي أسوأ اختيار يمكن أن يخطر ببالها: إما أن تعثر على صديقتها وتسلمها للسلطات، أو تتخلى إلى الأبد عن التحول إلى الجمال، والقرار الذي ستتخذه تالي سيبدل عالمها إلى الأبد. هذا هو الكتاب الأول في ثلاثية جديدة رائعة.

ISBN 978-977-6263-59-8



9 789776 263598

كلمات عربية

<http://www.kalimat.org>